



موسوعة التاريخ الإسلامي

العصر النبوي - العهد المدني (٢)

الجزء الثالث

تأليف
الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي


بسم الله الرحمن الرحیم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهم حوادث

السنة السابعة للهجرة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمر خيبر[1] :

مرّ في أخبار أواخر شهر رمضان سنة ست أنه ﷺ بلغه أن أمير خيبر الجديد أُسير بن رِزام يجمع الجموع من غطفان لحربه ، فأرسل اليه سرية في شوال فـقتلوه وأصحابه خارج خيبر . وعلقت عليه أنه يصلح أن يكون الباعث لحرب خـيبر ، بالإضافة الىٰ مشاركتهم من قبل في حرب الأحزاب .

كتبه إلىٰ يهود خيبر :

وفي الفتح المعنوي والسياسي في صلح الحديبية نزلت « سورة الفتح » كما مرّ خبره ، وهي ببسملتها ثلاثون آية ، اختتمت بالتأكيد علىٰ رسالة رسول اللّـه ﷺ ومثل الذين معه في التوراة والانجيل ، فكأن ذلك اقتضىٰ ـ لدى النبيّ ـ أن يحتجّ بها علىٰ مركز يهود الحجاز في خيبر ، فكتب اليهم :

---

(1) خيبر : نحو الشام علىٰ بُعد مئة وعشرين كم ، كما في جزيرة العرب في القرن العشرين : ٢٤ .

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله صاحب موسىٰ وأخيه المصدّق لما جاء به. ألا إن الله قال لكم ـ يا معشر أهل التوراة ـ وانكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1].

واني انشدكم بالله وبما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلوىٰ، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتىٰ انجاكم من فرعون وعمله إلّا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟!

فان كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُره عليكم ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ فأدعوكم الىٰ الله ونبيّه»[2] وبقي الكتاب بلا جواب.

ورواية اخرىٰ رواها البيهقي عن ابن عباس، ولعلها رسالة دعوة ثانية بعد الاولىٰ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله أخي موسىٰ وصاحبه، بعثه الله بما بعثه به. اني انشدكم بالله وما أنزل علىٰ موسىٰ يوم طور سيناء، وفلق البحر لكم فانجاكم وأهلك عدوكم، وأطعمكم المنّ والسلوىٰ، وظلّل عليكم الغمام هل تجدون في كتابكم: أني رسول الله اليكم والىٰ الناس كافة؟! فان كان ذلك كذلك فاتقوا الله وأسلموا.

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) مكاتيب الرسول ١: ١٧٤ عن كنز العمال ٥: ٣٨٥.

وان لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم»[١] وبلا جواب كذلك!

ولذلك وللمرة الثالثة اتماماً للحجة أنذرهم فأعذر بأنّه بحول اللّه وقوته سيورثه اللّه أرضهم لتكون لمن يشاء من عباده: «من محمد بن عبد اللّه، الأُميّ، رسول اللّه إلىٰ يهود خيبر:

أمّا بعد، فإن الارض للّه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة الّا باللّه العلي العظيم».

ورد هذا في كتاب «الاختصاص» المنسوب الى الشيخ المفيد[٢]، مرفوعاً الىٰ ابن عباس: أن جبرئيل أمره ﷺ أن يكتب الىٰ أهل الكتاب ـ يعني اليهود والنصارىٰ ـ كتاباً، وأملىٰ جبرئيل عليه السلام علىٰ النبي ﷺ كتابه، وكاتبه يومئذٍ سعد بن ابي وقاص، فكتب الىٰ يهود خيبر بهذا الكتاب... ووجّهه اليهم.

فلما وصل الكتاب اليهم أتوا به رئيساً لهم يقال له عبد اللّه بن سلام[٣].

التهيؤ للغزو:

وكأنه ﷺ بعد هذه الدعوات المكرّرة ثلاثاً اتماماً للحجة وإعذاراً وانذاراً، وبعد أن أقام ـ كما قال الواقدي ـ لذلك بقية ذي الحجة والمحرم من سنة سبع، أمر أصحابه بالتهيؤ للغزو، فهم يجدّون لذلك[٤].

---

(١) مكاتيب الرسول ١: ١٧٢ عن السنن الكبرىٰ ١٠: ١٨٠.

(٢) للتحقيق في ذلك انظر مقالات السيد محمد جواد الشبيري الزنجاني في المجلة الفارسية «نور علم» العدد ٤٠ و ٤٢.

(٣) قيل: ان اسمه كان الحصين، وأسلم في السنة الثانية فسماه رسول اللّه عبد اللّه. وعليه فلا يصح هذا الخبر بطوله راجع الاختصاص: ٤٢ ـ ٥٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٤.

وكان ابو عبْس بن جبر من فقراء أصحابه فقال له : ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب نخرج فيه. فأعطاه رسول الله ﷺ ثوباً سابغاً طويلاً، باعه بثمانية دراهم وابتاع بنصف ثمنه بُردة، ودرهمين تمراً، وترك درهمين نفقة لاهله.

فرآه رسول الله ليس عليه ثوبه فسأله : أين الشقة التي كسوتك ؟ فقال : بعتها بثمانية دراهم، واشتريت بردة بأربعة دراهم، وتزودت تمراً بدرهمين، وتركت درهمين نفقة لأهلي. فضحك رسول الله ثم قال : يا أبا عبس، والذي نفسي بيده لئن سلمت وأصحابك من الفقراء وعشتم قليلاً، ليكثرنّ زادكم وما تتركون لأهليكم، وليكثرن دراهمكم وعبيدكم، وما ذاك بخير لكم ![1]

وقد كان جماعة منهم تخلّفوا عنه في الحديبية وأرجفوا به وبالمسلمين... وجاؤوا اليوم يريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقالوا له : إن خيبر ريف الحجاز طعاماً ولحماً وأموالاً، فنخرج معك اليها ؟ فقال ﷺ : لا تخرجوا معي الّا راغبين في الجهاد، وأما الغنيمة فلا.

ثم بعث منادياً ينادي : لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد، وأما الغنيمة فلا.

موقف يهود المدينة :

قال : وحين تجهّز النبيّ ﷺ الى خيبر أصبح يهود المدينة يقولون للمسلمين : ما أمنع والله خيبر منكم ! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا اليهم، هم في حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها واتن (لا ينقطع) وان فيها لألف دارع، وما كانت أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة الا بهم، أفأنتم تطيقون خيبر ؟ ! فيقول لهم الأصحاب : ان الله قد وعد نبيّه أن يغنّمه اياها[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٦٣٥، ٦٣٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٦٣٧.

وأصبح اليهود الذين لهم حقّ على بعض المسلمين يلزمونهم باداء حقوقهم. وكان من ذلك: أن عبد الله الأسلمي كان قد أخذ لأهله شعيراً من أبي الشحم اليهودي بخمسة دراهم، فلزمه بها، فقال له الأسلمي: انّ الله عزّ وجل قد وعد نبيّه ان يغنمه خيبر، فأجّلني فإني ارجو أن ارجع اليك فأقضيك حقك ان شاء الله. فقال له ابو الشحم: أتحسب أنّ قتال خيبر مثل ما تلقونه من الاعراب؟! إنّ فيها عشرة آلاف مقاتل، والتوراة! فقال الأسلمي: أي عدو الله تخوّفنا بعدوّنا وأنت في ذمّتنا وجوارنا؟! والله لأرفعنّك الىٰ رسول الله! فترافعا اليه. فقال الأسلمي: يا رسول الله، ألا تسمع الىٰ ما يقول هذا اليهودي؟ وأخبره خبره. فقال اليهودي: يا ابا القاسم، ان هذا قد أخذ طعامي وحبسني حقي وظلمني.

فقال رسول الله: يا عبد الله، اعطه حقه. فباع عبد الله ثوبه وأعطاه حقه[1].

خروج النسوة إلى خيبر:

روىٰ الواقدي بسنده عن أُميّة بنت قيس الغفارية قالت: جئت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا: يا رسول الله، انا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحىٰ، ونعين المسلمين بما استطعنا؟

فقال رسول الله: علىٰ بركة الله.. واردفني رسول الله علىٰ حقيبة رحله[2].

وخرج مع رسول الله من المدينة عشرون امرأة: مولاته ام أيمن، ومولاته الاخرىٰ سلمىٰ امرأة مولاه ابي رافع القبطي، وزوجته ام سلمة، وعمته صفية بنت

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٤، ٦٣٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٥ ورواه ابن اسحاق في السيرة ٣: ٣٥٧ بنفس السند قال: عن امرأة من بني غفار قد سمّاها لي قالت...

عبد المطلب (مع ابنها الزبير بن العوّام) وامرأة عاصم بن عدي مع زوجها عاصم وكانت حاملاً مقرباً، وأُم عمارة نُسيبة بنت كعب الخزرجية، وأُم عامر الاشهلية، وأُم عطية الأنصارية وأُم العلاء الأنصارية، وأُم الضحاك بنت مسعود الحارثية، وأُم سُليم بنت ملحان[1]، وأُم سليط، وأُم شاث وهي أُم منيع، وهند بنت عمرو بن حرام[2] وامرأة عبد الله بن انس وهي حبلى مقرب مع زوجها[3]، وأُم مطاع الأسلمية، وكُعيبة بنت سعد الأسلمية[4].

وروى بسنده عن أُم سنان الاسلمية قالت: لما أراد رسول الله الخروج جئته فقلت: يا رسول الله اخرج معك في وجهك هذا أخرز السقاء وأداوي المرضى وانظر الرحل؟ فقال: اخرجي على بركة الله، فإنّ لك صواحب قد كلّمنني وأذنت لهن، من قومك ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا؟ قلت: معك قال: فكوني مع أُم سلمة زوجتي. فكنت معها[5].

المسير نحو خيبر

قال: واستخلف رسول الله على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفاري[6] وخرج

---

(١) وهي أُم أنس بن مالك. ابن هشام ٣: ٣٥٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٥.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٦، ٦٨٧.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٨٤ وفي سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٢: نُميلة بن عبد الله الليثي.

الى خيبر في صفر سنة سبع، ويقال: هلال ربيع الاول. فسلك ثنية الوداع، ثم اخذ على الزّغابة، ثم على نَقْمَى، ثم سلك المستناخ، ثم خرج على عَصْر (الجبل) وبه مسجد[3]، وانتهى الى الصهباء فصلّى بها العصر، ثم دعا بالاطعمة فلم يؤت إلا بالتمر والسويق فأكلوا، ثم قام الى المغرب من دون ان يجدد وضوءه[4] ثم صلى العشاء.

وكان قد خرج معهم دليلان من أُشجع[5]: حسيل بن خارجة وعبد الله بن نُعيم، فدعا النبيّ بهم فقال لحُسيل: امض أمامنا حتى تأخذنا في صدور الوديان حتى نأتي خيبر من بينها وبين الشام فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان. فقال حُسيل: نعم أنا أسلك بك الى ذلك، فسلك به حتى انتهى الى موضع مفترق طرق فقال: يا رسول الله هذا طرق كلّها يوصل منها. فقال النبيّ: سمّها لي فسمّى: الحزن والحاطب والشاش، فقال النبيّ: لا تسلكها، فقال: لم يبق الّا

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٤ ويتبع قال ابن اسحاق: خرج في بقية المحرم ٣: ٣٤٢ وقال الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٨١: لما قدم النبي المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة. وفي اعلام الورى ١: ٢٠٧: في ذي الحجة سنة ست. وكذلك جاء في قصص الأنبياء: ٣٤٧ ويقول ابن اسحاق: وكان فتح خيبر في صفر، ويستشهد لذلك بقول ابن لُقيم العبسي في شعره في خيبر:

ولقد علمت ليغلبنّ محمد … وليثوينّ بها الى أصفار

وأصفار جمع صفر يريد بها شهر صفر ٣: ٣٥٥، ٣٥٦.

(2) لا ننسى أنها كانت نحو الشام لا مكة، فالمشرق لا الجنوب.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٨ وقال ابن اسحاق: سلك رسول الله على عصر فبُني له فيها مسجد، ثم على الصهباء … حتى نزل بالرجيع. سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٤.

(4) خلافاً لمن زعم ان الطعام ينقض الوضوء.

(5) وفيهم يهود وكان منهم نعيم بن مسعود الاشجعي.

طريق واحدة اسمها مرحب، قال النبي: نعم، اسلكها وذلك انه كان يكره الطيرة والاسم القبيح ويحب الفأل والاسم الحسن[1].

موقف يهود خيبر:

قال: وحيث أحسّ يهود خيبر بمسير رسول الله، قال لهم اليهودي ابو زينب الحارث: ابرزوا له وعسكروا خارج حصونكم، فاني قد رأيت من سار اليه من اهل الحصون لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فمنهم من قتل صبراً ومنهم من سبي! فقالوا: ان حصوننا هذه منيعة في ذرى الجبال، فهي ليست مثل تلك الحصون. وثبتوا في حصونهم[2].

وقدم أعرابي من أشجع أيضاً المدينة بسلعة يبيعها فيها، فلما وجده يهود المدينة بعثوه الى كنانة بن ابي الحُقَيق يخبرونه بقلة المسلمين وقلة خيلهم وسلاحهم، ويقولون لهم: اصدقوهم الحرب، مصدر نواعكم، فانه لم يلق قوماً يحسنون القتال، وقد سُرّت قريش و تعرف عسرة الكم، لما بطلون من جودة حصونكم وكثرة عددكم وسلاحكم وموادكم.. فان ظفر محمد فهو ذلّ الدهر!

ومع الاعرابي ابن عم له يسمع كل هذا، فقال له كنانة: اذهب فاعترض الطريق فانهم لا يستنكرون مكانك فادن منهم واحزُرهم لنا. ثم الق اليهم كثرة عددنا ومادّتنا، وعجل الرجعة الينا بخبرهم[3].

فلما سلك النبيّ طريق مرحب قدّم عباد بن بشر طليعة له، فعثر على هذا الأعرابي من أشجع، فسأله: من انت؟ قال: انا رجل من أشجع أتبع آثار أبعرة لي

---

(١) اي كره أن يتطير من معه من العرب بالأسماء القبيحة، وهو أيضاً يكرهها

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٣٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٤١ وانظر ٦٤٢

قد ضلّت. فقال عبّاد: ألك علم بخيبر؟ قال: نعم أنا حديث عهد بها، فيم تسألني عنه؟ قال: عن اليهود. قال: نعم، إنّ هودة بن قيس وكنانة بن أبي الحُقَيق قد ساروا في حلفائهم من غطفان فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة، فجاؤوا يقودهم عيينة بن بدر معدّين مؤيدين بالسلاح والكُراع ودخلوا معهم في القلاع، وفيها عشرة آلاف مقاتل، وهم أهل الحصون التي لا تُرام، وسلاح كثير وطعام لو حُصروا سنين لكفاهم، وماء واتن (دائم) في حصونهم، فلا أرى لأحد طاقة بهم.

فقال له عبّاد بن بشر: ما أنت إلا عين لهم، ورفع سوطه وضربه ضربات وهو يقول: اصدقني وإلا ضربت عنقك. فقال الأعرابي: أفتؤمني على أن أصدُقك؟ قال: نعم. فحكى له الأعرابي قصته وقال: القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون كما صنعتم بيهود يثرب.

فأتى عبّاد به النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فأخبره خبره، فقال عمر بن الخطاب: اضرب عنقه! فقال عبّاد: قد جعلت له الأمان. فقال رسول الله: أمسكه معك. فأوثقه رباطاً[1].

وقالوا: لما سار كنانة بن أبي الحُقَيق في غطفان جمعوا له، وترأسهم عُيينة بن حصن وهم أربعة آلاف، ودخلوا مع اليهود في حصون النطاة، وذلك قبل قدوم رسول الله بثلاثة أيام[2]. وسار الدليل برسول الله فسلك به بين الخياص والسرير

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٠، ٦٤١ وتمام الخبر: فلما دخل رسول الله خيبر عرض عليه الإسلام وقال له: إني داعيك ثلاثاً فإن لم تسلم لم يخرج الحبل من عنقك إلا صعداً. فأسلم الرجل.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٠ هذا وقد قال ابن إسحاق: بلغني أن غطفان لما سمعت بنزول رسول الله من خيبر جمعوا له وخرجوا ليظاهروا اليهود عليه، وساروا مرحلة فسمعوا وأحسوا شيئاً في أهليهم وأموالهم فخلّوا بين رسول الله وبين خيبر ورجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم. سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٤. ومثله في الخرائج والجرائح ١: ١٦٤، الحديث ٢٥٣

أدنى وديان خيبر، ثم نهض فسلك به بين الشقّ والنطاة حتى أشرف به على خيبر، فقال لأصحابه: قفوا. ثم قال لهم: قولوا: اللهم ربّ السماوات السبع وما أظلّت، وربّ الأرضين السبع وما أقلّت، وربّ الرياح وما ذرت، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها[1]. ثم سار حتى انتهى الى المنزلة، فعرّس بها ساعة من الليل... فلما نزل رسول الله بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة... حتى طلعت الشمس...

وأصبح اليهود ففتحوا حصونهم وخرجوا الى أعمالهم، ومعهم المساحي والمكاتل والفؤوس، فلما نظروا الى رسول الله قد نزل بساحتهم ولّوا هاربين راجعين الى حصونهم، وجعل رسول الله يقول: الله أكبر، خُربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين![2]

بين اليهود وحلفائهم:

ولما قدم رسول الله خيبر أرسل سعد بن عبادة الى قائد غطفان في حصن ناعم، فلما انتهى سعد الى الحصن ناداهم: إني أريد أن أكلم عيينة بن حصن، فأراد عُيينة أن يدخله الحصن فقال مرحب: لا تدخله فيرى خلل حصننا ويعرف نواحيه التي يؤتى منها، ولكن تخرج أنت إليه. فقال عيينة: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عدداً كثيراً! فأبى مرحب أن يدخله. فخرج عُيينة الى باب الحصن فقال له سعد: إنّ رسول الله أرسلني إليك يقول: إنّ الله قد وعدني خيبر، فارجعوا

---

(1) رواه ابن اسحاق مسنداً في السيرة ٣: ٣٤٣ وعنه المفيد في الارشاد ١: ١٢٤ والطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨١ وعنه في بحار الأنوار ٢١: ١ ونقله الحلبي في المناقب ١: ٢٠٤ عن الواقدي.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٦٤١ - ٦٤٣ وابن اسحاق في السيرة ٣: ٣٤٣، ٣٤٤ مسنداً عن أنس بن مالك.

ركبوا فإن ظهروا عليه فلكم تمر خيبر سنة (كما وعدهم اليهود). فقال عُيينة: إي والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشيء، وإنا لنعلم ما لك ولمن معك بما ها هنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عددهم كثير، وسلاح، إن أقمت هلكت ومن معك، وإن أردت القتال عجّلوا عليك بالرجال والسلاح. ولا والله، ما هؤلاء كقريش، قوم ساروا إليك، إن أصابوا غرة منك فذاك الذي أرادوا، وإلا انصرفوا. وهؤلاء يماكرونك الحرب ويطاولونك حتى تملّهم! فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحصرنّك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك فلا نعطيك إلا السيف، وقد رأيت يا عُيينة من قد حلّ بساحته من يهود يثرب كيف مُزّقوا كل ممزّق!

ثم رجع سعد إلى رسول الله فأخبره بما قال، وقال: يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعدك، ومظهر دينه، فلا تُعط هذا الأعرابي تمرة واحدة، يا رسول الله، لئن أخذه السيف ليُسلّمنهم وليهربنّ إلى بلاده كما فعل ذلك في الخندق قبل اليوم.

ثم أمر رسول الله مناديه أن ينادي أصحابه أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم الذي فيه غطفان، فنادى منادي رسول الله بذلك، فرُعبوا من ذلك يومهم وليلتهم.

فلما كان بعد هدأة (ثلث الليل) سمعوا صائحاً يصيح[1] في ناحية العسكر: يا معشر غطفان: الحقوا حيّكم، فقد خولفتم إليهم! فركبوا من ليلتهم وصاروا في العدو إلى حيّهم فوجدوهم سالمين[2]. وسألوهم: هل راعكم شيء؟ فقالوا: لا والله. فقال عُيينة لأصحابه: هذه من مكائد محمد وأصحابه، خدعنا والله! ثم أقاموا في أهلهم أياماً، ثم دعا عيينة أصحابه للرجوع إلى نصر يهود خيبر، فجاءه الحارث بن

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٦٤ ح ٢٥٣.

عوف وقال له: ... غُسنه، أطعني وأقم في معرلك ودع نصر اليهود، مع أني لا أراك ترجع الى خيبر الا وقد فتحها محمد، ولا آمن عليك[1]

وكان كنانة بن ابي الحقيق في حصن الكتيبة فلما أصبح أخبر بانصرافهم، فسقط في يديه وذلّ وأيس بالهلكه وقال: كنّا من هؤلاء الأعراب في باطل، انا سرنا فيهم فوعدونا بالنصر وغرّونا، ولعمري لو لا ما وعدونا من نصرهم ما نابذنا محمداً بالحرب[2].

قبوله المشورة في المنزل:

فلما اصبح جاءه الحُباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا رسول الله صلى الله عليك، انك نزلت منزلك هذا، فإن كان عن أمر أُمرت به فلا نتكلم فيه، وإن كان الرأي تكلمنا؟ فقال رسول الله: بل هو الرأي

فقال: يا رسول الله دنوت من الحصن ونزلت بين ظهري النخل والنزّ، مع أن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل منهم، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، مع أني لا آمن من بياتهم، يدخلون في خمر (استار) النخل فتحول يا رسول الله الى موضع بريء من النزّ ومن الوباء، نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلهم[3] فقال رسول الله: اذا أمسينا تحوّلنا ان شاء الله

ثم دعا رسول الله محمد بن مسلمة وقال له: انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً من الوباء، نأمن فيه بياتهم فطاف محمد حتى انتهى الى وادي الرجيع (غرب خيبر)[4]

(١ و ٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٥١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٣

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٤

هداية.. وأمانة:

قال: وكان يسار الحبشي عبداً أسود لعامر اليهودي في غنم مولاه، فلما رأى أهل خيبر يتحصّنون للقتال سألهم من يقاتلون؟ فقالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبيّ. فوقعت هذه الكلمة في نفسه، فأقبل يسوق غنمه إلى معسكر رسول الله حتى وصل إليه فقال: يا محمد ما تقول؟ وإلى ما تدعو؟ قال: أدعو إلى الاسلام، فاشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله. قال: وما لي إذا أسلمت؟ قال: إن ثبتّ على ذلك فالجنة. فأسلم الرجل. ثم قال: وما أصنع بهذه الاغنام وهي وديعة عندي؟ فقال له النبيّ: أخرجها من المعسكر ثم صح بها وارمها بحصيات، فان الله سيؤدي عنك أمانتك، ففعل العبد ذلك، فخرجت الأغنام الى صاحبها[1].

واصطفوا للقتال:

قال: وكان رسول الله حين انتهى الى حصن ناعم في النطاة وصفّ أصحابه نهاهم عن القتال حتى يأذن لهم. ومع ذلك حمل رجل من المسلمين من أشجع على يهودي، فحمل عليه مرحب اليهودي فقتله. فقال بعض المسلمين لرسول الله: استشهد فلان. فقال رسول الله: أبعد ما نهيتُ عن القتال؟ قالوا: نعم. فأمر رسول الله منادياً فنادى في المسلمين: ألا لا تحلّ الجنة لعاصٍ. ثم أذن رسول الله في القتال.

ووعظ رسول الله الناس، وفرّق بينهم الرايات، وكانت ثلاث رايات، ولواء. فدفع راية الى سعد بن عُبادة، وراية الى الحُباب بن المنذر، وراية الى علي عليه السلام[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٩. ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٩ وقال: وكانت راية النبي سوداء ولواؤه أبيض. وعليه فالرايات كنّ أربعاً لا ثلاثاً. وبعد ذكر الثلاث دون راية رسول الله، فمع النبي عشرون كسر ←

وابتدأ النبي بذلك لما ولّى عُيينة بن حصن الغطفاني بالأربعة آلاف من قومه إلى أهلهم. وانتهى رسول الله ومعه المسلمون الى حصون ناعم وهي عدة حصون، فرماهم اليهود بالنبل وكان على النبي يومئذٍ درعان ومغفر وبيضة، وهو على فرس يقال له الظَّرِب، وفي يده قناة وتُرس، وأصحابه محدقون به، فلما رموهم بالنبل ترسوا عن رسول الله(1).

وروى المفيد عن ابن هشام وابن إسحاق (كذا)، قالوا: حاصر رسول الله ﷺ خيبر بضعاً وعشرين ليلة(2) ولحق علياً عليه السلام رمد أعجزه عن الحرب.

وكان اليهود قد خندقوا حول أنفسهم، فكان المسلمون يناوشونهم من خلف خندقهم وذات يوم فتحوا الباب، وخرج مرحب برجّالته يتعرض للحرب(3) وكان

← هو اللواء الأبيض، وصغير هي الراية السوداء من بُرد لعائشة. كما في الواقدي [illegible] ابن إسحاق إلا أنه وجد بعضاً بيد علي ﷺ ٣: ٣٤٢ وفي ٣٤٩ قال: بعث أبا بكر برايته (البيضاء)، ثم بعث عمر، ثم بعث علياً وقال: خذ هذه الراية. وقال الواقدي: وكان قد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين (؟) فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم أرسل إلى علي ﷺ فدعاه فدفع إليه اللواء ٢: ٦٥٣، ٦٥٤ بينما الحديث عندهم: لأعطينّ الراية غداً رجلاً. فلعله دفع إليه راية بيضاء أولاً ثم اللواء الأبيض ثانياً.

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٣.

(2) الإرشاد ١: ١٢٥ وإعلام الورى ١: ٢٠٧ وعنه في قصص الأنبياء: ٣٤٧ وفي السيرة بضع عشرة ليلة ٣: ٣٤٧.

(3) ليس بهذا النص في السيرة، وليس فيه تعيين مرحب من أي حصن، وفي مغازي الواقدي: أنه وأخويه الحارث وياسر وأسير وعامر كانوا جميعاً من حصن ناعم ٢: ٦٥٧ و٦٥٨ و٦٤٥ و٦٤٩ و٦٥٠ و٧٠.

عليٍّ عليه السلام فقد لحقه رمد أعجزه عن الحرب، فدعا رسول الله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد ولم يغنِ شيئاً، فعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه، ويؤنبونه[1]

وروى ابن إسحاق في السيرة بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله أبا بكر برايته إلى بعض حصون خيبر، فقاتل وجهد ولم يك فتح ورجع[2]

وكنّى الواقدي فقال: وكان قد دفع لواءه إلى رجل من أصحابه من المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً. وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم وأنتم[3] ودفع رسول الله لواء الأنصار إلى رجل منهم (سعد بن عُبادة)

وسالت كتائب اليهود امامهم الحارث أبو زينب (أخو مرحب، يقدم اليهود يهدّ الارض هدّاً) فأقبل صاحب راية الانصار (سعد بن عباده) فلم يزل يسوقهم حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه، ثم خرج أُسير اليهودي يقدم أصحابه ومعه جماعة يعدون بأرجلهم، فكشف أصحاب راية الانصار حتى انتهى إلى رسول الله في موقفه، فوجد رسول الله في نفسه حدّة شديدة، وأمسى مهموماً، وقد رجع سعد بن عباده (وهو صاحب الراية كما مرّ) مجروحاً يستبطئ أصحابه[4]

---

(1) الارشاد ۱: ۱۲۵، ۱۲۶.

(2) سيرة ابن هشام ۳: ۳٤۹.

(3) مغازي الواقدي ۲: ٦٥۳ وروى مثله الصدوق في الأمالي: ٤۱٤ بسنده عن عمرو بن العاص قال: ان رسول الله يوم خيبر دفع الراية إلى رجل من أصحابه فرجع منهزماً، فدفعها إلى آخر فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد رد الراية منهزماً.

(4) مغازي الواقدي ۲: ٦٥۳ وروى الراوندي عن الامام الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سعداً براية الأنصار إلى خيبر فرجع منهزماً، ثم بعث عمر بن الخطاب براية —

فقال لهم رسول الله: إن الشيطان قد قال لليهود: إن محمداً يقاتلكم على أموالكم، فنادوهم: قولوا لا إله إلّا الله، تحرزون بذلك دماءكم وأموالكم، وحسابكم على الله. فنادوهم بذلك، فنادت اليهود: إنا لا نترك عهد موسى والتوراة بيننا[1].

وقاتل رسول الله يومه ذلك أهل حصون النطاة (ومنها الناعم) إلى الليل، وأُخذت نبالهم تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه، فجعل المسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردّونها عليهم، وكان شعارهم: يا منصور أَمِتْ[2].

وجاء الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله، إنّ اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم، فاقطع نخلهم. فأمر رسول الله بقطع النخل ووقع المسلمون في قطعها، وأسرعوا في القطع حتى قطعوا أربعمئة عذق من النطاة ـ ولم تقطع في غيرها. وكان يوماً صائفاً شديد الحرّ، فلما اشتد الحرّ على محمود بن مَسلمة (أخي محمد) وعليه أداته كاملة، جلس تحت حصن ناعم يبتغي فيئه، فدلّى عليه مرحب رحىً فأصاب رأسه، فهشمت البيضة رأسه حتى سقطت جلدة جبينه على وجهه، وأُتي به رسول الله فردّ الجلدة فرجعت كما كانت، وعصّبها رسول الله بثوب[3] وجرح من نبالهم خمسون رجلاً من المسلمين[4].

← المهاجرين فأتى بسعد جريحاً وعمر يجبّن أصحابه ويجبّنونه. بحار الأنوار ٢١: ١١، عن الخرائج والجرائح للراوندي، ولم نجده فيه.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٤ وابن هشام ٣: ٢٤٧: يا منصور أمت أمت.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٥.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٦.

وتحوّلوا في الليل

ومرّ الخبر أن النبي كان قد بعث محمد بن مسلمة ليرى لهم منزلاً بريئاً من الوباء بعيداً من حصون اليهود يأمن فيه من بياتهم، فطاف محمد يومه ذلك حتى انتهى إلى وادي الرجيع ثم رجع إلى النبي ليلاً فقال: وجدت لك منزلاً. فقال رسول الله: على بركة الله. فلما أمسى أمر الناس أن يتحوّلوا إلى الرجيع، فضرب عسكره هناك وبات فيه[2] ثم أُخبر محمد أنّ أخاه قد أُصيب. وكانوا قد قدموا خيبر على ثمرة خضراء وأكلوا منها وكانت وبيئة فأصابتهم الحُمّى، فشكوا ذلك إلى رسول الله فقال لهم: صبّوا الماء في القرب، فإذا كان بين الأذانين (كذا) فصبّوه على أنفسكم واذكروا اسم الله. ففعلوا، فكأنّما نشطوا من عقال[3].

وكان مُقامه بالرجيع سبعة أيام، يترك العسكر كل يوم بالرجيع يستخلف عثمان بن عفّان، ويغدو كل يوم بالمسلمين على راياتهم. وأما قاتل اليوم الأول من أسفل حصون النطاة، وبعد قاتلهم من أعلاها، يقاتلهم كلّ يوم إلى الليل، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع.. ومن كان يجرح من المسلمين فإن كان به أن يمشي انطلق إلى العسكر في الرجيع، وإلا فحمل إلى العسكر فيداوى فيه حتى فتح الله له[4].

اليوم الثاني:

روى المفيد عن ابن هشام وابن إسحاق وغيرهما قالوا: لما كان من الغد ترشّح للراية عمر، فسار بها غير بعيد، ثم رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه فقال

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٥.

النبيّ ﷺ لست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي بن أبي طالب فقيل له: إنه أرمد، فقال: أرونيه تُروني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها بحقّها، ليس بفرّار[1]!

ورواه ابن إسحاق في السيرة بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: بعث من الغد عمر بن الخطاب، فقاتل وجهد ولم يك فتح فرجع فقال رسول الله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله... يفتح الله على يديه، ليس بفرّار[2].

وكنّى الواقدي قال: ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً، وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم وأنتم![3]

ووجد رسول الله في نفسه جدّاً شديدة، وأمسى مهموماً، وقال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار، أبشر يا محمد بن مسلمة غداً إن شاء الله يُقتل قاتل أخيك، وتولّي عادية اليهود.

اليوم الثالث:

قال: فلما أصبح أرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أرمد، فقال: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً، ثم ذُهب [به] إليه، فقال له: افتح عينك، ففتحهما فتفل فيهما (قال علي عليه السلام: فما رمدت حتى الساعة، ثم دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه من أصحابه بالنصر[4].

---

(١) الإرشاد ١: ١٢٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٣ ورمز عن الصدوق في الأمالي: ٤٠٤ مثله عن عمرو بن العاص قال: إن رسول الله يوم خيبر دفع الراية إلى رجل من أصحابه فرجع مهزوماً، فدفعها إلى آخر فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ الراية مهزوماً، فقال رسول الله.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٣، ٦٥٤.

وروى ابن إسحاق عن سلمة قال: فدعا رسول الله عليّاً رضوان الله عليه وهو أرمد، فتفل في عينه ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك[1].

وروى عنه المفيد في «الإرشاد» قال: فجاؤوا بعلي عليه السلام يقودونه إليه، فقال له النبي ﷺ: ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد في عيني، وصداع برأسي. فقال له: اجلس وضع رأسك على فخذي. ففعل علي عليه السلام ذلك، فدعا له النبيّ وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع. وقال في دعائه له: اللهم قِهِ الحرّ والبرد. وأعطاه الراية ـ وكانت راية بيضاء ـ وقال له: خذ الراية وامض بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك[2] والرعب مبثوث في صدور القوم. واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أنّ الذي يُدمّر عليهم اسمه إيليا، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يُخذلون إن شاء الله.

فجاء في الحديث: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال لهم: أنا علي بن أبي طالب، قال حَبْرٌ من أحبار القوم: غُلبتم وما أنزل على موسى. فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به[3].

وروى ابن إسحاق بسنده عن سلمة قال: فخرج بها يهرول هرولة، وبه نفس شديد من اللاعب، وإنّا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فيما بين أحجار مجتمعة تحت الحصن فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: مَن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: علوتم وما أُنزل على موسى[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٤٩.

(٢) وفي المناقب: وجبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك وعزرائيل أمامك وإسرافيل وراءك، ونصر الله فوقك ودعائي خلفك. مناقب آل أبي طالب ٢: ٧٨.

(٣) الإرشاد ١: ١٢٦، ١٢٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٢٤٩.

قال علي عليه السلام: فمضيت بها حتى أتيت الحصون، فخرج مرحب وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاك السلاح بطل مجرب

علمت

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... عبل الذراعين شديد قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة[1]

فاختلفنا ضربتين فبدرته فضربته فقددت الحجر والمغفر ورأسه، حتى وقع السيف في أضراسه وخرّ صريعاً[2].

وقال الواقدي: فكان أول من خرج إليهم الحارث (أبو زينب، أخو مرحب)، في جماعة معه يعدون على أرجلهم، فانكشف المسلمون! وثبت علي عليه السلام، فاضطربا ضربات فقتله علي عليه السلام، ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوه عليهم، فرجع المسلمون إلى موضعهم. وخرج مرحب وهو يقول (رجزه السابق ثم قال) فحمل عليه علي عليه السلام فجدّله على باب الحصن[3].

---

(١) السندرة: كيل ضخم.

(٢) الإرشاد ١: ١٢٧ عن ابن إسحاق. وابن هشام، وليس في السيرة إلا رجز مرحب وجواب كعب بن مالك له ومبارزة محمد بن مسلمة وقتله لمرحب!

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٤ هكذا اختصر هذا الخبر وأجمله. وطوّل القول وفصّل فيما يقابل ذلك فيه: أما الحارث أبو زينب أخو مرحب، فقد روى عن ابن أبي سبرة: أن الذي قتله أبو دجانة الأنصاري. وروى بثلاثة طرق عن جابر وسلمة بن سلامة، ومجمّع بن حارثة قالوا جميعاً: إن محمد بن مسلمة هو الذي قتل أسيراً اليهودي وكان رجلاً قوياً، ومرحباً. ويقال: إن مرحباً برز وهو كالفحل الصؤول يدعو للبراز فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس، فأذن لي في قتال مرحب وهو قاتل أخي ←

← فأذن له رسول الله في مبارزته ودعا له بدعوات وأعطاه سيفه، فخرج محمد فصاح: يا مرحب، هل لك في براز؟ فقال: نعم. فبرز إليه مرحب، فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه فحال بينهما شجر العُشَر وكان بها أصل كمثل أصل النخل من النخل وغصن سكره، فاستترا بها حتى قطعا كل ما دونها وبقي أصلها قائماً. ورفع مرحب السيف ليضرب محمداً فاتقاه محمد بالدَّرَقة فنشب سيفه فيها، وطعنها محمد بالسيف وانشمرت الدرع عن ساقي مرحب فقطع محمد رجليه من ساقيه فوقع، فتجاوزه محمد، ومرّ به علي عليه السلام فضرب عنقه. فقال محمد لرسول الله: يا رسول الله قد كنت قادراً بعد أن قطعت رجليه أن أجهز عليه وما منعني من الإجهاز عليه شيء، والله ما قطعت رجليه ثم تركته إلا ليذوق مرّ السلاح وشدة الموت كما ذاق أخي مكث ثلاثاً يموت. فقال علي عليه السلام: صدق، ضربت عنقه بعد أن قطع رجليه. فأعطاه رسول الله سلبه ٣ : ٦٥٦.

وقال: إن فرائض البنات (كذا) لم تكن نزلت حتى ذلك اليوم، ولذلك جعل محمود بن مسلمة يقول لأخيه: يا أخي لا تدع بنات أخيك يتبعن الأفياء يسألن الناس. فيقول له أخوه محمد بن مسلمة: يا أخي لو لم تترك مالاً فإن لي مالاً... فلما كان اليوم الثالث وهو اليوم الذي قتل فيه مرحب قال رسول الله: من يبشر محمود بن مسلمة أن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله، وأن الله قد أنزل فرائض البنات (كذا). فخرج جُعال بن سراقة إليه فأخبره فسُرّ بذلك وأمره أن يقرئ رسول الله السلام منه... ثم مات... خيبر في حصن... فقال محمد: يا رسول الله قطع لي (إقطاعاً) عند قبر أخي! فقال ﷺ: لك حُضْر الفرس، أي لك بأرض خيبر بمقدار عدو الفرس. وآيات الفرائض هي الآيات الأولى والأخيرة من سورة النساء وهذا يعني أنها نزلت في أيام خيبر وهي السورة الثانية والتسعون في النزول والسادسة في النزول بالمدينة. التمهيد ١ : ١٠٦.

ودفن مع محمود بن مسلمة عامر بن سنان الأكوع ٢ : ٦٥٨ وكان يقاتل رجلاً من اليهود فرجع سيفه عليه فجرحه جرحاً شديداً فمات منه، فقال المسلمون: إنما قتله سلاحه ←

ويبدو أن مبارزة مرحب وقتله وفتح حصون الناعم من حصون نطاة كان آخر الأمر، فهناك أخبار من قبل ذلك، منها:

برز ياسر [١]، وكان من أشداء اليهود، وكانت معه حربة يسوق بها المسلمين سوقاً، فبرز له علي عليه‌السلام، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت عليك إلا خلّيت بيني وبينه، فتركه علي عليه‌السلام وأقبل ياسر يسوق بحربته الناس، فبرز له الزبير، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبيّ: يا رسول الله واحزني! ابني يقتل يا رسول الله! فقال: بل ابنك يقتله. فاقتتلا فقتله الزبير. فلما قتل ياسر ومرحب قال رسول الله: أبشروا قد ترحّبت خيبر وتيسّرت!

وبرز عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً، فخطر بسيفه وعليه درعان مقنّع في الحديد يصيح: من يبارز؟! ورآه النبي طويلاً فقال: أترونه خمسة أذرع؟! فبرز إليه علي عليه‌السلام فضربه ضربات لم تصنع فيه شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك ثم جهز عليه وأخذ سلاحه.

وقتل من اليهود ناس كثير، وممّن سُمّي أُسير وياسر وعامر والحارث ومرحب

← فأخبر سلمة بن عمرو بن الأكوع بن أخيه رسول الله وسأله عن ذلك فقال رسول الله: إنه لشهيد، وصلّى عليه، فصلّى عليه المسلمون معه. سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٣ هذا وقد روى الواقدي نفسه عن سلمة بن الأكوع أن عامر بن الأكوع قتل في حصار حصن الصعب بن معاذ بعد عشرة أيام من وصولهم خيبر ٢: ٦٥٩ و٦٦١، ٦٦٢.

ودخل معهم العبد الأسود اليهودي الذي أسلم وتبع علياً عليه‌السلام فقاتل حتى قتل، فقال رسول الله: لقد كرّم الله هذا العبد الأسود ... ولقد رأيت عند رأسه زوجتين من الحور العين ٢: ٦٤٩ - ٦٥٠.

(١) أخو مرحب، مغازي الواقدي ٢: ٦٧٩.

لأنهم كانوا أهل شجاعة، وكان هؤلاء جميعاً من حصن ناعم. وأبو الحكم سلّام بن مشكم كان مريضاً وكان في حصن النطاة فقيل له: إنه لا قتال فيك فكن في حصن الكتيبة، فلم يفعل، فقتل مريضاً[2].

وروى المفيد عن ابن هشام وابن إسحاق وغيرهم قالوا: لما قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فعالجه حتى فتحه، وأخذ باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم.

وروى بسنده عنه (عليه السلام) قال: لما عالجت باب خيبر جعلته مجنّاً لي وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به في خندقهم[3].

وروى ابن إسحاق بسنده عن أبي رافع القبطي مولى رسول الله قال: لما بعث رسول الله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) برايته خرجنا معه، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، فتناول علي (عليه السلام) باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، فلما فرغ ألقاه من يده[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٧، ٦٥٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٩.

(٣) الإرشاد ١: ١٢٧ و ١٢٨.

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٩ - ٣٥٠، ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨٢ عن دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٢١٢ ثم نقل عنه عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن علياً (عليه السلام) حمل الباب يوم خيبر فصعد المسلمون عليه فافتتحوها، وإنه جرّب بعد ←

ورواه الواقدي وزاد: فلما فتح عليه الحصن بعث رجلاً يبشّر نبي الله بفتح حصن مرحب ودخولهم فيه[1].

وروى الطبرسي عن أبان بن عثمان البجلي الكوفي عن زرارة بن أعين عن الباقر عليه السلام قال: انتهى علي عليه السلام إلى باب الحصن وقد أغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً (فاقتلعه) وتترّس به، ثم حمله على ظهره واقتحم المسلمون الحصن (من فوق) الباب على ظهره، ثم رمى بالباب رمياً.

وخرج البشير إلى رسول الله: أنّ علياً دخل الحصن. فأقبل رسول الله، فخرج علي عليه السلام يتلقاه فقال له: قد بلغني نبؤك المشكور وصنيعك المذكور، وقد رضي الله عنك ورضيت عنك. فبكى علي عليه السلام، فقال له: ما يبكيك يا علي؟ قال: فرحاً بأن الله ورسوله عنّي راضيان[2].

وروى المفيد قال: لما قتل أمير المؤمنين مرحباً وفتح الحصن وأغنم المسلمين أموالهم، استأذن حسّان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شعراً فقال له: قل. فقال:

← ذلك فتم بخمسة وعشرين رجلاً. وفي أخرى: سبعون رجلاً. ومثله في الإرشاد ١: ١٢٨.
وروى الصدوق في الخصال بسنده عن عامر بن واثلة قال: سمعت علياً عليه السلام يوم الشورى يقول: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله حين رجع عمر فردّ رايته رسول الله منهزماً فقال رسول الله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً ليس بفرّار يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله عليه. فلما أصبح قال: ادعوا لي علياً فقالوا: يا رسول الله هو رمد ما يطرف فقال: جيئوني به ٢: ٥٥٥. وروى مثله الطوسي في الأمالي ٦ عن أبي ذر. وروى مثله الطبرسي في الاحتجاج ١: ٢٠٤ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٥.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٠٨.

وكان عليّاً أرمد العين يبتغي	دواءً، فلما لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقيّاً وبورك راقيا
وقال: سأعطي الراية اليوم صارماً	كمياً محبّاً للرسول مواسيا
يحبّ الإله والإله يحبّه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلّها	عليّاً، وسمّاه الوزير المؤاخيا

وقال شاعر آخر:

إنّ امرأً حمل الرتاج بخيبر	يوم اليهود بقدرة لمؤيَّدُ
حمل الرتاج رتاج باب قموصها	والمسلمون وأهل خيبر شُهَّدُ[1]

والرتاج: الباب العظيم، وإضافه إلى القموص، وهو اسم حصن من حصون اليهود بخيبر.

وقد مرّ في أخبار الواقدي: أنّ النبي بدأ القتال في خيبر بأهل النطاة، فقاتل في أوّل يوم من أسفلها، ثم عاد بعد فقاتلهم من أعلاها حتى فتح الله عليه، وأنّ أوّل حصن بدأ به القتال من النطاة حصن ناعم، وهو اسم يهودي كانت له عدة حصون[2] والنطاة عدة حصون[3] وكان مدد غطفان الأربعة الآلاف في حصن ناعم[4] وحصون ناعم أيضاً عدة حصون[5] وخرج إليهم الحارث أخو مرحب من هذه

---

(١) الإرشاد ١: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٠.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٥١.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٢.

الحصن[1] وكذلك أخوه مرحب[2] ويسر[3] وكذلك أسير وعامر[4] كان هؤلاء من حصن ناعم جميعاً فالحصن الذي اقتلع علي عليه السلام بابه هو حصن ناعم، وليس في ما نابين أيدينا من الآثار التأريخية والأخبار ما يدل أو يشير إلى أن حصن ناعم كان يسمّى القموص أيضاً وفي ما يأتي نقف على موقع القموص.

مقامه على حصون النطاة:

قال الواقدي: كان مقامه بالرجيع سبعة أيام يترك المعسكر كل يوم بالرجيع يستخلف عثمان بن عفان وبعد وكل يوم بالمسلمين على رايتهم. وكان قد قاتل أول يوم من أسفل النطاة ثم عاد فقاتلهم من أعلاها، يقاتلهم كل يوم إلى الليل، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع. ومن كان يجرح من المسلمين فإن كان به أن يمشي انطلق إلى المعسكر في الرجيع، وإلّا فيحمل إلى المعسكر فيداوي فيه، حتى فتح الله له.

قالوا: وكان رسول الله في مقامه بالرجيع سبعة أيام يناوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل للحرس عمر بن الخطاب، فطاف عمر بأصحابه حول المعسكر وفرّقهم لذلك.

فكان كعب بن مالك يحدّث: أن رجلاً من اليهود من أهل النطاة نادانا ليلاً ونحن بالرجيع: أنا آمن وأبلّغكم؟ فقلنا: نعم، ثم تبدرناه فكنت أول من سبق إليه،

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٩.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٧.

فقلت له: من أنت؟ فقال: رجل من اليهود. فأدخلناه على رسول الله فقال له: يا
أبا القاسم تؤمنني وأهلي على أن أدلك على عورة اليهود؟ فقال رسول الله: نعم.
فقال اليهودي: خرجت من حصن النطاة من عند قوم ليس لهم نظام، تركتهم
يتسللون من الحصن في هذه الليلة. فقال رسول الله: فأين يذهبون؟ قال: إلى أذل
مما كانوا فيه إلى الشق، وقد رعبوا منك، حتى إن أفئدتهم لتخفق. وهذا حصن
اليهود فيه السلاح والطعام والودك (الدهن) وفيه آلة حصونهم التي كانوا يقاتلون
بها. قد غيبوا ذلك في بيت من حصونهم تحت الأرض. قال رسول الله: وما هو؟
قال: منجنيق مفككة ودبابات، وسلاح من دروع وبيض وسيوف، فإذا دخلت
الحصن -قال رسول الله: إن شاء الله- فقال اليهودي: إن شاء الله أوقفك عليه،
فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيري. وأخرى! قيل: وما هي؟ قال: تستخرجه
(المنجنيق) ثم أنصبه على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون
الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصن الكتيبة.

ثم قال اليهودي: يا أبا القاسم، احقن دمي! قال: أنت آمن. قال: ولي
زوجة في حصن النزار فهبها لي. قال: هي لك.

ثم قال رسول الله: ما لليهود حولوا ذراريهم من النطاة؟ قال: جردوها
للمقاتلة، وحولوا الذراري إلى الشق والكتيبة. ثم دعاه رسول الله إلى الإسلام،
فقال: أنظرني أياماً[1].

ثم روى عن معتب الأسلمي قال: لما قدمت خيبر أقمنا عشرة أيام على حصن
النطاة لا نفتح (حصناً) فيه طعام، فاتفق بنو أسلم أن يرسلوا أسماء بن حارثة
الأسلمي ليشكو حالهم إلى النبي، فقالوا له: ائت رسول الله فقل له: إن أسلم
يقرؤونك السلام ويقولون: إنا جهدنا من الجوع والضعف

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٥ ـ ٦٤٨

فجاءه سماء بن حارثة فقال : يا رسول الله، ان أسلم تقول : انا قد جهدنا من الجوع والضعف فادع الله لنا. فدعا لهم رسول الله فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه أكثره طعاماً وودكاً (الحماً) ودفع اللواء الى الحُباب بن المنذر بن الجموح

وندب رسول الله الناس معه فنهضوا ... وانتهوا الى حصن الصعب بن مُعاذ وان عليه لخمسمئة مقاتل، وكان حصن اليهود فيه الطعام والودك والماشية والمتاع

وبرز من الحصن رجلٌ يقال له يوشع، يدعو الى البراز، فبرز اليه الحُباب بن المنذر فاختلفا ضربات فقتله الحُباب. وبرز آخر يقال له الزيّال، فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري، فبدره الغفاري فضربه ضربة على هامته وهو يقول : خذها وأنا الغلام الغفاري! فقال الناس : بطل جهاده! فبلغ ذلك رسول الله فقال : ما به بأس، بل يؤجر ويحمد [١].

وروى عن سلمة بن سنان الاكوع قال : غدا (عمي) عامر بن سنان (الاكوع)، فلقي رجلاً من اليهود فبدره اليهودي وضربه، فاتقاه عامر بدرقته فنبا سيف اليهودي عنه. وضرب عامر رجل اليهودي فقطعها ورجع السيف عليه فأصابه ذبابه، فنزف حتى مات! فقال أُسيد بن حُضير : حبط عمله! فبلغ ذلك رسول الله فقال : كذب من قال ذلك! إنّ له لأجرين، انه جاهدٌ مجاهدٌ، وانه ليعوم في الجنة عَوْم الدعموص [٢]

قال : وكان قد حمل الى الرجيع فقبر مع محمود بن مسلمة في غار [٣]

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٦٥٨ ـ ٦٦٠

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٦٦١، ٦٦٢ والدعموص : الدخّال في الأمور، أي انه سباح في الجنة دخّال في منازلها لا يمنع من موضع، راجع النهاية ٢ : ١٢٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٦٥٨. وروى مقتله ابن اسحاق في السيرة ٣ : ٣٤٣ قال : بعمي بن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلماً شديداً فمات منه، فشك المسلمون فيه وقالوا ــــ

واستمر حصار حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، وكان حصناً منيعاً، فبينما هم محاصرون الحصن إذ خرج منه عشرون أو ثلاثون حماراً لم يقدر اليهود على إدخالها، فأخذها المسلمون وهم جياع فذبحوها وأوقدوا النيران وطبخوا لحومها في القدور. ومرّ بهم رسول الله وهم على تلك الحال، فسأل عن ذلك فأُخبر الخبر، فأمر منادياً فنادى فيهم: إنّ رسول الله ينهاكم عن الحُمُر الإنسية، وعن كل ذي ناب ومخلب، فكفأوا القدور[1].

= أنه قتله سلاحه. فاختصم بن حنيف سلمة بن سنان الأكوع رسول الله وسأله عن ذلك فقال رسول الله: إنه لشهيد، وصلى عليه، فصلى عليه المسلمون معه. وروى معناه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ١٨١، ١٨٢.

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٠، ٦٦١ وبعده: «وعن متعة النساء» هكذا بلا مناسبة. وقد يناسب البحث هنا عن نكاح المتعة تاريخياً، ولكن المسألة أقرب إلى البحث الفقهي منه إلى التأريخ والسيرة، وقد أوسع العلماء الفقهاء المسألة دراسةً وبحثاً فنوكل ذلك إليهم في كتب عديدة منها: أصل الشيعة وأصولها للإمام الشيخ كاشف الغطاء، وأجوبة مسائل موسى جار الله للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، والمتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي للمحامي الدكتور توفيق الفكيكي، والزواج المؤقت للسيد جعفر مرتضى العاملي، ومع الخطيب في خطوطه العريضة للشيخ الصافي، ونكاح المتعة بين السنة والبدعة للسيد مرتضى الموسوي الأردستاني.

أما عن الحُمُر الأهلية ففي وسائل الشيعة باب فيه عشرة أخبار في كراهتها ٢٤: ١١٧ - ١٢٠، وفي مستدركه باب فيه ثلاثة أحاديث ١٦: ١٧٤ منها عن أبي الجارود قال: سمعت الباقر عليه السلام يقول: إن المسلمين كانوا جهدوا في خيبر فأسرع المسلمون في دوابهم (هكذا) فأمر رسول الله بإكفاء القدور ولم يقل إنها حرام، وكان ذلك إبقاءً على الدواب ٢٤: ١١٨. وعن أبي بصير قال: سمعت الباقر عليه السلام يقول: إن الناس أكلوا لحوم دوابهم يوم خيبر، فأمر رسول الله بإكفاء القدور ونهاهم عن ذلك، ولم يحرّمها ١٦: ١٧٤.

وروى عن أُمّ عُمارة قال: ذبح بنو مازن بن النجار بخيبر فرسين فكنا نأكل منهما قبل أن يفتح حصن الصعب بن معاذ.

وروى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ذبح المسلمون خيلاً من خيلهم قبل أن يفتح حصن الصعب بن معاذ.

وروى عنه أيضاً قال: غدا الحباب بن المنذر بن الجموح ومعه الناس وتبعه المسلمون الى حصن الصعب بن معاذ، وأقام عليه يومين يقاتلهم أشد القتال. فلما كان اليوم الثالث، بكّر رسول الله عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه دقل سفينة من الطول، وفي يده حربة وخرج جمعه يعدون معه، فأمطرونا ساعة بالنبل مثل الجراد حتى ظننت أن لا يقلعوا، وترّسنا عن رسول الله ثم حملوا علينا حملة رجل واحد فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله وهو واقف قد نزل عن فرسه، ومولاه مدعم (الأسود) يمسك برأس فرسه. وثبت الحُباب برايتنا والله ما يزول، يراميهم على فرسه.

وندب رسول الله المسلمين وحضّهم على الجهاد ورغّبهم فيه، وأخبرهم أنّ الله قد وعده خيبر يغنمه إياها! فأقبل الناس حتى عدوا إلى صاحب رايتهم، فزحف بهم الحُباب، فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، ويرجع اليهود على أدبارها، حتى لحمها الشرُّ فانكشفوا سراعاً، ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم، ووافوا على جدره - وله جدر دون جدر - فجعلوا يرموننا بالجنادل رمياً كثيراً، حتى نحّونا عن حصنهم بوقع الحجارة حتى رجعنا الى الموضع الأول.

ثم خرج اليهود ... ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أشد

---

(١) وروى ابن إسحاق في السيرة ٢: ٣٤٥ بسنده عن جابر وقال - ولم يشهد جابر خيبر -: إن رسول الله حين نهى الناس عن لحوم الحمر أذن لهم في أكل لحوم الخيل. والواقدي في الخبر الثاني نصّ على حضوره، ولكنه نصّ على تخلفه عن خيبر في ٦٨٤.

القتال. فقتلنا عدداً منهم وكلّما قتلنا رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن. وقُتل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله: أبو صيّاح والحارث بن حاطب وعديّ بن مرة.

ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه، حتى أدخلنا اليهود الحصن وتبعناهم إلى جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن أمسوا كأنهم الأغنام، فقتلنا من أشرف لنا وأسرنا من شئنا منهم، وهربوا في كل وجه يريدون حصن قلعة الزبير، وتركناهم يهربون وصعد المسلمون على جُدُره فكبّروا عليه تكبيراً كثيراً.

ووجدنا فيه من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والشحوم. ونادى منادي رسول الله: كلوا واعلفوا، ولا تحتملوا. فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن طول مقامهم هناك طعامهم وعلف دوابهم، لا يمنع أحد أن يأخذ حاجته، من دون أن يخمّس. ووجدوا فيه خوابي الخمر الكبار لا يُطاق حملها، فأمرهم النبي فكسروها حتى سال الخمر في الحصن.

وروى عن أبي ثعلبة الخُشني قال: ووجدنا فيه أواني من نحاس وفخّار قد أكل اليهود فيها وشربوا، فسألنا رسول الله عنها فقال: اغسلوها بالماء ثم اطبخوا فيها وكلوا واشربوا. وأخرجنا منه حُمراً وبقراً وغنماً كثيراً، وآلة للحرب كثيرة ودبابات ومنجنيقاً وعدة، فعلمنا أنهم كانوا يظنون أن الحصار يكون دهراً طويلاً، فعجّل الله خزيهم. ووجدوا فيه من البزّ عشرين شدة محزومة من غليظ متاع اليمن، وألفاً وخمسمئة قطيفة.

وكان رجل من المسلمين يقال له عبد الله كان لا يصبر على الشراب وقد ضربه رسول الله مراراً، فعمد يومئذٍ فشرب من خمر اليهود، فرفع أمره إلى النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم فخفقه بنعله، فخفقه من حضره بنعالهم[1]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٣ ـ ٦٦٥.

واستخرجوا ما كان قاله اليهودي من المنجنيق والدبابات والدروع والسيوف والبَيْض[1] وتحوّل اليهود من كل حصون النطاة: حصن ناعم وحصن الصعب بن مُعاذ إلى قلعة الزبير. وبقيت بقايا لا ذكر لهم في بعض حصون النطاة، فجعل رسول الله بإزائها رجالاً يحرسونها لا يخرج أحد عليهم إلّا قتلوه.

حصار حصن الزُّبير

قال: وزحف رسول الله والمسلمون إلى حصن الزبير، فغلّقوه عليهم، وهو حصن منيع، وإنما هو في رأس قلعة لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته وامتناعه. فحاصرهم رسول الله وأقام على ذلك ثلاثة أيام. ثم جاء رجل من اليهود يقال له عزّال، فقال: يا أبا القاسم، تؤمّني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشق؟ فأمّنه رسول الله على أهله وماله. فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، فإنّ لهم جداول تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، وإن قطعت مشربهم عنهم ضجّوا!

فأرسل رسول الله إلى جداولهم فقطعها، فلما قطع عنهم مشاربهم لم يطيقوا المُقام على العطش[2]، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال، فأُصيب ذلك اليوم عشرة من

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٦ ــ ٦٦٧ وروى عن أبي شُيَيْم المُزني الغطفاني من أصحاب عُيَينة ابن حصن، بعد أن أسلم قال: لما رجعت مع عيينة إلى خيبر وجد رسول الله قد فتح خيبر وغنّمه الله ما فيها، فجعل يتدسّس إلى اليهود يقول لهم: ما رأيت كاليوم أمراً، والله ما كنت أرى أحداً يصيب محمداً غيركم أهل الحصون والعُدّة والثروة، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آكل والماء الواتن (الواتن)!! ←

اليهود، وقُتِل يومئذٍ نفر من المسلمين، وافتتحه رسول الله، فكان آخر حصون النَّطاة. وكان أهل النَّطاة أحدَّ اليهود وأهل نجدتهم.

من الرجيع إلى المنزلة.

وقلعة سُمران من حصن أُبيّ: قال: فلما فرغ رسول الله من النَّطاة، أمن من حرب اليهود ونبالهم وما يخاف منهم، فأمر بالمعسكر أن يحوّل من منزله بالرجيع إلى مكانه الأوّل بالمنزلة، ثم تحوّل إلى أهل الشِّق. وكان بالشِّق حصون ذات عدد، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ، فقام منها على قلعة يُقال لها سُمران.

وخرج من اليهود رجل يُقال له غزّال (أو غزول) فدعا إلى البراز، فبرز له الحُباب بن المنذر، فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحُباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع فوقع السيف من يد غزّال فأصبح أعزل فرجع منهزماً مبادراً إلى الحصن، وتبعه الحُباب فقطع عرقوب رجله فوقع فأجهز عليه.

وخرج آخر فصاح: مَن يبارز؟ فبرز إليه رجل من المسلمين من آل جحش، فقُتل. وقام اليهوديّ يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانة قد عصب

← فقالوا: قد أردنا الأصابع في قصة الزبير، ونكتّ الدَّبول (الجداول)، قد قُطعت عنّا، وكان الخبر، فلم يكن لنا قدرة على العطش ٢: ٦٧٥، ٦٧٦.

فيما روى الراوندي في الخرائج والجرائح قال: وبقيت لهم قلعة فيها أموالهم ومأكولهم، ولم يمكن عليها حرب من أيّ وجه من الوجوه، وحاصرها من فيها رسول الله، فصار إليه يهودي منهم فقال: يا محمد، تؤمّني على نفسي وأهلي وولدي حتى أدلّك على فتح القلعة؟ قال: أنت آمن، فما دلالتك؟ قال: تأمر أن يحفر هذا الموضع فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة فيخرج، ويبقون بغير ماء فيسلّمون إليك القلعة طوعاً. فقال: أو يحدث الله غير هذا! الخرائج والجرائح ١: ١٦٤، ١٦٥ فلم يقطع عنهم مشربهم ولم يعطّشهم والله العالم.

رأسه عصابة حمراء فوق المغفر يختال في مشيته، وبدر اليهوديّ فضربه فقطع رجليه ثم أجهز عليه ثم سلبه درعه وأخذ سيفه وجاء بهما إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فنفّله إياهما. ثم أحجم اليهود عن البراز، فكبّر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن يقدمهم أبو دجانة حتى دخلوه. فهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحّموا الجُدُر كأنهم الظِّباء حتى صاروا إلى حصن النِّزار بالشق. ووجد المسلمون في قلعة سُمران من حصن أُبيّ أثاثاً وغنماً وطعاماً ومتاعاً.

حصن النّزار بالشّق:

قال: هرب مقاتلة اليهود من قلعة سُمران من حصن أُبيّ حتى صاروا إلى حصن النِّزار بالشّق، وجعل من بقي في قُلل النَطاة يأتي إلى حصن النّزار، فمنعوا فيه أشد الامتناع وغلّقوه على أنفسهم[1] ونظر رسول الله إلى حصن النّزار فقال: هذا آخر حصون خيبر فيه قتال[2].

قال الواقدي: فلما كان من الغد ركب رسول الله صلى الله عليه وآله بغلته وقال للمسلمين: اتبعوني وسار نحو القلعة. وأغلب السهم والحجارة نحوه. فكانت تمرّ عن عنقه وسريره فلا يصيبه شيء منها ولا أحداً من المسلمين، حتى وصل رسول الله إلى باب القلعة، فأشار بيده إلى حائطها، فانخفض الحائط حتى صار مع الأرض، فقال للناس: ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة[3].

وقال الواقدي: فأخذ كفّاً من الحصى فحصب به حصنهم، فرجف بهم، ثم

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٢ ـ ٦٦٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٩.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٦٥ ح ٢٥٣.

ساخ جدار الحصن في الأرض حتى جاء المسلمون فأخذوهم أخذاً وكان فيه صفية بنت حُيَيّ بن أخطب وابنة عمّها[1] ووهب النبيّ لليهوديّ الذي وعده زوجته من حصن النِّزار[2].

صفية بنت حُيَيّ بن أخطب:

قال الحلبيّ: كانت صفية عند سلّام بن مشكم القرظي، ثم عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق (الخيبري)[3].

وروى الواقدي بسنده عن ابنة أبي القين المزني عن صفية قالت: لما أجلى رسول الله بني النضير خرجنا من المدينة إلى خيبر فأقمنا فيه، فتزوّجني كنانة بن أبي الحُقَيق فأعرس بي قبل قدوم رسول الله إلى خيبر بأيام، وذبح جُزُراً ودعا باليهود وحوّلني إلى حصنه في سُلالم، فرأيت في النوم كأنّ قمراً قبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فلطم عيني فاسودّت[4] وقال: ما هذا إلا أنك تمنّين مَلِك الحجاز محمداً!

قالت: فلما نزل رسول الله خيبر، حوّل اليهود حصون النطاة لسمعتها وجمعوا ذراريهم في حصن الكتيبة، فلما افتتح رسول الله [بعض] حصون النطاة دخل عليّ كنانة فقال: قد فرغ محمد من النطاة، وليس هاهنا أحد يقاتل.. فخرج

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٤ واللفظ: اخضرت بمعنى اسودّت، وهذا الكلمة بالمعنى.

(٥) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥١.

بي وحوّلني و به عمّي ونُسيات معاً حتى أدخلنا حصن نزار بالشق (1) في الليلة التي تحوّل رسول الله في صبيحتها إلى الشّق(2).

فروى الطبرسي عن الأحمر البجلي الكوفي عن زرارة عن الباقر عليه السلام في سبي صفيه قال: وأخذ علي عليه السلام في من أخذ صفية بنت حُيي، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلّا في يدي رسول الله حتى يرى فيها رأيه. فأخرجها بلال ومرّ بها إلى رسول الله على القتلى، فكادت أن تذهب روحها جزعاً، فقال له رسول الله: أنُزعت منك الرحمة يا بلال؟!(3)

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٤.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٩.

(3) إعلام الورى ١: ٢٠٩ وعنه في قصص الأنبياء: ٤٧.

وقال ابن إسحاق: أُتي رسول الله بصفية بنت حُيي بن أخطب، وبأخرى معها، فمرّ بهما بلال وهو مرّ بهما على قتلى من اليهود، فالتي كانت مع صفية لما رأت القتلى صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله قال: أعزبوا عنّي هذه الشيطانة. أما صفية فأمر بها إلى خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله قد اصطفاها لنفسه ٣: ٣٥٠، ٣٥١.

وقال الواقدي: سباها رسول الله وأرسل بها مع بلال إلى رحله، فمرّ بها وبابنة عمّها على قتلاهم، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً، فكره رسول الله ما صنع بلال وقال له: أذهبت منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟! ٢: ٦٧٣.

وروى الكليني في روضة الكافي عن سليم بن قيس عن سعد بن أبي وقاص الزهري حديثاً يعدّد فيه خصال علي عليه السلام فيقول عن يوم خيبر: فما انثنى حتى فتح خيبر وأتاه بصفية بنت حُيي بن أخطب، فأعتقها رسول الله وجعل عدّة عتقها صداقها وتزوّجها، كما رواه في بحار الأنوار ٤٢: ١٥٥، ١٥٦.

←

وفي خبر الواقدي عن صفية قالت: لما أمسى رسول الله جاء فدعاني، فجئت وأنا متقنّعة حييّة حتى جلست بين يديه وقبل قدوم رسول الله إلى خيبر كان قد تزوّجني وأعرس بي كنانة بن ابي الحُقيق، ورأيتُ في النوم: كأنّ قمراً أقبل من يثرب يسير حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فلطمني كفاً على عيني فاسودّ أطرافها.

فلما دخلت عليه سألني عنه، فأخبرته الخبر ثم قال لي: إن أقمت على دينك لم أكرهك، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك فقلت: اختار لله ورسوله والإسلام. فأعتقني وجعل عتقي مهري وتزوّجني[1].

وكان معها ابنة عمها وكان رسول الله قد وعد دحية الكلبي جارية من سبي خيبر، ونظر دحية إلى صفية فسألها رسول الله، فأعطاه ابنة عمها[2].

حصون الوطيح وسُلالم والكتيبة:

وقال: لما فتح رسول الله حصن النزار هرب أهلها منه إلى أهل الوطيح وسُلالم والكتيبة وبالكتيبة من اليهود ومن نسائهم وذراريهم أكثر من ألفين ...وجاءهم كل فلٍّ كان قد انهزم من النطاة والشق، فتحصّنوا معهم في الحصن

← وروى الإربلي في كشف الغمة عن مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس في حديث قال: فجاء وهو ارمد، فنفث في عينه ثم هزّ الراية ثلاثاً ثم أعطاها إياه، فجاء بصفية بنت حُيَيّ ١: ٨١، ٨٢ وعنه في بحار الأنوار ٣٨: ٢٤١ و٤٠: ٥٠.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٥، وفي ابن هشام ٣: ٣٥١ وروى المجلسي خبر رؤياها للقمر عن الكازروني في بحار الأنوار ٢١: ٢٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٤.

من الكتيبة والوطيح والسلالم، حصن بني أبي الحقيق الذي كانوا فيه(١) وتحوّل رسول الله إلى الكتيبة والوطيح والسلالم.

وتحصّن أهل القموص وقاموا على باب الحصن بالنبل، ونهض كنانة إلى قوسه، فما قدر أن يوترها من الرِّعدة (رعباً ورهباً)، وأومأ إلى أهل الحصون أن لا يرموا وانقمعوا في الحصون مغلّقين على أنفسهم لا يطلعون منها، فما رُئي منهم أحد وحصرهم رسول الله أربعة عشر يوماً(٢) ولما رأى رسول الله اغلاقهم حصونهم وأنه لا يبرز منهم بارز همّ أن ينصب المنجنيق عليهم(٣) وأجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وأيقنوا بالهلكة فأرسل كنانة رجلاً من اليهود يقال له: شمّاخ إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

فلما نزل شمّاخ أخذه المسلمون فأُتي به إلى النبيّ فأخبره عن كنانة أنه يقول: أنزل إليك فأكلّمك؟! فأنعم له النبيّ، فرجع شمّاخ برسالته.

مصالحة أهل الحصون الثلاثة

قال: فنزل كنانة في نفر من اليهود فصالح رسول الله على:

١ ـ حقن دماء مَن في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم.

٢ ـ ويخرجون من حصون خيبر وأراضيها

---

(١) أو في القموص كما في سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٤ و٣٥٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٠ وفي سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٧ فحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة. وروى الواقدي عن أبي هريرة قال: قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دَوس، فقالوا: رسول الله في خيبر، فتحملنا إلى خيبر فوجدناه قد فتح النطاة وهو محاصر أهل الكتيبة، فأقمنا معه حتى فتح الله عليه ٢: ٦٣٦.

(٣) الذي وجده مدفوناً في حصون النطاة حسب إخبار اليهودي إياه ٢: ٦٤٨.

٣ ـ ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من أرض أو مال من ذهب أو فضة أو سلاح أو ثياب، إلّا الثياب التي عليهم.

فصالحه رسول الله على ذلك[1]، وأرسل إلى الأموال فقبضها الأول فالأول، وبعث إلى المتاع والسلاح فقبضها فوجد ألف رمح، وخمسمئة قوس عربية بجعابها، وأربعمئة سيف، ومئة درع.

لما انتصر رسول الله على حصون النطاة كان ابن أبي الحُقَيق أخذه الرعب فأمعن بالهلكة، فذهب ليلاً بجلد جمل فيه حليّهم إلى خربة في حصن الكتيبة حيث لا يراه أحد فحفر فيها ودفنها وسوّى عليها التراب. فسأل رسول الله كنانة بن أبي الحُقَيق عن كنزهم الذي كانوا يعرفون به، وحُليّ كانت في مسك جمل كانوا يعيرونها للأعراس بمكة. فقال: يا أبا القاسم، قد كنا نرفعه مثل هذا اليوم أما اليوم فقد أنفقناه في حربنا فلم تُبق الحرب واستنصار الرجال من ذلك شيئاً. وحلف على ذلك. فقال رسول الله: برئت منك ذمّة الله وذمّة رسوله إن كان عندكم؟ قال: نعم!

ثم قال النبيّ: وكل ما أخذت من أموالكم وأصبت من دمائكم فهو حلٌّ لي ولا ذمّة لكم؟ قال: نعم. فقام رجل من اليهود إلى كنانة بن أبي الحُقَيق فقال: إن كان عندك ما يطلب منك محمد أو تعلم علمه فأعلمه، فإنك تأمن على دمك، وإلّا فوالله ليظهرنّ عليه. وقد اطلع على غير ذلك ثم لم نعلمه. فزبره ابن أبي الحُقَيق، فتنحّى اليهودي فقعد.

ثم سأل رسول الله ثعلبة بن سلّام بن أبي الحُقَيق عن كنزهم، وكان رجلاً ضعيفاً، فقال: ليس لي علم، غير أني قد كنت أرى كنانة كل غداة يطوف بهذه الخربة وأشار إلى خربة، فإن كان شيء دفنه فهو فيها! فأرسل رسول الله الزبير بن

(١) أشار إليه الحسني في مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٤.

اليوم مع ثعلبة بن أبي الحقيق فحفر حيث أراه ثعلبة فاستخرج منه ذلك الكنز! فلما أخرج الكنز أمر رسول الله الزبير أن يعذّب كنانة بن أبي الحُقَيق حتى يستخرج كل ما عنده. فعذّبه الزبير بزند يقدحه في صدره.

ثم أمره رسول الله أن يدفعه إلى محمد بن مسلمة يقتله بأخيه (محمود) فقتله محمد بن مَسلَمة. وأمر بابن أبي الحُقَيق الآخر [ثعلبة] فضرب عنقه. واستحلّ رسول الله بذلك أموالهما وسبى ذراريّهما.

وأُتي رسول الله بجلد الجمل فجعل بين يديه، فإذا حُلّة أسوره الذهب ودمالج الذهب وخلاخل الذهب وقِرطة الذهب، ونظم من جوهر وزُمُرّد، وخواتم ذهب، وفتخٌ (خواتم الأيدي والأرجل) بالذهب مجزّع بجزع ظفار، ونظام من جوهر كان ليس[1] كنانة من غير صمه.

فروة بن عمرو على الغنائم:

قالوا: واستعمل رسول الله على الغنائم يوم خيبر فروة بن عمرو البياضيّ،

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٠ ـ ٦٧٣ وروى الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١: ١١٣ في معجزات أقوله: أنّه صلى الله عليه وآله قال لكنانة والربيع: أين آنيتكما التي كنتما تعيرانها أهل مكة؟ قالا: أهلكناها. فقال لهما: إنكما إن كتمتما شيئاً فاطّلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما؟ قالا: نعم. فدعا رجلاً من الانصار وقال له: اذهب إلى قراح (مزرعة) كذا، ثم ائت لنخيل فانظر نخلة عن يمينك وعن يسارك وانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها. فانطلق وجاء بالآنية والأموال فضرب عنقهما.

ولفظ الخبر هنا في المناقب: قال لكنانة زوج صفية والربيع. بينما ذكر في ترتيب أزواج النبي ﷺ أن صفية كانت عند سلام بن مشكم ثم عند كنانة بن الربيع ١: ١٦٠ والأخير هو الصحيح.

وكان قد جمع ما غنم المسلمون في حصون النَّطاة وحصون الشِّق وحصون الكتيبة، لم يترك على أحد من أهل الكتيبة إلّا ثوباً على ظهره من الرجال والنساء والصبيان، وجمعوا أثاثاً كثيراً وبَزّاً وقطائف وسلاحاً كثيراً، وغنماً وبقراً، وطعاماً وأُدُماً كثيراً.

فأمّا الطعام والأُدم والعلف فلم يُخمَّس، بل كان الناس يأخذون منه حاجتهم، ومن احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم حتى فتح الله عليهم فردّ ذلك في المغنم. فلمّا اجتمع ذلك كله أمر به رسول الله فجُزّئ خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها «لله» وسائر السهام أغفال، فكان أوّل ما خرج سهم النبيّ، ولم يتخيَّر في الأخماس[1].

قالوا: وكان الخمس إلى رسول الله من كل مغنم غنمه المسلمون، شهده رسول الله أو غاب عنه[2]، ووجد رجل يومئذٍ في خربة مئتي درهم فجاء بها إلى رسول الله فأخذ منها الخمس ودفعها إليه[3].

ثم أمر رسول الله ببيع الأربعة الأخماس لمن يُريد، فجعل فروة يبيعها لمَن يُريد.

قال فروة بن عمرو: فلقد رأيت الناس يتداركون عليّ ويتواثبون حتى نفق في يومين، ولقد كنت أرى أنّا لا نتخلّص منه حيناً لكثرته[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٣ وفي سيرة ابن هشام ٣: ٢٧١ عن الزهري.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٢ وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله من كل مغنم يعطي منه من أراد من السلاح والكسوة فأعطى منه أهل بيته من الثياب والخرز والأثاث، وأعطى رجالاً ونساءً من بني عبد المطلب وأعطى السائل واليتيم ٢: ٦٨٠.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٠.

وروى الواقدي وبسنده عن أُمّ عُمارة قالت: أُخرج شيء كثير يُباع في المغنم خرزٌ من خرز اليهود وشيء كثير من خرور، فقيل لها: فمن كان يشتري ذلك في المغنم؟ قالت: أمّا مَن كان يشتري من المسلمين فإنّما كان يُحاسب بما يصيبه من المغنم، ومَن حضر من الأعراب، واليهود الذين كانوا في الكتيبة فأمّنوا[1]. وقال جعفر بن محمود كان كثير من يهود الكتيبة (والوطيح وسُلالِم) قد غيّبوا أعيان أموالهم ونقودهم، فلمّا أمّنهم رسول الله كانوا يُقسمون فيشترون أو يبيعون حتى لقد تهراكل المغنم من كثر ما كانوا يشترون من المتاع والثياب![2]

ولمّا كان فروة يبيع المتاع يومئذٍ وكان يوماً حارّاً أخذ عصابة فعصب بها رأسه ليستظلّ بها من الشمس، ثمّ رجع وهي عليه فذكر فخرج فطرحها وأخبر بها رسول الله فقال: عصابة من نار عصبت بها رأسك؟ وسأل رجل رسول الله يومئذٍ من الفيء شيئاً فقال رسول الله: لا يحلّ لي من الفيء خيط ولا مخيط، لا آخذ ولا أُعطي. وسأله رجل عقالاً فقال رسول الله: حتى تقسم الغنائم ثمّ أُعطيك عقالاً، وإن شئت مراراً (حبلاً)[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٦٩، ٦٧٠.

(٣) إلّا أنّ ابن إسحاق روى في السيرة عن عبد الله بن المغفّل المزني قال: أصبت من فيء خيبر جراب فيه شحم، فاحتملته على عاتقي إلى رحلي وأصحابي، فلقيني الذي جُعل على الغنائم (اسمه فروة بن عمرو) فأخذ بناحيته وقال: هلمّ هذا نقسمه بين المسلمين، فقلت: لا والله لا أُعطيكه، فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله ونحن نصنع ذلك فتبسّم رسول الله ثمّ قال لصاحب المغانم: لا أبا لك خلّ بينه وبينه. ٣: ٣٥٤ فلعلّ الفرق أنّ هذا كان شحماً والفصل صيف حارّ يفسد فيه مثل الشحم، وهو محدود لا يمكن تقسيمه بين المسلمين

وتوفي يومئذٍ رجل من أشجع فذكروه لرسول الله فقال: صلّوا على صاحبكم. فتغيّرت وجوه الناس لذلك. فقال رسول الله: إنّ صاحبكم غلّ في سبيل الله. فوجدوا في متاعه خرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين! وكان إذا وُجد الغُلول في رحل الرجل لا يعاقبه، ولكنّه كان يُعرّف الناس به ويؤنّب ويعنّف ويؤذى.

ونادى منادي رسول الله: أدّوا الخيط والمخيط فإن الغُلول عار ونار وشنار يوم القيامة. وسُمع رسول الله يومئذٍ يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره (لا ينكح المرأة الحامل من غيره) ولا يبع شيئاً من المغنم حتى يقسم، ولا يركب دابّة من المغنم حتى إذا برها (هزّلها) ردّها، ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أخلقه ردّه. ولا يأت من السبي حتى تستبرئ وتحيض حيضة وإن كانت حبلى حتى تضع حملها[1].

قالوا: وكان الذي ولي إحصاء المسلمين زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفاً وأربعمئة والخيل مئتي فرس لها أربعمئة سهم، فكانت السهام على ثمانية عشر سهماً.. لكل مئة رأس يُعرف بقسمه على أصحابه[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٨١ ـ ٦٨٢ وروى الأخيرة ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٤٥ ـ ٣٤٦ بسنده عن رويفع بن ثابت الأنصاري قال: قام فينا رسول الله فقال... وروى عن مكحول، قال: نهاهم النبيّ يومئذٍ عن أربع: عن أكل الحُمر الأهلية، وأكل كل ذي ناب من السباع، وعن إتيان الحبالى من السبايا، وعن بيع المغانم حتى تقسّم ٣: ٣٤٥.

وسيتكرر الأمر بالاستبراء يوم أوطاس بعد يوم حنين ٣: ٩١١ وهنا حضرنا فيه.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٩ و ٧١٨ وكذلك قال ابن إسحاق: كانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ألفاً وأربعمئة سهم: الرجال ألف وأربعمئة، والخيل مئتا فرس، فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم، ولكل راجل سهم، فكان الجميع ثمانية عشر [ألف] سهم.

وروى الواقدي بسنده عن الحارث بن عبد الله قال : رأيت أمّ عمارة فسألتها : كم كانت سهم الرجال ؟ فقالت : أسباع زوجي غزيّة بن عمرو متاعاً [من غنائم خيبر] بأحد عشر دينار ونصف، فلم يُطالب بشيء، فظننّا أن هذا هو سهم لرجال الفرسان، فإن زوجي كان فارساً[1].

وقالوا : كانت خيبر لأهل الحديبية لقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾[2] يعني خيبر[3] لمن شهدها منهم ومن غاب عنها. وقد مرض خمسة منهم : سويد بن النعمان[4]، وعبد الله بن سعد بن خيثمة، ورجل من بني خُطامة . ومات من الخمسة رجلان . وتخلّف : مُرَي بن سنان، وجابر بن عبد الله الأنصاري[5] وسباع بن عُرفطة الغفاري خلّفه على المدينة[6] وأيمن بن عبيد ابن أمّ أيمن[7].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٦٨٨.

(٢) الفتح : ٢٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٦٨٤ ورواه في ٢ : ٦٢١ عن الزهري عن ابن المسيّب فكان علي بن أبي طالب رأساً، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عديّ، وأُسيد بن حضير ٣ : ٣٦٤ وعنه عن الزهري عن عروة بن مسوّر بن مخرمة مثله في أمالي الطوسي : ١٦٤ وعنه في بحار الأنوار ٢١ : .

(٤) كان فارساً خرج مع النبيّ إلى خيبر، فلما قربوا ميلاً من خيبر وقع إلى سيوتها وضع به الفرس، فكُسرت يد سُويد وعطب فرسه، فكان في منزله الخيبه، لم يخرج منه حتى انتهت الحرب، فأسهم له رسول الله سهم فارس ٢ : ٦٨٩.

(٥) وفي سيرة ابن هشام ٣ : ٣٤٥.

(٦) وفي ابن هشام ٣ : ٣٤٢ استعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثي.

(٧) وفي ابن هشام ٣ : ٣٦٢ وعدّه حسّان بن ثابت في شعره قال :

قالوا: وخرج مع رسول الله إلى خيبر عشرة من يهود المدينة.. وكان معهم موالي [illegible].. فأعطاهم من أمتعة خيبر.

وخرج معه من المدينة عشرون امرأة، فلم يُسهم لهن إلا أنه أعطاهن شيئاً من الفيء (١) دون السهام، ولعله كان يُعادل نصف سهام الرجال أو نحوه. فروى عن أُمية بنت قيس الغفارية: أنّ رسول الله أعطاها قلادة. وعن أُمّ سنان: أنه أعطاها خرزاً وحُلياً من فضة وقِدراً من نُحاس، وحمائل، وبُرداً يمانياً، وقطيفة فدكية. وعن أُمّ عُمارة: أنه أعطاها بُرداً يمانياً وقطيفة وديناريْن[2].

وأسهم للقتلى الذين قُتلوا من المسلمين[3] ستة عشر من الأنصار وأربعة من المهاجرين ثلاثة من حلفاء بني أُميّة وحليف لبني أسد من قريش[4].

← وأيمن لم يحضر ولكنّ مُهره أضرّ به شرب المديد المختمّر = العجين المختمّر

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٤ ـ ٦٨٦ والنص الأخير في السيرة ٣: ٣٥٦

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٦ ـ ٦٨٨

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٤

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥٧، ٣٥٨ هذا، وقد مرّ عن الواقدي عن أبي هريرة قال: قدمت المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس، عشيرة من أهل اليمن، فقلنا: رسول الله في خيبر، فتحمّلت إلى خيبر فوجدناه محاصراً أهل الكتيبة فأقمنا معه حتى فتح الله عليه ٢: ٦٣٦. وقال كاتبه ابن سعد في الطبقات ١: ٧٨: وقدم الأوسيّون وفيهم أبو هريرة، وقدم الأشعريون (وهم منهم)، فلحقوه بخيبر، فكلّم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا. وفي فتح الباري للعسقلاني ٦: ١٨٢ و٧: ٣٩١ عن أبي موسى الأشعري أنه بلغهم ظهور النبيّ ﷺ وهجرة المسلمين إلى الحبشة، فركبوا إليهم وهم نحو خمسين رجلاً وأقاموا مع جعفر بن أبي طالب حتى قدموا معه خيبر، فأسهم لهم أيضاً.

أما عن بساتين النخيل والمزارع فيها في أراضي خيبر لليهود، فإنهم قالوا لرسول الله: يا محمد، نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها[١].

فروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الباقر عليه‌السلام قال: إنّ رسول الله أعطاهم أرض خيبر وعملها بالنصف[٢] وأضاف عن الصادق عليه‌السلام قال: قبّل رسول الله ﷺ خيبر وعليهم في حصصهم العشر ونصف العشر[٣].

قالوا: وجعل المسلمون يقعون في حرثهم وبقلهم بعد المساقاة أي بعد أن صار النصف لهم والنصف لليهود، فشكا اليهود ذلك إلى رسول الله فدعا رسول الله عبد الرحمن بن عوف فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ اليهود شكوا إليّ أنكم وقعتم في حظائرهم، وقد أمّناهم على دمائهم وعلى أموالهم، وعاملناهم على الذي في أيديهم من أراضيهم،

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٦٩٠ وفي ابن هشام ٣: ٣٥٢ قالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، وسألوا رسول الله أن يعاملهم على النصف فصالحهم رسول الله على النصف على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم منها أخرجناكم. وفي ٣: ٣٧١ عن الزهري: أنّ النبيّ دعا اليهود بعد الفتح فقال: إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ويكون ثمرها بيننا وبينكم، وأقرّكم ما أقرّكم الله؟ فقبلوا. فكانوا يعملون على ذلك حتى توفي رسول الله فأقرّها أبو بكر بأيديهم على المعاملة حتى توفي، وأقرّها عمر صدراً ثم أجلاهم وقسّم أراضيها على ثمانية عشر سهماً على رؤوس السهام التي عيّنها رسول الله. ابن هشام ٣: ٣٧٢، مغازي الواقدي ٢: ٧١٨ فهو من حوادث عهد عمر.

(٢) فروع الكافي ٥: ٢٦٦، الباب ١٢٨، الحديث ١، وأعطاهم يعني تركها في أيديهم كما فيه عن الصادق عليه‌السلام ٥: ٢٦٧، الباب ١٢٨، الحديث ٢ والفقيه ٣: ١٥١، الباب ٧٢، الحديث ١ والاستبصار ٣: ١١٠، الباب ٧٤، الحديث ١ والتهذيب ٧: ٤٨، الباب ١١، الحديث ٦.

(٣) فروع الكافي ٣: ٥١٤، الباب ٧، الحديث ٢.

وإنّه لا تحلّ أموال المُعاهَدين إلّا بحقّها!

فكان المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلّا بثمن[1]

ونهى عن الربا المعاملي:

قالوا: كان فضالة بن عُبيد يقول: أصبت يوم خيبر قلادة وكان في القلادة ذهب وغيره، فبعتها بثمانية دنانير، وذكرتُ ذلك لرسول الله فقال: بع الذهب وزناً بوزن. واشتُري يوم خيبر تبر بذهب جُزافاً فنهى عنه رسول الله[2] واشترى النعمان تبراً (غير مصوغ) بذهب (مصوغ) أحدهما أكثر وزناً فقال رسول الله: أربيتما فردّا[3].

وروى ابن إسحاق بسنده عن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله: ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، وتبر الفضة بالذهب العين، ونهانا عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين[4].

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٦١.

(2) وفي المطبوع «فنهي عنه» خطأ.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٦٨٢.

(4) سيرة ابن هشام ٣: ٣٤٦ وعلته فالنهي عن المفاضلة في المتماثل، ولا مانع منه في غير المماثل. والنهي في الأولى عن الجزاف والغرر، ولعله كذلك في القلادة وفيها ذهب غير معلوم المقدار بالدنانير الذهبية، أما لو كان وزن الذهب في القلادة أقل من الدنانير لمكان الصياغة ولوجود غير الذهب مع الذهب، فلا مانع مع ضميمة إلى الأقل أما لو كانا وزناً بوزن أي متساويين في الذهب وزناً، فهو من ربا الحرام في مذهب أهل البيت ﷺ إذ إن ذهب القلادة يفضل ذهب الدنانير بالضميمة والصياغة فضلاً عما إذا كان ذهب القلادة أكثر. وعليه فالحديث يصح في بعض صوره ولا يصح على إطلاقه في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وصول جعفر إلى خيبر:

روى الطَبْرسي عن أبان الأحمر البجلي الكوفي عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله قبل أن يسير إلى خيبر أرسل عمرو بن أُميّة الضَمْري إلى النجاشي عظيم الحبشة، وأمر عمراً أن يقدم عليه بجعفر وأصحابه. فجهّز النجاشيّ جعفراً وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة، وحملهم في سفينتين. فلمّا فتح رسول الله خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة. فقال: ما أدري بأيّهما أُسَرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر!

وعن سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر الأنصاري قال: لما نظر جعفر ابن أبي طالب إلى رسول الله حجل ـ أي مشى على رجل واحدة ـ إعظاماً لرسول الله، فقبّل رسول الله ما بين عينيه[1].

بل روى الطوسي في «التهذيب» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ يوم افتتح خيبر أتاه الخبر أنّ جعفراً قد قدم، فقال: والله ما أدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً؟ أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر. فلم يلبث أن جاء جعفر فوثب رسول الله فالتزمه وقبّل ما بين عينيه ثم قال له: يا جعفر، ألا أُعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك [حَبْوة] فتشوّق الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً أو فضة. [وقال جعفر]: بلى يا رسول الله. فعلّمه الصلاة المنسوبة إليه: صلاة جعفر الطيّار[2].

وروى الطوسي في أماليه بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة بأرض خيبر إلى النبيّ ﷺ أتاه بهديّة من الغالية والقطيفة

(١) إعلام الورى ١: ٢٠٩ وانظر سيرة ابن هشام ٤: ٣ ومغازي الواقدي ٢: ٦٨٣.

(٢) التهذيب ٣: ١٨٦، الباب ٢٠، الحديث ١.

(٣) نجد تفصيل الصلاة عن الباقر عليه السلام في الكافي ٣: ٤٦٥، والفقيه ١: ٣٤٧ طبع النجف الأشرف، والتهذيب ٣: ١٨٦.

فقال ﷺ: لأدفعنّ هذه القطيفة إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله. فمدّ أصحاب النبي أعناقهم إليها، فقال النبيّ: أين عليّ؟ فوثب عمّار بن ياسر فدعا عليّاً عليه السلام فلمّا جاء قال له النبيّ: يا عليّ، خذ هذه القطيفة إليك، فأخذها علي[1].

وأما أمر فدك[2]:

قال الواقدي: قالوا: لما دنا رسول الله من خيبر بعث مُحَيِّصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوّفهم أن يحلّ بساحتهم.

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٦ وتمام الخبر: وأمهل حتى قدم المدينة فانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة فأمر صائغاً ففصّل القطيفة وفيها سلكاً فأخرجها سلكاً سلكاً فكان ألف مثقال من الذهب، ففرّقه علي عليه السلام في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله ولم يترك من الذهب قليلاً أو كثيراً.

فلقيه النبيّ في غد في نفر من أصحابه فقال: يا علي، إنّك أخذت بالأمس ألف مثقال فاجعل غدائي وأصحابي هؤلاء اليوم عندك. فقال: نعم يا رسول الله، ادخل أنت ومن معك في الرحب والسعة يا نبيّ الله. قال حذيفة: وكنّا خمسة نفر أنا وعمّار وسلمان وأبو ذر والمقداد. فدخل النبيّ ثم قال لنا: ادخلوا فدخلنا، ودخل علي على فاطمة فوجد عندها في وسط البيت جفنة من ثريد تفور وكأنّ رائحتها المسك وعليها عراق اللحم كثير فحملها علي حتى وضعها بين يدي رسول الله ومن حضر معه فأكلنا حتى تملأنا، وقام النبيّ فدخل على فاطمة فقال لها: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام؟ ونحن نسمع قولهما فقالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فخرج النبيّ إلينا مستعبراً وهو يقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت لابنتي ما رأى زكريا لمريم كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً. كما في بحار الأنوار ٣: ٢٠ ولم نجده في الأمالي المشهور.

(٢) بينها وبين المدينة يومان كما في معجم البلدان ٦: ٣٤٢ وتبعد عن المدينة نحو ٤ كم، وانظر مراصد الاطلاع ٣: ١٠٢٠.

فجاء مُحيّصة فقال: لم أجئهم حتى سمعوا يقولون: ... عامر وياسر وأُسير والحارث وسيّد اليهود مَرحب، وإنّ بها عشرة آلاف مقاتل، ما نرى محمداً يقرب حِماهم، وجعلوا يتربّصون. ولم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتل أهل حصن ناعم وأهل النَّطاة منهم، ففتّ ذلك في أعضادهم فجمعوا حبّاً كثيراً من حليّ نسائهم وقالوا لمحيّصة: اكتم عنّا ما قلنا لك، ولك هذا الحليّ! فأبى محيّصة. قال محيّصة: فلما رأيت خُبثهم أردت الرحيل راجعاً فقالوا: نحن نرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصلح. قال محيّصة: فقدم معي رجل من رؤسائهم يُقال له نون بن يوشع في نفر من اليهود[1].

وروى الطَبْرسي في «إعلام الورى» عن أبان عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: لما فرغ رسول الله من خيبر عقد لواءً يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك، فقال: من يقوم فيأخذه بحقه؟ فقام إليه الزبير فقال: أنا، فقال له: أمِط عنه! ثم قام سعد [بن أبي وقاص] فقال: أنا، فقال: أمِط عنه! ثم قال: يا علي قم إليه فخذه، فأخذه، فبعث به إلى فدك[2].

قال الواقدي: فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم وأنّ لهم نصف الأرض بتربتها، ولرسول الله نصفها، فقبل رسول الله ذلك، وأقرّهم على ذلك[3]، ولم يأتهم.

وأشار ابن إسحاق إلى أنّ مُحيّصة بن مسعود كان قد مشى بين رسول الله وبين اليهود في فدك فلما سمع أهل فدك أنّ رسول الله قد حاصر أهل خيبر في

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٦.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٠٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٧.

حصونهم للصلح والسلام، وأنهم سألوه أن يحقن دماءهم ويسيّرهم. بعث أهل فدك إلى رسول الله يسألونه أن يحقن دماءهم ويخلّوا له الأموال[1] فقدمت رسلهم على رسول الله في خيبر أو في الطريق، أو بعدما قدم المدينة، يسألونه أن يصالحهم على نصف فدك. فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[2].

---

(1) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥٢.

(2) سيرة ابن هشام ٣: ٣٦٨ وقبله منه ٣: ٣٥٢ وفي آخر خبر الطبرسي عن أبان عن زرارة عن الباقر ﷺ قال: فصالحهم على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله خاصة خالصة.

ثم قال: فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه. فقال: يا جبرئيل ومن قرباي وما حقها؟ قال: هي فاطمة فأعطها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها.

قال: فدعا رسول الله فاطمة ﷺ وكتب لها كتاباً. إعلام الورى: ٢٠٩ وأشار إلى هذا المعنى القمي في تفسيره ٢: ١٨ وروى العياشي في تفسيره ٢: ٢٨٧ أربعة أخبار في ذلك ثلاثة منها عن الصادق ﷺ عن أبان بن تغلب وجميل بن دراج وعبد الرحمن، والخبر الرابع عن عطية العوفي مرسلاً. وروى الطبرسي في مجمع البيان ٦: ٦٣٣، ٦٣٤ خبر عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، عن شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني مسنداً وبطرق عديدة ١: ٣٣٨ ـ ٣٤١ وعن الخدري القاضي المعتزلي في المغني وعنه المرتضى في الشافي وعنه المعتزلي في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٦٨ وفي الدر المنثور ٤: ١٧٧.

هذا والآية هي السادسة والعشرون من سورة الإسراء المكية، ولذلك احتمل صاحب التمهيد نزولها ثانية ١: ٥٦. ولعل جبرئيل نزل بتطبيق الآية مذكراً بها أن الحكم فيما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فهو لله وللرسول ولذي القربى فقد شملته الآيتان ٧ و٨ من سورة الحشر المدنية النازلة من قبل هذا بعد حرب بني النضير.

الشاة المشويّة.

روى الواقدي عن إبراهيم بن جعفر قال: كان سيّد خيبر وأشجعهم أبو الحكم سلّام بن مشكم، وهو كان صاحب حربهم، ولكنّ الله شغله بالمرض، وكان في حصون النطاة فقيل له: إنّه لا قتال فيك فكن في حصن الكتيبة [أي مع النساء والصبيان] فقال: لا أفعل أبداً، فبقي في النطاة حتى قُتل وهو مريض، وهو زوج زينب بنت الحارث الذي قتل مبارزة هو وإخوانه مرحب ويسار وياسر والزبير[1] ولم تنس زينب هذه، فلمّا فتح رسول الله خيبر واطمأنّ، شاورت زينب اليهود في السموم، فأجمعوا لها على سمّ قاتل بعينه. فسألت: أيّ عضو من الشاة أحبّ إلى محمد صلى الله عليه [وآله]؟ فقالوا: الذراع والكتف. فعمدت إلى عنز لها فذبحتها ثم عمدت إلى ذلك السمّ القاتل فسمّت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتفين.

فلما غابت الشمس صلّى رسول الله المغرب وانصرف إلى منزله، فوجد زينب عند رحله فقالت له: يا رسول الله هديّة أهديتها لك. فأمر رسول الله أن تُقبض الهديّة منها، فقُبضت ووُضعت بين يديه، وجمع من أصحابه حضور فقال لهم: ادنوا فتعشّوا، ومنهم بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، وتناول رسول الله الذراع، وتناول بشر بن البراء عظماً، وأنهش رسول الله من الذراع وانتهش بشر، وازدرد رسول الله وازدرد بشر ثم قال رسول الله: كفّوا أيديكم، فإنّ هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة!

وكان ثلاثة نفر قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يسيغوا منه شيئاً، أمّا بشر بن

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٩، ٦٨٠.

البراء فقال: لم يقم من مكانه حتى مات، وقيل: لم يقم من مكانه حتى صار لونه كالطيلسان[1] ومرض، ولكنه لا يتحوّل من مكانه إلا أن يُحوّل[2].

واحتجم رسول الله من ذلك على كاهله، أو كتفه اليسرى، بالقرن والشفرة، حجمه أبو هند. وأمر أصحابه (الثلاثة) فاحتجموا من أكلهم من الشاة أوساط رؤوسهم. ودعا رسول الله زينب فقال لها: سممتِ الذراع؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: الذراع! فقالت: نعم! فقال: وما حملكِ على ذلك؟ قالت: قتلتَ أبي وعمي وزوجي، ونلتَ من قومي ما نلتَ، فقلتُ: إن كان نبيّاً فستخبره الشاة ما صنعتُ، وإن كان ملكاً استرحنا منه! فقيل: عفا عنها رسول الله. وقيل: أمر بها فقُتلت ثم صُلبت[3]!

---

(١) الطيلسان فارسيّ معرّب أصله تالسان، وهو من لباس العجم ثوب يحيط بالبدن ينسج للّبس خالٍ عن التفصيل والخياطة (راجع مجمع البحرين).

(٢) وماطله وجعه سنة ثم مات منه، أي قبل رسول الله بسنتين، في أواخر الثامنة للهجرة.

(٣) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٧٨، وروى الخبر ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ج ٣ ص ٣٥٢ مختصراً منه. وقال: مات بشر، وتجاوز عنها رسول الله. وعنه الطبرسي في مجمع البيان ج ٩ ص ١٨١ - ١٨٤، وعنه في البحار ج ٢١ ص ٦ و ٧. وروى الصدوق في الخصال ج ١ ص ٢٧٦ بسنده عن الإمام الكاظم عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) فيما أجاب به أمير المؤمنين (ع) حبراً يهودياً من يهود الشام، وقال: إنه أخرجه بتمامه في آخر الجزء الرابع من كتاب النبوة. وأخرجه الطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ٣١٤ - ٣٢٥: أنه (ع) قال له: لم يزل محمد ﷺ يخبر بسمّه الخيبرية فصيّر الله السمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله. وروى الكليني في الكافي ج ٦ ص ٣١٥ عن الصادق (ع) قال: سمّت اليهودية النبيّ ﷺ في ذراع، وكان النبيّ ﷺ يحبّ الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال.

زواج النبيّ بصفيّة

مرّ في الخبر عن الواقدي: أنّ أربع عشرة امرأة من نساء الأنصار خرجن يوم أُحد بعد القتال، جئن يحملن الطعام والشراب على ظهورهنّ ويسقين الجرحى ويداوينهم، منهنّ أُمّ سُليم بنت مِلحان[1].

ومرّ في الخبر عنه أيضاً أنّها خرجت مع عشرين امرأة مع النبي ﷺ إلى خيبر[2]. وفيه أيضاً أنّ أنس بن مالك يقول: إنّ أُمّ سُليم بنت ملحان أُمّي[3].

وقد روى الواقدي عن أنس قال: انصرف من خيبر ومعه [أُمّه] أُمّ سُليم[4] بنت ملحان، ورسول الله يُريد وادي القرى[5].

وقد مرّ في الخبر عن الواقدي أيضاً بسنده عن صفيّة نفسها: أنّها لمّا سُبيت في آخر حصن الكتيبة، أرسلها إلى رحله، ولمّا أمسى دعاها وقال لها: إن تُقيمي على دينك لم أُكرهك، وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خير لك؟ فقالت: اخترت الله ورسوله، وأسلمت. فتزوّجها وأعتقها وجعل عتقها مهرها، وأمر بستر فضُرب به، فعُرف أنّه تزوّجها[6].

وقد قال أنس بن مالك: لمّا بلغ تبار ـ على ستة أميال من خيبر إلى وادي القرى ـ أعلمها أنّه يريد أن يُعرّس بها هناك، فأبت عليه، فلم يُكرهها وتركها

(١) مغازي الواقدي ١: ٢٤٩.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٦٨٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٣، وبمثله في السيرة لابن هشام عن ابن إسحاق ٣: ٣٥٤.

(٤) أثبتنا الصواب، وفي المطبوع خطأً: أُمّ سلمة بنت ملحان.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٧.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٤، ٦٧٥.

وسار حتى بلغ الصَّهْبَاء على اثني عشر ميلاً، فأراد أن يُعرِّس بها هناك، فطاوعته.

قال أنس: فقال رسول الله [لأمّي] أم سليم: انظري صاحبتك هذه فامشطيها، قال أنس: ولم يكن معنا سُرادقات ولا فساطيط، فأخذت [أمّي] أمّ سُليم كساءين وعباءتين فسترتها إلى شجرة فتستَّرت بها، وجاءت بصفية فأدخلتها الستر، ومشَّطتها وعطّرتها[1].

وأولم رسول الله يومئذٍ لها بالتمر والسَّويق والحَيْس[2] على نُطَع الأدم، وأقامت عنده تلك الليلة. فقال لها رسول الله: ما حملك على ما صنعت حين أردت أن أنزل [بك] أول منزل؟ فقالت: يا رسولَ الله، خفتُ عليك قرب اليهود، فلما بَعُدتَ أمنتُ. وعلم النبيّ أنها قد صدقته فزادها ذلك خيراً عند النبي[3].

قال ابن إسحاق: وبات أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري من بني النجَّار متوشّحاً سيفه يُطيف بالقبّة يحرس رسول الله حتى أصبح، فلما أصبح رسول الله ورأى مكانه قال له: مالك يا أبا أيوب؟ فقال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بالكفر، فخفتها عليك! فزعموا أنّ رسول الله قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني[4].

---

(١) وفي ابن هشام ٣ : ٣٥٤: لما أعرس رسول الله بصفية أصلحت من أمرها ومشّطتها وجمّلتها لرسول الله أمّ سليم أمّ أنس بن مالك.

(٢) الحَيْس: خليط الأقط والسمن بالتمر، كما في النهاية ١ : ٢٧٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٧٠٧، ٧٠٨.

(٤) وفي مغازي الواقدي: قالوا: وبات أبو أيوب الأنصاري قريباً من قبته آخذاً بقائم ←

خبر ردّ الشمس لعلي عليه‌السلام :

ورجعت أسماء بنت عميس الخثعمية المهاجرة إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فقدموا على رسول الله بخيبر بُعيد فتحه.

وفي منصرف النبي ﷺ من فتح خيبر، وفي منزل الصّهباء هذا، روت أسماء بنت عميس: أنّ النبيّ بعد صلاة العصر استلقى ورأسه في حجر علي عليه‌السلام ـ وهو لم يصلِّ العصر ـ فاعترت النبيَّ حالة الوحي، فلم يوقظه علي عليه‌السلام ولم يضع رأسه من حجره ليصلي العصر حتى غربت الشمس، واستيقظ النبيّ، وكان يعلم أنّ عليّاً عليه‌السلام لم يكن يصلي العصر، فقال له: أصلّيت يا علي؟ قال: لا، فجعل النبيّ يدعو: اللهم إنّه (عليّ) كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس! قالت أسماء: فرأيتها طلعت بعدما غربت حتى وقعت على الجبال والأرض حتى أدّى عليّ عليه‌السلام صلاته فغربت[1]. فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

إن عـــليّ بـــن أبي طـــالب ردّت به الشمس من المغرب[2]

السيف حتى أصبح، فلما خرج رسول الله بكرة، كبّر أبو أيوب، فقال رسول الله: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، دخلت بهذه الجارية وكنت قد قتلت أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامّة عشيرتها، فخفتُ أن تغتالك! فضحك رسول الله وقال له معروفاً ٢: ٧٠٨. هذا، وقد عرف الحسي سعد بن أبي وقاص في حراسته تلك الليلة ١: ١٦٣.

(١) انظر جملة من المحدثين الذين أوردوا هذا الحديث بأسانيد صحيحة، في مقدمة الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني المحقق لكتاب فتح الملك العلي: ٦ ـ ١٩ الحيدرية للنجف الأشرف. وفي الكافي ٤: ٥٦١ ح ٧ عن الصادق عليه‌السلام عن أسماء عن علي عليه‌السلام، ورواه في الفقيه ١: ١٣٠ ح ١ وانظر مصادره في هامش الخمسة ٥: ١١٢ ـ ١١٩ وملحق الإحقاق ٥: ٥٢٢ ـ ٥٣٦ و ١٦: ٣١٥ ـ ٥٣١، وكتاب ردّ الشمس للصريحي.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٤٩٩ ح ١٣ ونظر مصدر الخبر فيه إلى صفحة ٥٠٣. ←

خبر فتح خيبر في مكة:

قال الواقدي: كان للحجّاج بن عِلاط البَهْزيّ السُّلمي معادن الذهب بأرض بني سُليم، فكان له مال كثير، وكان قد تزوّج بأمّ شيبة بنت عُمير بن هاشم العبدري أخت مُصعب بن عمير بن هاشم، وله عندها مال (ومال متفرّق في تجّار أهل مكة[1]) ومع ذلك كانت له غارات وقد خرج لذلك فذكر له أن رسول الله بخيبر [وفي خيبر الخير الكثير] فحضر إلى خيبر، وأسلم[2] [وشهد وغنم].

ولما فُتحت خيبر كلّم رسول الله فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكة مالاً عند صاحبتي أمّ شيبة بنت أبي طلحة ومال متفرّق في تجّار أهل مكة. فأذن لي يا رسول الله[3] حتى أذهب فآخذ مالي عند امرأتي، فإن علمت بإسلامي لم آخذ منه شيئاً. فأذن له. فقال: ولا بدّ لي يا رسول الله من أن أقول؟. فأذن له رسول الله أن يقول ما شاء[4].

= وقد مرّ في الخبر أنّ ذلك كان في منزل الصهباء. ونقل عبد الرحمن خويلد في كتابه المساجد والأماكن الأثرية المجهولة، عن كتاب آداب الحرمين: ٤٧ أن حادثة ردّ الشمس بعد غروبها لعليّ كرّم الله وجهه ليدرك صلاة العصر وقعت في موضع مسجد الفضيخ. ثم قال: وهذا صحيح؛ لأنّه مرويّ عن غير واحد من قدماء العلماء. ذكرهم الطريحي في كتابه ردّ الشمس: ٩٤ وعن محل مسجد الفضيخ قال: يقع في جنوب مشربة أم إبراهيم في شارع العوالي بين شارع العوالي وخط الحرم العام بعد مستشفى المدينة الوطني، في شارع فرعي للأمام قبل صالة (مرحبا) للأفراح بنصف كيلومتر تقريباً كما في مجلة ميقات الحج ٧: ٢٧٥

(١) سيأتي الخبر عن ابن إسحاق.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٠١.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥٩.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٠١.

قال الحجّاج: فخرجت، حتى إذا قدمت مكة، وجدت في ثنيّة البيضاء[1] رجالاً من قريش قد بلغهم أنّ رسول الله قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنّها قرية الحجاز ريفاً ومنعةً ورجالاً، فكانوا يسألون الركبان ويتسمّعون الأخبار ويتحسّسونها، ولم يكونوا علموا بإسلامي، فلمّا رأوني قالوا: الحجّاج بن علاط، عنده والله الخبر، أخبرنا يا أبا محمد، إنّه بلغنا أنّ القاطع[2] قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، فأخبرنا. فقلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسرّكم! فالتبطوا[3] بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجّاج! فقلت: هُزِم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأُسر محمد أسراً وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.[4] وقلت: لم يلق محمد وأصحابه قوماً يحسنون القتال مثل أهل خيبر، قد ساروا في العرب حتى جمعوا عشرة آلاف، فهزم هزيمة لم يُسمع قط بمثلها، وهذا فإنّهم سيرجعون إليكم يطلبون الأمان في عشائرهم ويرجعون إلى ما كانوا عليه، فلا تقبلوا منهم وقد صنعوا بكم ما صنعوا![5] وقلت: أعينوني على جمع مالي بمكة، وعلى غرمائي، فإنّي أُريد أن أرجع إلى خيبر فأُصيب من فلّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك! فقاموا، وصاحوا بمكة: قد جاءكم الخبر، هذا محمد إنّما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم! وجمعوا مالي كأحثّ جمع سمعت به

---

(١) ثنية البيضاء هي ثنية التنعيم ـ كما في معجم البلدان ـ والتنعيم أوّل الحرم بمكة.

(٢) أي القاطع للرحم، كانوا يطلقون ذلك على رسول الله!

(٣) التبطوا: أي أطافوا بجانبي ناقتي مزدحمين ولذلك كانوا يتعثرون في مشيهم حولي.

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٣٦٠.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٣.

وسمع العباس بن عبد المطلب الخبر عني وكنت في خيمة من خيام التجار[1] في جمع مالي، إذ أقبل العباس حتى وقف إلى جنبي فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ فقلتُ له: أنا في جمع مالي كما ترى، فانصرف عنّي حتى أفرُغ، واستأخر عنّي حتى ألقاك في خلاءٍ.

فلمّا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، لقيت العباس فقلتُ: يا أبا الفضل، احفظ عليّ حديثي ثلاثاً ثم قل ما شئت! فإنّي أخشى الطلب. فقال: أفعل. قلت: فإنّي والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم (يعني صفيّة بنت حُيَيّ[2]) ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه. ولقد أسلمت، وما جئت إلّا لآخذ مالي فَرَقاً من أن أُغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب!

فلما كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّة وتخلّق بالخلوق وأخذ عصاه وخرج حتى أتى الكعبة فطاف بها، فلما رآه المشركون قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله لتجلّد لحرّ المصيبة! فقال: كلّا والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه! فقالوا: من جاءك بهذا الخبر؟! قال: الذي جاءكم، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه[3]. فانبعثوا إلى أهله، فعثروا فسألوا عن ذلك كله، فوجدوا الحجاج قد انطلق عنه واستكتم أهله. ولم تلبث قريش خمسة أيام حتى جاءهم الخبر بذلك فكُبت المشركون وفرح بذلك المسلمون[4].

---

(١) وكثير من مساكن مكة خيام وليست بناء.

(٢) وهذا هو السبب السياسي في زواج النبي ﷺ.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٥ وألفاظه أقرب إلى [illegible] ←

يهود وادي القرى وتيماء:

قال الواقدي: ومن منزل الصهباء سلك على برمة[1] إلى وادي القرى يريد من بها من اليهود[2].

وروى ابن إسحاق بسنده عن أبي هريرة قال: نزلنا وادي القرى أصيلاً مع مغرب الشمس، وكان رفاعة بن زيد الجُذامي قد أهدى غلاماً له إلى رسول الله، فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله، إذ أتاه سهم غرب[3] فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة. فقال رسول الله: كلا والذي نفس محمد بيده، إن شملته[4] الآن لتحترق عليه في النار، كان غلّها من فيء المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله، فأتاه فقال: يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي؟ فقال: يُقَدُّ لك مثلهما من النار[5].

وروى الواقدي الخبر عن أبي هريرة أيضاً قال: انتهينا إلى اليهود بوادي القرى وقد ضوى إليها أُناس من العرب ولم نكن على تعبئة، وهم ينضحون في

ـــ بنية الخلفاء، فظهر ذلك بالقياس والمقارنة، فراجع وقارن. وكلاهما لم يذكر للخبر سنداً خاصاً. وإنّ أسنده الكازروني في المنتقى في مولد المصطفى عن أنس بن مالك، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ٣٤، ٣٥ وهو أقرب إلى ما في مغازي الواقدي، وليس هو به.

(١) برمة: بين خيبر ووادي القرى قرب بلاكث، من نواحي المدينة به عيون ونخل كما في وفاء الوفاء ٢: ٢٦٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٠٩.

(٣) أي لا يعلم من رماه.

(٤) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.

(٥) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥٣، ٣٥٤.

آطامهم[١] فاستقبلونا بالرمي حيث نزلنا، فأقبل سهم عائر[٢] فأصاب مدعم (الغلام) فقتله[٣].

وعبّأ رسول الله أصحابه للقتال وصفّهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عُبادة وراية إلى حُباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حُنيف، وراية إلى عبّاد بن بشر. ثم دعاهم رسول الله إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا حقنوا دماءهم وأحرزوا أموالهم وحسابهم على الله. فبرز رجل منهم، وبرز إليه الزبير بن العوّام فقتله، وبرز إليه آخر فقتله أيضاً. ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله، ثم برز إليه آخر فقتله، ثم برز آخر فبرز له علي ﷺ فقتله، حتى قُتل منهم أحد عشر رجلاً.

وحضرت الصلاة فصلى رسول الله بأصحابه ثم عاد فدعاهم إلى الله ورسوله، ثم قاتلهم حتى أمسى، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، فكان الفتح عَنوة، فغنّمه الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، أقام رسول الله بوادي القرى أربعة أيام، فقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى.

وعامل اليهود على الأرض والنخل بأيديهم[٤] كما عامل يهود خيبر[٥]. فلما سمع ذلك يهود تيماء[٦]، بعثوا فصالحوا رسول الله على الجزية عما في أيديهم من أموالهم[٧].

(١) آطام اليهود: أبنية.

(٢) سهم عائر: لا يعرف راميه.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٧١٠.

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ٧١٠، ٧١١.

(٥) الكامل في التاريخ ٢ : ١٥٠.

(٦) تيماء: على ثماني مراحل من المدينة إلى جهة الشام.

(٧) مغازي الواقدي ٢ : ٧١١.

فوات الصلاة؟!

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر خيبر ووادي القرى انصرف راجعاً إلى المدينة، وسرى ليلته حتى إذا كان قُبيل الصبح بقليل نزل.

فروى الشهيد في «الذكرى» في الصحيح عن الباقر عليه‌السلام: أن رسول الله قال: من يكلؤنا؟ فقال بلال: أنا، فناموا، ونام بلال، حتى طلعت الشمس، فقال ﷺ: يا بلالُ ما أرقدك؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفسكم! فقال رسول الله: قوموا فتحوّلوا عن مكانكم الذي أصابكم فيه الغفلة.

ثم، قال: يا بلال، أذّن فأذّن، فصلى رسول الله ركعتي الفجر، وأمر أصحابه فصلّوا ركعتي الفجر، ثم قام فصلى بهم الصبح، ثم قال: من نسي شيئاً من الصلاة فليصلّها إذا ذكرها، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧١١.

(٢) في مجمع البيان؟ وفي أمثل مثل مشابه لهذا عن شرح السنة عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله حين قفل من خيبر، أسرى حتى إذا كان من آخر الليل عرّس وقال لبلال: اكلأ لنا الصبح، كما عنه في بحار الأنوار ١٧: ١٠٢ وفي ٢١: ٤٢ نقله عن الكازروني عن أبي هريرة. ورواه ابن إسحاق في السيرة عن الزهريّ عن ابن المسيّب: من يحفظ لنا الفجر ٣: ٣٥٥ وكأنه نقله بالمعنى، ونقله الواقدي: ألا رجل صالح حافظ لعينه يحفظ لنا صلاة الصبح؟ ٢: ٧١١.

(٣) سورة طه: ١٤. ثم قال الشهيد رحمه‌الله: ولم أقف على رادّ لهذا الخبر من حيث توهّم القدح في العصمة. وقد روى العامة عن أبي قتادة وجماعة من الصحابة: أنّ النبيّ أمر بلالاً فأذّن فصلى ركعتي الفجر ثم أمره فأقام فصلى صلاة الفجر.

وقال المحدث البحراني رحمه‌الله بعد نقل هذا الخبر وخبر ابن سنان: وربما يظنّ تطرق الضعف إليهما لتضمنهما ما يوهم القدح في العصمة، ونقل قول الشهيد في الذكرى ثم قال ←

وروى الطوسي بسنده عن الصادق ﷺ قال: إنّ رسول الله رقد فغلبته عيناه فلم يستيقظ حتى آذاه حرّ الشمس فاستيقظ، وقال: يا بلال، ما لك؟! فقال بلال: أرقدني الذي أرقدك يا رسول الله[1].

وروى الكليني بسنده عنه ﷺ أيضاً قال: نام رسول الله ﷺ عن صلاة الصبح، والله ـ عزّ وجلّ ـ أنامه حتى طلعت الشمس عليه[2].

وروى الصدوق بسنده عنه ﷺ أيضاً قال: إنّ الله أنام رسوله ﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم قام، فبدأ فصلّى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلّى الفجر[3].

← وهو يعطي تجويز الأصحاب صدور ذلك وأمثاله عن المعصوم، وللنظر فيه مجال واسع (بحار الأنوار ١٧: ١٠٧ ـ ١٠٨) ويبدو أنّ مقصوده من خبر ابن سنان ما رواه الصفّار في بصائر الدرجات: ١٣٤ بسنده عن محمد بن سنان عن المفضل عن الصادق ﷺ قال: يا مفضل، إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأرواح الأربعة تنام وتلهو وتغفل وتسهو. كما في بحار الأنوار ١٧: ١٠٦.

(١) الاستبصار ١: ٢٨٦، الباب ١٥٦، الحديث ١ والتهذيب ٢: ٢٦٥، الباب ١٣، الحديث ١٥.

(٢) فروع الكافي ٣: ٢٩٤، الباب ١٢، الحديث ٩ وتمامه: وكان ذلك رحمة من ربك للناس، ألا ترى لو أنّ رجلاً نام حتى تطلع الشمس لعيّره الناس وقالوا: لا تتورع لصلاتك! فصارت أسوة وسنة، فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة قال: قد نام رسول الله ﷺ، فصارت أسوة ورحمة رحم الله بها هذه الأمّة.

(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه ١: ٣٥٨ ـ ٣٥٩، الحديث ١٣٦ وتمامه: وإنّما فعل ذلك به رحمة لهذه الأمّة لئلا يُعيّر الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته، فيقال: قد أصاب ←

وانتهى إلى المدينة :

ولما نظر رسول الله ﷺ إلى جبل أُحد من بُعد قال : أُحد جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إنّي أحرّم ما بين لابتي المدينة . وانتهى (بعد صلاة العشاء) إلى الجُرُف قرب المدينة فقال لمَن معه : لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء .

فروى الواقدي بسنده عن أُمّ عُمارة : أنّ رجلاً من أهل الحيّ عصى رسول الله وذهب فطرق أهله فوجد ما يكره ، وكان يحبّ زوجته ، وله منها أولاد فضنّ بها أن يفارقها[1] .

ومن أخبار الصُفّة :

لم نعثر على أخبار الصُفّة في المسجد النبويّ الشريف بالمدينة قبل هذا ، وهنا أوّل ما عثرنا على ذلك . وهي : موقع مظلّ في مؤخرة المسجد شمالاً ، كما عليه اليوم عند باب جبرئيل .

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال : إنّ جويبر كان رجلاً من أهل اليمامة قصيراً دميماً محتاجاً عارياً من قباح السودان ، أتى رسول الله ﷺ منتجعاً للإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه ،

← ذلك رسول الله ، وللشيخ الصدوق بعض التحقيق حول هذا الخبر وتصحيحه ، فراجعه .

ويذكر بأن فوات صلاة العصر من علي عليه السلام لرقدة النبي ﷺ في حجره ، واستجابة دعاء النبي بردّ الشمس لأداء صلاة علي عليه السلام كانت في سفر تصفيته قبل هذا ، ولعلّ الله أراد بهذا الحدث هنا أن يقول للملأ : إنّ تلك التي حصلت لعلي عليه السلام إنّما هي قضية في واقعة ، ويمكن أن تفوت الصلاة بغير معصية من الوصي بل وحتى من النبي ، ولا يتوقع أحد ردّ الشمس لأداء صلاته بل يقضيها .

(١) مغازي الواقدي ٢ : ١١٣ ضنّ : شحّ وبخل ، وعزّ ونقل عليه ذلك .

فكساه رسول الله شطّتين وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل لحال غربته وعراه، وكان يجري عليه طعاماً صاعاً من تمر. ثم كثر من دخل في الإسلام من أهل الحاجة من الغرباء بالمدينة حتى ضاق بهم المسجد، فأوحى الله إلى نبيه أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، فأمر رسول الله ﷺ أن يتخذ للمسلمين سقيفة ـ هي الصُّفّة ـ فعُملت لهم، فأمر الغرباء والمساكين أن يظلوا فيها ليلهم ونهارهم، فاجتمعوا فيها. وكان رسول الله يتعاهدهم بالبر والشعير والتمر والزبيب إن كان عنده، ويتعاهدهم المسلمون ويرقون عليهم لرقة رسول الله لهم ويصرفون صدقاتهم إليهم[2].

ومناسبة ذكرها هنا نزول أبي هريرة وقومه من دَوْس من أزد يمن وهم ثمانون رجلاً ومعهم الأشعريون الخمسون الذين أسهم لهم النبيّ في غنائم خيبر. والفصل في وصف الصُّفّة يعود بالعمدة إلى أبي هريرة منهم وإن كانوا غير قليل. فعنه قال: رأيت سبعين من أصحاب الصُّفّة وما منهم رجل عليه رداء، وإمّا عليه إزار، وإمّا كساء ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ الكعبين، ومنها ما يبلغ نصف الساقين فيجمعه بيده لئلّا ترى عورته[3]. وكنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله فيأمر كل رجل لينصرف برجل منّا أو أكثر[4]! ومع ذلك قال: إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه من المسجد فمرّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله،

---

(١) وهنا في الخبر ومناسبة للأبواب فيما في عدد من أخبار سدّ الأبواب حضور العباس واعتراضه، وهو إنما حضر بعد حرب تبوك في التاسعة لا قبلها، فأجّلناه إلى هناك.

(٢) فروع الكافي ٥: ٣٣٩، الباب ٢١ الحديث ١ وفيه تمام خبر عرس جويبر.

(٣) صحيح البخاري ١: ٤١٦

(٤) صحيح البخاري ١: ٢٣٨

وما سألته إلّا ليستتبعني، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله وما سألته إلّا ليشبعني، فلم يفعل... فمشيتُ غير بعيد فخررتُ لوجهي من الجهد والجوع[2]. ولقد رأيتني وإنّي لأخرّ فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أنّي مجنون، وما بي إلّا الجوع![3] وقال: (وإنّما) كنت أستقرئ الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيُطعمني. وكان خيرَ الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيُطعمنا ما كان في بيته[4] وهنا فهو يقول فيه: ما وطئ التراب ولا احتذى النعال ولا ركب المطايا (أحد) بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب[5].

ولا نجد كهذا وصفاً لأصحاب الصُفّة إلّا ما عن واثلة بن الأسقع قال: كنتُ من أصحاب الصُفّة وما منّا إنسان يجد ثوباً تامّاً، قد جعل الغبار والعرق في جلودنا طرقاً[6].

في دار النبيّ بعد خيبر:

بعد رجوع النبيّ ﷺ من خيبر، ومعه جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، دخلت أسماء على حفصة بنت عمر بن الخطّاب تزورها، فدخل على حفصة

---

(1) فتح الباري ١١: ٢٣٦ و ٢٣٧

(2) فتح الباري ٩: ٤٢٨.

(3) فتح الباري ١٣: ٢٥٩، ٢٦٠.

(4) فتح الباري ٧: ٦١ و ٦٢

(5) سير أعلام النبلاء ١: ١٥٨ عن الترمذي والنسائي.

(6) أنساب الأشراف ١: ٧٢. وانظر التفاصيل في أبي هريرة، شيخ المضيرة لأبي ريّة: ٣٧ فما بعد ط ٣.

أبوها عمر يزورها، وعندها أسماء، فقال لابنته: من هذه؟ قالت: هي أسماء بنت عميس. فقال: هذه الحبشية؟! هذه البحرية؟! ثم قال لها: قد سبقناكم بالهجرة فنحن أحقّ برسول الله منكم! فقالت أسماء: كلّا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم! وكنّا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلته لي لرسول الله وأسأله عنه! وإنّي لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

ثم أتت النبيّ فقالت له: يا رسول الله، إنّ عمر بن الخطّاب قال لي كذا وكذا. فقال لها: ما قلتِ له؟ فأخبرته بمقالتها، فقال لها: إنّه ليس بأحقّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرة، ولكم أهل السفينة هجرتان[1].

وصول مارية وهدايا المُقوقس

قال الواقدي: وفي ذي الحجة سنة ٧، قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المُقوقس، بمارية، وأختها سيرين، ومعها خصيّ، وقد دعاهما حاطب إلى الإسلام فأسلمتا.

فبعث النبيّ بسيرين إلى حسّان بن ثابت[2] وأخذ مارية لنفسه فأنزلها على أُم سُليم بنت ملحان[3] ثم اتّخذ لها المشربة، وهي مزرعة فيها جُمّيزة وبقل.

وكانت الأخبار قد انتشرت باستيلاء النبيّ على الكنز المشهور في خيبر لآل أبي الحُقيق زعيم اليهود، وطمع به أزواجه

---

(١) فقه السنة عن البخاري ومسلم.

(٢) فولدت له عبد الرحمن بن حسّان.

(٣) الطبري ٣: ٢١، ٢٢ وهي أُم أنس بن مالك خادم النبيّ وصاحبه. ابن هشام ٣: ٣٥٤ والواقدي ٢: ٩٠٢ وكانت مع النبيّ في خيبر، وهي التي مشّطت له صفية، فلعل ترك مارية عندها لذلك أيضاً.

قال القمي في تفسيره: لما رجع رسول الله ﷺ من غزاة خيبر وقد أصاب كنز آل أبي الحُقيق قال له أزواجه: أعطنا مما أصبت!

فقال لهنّ رسول الله: قسّمته بين المسلمين على ما أمر الله!

فغضبن من ذلك وقلن: لعلك ترى أنك إن طلّقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوّجونا؟!

فأنف الله لرسوله، فأمره أن يعتزلهن!

فاعتزلهن رسول الله في مشربة أمّ إبراهيم (وهي مارية القبطية) تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن. ثم أنزل الله هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾

فلما قرأها عليهنّ قامت أمّ سلمة أول من قامت وقالت: قد اخترت الله ورسوله. فقمن كلهنّ فعانقنه وقلن مثل ذلك[1].

---

(1) تفسير القمي ٢: ١٩٢ والآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الأحزاب، وهي التسعون في النزول و ٤ و ٥ من مدنيات التمهيد ١: ١٠٦. وقد مرّ الحديث عن الآيات السابقة في نزول من القرآن في حرب الأحزاب ثم بني قريظة، وأخّرت الخبر عن هذه الآيات إلى هنا بعد خيبر بناءً على خبر القمي.

والطوسي حكى عن عكرمة: أنه كانت له يومئذٍ تسع نسوة: من قريش: سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة، وأُم سلمة بنت أبي أُمية، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان. ومن غير قريش: زينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وصفية بنت حُيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث. التبيان ٨: ٣٣٥. ←

وقد نقل الطبرسي عن مقاتل قال: لما رجعت أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة، قالت لنساء رسول الله: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا.

فأتت رسول الله فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار!

فقال ﷺ: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال

---

* وروي في سبب نزول هذه الآية: أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئاً، فسألت سودة قطيفة خيبرية، وسألت حفصة ثوباً من ثياب مصر (وهو من هدايا المقوقس)، وسألت أم سلمة ستراً، وسألت زينب بنت جحش بُرداً يمانياً، وسألت جويرية معجراً، وسألت أم حبيبة ثوباً سحولياً، وسألت ميمونة حلة. التبيان ٨: ٣٢٤. وقال الطبرسي: قال المفسرون: إن أزواج النبيّ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن من بعض، فآلى رسول الله منهن شهراً، فنزلت آية التخيير وهي قوله: ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ وكن يومئذٍ تسعاً: سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فهؤلاء من قريش. وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية. مجمع البيان ٨: ٥٥٤.

ونقل عن ابن زيد أن الآية نزلت حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبيّ، وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهراً، حتى نزلت آية التخيير فأمره الله أن يخيّرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلّي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهنّ أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً، وعلى أنه يؤوي من يشاء منهنّ ويرجي من يشاء منهن، ويرضين به قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن، أو فضّل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة، أو سوّى بينهنّ، فالأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء. فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط. وهذا من خصائصه. مجمع البيان ٨: ٥٧٣.

فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[1] وهي الآية ٣٥ من الأحزاب، وهذا مما يؤيد نزول السورة أو هذه الآيات بعد خيبر.

وقد ورد في أخبار آية التخيير ٢٨ من سورة الأحزاب أن من أزواجه حين التخيير زينب بنت جحش الأسدية ابنة عمته، التي تزوجها بعد طلاقها من زوجها زيد بن حارثة الشيباني. مما يقتضي نزول الآية بعد ذلك.

نزول سورة الرعد:

وهي السورة الرابعة والسبعون في النزول والثالثة عشر في النزول بالمدينة، وفيها قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾[2]

وفي «أسباب النزول» للواحدي: عن الكلبي قال: عيّرت اليهود رسول الله فقالت: ما نرى لهذا الرجل مهمّة إلّا النكاح والنساء! ولو كان نبيّاً ـ كما زعم ـ لشغله أمر النبوّة عن النساء! فأنزل الله تعالى الآية[3].

وهذا يناسب ما بعد خيبر، حيث أُضيف إلى أزواجه الأُوَل: سودة وعائشة وحفصة وأُمّ سلمة وزينب بنت جحش، نساء من اليهود: ريحانة بنت زيد بعد غزوة بني قريظة، وجويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق، وصفية بنت حيي بن أخطب النضري الخيبرية، مع وصول مارية القبطية.

وروى الواقدي بسنده عن أُمّ عبد الله مزينة عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب

---

(١) مجمع البيان ٩: ٥٦٠ وأسباب النزول للواحدي: ٢٩٦.

(٢) الرعد: ٣٨.

(٣) أسباب النزول: ٢٢٥ وأشار إليه القمي في تفسيره ١: ٣٦٣ ومجمع البيان ٦: ٤٥٧.

قالت: دخل عليّ رسول الله يوماً وأنا أبكي، فقال لي: ما لكِ؟ وكان يلطف بي ويكرمني، فقلتُ له: أزواجك يقلن لي: يا بنت اليهودي ويفخرن عليّ! فغضب رسول الله وقال: إذا فاخروك أو قالوا لك ذلك فقولي لهنّ: أبي هارون، وعمّي موسى[1].

تاريخ حرب خيبر

قال ابن إسحاق: رجع رسول الله من الحُديبية في ذي الحجة فأقام بالمدينة [بقيّة] ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم[2] وبه قال الطبري[3] والمسعودي[4].

وذكر الطبْرسي مدة محاصرتهم فقال: حاصرهم رسول الله بضعاً وعشرين ليلة. ذكر الواقدي: أنّها كانت أول سنة سبع من الهجرة[5].

وروى الواقدي عن رواته قالوا: أقام رسول الله بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم، وخرج في صفر سنة سبع. ثم قال: ويقال: لهلال ربيع الأوّل[6] وأقام بالرجيع سبعة أيام[7] وعلى حصن النطاة عشرة أيام[8] وعلى حصن الصّعب بن مُعاذ

(1) مغازي الواقدي 2: 675.

(2) سيرة ابن هشام 3: 342.

(3) الطبري 2: 657 و3: 9 عن ابن إسحاق نفسه.

(4) التنبيه والإشراف: 222.

(5) إعلام الورى 1: 207.

(6) مغازي الواقدي 2: 634.

(7) المصدر نفسه: 645 و647 و687.

(8) المصدر نفسه: 659.

ثلاثة أيام[1] ثم تقدموا أكثر من شهر[2] منها ثلاثة أيام محاصرة قلعة الزبير[3] وحاصرهم في الكتيبة ـ وفيها القموص ـ والوطيح والسلالم أربعة عشر يوماً[4] فلعله خرج في منتصف محرم ورجع هلال ربيع الأوّل.

وقد مرّ في آخر السنة السادسة خبر الطبري عن الواقدي في إرسال رسل رسول الله إلى الملوك والأمراء في ذي الحجة، ومنهم دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر الروم[5] واستبعدنا أن يكون سفره في ذي الحجة وقد قصد خيبر[6] فرجّحنا تأجيل خبره إلى ما بعد خيبر بل بعد خبر رجوعه من الشام مستتبعاً سرية زيد بن حارثة إلى حِسمى في جمادى الآخرة سنة (سبع)[7] وحيث إنّ كتاب النبيّ إلى فارس كان إلى خسرو پرويز.

وقد نقل الطبري عن الواقدي أنّ قتل خسرو پرويز كان لعشر مضين أو بقين من جمادى الأُولى سنة سبع[8]، إذاً فيبدو أنّ كتابه إلى فارس كان قبل الروم، فنبدأ به.

---

(١) المصدر نفسه: ٦٦٠ و ٦٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ٦٧٠.

(٥) الطبري ٢: ٦٤٤.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٦٧٤ وابن هشام ٣: ٢٤٥.

(٧) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٥ وفيه سنة ست خطأ، فإنّ الكتب كانت في السابعة.

(٨) الطبري ٢: ٦٥٦.

وكتب إلى كسرى :

وكسرى مُعرَّب كلمة «خسرو» بالفارسية بمعنى العظيم، وليس علَماً لأحدهم وإنّما هو لقب عام للملوك الساسانيين. وكسرى هذا الذي كتب إليه النبي ﷺ هو خسرو پرويز بن هرمز الساساني كما سيأتي:

روى الطبري عن ابن اسحاق وليس في السيرة عن يزيد بن حبيب قال: بعث رسول الله عبد الله بن حُذافة السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. وأدعوك بدعاء الله، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأُنذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين! فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنّ إثم المجوس عليك!

فلما قدم عبد الله بن حُذافة بكتاب رسول الله على كسرى، وقرأه، شقّه[1] وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي! ثم كتب كسرى إلى باذان ـ على اليمن ـ أن ابعث على هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به.

فبعث باذان قهرمانه بابويه وكان حاسباً وكاتباً بكتاب فارس، ورجلاً آخر يدعى خرخسرو، وكتب معهما إلى رسول الله يأمره أن يذهب معهما إلى كسرى فخرجا حتى قدما الطائف، فعرف خبرهما رجال من قريش كانوا بالطائف ففرحوا واستبشروا وقال بعضهم لبعض: أبشروا! فقد نصب له كسرى ملك

---

[1] وقال اليعقوبي: قبل أن وصل إليه الكتاب، وكان قدر ذراع أدم قدّه شبوراً ـ أي طولاً ـ اليعقوبي ٢: ٧٧.

الملوك! فخرجا حتى قدما المدينة ودخلا على رسول الله، وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فظهر الكُره على رسول الله. وتكلم بابويه فقال: إنّ الشاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي. فإن فعلت كتب (باذان) إلى ملك الملوك يكفّه عنك ويمنعك! وإن أبيت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك! وأقبل رسول الله عليهما فقال: ويلكما! من أمركما بهذا؟! (أي حلق لحاهما)، فقالا: ربّنا ـ يعنيان كسرى[1] ـ أمرنا بهذا. فقال رسول الله: لكنّ ربّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً.

وأتى رسولَ الله الخبر من السماء: أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله بعدما مضى كذا من ليلة كذا في شهر كذا. فدعاهما فأخبرهما. فقالا: إنّا كنّا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فهل تدري ما تقول؟! أفنكتب عنك هذا ونخبر به الملك؟. فقال: نعم، أخبراه بذلك عنّي وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر. وقولا له: إنّك إن تسلم أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك من الأبناء[2]. ثم أخذ منطقة فيها قطع من ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك[3] فأعطاها إلى خرخسرو، وخرجا من عنده

(١) أو باذان، أو باذي، حسب الأصل الفارسي، أو باذام، كما في المسعودي. وذلك لأنّ كسرى نفسه كان ملتحياً كما في صوره على مسكوكاته النقدية. وانظر المصادر في هامش الصفحة ١٠٠ من العدد ٤ من السنة الأولى لمجلة وقف ميراث جاويدان بالفارسية.

(٢) الأبناء: أبناء الجيش الساساني المرسل مع سيف بن ذي يزن لإنقاذ اليمن من الأحباش، المولّدون في اليمن والمستعربون فيه.

(٣) لعلّها من هدايا المقوقس المصري أو النجاشي الحبشي.

فلما قدما على باذان أخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، فلننتظرنّ ما قال، فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام فإنّه لنبيٌّ مرسل، وإن لم يكن، فسنرى فيه رأينا.

وقال بابويه لباذان: وما كلّمت رجلاً قطّ أهيب عندي منه! فقال له باذان: هل كانت معه شرطة؟ قال: لا. فلم ينشب باذان من مقدمه حتى قدم عليه كتاب شيرويه:

أما بعد، فإنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلّا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم، وتجميرهم[1] في ثغورهم. فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممّن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك، فلا تُهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلمّا قرأ الكتاب قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ! فأسلم، وأسلم من كان معه باليمن من أبناء فارس. ولما رجع عبد الله بن حُذافة وأخبر رسول الله أنّ كسرى قد شقّ الكتاب، قال: مُزّق ملكه!

قال الواقدي: وكان قتلُ شيرويه أباه كسرى لستّ ساعات (؟!) مضين من ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين (أو بقين) من جُمادى الأولى من سنة سبع[2].

---

(١) التجمير: الحبس في الثغور.

(٢) الطبري ٢: ٦٥٤ ـ ٦٥٧ وانظر سائر المصادر في كتاب: مكاتيب الرسول ١: ٩٠ ـ ٩٧ ونقل مختصر الخبر الحلبي في المناقب ١: ٧٩، ٨٠ عن محاضرات المعتبري وأعلام النبوة للماوردي. والمجلسي في بحار الأنوار ٢٠: ٣٨٩ ـ ٣٩١ عن المنتقى للكازروني عن ابن إسحاق كما في الطبري. وانظر بالفارسية بحثاً ضافياً فيه في مجلة «وقف ميراث جاويدان» ٤: ٩١ ـ ١٠١.

←

تذكير بمناسبة :

مرّ في معنى «الفتح» في نزول «سورة الفتح» عند صلح الحديبية أنّه ظهر معه مصداق قوله سبحانه: ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾[1]. وعن المسعودي: أنّ القائد الفارسي شهر براز صاحب پرويز انكشف هو ومن معه من الفرس عن الروم[2] فأغارت الروم على مملكة الفرس في العراق فقتلت وسبت. على خلاف بينه وبين ابن العبري حيث قال المسعودي: إنّ پرويز احتال على هرقل بحيلة ردّه بها عن مدينته (طيسفون = المدائن) إلى القسطنطينية[3] بينما أضاف ابن العبري: أنّ هرقل والروم فتحوا مدينة كِسرى (مدائن كِسرى - طيسفون) وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا[4].

والهزيمة المادية تلازم هزيمة معنوية، فلعلّ رسول الله رآها فرصة مناسبة لدعوة پرويز المستكبر المنكسر إلى التخلّي عن دينه المنهزم لقبول الإسلام.

---

* وفي خلال الحرب العالمية الأُولى عُرض جلد مدبوغ قديم ٢١×٣٦ سم وقد مسّ بطوله وفيه خمسة عشر سطراً بتوقيع: محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، اشتراه هنري فرعون وزير خارجية لبنان الأسبق بمبلغ ١٥٠ ليرة ذهبية (عثمانية ظ) وهو لا زال في خزانته النفيسة في بيروت. وقد أرّخوا لقتل پرويز بالميلادي ٦٢٨ وهو يوافق أواخر السنة السادسة وأوائل السابعة للهجرة.

(١) الروم: ٣ ـ ٥.

(٢) التنبيه والإشراف: ٢٢٢.

(٣) التنبيه والإشراف: ١٢٥.

(٤) تاريخ مختصر الدول: ٩٢.

وأيضاً رأى من المناسب أن يدعو النصارى إلى دينه، ليقول لهم وللمشركين إنّ فرح المؤمنين بانتصارهم على عدوّهم الفرس ليس ادعاءً بالحق لهم، إلّا نسبيّاً. ولعلّ دعوته للنصارى ـ حاشا النجاشي ـ كانت بعد تشديده على أندادهم اليهود وانتصاره عليهم، كخطة قوية له، وتقريباً للنصارى.

دعاة الإسلام في الشام

روى الطبري عن الواقدي: أنّ رسول الله بعث الرسل، فبعث شجاع بن وهب الأسدي القرشي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني[1] وكتب معه إليه: سلام على من اتّبع الهدى وآمن به، إنّي أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك! فلما قدم شجاع بن وهب وقرأه عليهم قال: من ينزع منّي ملكي![2] وعمّا قبل وصول الرسول إلى هرقل: دحية بن خليفة الكلبي

روى الطبري عن ابن إسحاق عن ابن شهاب الزهري عن ابن عباس عن أبي سفيان قال: كانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله خرجت في نفر تجّار من قريش إلى غزّة في الشام، وكان الفرس قد استلبوا من هرقل (فيما سلبوا) صليبه الأعظم (من بيت المقدس) فقدمنا غزّة حين غلب هرقل على من كان بأرضه من فارس وانتزع منهم صليبه الأعظم وأخرجهم منها،

(1) الطبري ٢: ٦٤٤ ونقل عن ابن إسحاق: أنّه بعثه إلى المنذر بن الحارث صاحب دمشق ٢: ٦٥٢.

(2) الطبري ٢: ٦٥٢ فروى عن النبيّ أنه قال: باد ملكه. وقد ذكرنا خبره قبل حرب خيبر، وإنّما أعدنا مختصر خبره هنا للارتباط.

وكان منزله في حمص، فلما بلغه أن جنده قد نصروه، خرج منها يمشي على قدميه ليصلّي في بيت المقدس مشكراً لله[1] ومعه بطارقته وأشراف الروم، تُبسط له البسط وتُلقى عليها الرياحين، حتى انتهى إلى مدينة ايلياء (القدس) فقضى صلاته فيها.

وكانت الملوك تتهادى فيما بينها الأخبار، فبينا هم كذلك، إذ أتاه رسول صاحب بُصرى برجل من العرب يقوده، حتى قال لهرقل: أيها الملك، إنّ هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل، يحدّث عن أمرٍ عجب حدث ببلاده، فسله عنه. فقال هرقل لترجمانه: سله: ما هذا الحدث الذي كان ببلاده؟ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبيّ، قد صدّقه ووافقه ناس وخالفه ناس، وكانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، وقد تركتهم على ذلك.

فدعا هرقل صاحب شرطته فقال له: قلّب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل ـ يعني النبيّ ـ محمد. صاحب صاحب شرطته ونحن في غزة فقال لنا: أنتم من قوم هذا الرجل الذي ظهر بالحجاز؟ قلنا: نعم، فقال: انطلقوا بنا إلى الملك. فلما انتهينا إليه قال لنا: أنتم من رهط هذا الرجل (الذي ظهر في الحجاز)؟ قلنا: نعم، فقال: فأيّكم أمسّ به رحماً؟ قلت: أنا (فلعلّه كان بعد مصاهرته به) فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابه خلفي ثم قال لهم (على لسان الترجمان): إنّي سأسأله، فإن كذب فردّوا عليه. فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي! أنبئني عمّا أسألك من شأنه. قلت: سل عمّا بدا لك. قال:

---

(١) ونقله ابن سعد في الطبقات ١: ٢٥٩ وفي سيرة دحلان بهامش الحلبية ٣: ٦٤ والحلبية ٣: ٢٧٦.

كيف نسبه فيكم؟ قلت: محضٌ، أوسطنا نسباً[١]. قال: فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبّه به؟ قلتُ: لا. قال: فهل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه؟ قلت: لا. قال: فأخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قلت: الضّعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، وأمّا ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمّن تبعه أيحبّه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه.

قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: سجالٌ تُدال علينا ونُدال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في هُدنة ولا نأمن غدره!

فقال: سألتك: كيف نسبه فيكم؟ فزعمت أنّه محضٌ من أوسطكم نسباً، وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه، لا يأخذه إلّا من أوسط قومه نسباً. وسألتك: هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبّه به، فزعمت أن لا. وسألتك: هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه؟ فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. وسألتك عمّن يتبعه أيحبّه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا.

فلئن كنتَ صدقتني عنه ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين! ولوددتُ أنّي عنده فأغسل قدميه. ثم قال لي: انطلق لشأنك. فقمت من عنده والتفتُّ إلى

---

(١) الأوسط هنا من قبيل قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أكبرهم، ذلك أنّ وسط الحسن والحسن والشعر والشعر بمثابة أعلاه، ومنه قوله سبحانه: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ بمعنى قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لا الوسط بمعنى بين بين.

أصحابي وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول: عبادَ الله لقد أمِر (أو اشتدّ) أمر ابن أبي كبشة! أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام. ثم قدم عليه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله إليه، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتّبع الهدى. أما بعد، أسلم تسلَم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن تتولَّ فإنّ إثم الأكّارين عليك[1].

ثم روى الطبري عن ابن إسحاق عن شيخ كبير من أهل الشام (يبدو أنّه كان نصرانياً وقد أسلم)، كان يقول: لما بلغ هرقل أمر رسول الله، جمع الروم فقال لهم: يا معشر الروم، إنّي عارض عليكم أموراً فانظروا فيمَ قد أردتها! قالوا: وما هي؟ قال: تعلمون ـ والله ـ أنّ هذا الرجل لنبيّ مرسل، نعرفه بصفته التي وُصف لنا في كتابنا، فهلمّ فلنتّبعه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا!

فقالوا: نحن نكون تحت يدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثرهم رجالاً وأفضلهم بلداً؟! فقال: فأعطيه الجزية فأستريح من حربه وأكسر شوكته بمال أُعطيه. فقالوا: نحن نعطي العرب خرجاً يأخذونه منّا بالذلّ والصغار؟! ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمهم ملكاً وأمنعهم بلداً!

قال الشامي: وكانت الشام عندهم ما وراء الدرب، وما دون الدرب أرض سورية وهي حمص ودمشق والأردن وفلسطين. فقال هرقل لهم: فلأُصالحه على أن أترك له أرض سورية، ويدعنا وأرض الشام. فقالوا: نحن نعطيه أرض

---

(1) الطبري ٢: ٦٤٦ ـ ٦٤٩ بتصرف يسير، وفي آخر الخبر: الأكّارين يعني عشاره، أي من هم محسوبون عليه. وليس الخبر في سيرة ابن هشام. وانظر المصادر في مكاتيب الرسول ١: ١٠٥ ـ ١١٢.

سورية وهي سُرّة الشام؟! لا نفعل ذلك أبداً. فقال لهم: أما والله لترونّ أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم.

ثم انطلق إلى القسطنطينية حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية، سلام وداع[1].

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله دحية بن خليفة الكلبي إلى صاحب الروم قيصر، ومعه تجارة له. ولما قدم دحية من عند قيصر ومعه تجارته[2]، حتى إذا كان بوادي شنار أغار عليه الهُنيد الضُّلَعي الجُذامي من غطفان[3] ومعه ابنه، فأصابا كل شيء كان معه[4].

وقد مرّ بنا خبر خيبر أن رفاعة بن زيد الجُذامي الضُّبَيبي من غطفان كان قد قدم على قومه يدعوهم إلى الإسلام فأجابه جمع منهم. فلما بلغ خبر نهب دحية من كان قد أسلم وأجاب رفاعة بن زيد من قومه من الضُّبَيب، نفروا إلى الهُنيد وابنه حتى لقوهما فاستنقذوا ما كان لديهما من مال دحية فردّوه عليه، فخرج دحية إلى المدينة[5]. فروى الواقدي: أنّه انتهى إلى باب رسول الله قبل أن يدخل بيته، فدقّ الباب، فقال رسول الله: من هذا؟ فقال: دحية الكلبي. قال: ادخل. فدخل،

---

(١) الطبري ٢: ٦٥١ ونصّ الخبر في سيرة ابن هشام. ونقل المحقق الأحمدي مختصر هذا الخبر عن مسند الإمام أحمد ٤: ٧٥ وقال: ومن المعلوم أنّ هذه الفصول الثلاث لم تكن في الكتاب الأوّل بل هي المرة الثانية في السنة التاسعة من تبوك. مكاتيب الرسول ١: ١١٥ و١١٣ وفي ٨: ١ أنّ دحية كان يتّجر إلى الشام ولذلك اختاره النبي رسولاً إليه.

(٢) وروى الواقدي: أنّ قيصر قد أجاز دحية بكسوة ومال ١: ٥٥٥.

(٣) يذكر هنا بخبرهم يوم خيبر أنهم كانوا قد أجابوا دعوة اليهود بنصرتهم على المسلمين.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦٠.

(٥) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦٠، ٢٦١.

فاستخبره رسول الله عما كان من هرقل، فأخبره حتى أتى على آخر ذلك. ثم قال: يا رسول الله، أقبلت من عنده حتى كنت في حِسمى فأغار عليّ قوم من جذام فما تركوا معي شيئاً، وذكر خبره للنبيّ، ثم طلب إليه قتل الهُنيد وابنه. فأمر النبيّ بالمسير إليهم، فخرج لذلك زيد بن حارثة، في جمادى الآخرة سنة (سبع[1]).

سريّة زيد إلى حسمى:

بعثه رسول الله مع دحية الكلبي في خمسمئة رجل يسيرون الليل ويكمنون النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، فأقبل به دليله العذري من قِبَل الأولاج[2] من ناحية حرّة الرَّجلاء.

وقد كانت غطفان من جذام ووائل ومن كان معهم من سلامان وسعد بن هُذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله، قد توجّهوا إليه حتى نزلوا حرّة الرّجلاء. وكان رفاعة بن زيد مع ناس من بني الضُّبيب في كُرَاع ربّة[3] فأغار الدليل بزيد وجيشه على هؤلاء بالماقص من قِبَل الحرّة[4] مع الصباح، على ماشيتهم ونَعَمهم، وقتلوا الهُنيد وابنه، وأكثروا فيهم القتل، وفرّ الرجال، فسبوا من النساء والصبيان مئة، وأخذوا من النَّعَم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة[5] فصار

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٥ وفيه: سنة ست. بينما اعزام دحية إلى قيصر الروم في الشام لم يكن في سنة ست بل سبع.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٧.

(٣) أو رُؤية كما في الواقدي. والكُراع هو الجانب المستطيل من الحرّة، كما في النهاية ٤: ١٦٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦١.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٨.

لكن رحل سبعة نفر وسبعون شاة، ووطئوا النساء بعد الاستبراء.

قال ابن إسحاق: وكان بنو الضُّبيب بوادي مدان من ناحية الحرّة مما يسيل مشرّقاً. وصل الجيش إلى فيفاء مدان، وسمع بذلك بنو الضّبيب، فركب نفر منهم وانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش وكان منهم حسّان بن مِلّة الضُّبيبي قد صحب دحية بن خليفة الكلبي قبل ذلك فعلّمه أُمّ الكتاب. فلما برزوا على الجيش قدموا يتقدرون إليهم، فقال لهم حسّان: إنّا قوم مسلمون. فسبقهم رجل إلى زيد بن حارثة، فقال له حسان: إنّا قوم مسلمون. فقال له زيد: فاقرؤوا أُمّ الكتاب، فقرأها حسان. فقام زيد بن حارثة فنادى في الجيش: أنّ الله قد حرّم علينا ثُغرة القوم التي جاؤوا منها إلّا من ختر (أي غدر)، فنهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه. فرجعوا إلى أهليهم [illegible].

وفي عَتَمة الليل شربوا من ألبان إبلهم ثم ركبوا إلى رفاعة بن زيد على بئر بكراع رِبّة في ظهر حرّة ليلى، فوصلوا إليه صباحاً، فقال له حسّان بن مِلّة: إنّك جالس تحلب المِعزى وقد غُرّرت جُذام بكتابك الذي جئتهم به، وها هي نساء جُذام أُسارى! وأخبروه خبرهم.

فقام رفاعة بن زيد إلى جمله فشدّ عليه رحله، ثم ساروا إلى المدينة في ثلاث ليالٍ، وانتهوا إلى المسجد، فلما دخلوا على رسول الله ورآهم أشار إليهم أن تأتوه من وراء الناس، فلما وصلوا إليه دفع رفاعة بن زيد إلى رسول الله كتاباً، فدفعه النبيّ إلى شاب لديه وقال له: اقرأه يا غلام وأعلن. فلما قرأ الكتاب استخبره،

(١) مغازي الواقدي ٢: ٥٦، هذا، وقد عرفت أن عددهم خمسمائة رجل، فالقياس أن لا يحصل لكل رجل إلّا بعير وحصص شاة لا أكثر، ولا غرض في الخبر بعشر له من السبي لمرأة وامرأتان. وقد ذكر أن مجموع النساء والصبيان مئة! فكيف التوفيق؟.

فأخبروه الخبر. فقال رسول الله: كيف أصنع بلقتي؟ فسكتوا، فكرّرها فقال أبو زيد بن عمرو: يا رسول الله أطلق لنا من حيا، ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال رسول الله: صدق أبو زيد. ثم التفت إلى علي وقال له: اركب معهم يا علي فقال له علي: إنّ زيداً لن يطيعني يا رسول الله! فقال: خذ سيفي هذا، وأعطاه سيفه فقال علي: ليس لي ـ يا رسول الله ـ راحلة أركبها[1].

فقال بعض القوم: هذا بعير فركبوا وخرجوا. وكان زيد بن حارثة قد بعث رافع بن مكيث بشيراً بين يديه إلى النبي ﷺ على ناقة من الغنيمة، فأمره علي عليه السلام بالنزول عنها وردّها عليهم، فقال: يا علي ما شأني؟ فقال عليه السلام: مالُهم عرفوه فأخذوه. وأردفه علي عليه السلام خلفه، ثم ساروا حتى التقوا بالجيش في فيفاء الفحلتين.

فلقي علي عليه السلام زيد بن حارثة فقال له: إنّ رسول الله يأمرك أن تردّ على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسير أو سبي أو مال. فقال زيد: علامة من رسول الله. فقال علي: هذا سيفه! فعرف زيد السيف، فنزل وصاح بالناس أن اجتمعوا، فاجتمعوا، فقال لهم: من كان بيده شيء من سبي أو مال فليردّه فهذا رسولُ رسول الله[2]. فجعل بنو الضُّبيب يأخذون ما في أيدي أصحاب زيد بن حارثة، حتى أنّهم كانوا ينزعون لُبيد بعض النساء من تحت بعض رحال جيش[3].

وعليه، فخبر كتابه ﷺ مع دحية الكلبي إلى قيصر الروم بالشام نصّ خبر

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦١، ٢٦٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٥٥٩، ٥٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦٤ ومن طريف التحريف أو التصحيف أن العبارة في السيرة ينزعون لُبيد المرأة من تحت الرحل تصحّفت في مغازي الواقدي إلى: ليأخذون المرأة من تحت فخذ الرجل!

كتابه الآخر مع رفاعة بن زيد الضُّبيبي الجُذامي من غطفان إلى قومه بني الضُّبيب وجُذام ووائل وسعد بن هُذيم من غطفان، وأثر هذا الكتاب في إسلامهم ثمّ في إطلاق سراحهم وأموالهم.

والخبر وإن لم يأتِ بالنصّ على إسلام هذه القبائل من غطفان ما عدا بني الضُّبيب منهم، إلّا أنّ ظاهر الحال يشير إلى ذلك. وهناك قبائل أُخرى من غطفان أسلمت فيما بعد.

كتابه إلى أكثم بن صيفي التميمي:

وأما سائر كتبه ﷺ للدعوة إلى الإسلام فمنها ما هو معلوم التاريخ للسنة الثامنة حتى العاشرة، ومنها ما هو مجهول التاريخ ولكنّه مرجّح للإلحاق بما هو معلوم التاريخ. وإنّما بقي من مجهول التاريخ الذي يرجح تقديمه هنا كتابه إلى أكثم بن صيفي التميمي من حكماء العرب المعروفين. وقد روى خبره الصدوق في «كمال الدين» في الباب السابع والخمسين في المعمّرين، وقد أخبره بشعره قال:

وإنّ امرأً قد عاش تسعين حجّةً ... إلى مئةٍ لم يسأم العيش جاهل

خلت مئتان غير ستٍّ وأربع ... وذلك من عدّ الليالي قلائل

قال: ولم تكن العرب تقدّم عليه أحداً في الحكمة. ولمّا سمع رسول الله ﷺ طلب ابنه حليساً أن يبعثه ليعرف خبره، وقال له: يا بنيّ إذا قدمت على هذا الرجل فإنّي قد عرفته وعرفت نسبه، فهو في بيت قريش أعزّ العرب، وهو أحد الرجلين: إمّا ذو نفس أراد مُلكاً فخرج للمُلْك لعزّه فوقّره وشرّفه وقم بين يديه ولا تجلس إلّا بإذنه حيث يأمرك ويشير إليك، فإنّه -إن كان ذلك- أدفع لشرّه عنك وأقرب لخيره منك. وأمّا إن كان نبيّاً فإنّ الله لا يحبّ فيتوهّم ولا ينظر فيحتم، إنّما يأخذ الخيرة حيث يعلم، لا يخطئ فيستعتب، إنّما أمره على ما يحبّ، فستجد أمره كلّه

صالحاً وخبره كله صدقاً، وستجده متواضعاً في نفسه متذللاً لربه، فذل له، ولا تحدثن أمراً دونه، فإن الرسول إذا أحدث الأمر من عنده خرج من يدي الذي أرسله، واحتفظ بما يقول لك إذا ردّك إليّ، فإنك إن توهمت أو نسيت جشّمتني رسولاً غيرك. وكتب معه إليه:

«باسمك اللّهم، من العبد إلى العبد، أما بعد، فأبلغنا ما بلغك، فقد أتانا عنك خبر ما ندري ما أصله، فإن كنت رأيت فأرنا، وإن كنت عُلّمت فعلّمنا، وأشركنا في كنزك، والسلام»[1]

وذكر ابن حجر[2] وابن الأثير[3] وابن عبد البر[4]: أنه انتدب عنه رجلين (ولعلهما ابناه): حبيش وحليس، فلما وصلا إلى رسول الله قالا له: عن رسول أكثم ابن صيفي وهو يسألك: من أنت؟ وما أنت؟ وبم جئت؟ فقال ﷺ: أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5]

وذكروا: أن رسول الله كتب إليه:

«من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفي، أحمد الله إليك، إن الله تعالى أمرني أن أقول: لا إله إلا الله، وأمر الناس بقولها، والخلق خلق الله، والأمر كله لله، خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم وإليه المصير. أدبتكم بآداب المرسلين، ولتسألن عن النبأ العظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين»

---

(١) كمال الدين: ٥٣٠، ٥٣١ وكنز الفوائد ٢: ١٢٣.

(٢) في الإصابة ١: ١١٠.

(٣) في أسد الغابة ١: ١١٢.

(٤) في الاستيعاب: ١٢٨ في ترجمة الأحنف بن قيس التميمي.

(٥) النحل: ٩٠.

فلما رجعوا إليه بالكتاب قال لابنه: يا بني ماذا رأيت؟ قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها.

فجمع أكثم بن صيفي بني تميم ثم قال لهم: يا بني تميم، كبرت سنّي ودخلتني ذلة الكبر، فإن رأيتم منّي حسناً فأتوه، وإذا أنكرتم مني شيئاً فقوّموني للحق أستقم له. إنّ ابني قد جاءني، وقد شافه هذا الرجل، فرآه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ بمحاسن الأخلاق وينهى عن ملائمها، ويدعو أن يُعبد الله وحده وتُخلع الأوثان ويترك الحلف بالنيران، ويذكر أنه رسول الله، وإنّ قبله رسلاً لهم كتب.

وإنّ أحق الناس بمعاونة محمد ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعوكم إليه حقاً فهو لكم، وإن يكن باطلاً كنتم أحق من كفّ عنه وستر عليه. وقد علم ذوو الفضل منكم أنّ الفضل فيما يدعو إليه ويأمر به، فكونوا في أمره أولاً ولا تكونوا آخراً. اتبعوه تشرفوا وتكونوا سنام العرب، وأتوه طائعين من قبل أن تأتوه كارهين، فإنّي أرى أمراً ما هو بالهوينا لا يترك مصعداً إلّا صعده، ولا منصوباً إلّا بلغه. إنّ هذا الذي يدعو إليه إن لم يكن ديناً لكان في الأخلاق حسناً.

أطيعوني واتبعوا أمري، أسأل لكم ما لا ينزع منكم أبداً، إنكم أصبحتم أكثر العرب عدداً وأوسعهم بلداً، وإنّي لأرى أمراً لا يتبعه ذليل إلا عزّ، ولا يتركه عزيز إلّا ذلّ، اتبعوه تزدادوا مع عزكم عزاً، ولا يكون أحد مثلكم. إنّ الأول لا يدع للآخر شيئاً، وهذا شيء له ما بعده، فمن سبق إليه فهو الباقي واقتدى به التالي، فأصرموا أمركم فإنّ الصريمة قوة.

فقال مالك بن نويرة ـ وهو منهم ـ لقد خرف شيخكم! (ولم يسلم بعد) فقال أكثم: ويل للشجيّ من الخليّ[1] والله ما عليك آسى ولكن على العامة. ثم نادى

(١) كمال الدين: ٥٣١، ٥٣٢.

في قومه من يرحل معه، فتبعه منهم مئة رجل. فساروا حتى كانوا دون المدينة بأربع ليال وجهدهم العطش، وأيقن أكثرهم بالموت فقال لأصحابه: أقدموا على هذا الرجل واعلموا بأني أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّه رسول الله. وانظروا إن كان معه كتاب بإيضاح ما يقول فأسلموا به واتبعوه ووازروه. فقدموا المدينة وأسلموا

سرية ابن سعد إلى فدك:

أفاء الله على رسوله قرى فدك، وما أوجف المسلمون عليه بخيل ولاركاب، وسلّط الله رسوله عليهم وعلى قراهم وضياعهم ومزارعهم، فكانت لرسول الله خاصة.

ويرى أنّه ﷺ بلغه أنّ بعض الأعراب من بني مرّة، ولعلهم ممن حضر حرب الأحزاب، يرعون في بوادي فدك ولا يراعون له أمراً

قال الواقدي: فبعث ثلاثين رجلاً مع بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك[2] فخرج إليهم، فلقي أنعامهم معها رعاتها فساقها منحدراً إلى المدينة. وخرج صريخهم فأخبرهم، فأدركوهم ليلاً فباتوا يراموهم حتى الصباح، ثم حمل عليهم المرّيون فقاتل بشير بن سعد حتى جُرح وسقط وظنوا أنه قتل، وقُتل من قُتل وولّى من ولّى، ورجع المرّيون بأنعامهم. ورجع بشير، وقبله من أصحابه عُلبة بن زيد الحارثي وأخبر النبيّ

(١) جمهرة رسائل العرب عن شرح العيون: ١٤ وكذلك قال البكري الحكمي، وقال الصدوق: لا يشك الأكثر في أنّه لم يسلم. وقال ابن عبد البر: لم يصح إسلامه في حياة رسول الله. وانظر مكاتيب الرسول ١: ١٥٥ ـ ١٥٨.

(٢) وقال المسعودي: سرية بشير في شعبان إلى بني مرة بفدك. التنبيه والاشراف: ٢٢٧.

وقدم غالب بن عبد الله من سرية، فعقد النبي له اللواء وهيّأ معه مئتي رجل وقال له: سر حتى تنتهي إلى حيث أُصيب أصحاب بشير، فإن ظفّرك الله بهم فلا تُبق فيهم! وخرج غالب بالسرية فلما دنا منهم بعث عليهم الطلائع، فأوفى عُلبة بن زيد على جماعة منهم ورجع إلى غالب فأخبره. فأقبل غالب يسير ليلاً حتى إذا كان منهم بمنظر العين، وقد احتلبوا إبلهم وسقوها وأناخوها عند الماء، وهدؤوا، ثم قام غالب في أصحابه فألّف بين كل اثنين منهم وقال لهم: لا يفارق كل رجل زميله، وإياكم أن يرجع إليّ أحدكم فأقول: أين فلان صاحبك؟ فيقول: لا أدري! ثم قال لهم: إذا كبّرت فكبّروا، فكبّر وكبّروا، وأخرجوا السيوف وأخطوا عناصرهم، فخرج إليهم الرجال فقاتلوهم ساعة، فقتل منهم من قُتل، واستولوا على النساء والماشية، واقتسموها فكانت سهامهم لكل رجل عشرة أبعرة أو عدلها من الغنم، وكان يُحسب الجزور بعشرة من الغنم.

وافتقدوا أُسامة بن زيد، وكان قد خرج في إثر رجل منهم يُقال له نهيك بن مرداس، فلم يرجع إلّا بعد ساعة من الليل. قال الراوي: فلامه أميرنا لائمة شديدة وقال: ألم تر إلى ما عهدتُ إليك؟ فقال: إنّي خرجت في إثر رجل جعل يتهكّم بي، حتى إذا دنوت ولحمته بالسيف قال: لا إله إلّا الله. فقال أميرنا: أغمدتَ سيفك؟ قال: لا والله ما فعلتُ حتى أوردته الموت! فقلنا له: والله بئسما جئت به! تقتل امرأً يقول لا إله إلّا الله! فندم[1].

(1) مغازي الواقدي ٢: ٧٢٣ـ ٧٢٥ وفي ٧٢٣ قال: كان ذلك في شعبان. وقال المسعودي: في شهر رمضان إلى الميفعة وراء بطن نخل إلى ناحية النقرة مما يلي نجد على ثمانية بُرد من المدينة. التنبيه والإشراف: ٢٢٧. وثمانية بُرد = ١٨٠ كم تقريباً.

والقمي في تفسيره سمّى الرجل مرداس بن نهيك الفدكي اليهودي وقال: إنّه لما أحسّ بخيل رسول الله ﷺ جمع ماله وأهله وصار في ناحية الجبل، فمرّ به أسامة بن زيد، فجعل يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وطعنه أسامة فقتله. فلما رجع إلى رسول الله أخبره بذلك، فقال له رسول الله: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؟! فقال: يا رسول الله إنّما قال تعوّذاً من القتل! فقال رسول الله: فلا الغطاء عن قلبه شققت، ولا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت! فحلف أنه بعد ذلك لا يقتل أحداً شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله. وأنزل الله في ذلك: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدّنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾[1].

(1) النساء: ٩٤ والخبر في تفسير القمي ١: ١٤٨، ١٤٩ وفي آخره: فتخلّف أسامة عن أمير المؤمنين في حروبه. وروى الطوسي في التبيان ٣: ٢٩٠ عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام: أنّ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أخي أبي جهل لأمه، كان قد أسلم، وكان أخوه أبو جهل يعذّبه ومعه الحارث بن يزيد العامري، وكان في وثاق المشركين حتى يوم فتح مكة، فلقي حارثاً وقد أسلم وهو لا يعلم بإسلامه فقتله عياش. ونقله الطباطبائي في الميزان وعن الدر المنثور عن عكرمة: أنّ عياشاً هاجر فلقي الحارث في حرة المدينة وهو لا يعلم بإسلامه فقتله، ثم أخبر النبيّ فنزلت الآية فقال له النبيّ: قم فحرّر. ثم قال: وهذا أوفق بالاعتبار وأنسب لتاريخ نزول سورة النساء (الميزان ٥: ٤٢). وإنما نراه أوفق وأنسب بالنسبة إلى الآيات السابقة: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلّا أن يصّدّقوا فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أما مع الآية اللاحقة: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا..﴾ فلا وفق ولا تناسب.

سريتان إلى هوازن:

روى الواقدي بسنده عن سلَمَة بن إياس قال: أمّر رسول الله علينا أبا بكر وبعثه، فبيّتنا ناساً من هوازن في نجد، وكان شعارنا: أمت أمت، فقتلت بيدي منهم سبعة رجال أهل أبيات. وذلك في شعبان سنة سبع.

قال: وبعث أيضاً رسول الله عمر في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوازن ـ وهم بنو جُشَم وبنو نصر ـ في تُربة[1] ومعه دليل من بني هلال، فكانوا يسيرون

= ونقل الطوسي عن أبي زيد خبراً كخبر أسامة منسوباً إلى أبي الدرداء، وهو ما نقله الطبري في جامع البيان. ثم قال الطوسي: ويجوز في سبب نزول الآية كل واحد مما قيل: التبيان ٣: ٢٩٠، ٢٩١ ولم ينقل خبر أسامة.

أما الطبرسي في مجمع البيان ٣: ١٤٥ فقد بدأ بخبر أسامة وأشار إلى خبر أبي الدرداء وآخرين: صاحب السرية كان المقداد، ثم نقل عن ابن إسحاق والواقدي: أن الآية نزلت في محلّم بن جثّامة الليثي، وكان بينه وبين عامر بن الأضبط الأشجعي عداوة، فبعث النبيّ الليثي في سرية فلقي الأشجعي، فحيّاه الأشجعي بتحية الإسلام ولكن الليثي رماه بسهم فقتله، وطلب من النبيّ أن يستغفر له فقال له: لا غفر الله لك. فانصرف باكياً ثم مات بعد سبعة أيام فدفن فلفظته الأرض، فأُخبر النبيّ فقال: إنّ الأرض تقبل مَن هو شر من صاحبكم محلّم ولكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم. ونزلت الآية.

والطباطبائي في الميزان نقل الوجوه عن مجمع البيان، ثم قال: ولكن تخلف أسامة اعتذاراً إلى علي عليه السلام في تخلّفه عن حروبه معروف مذكور في كتب التاريخ ٥: ٤٥ يرى أن هذا مما يرجّح صحة خبر أسامة بن زيد. وابن إسحاق ذكر مختصر الخبر في سيرة ابن هشام ٤: ٢٧١.

[1] تُربة: موضع على أربع ليال من مكة على طريق صنعاء اليمن كما في ابن سعد ٢: ٨٥ والتنبيه والإشراف: ٢٢٧.

الليل ويكمنون النهار، ولكن خبرهم بلغ هوازن فهربوا فلم يلق عمر أحداً منهم، فانصرف راجعاً إلى المدينة[1].

سرية بشير إلى غطفان:

مرّ في أخبار خيبر: أن كنانة بن أبي الحُقيق أمير يهود خيبر كان قد سار إلى عُيينة بن حصن الغطفاني ومعه منهم أربعة آلاف[2] يدعوهم إلى نصرهم وهم نصف تمر خيبر تلك السنة[3] وأنهم أجابوهم حتى دخلوا معهم في حصن النطاة، ولكنهم خانوا فخانوهم[4].

وكان دليل الرسول إلى خيبر حُسيل بن نويرة الأشجعي، وبعد خيبر في سنة سبع كان في موضع الجناب[5] لغطفان وقدم المدينة على رسول الله، فسأله: من أين يا حُسيل؟ قال: قدمت من الجناب. فقال: وما وراءك؟ قال: تركت جمعاً من غطفان بالجناب قد بعث إليهم عُيينة بن حصن يقول لهم: إمّا تسيروا إلينا أو نسير إليكم؟ فأرسلوا إليه: أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعاً، فهم يريدونك أو بعض أطرافك! فقال أبو بكر وعمر: ابعث إليهم بشير بن سعد!

فدعا رسول الله بشيراً وعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمئة رجل، وأمرهم: أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار ـ وخرج معهم حُسيل بن نُويرة دليلاً ـ فساروا الليل

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٢٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٤٢.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٥٠.

(٥) قال المسعودي: سرية بشير في شوال إلى يُمن وجُبار نحو الجناب بعرض خيبر ووادي القرى. التنبيه والاشراف: ٢٢٨.

وكمنوا النهار حتى نزلوا منزل سَلاح أسفل خيبر، وخرجوا منه ودنوا من القوم، فقدّموا الدليل طليعة يأتيهم بالخبر، فغاب عنهم ساعة ثم كرّ عليهم فأخبرهم عن سَرْح القوم ونعمهم، فأغاروا عليها فأصابوا نعماً كثيراً، وخرج الرُّعاء فحذّروا جمعهم فتحقوا بعلياء بلادهم وخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالّهم فلم نجد بها منهم أحداً، فرجع بالأنعام، حتى دنوا الى سَلاح فلقوا جمع عُيينة بن حصن فناوشوهم فانكشفوا عنهم، وأصاب المسلمون منهم رجلاً أو رجلين أسروهما أسراً وقدموا بهما على النبيّ فأسلما، فأرسلهما[1] ﷺ.

كتابه إلى أمير اليمامة

مرّ في إجمال إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمراء: أنّه ﷺ بعث سَليط بن عمرو العامري إلى مَلِكَي اليمامة[2]: ثُمامة بن أُثال، وهَوْذة بن علي الحنفيّين[3] ولم يُذكر نصّ كتابه ﷺ إلى ابن أُثال، وإنما ذُكر كتابه إلى هَوْذة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هَوْذة بن علي، سلام على مَن اتّبع الهدى، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافر، فأسلم تسلَم، وأجعلْ لك ما تحت يديك» وكان نصرانياً[4] وكان سليط بن عمرو يختلف إلى اليمامة فأرسل الكتاب معه إليه يدعوه إلى الإسلام.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٢٨.

(٢) اليمامة من بلاد نجد شرقيّ مكة، وقاعدتها الحَجْر، على ست عشرة مرحلة من البصرة ونحوها من الكوفة، وبينها وبين البحرين عشرة أيام، كما في مادة البحرين من معجم البلدان والقاموس.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٢٥٤ وبنو حنيفة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار.

(٤) معجم البلدان مادة البحرين، والكامل في التاريخ ٢: ٨٧.

فلما قدم عليه أكرمه وأنزله، ودفع إليه بكتاب فقرأه، فلما قرأه قال له سليط: يا هوذة، إنّك سوّدتك أعظمُ حائلة وأرواح في النار! وإنّما السيّد من مُتّع بالإيمان ثم زُوّد بالتقوى، وإنّ قوماً سعُدوا برأيك، فلا يشقون به! وإنّي آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شرّ منهيّ عنه! آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإنّ في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار. فإن قبلتَ نلتَ ما رجوتَ وأمنتَ مما خفتَ. وإن أبيتَ فبيننا وبينك كشفُ الغطاء وهولُ المُطّلع!

هوذة: يا سليط، سوّدني من لو سوّدك شرّفتَ به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته، فاجعل لي فسحة يرجع إليّ فيها رأيي فأُجيبك إن شاء الله.

وكان عند هوذة رجل رومي من عظماء نصارى دمشق فقال له هوذة: جاءني كتاب من محمد يدعوني إلى الإسلام فلم أُجبه. فقال الرومي: لم لا تجيبه؟ قال: ضننت بديني، وأنا أملك قومي ولئن اتّبعته لا أملك! فقال الرومي: بلى والله، لئن اتّبعته ليملكنّك. وإنّ الخير لك في اتّباعه، فإنّه للنبيّ العربيّ الذي بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام، وانه لمكتوب عندنا في الانجيل: محمد رسول الله.

ثم كتب هوذة إلى رسول الله ﷺ: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك»! ثم أجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، وأرسل وفداً فيهم مُجّاعة بن مرارة، والرَّحّال بن عُنفُوة ومعهم غلام اسمه كَركَرة هدية له ﷺ[1].

فلما قدم الرسول عليه ﷺ وأخبره بما جرى وقرأ الكتاب على النبيّ قال: لا، ولا كرامة لو سألني سيابة من الأرض ما فعلتُ، باد وباد ما في يديه. ثم قال: اللهم اكفنيه[2].

---

(١) ذكره الطبرسي في أعلام الورى ١: ٢٨٧.

(٢) فلما انصرف من فتح مكة أخبره جبرئيل بموت هوذة. كما في الطبقات الكبرى ١: ٢٦٢ ←

هذا ما رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» عن النبي ﷺ بشأن هوذة.

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن أبان البجلي الكوفي عن الباقر ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول بشأن ثمامة بن أثال: اللهم أمكنّي من ثمامة. فأسرته خيل للنبيّ ﷺ فقال له رسول الله: إني مخيّرك واحدة من ثلاث: أقتلك؟ قال: إذاً تقتل عظيماً، أو أفاديك؟ قال: إذاً تجدني غالياً، أو أمنّ عليك؟ قال: إذاً تجدني شاكراً. فقال ﷺ: فإني قد مننتُ عليك. فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك محمد رسول الله، وقد والله علمتُ أنك رسول الله حيث رأيتك، والكنّي ما كنتُ لأشهد بها وأنا في الوثاق![1].

---

* وراجع مكاتيب الرسول ١: ١٣٦ ـ ١٣٩، ويلاحظ أنه ﷺ لم يحوّله على أحد المسلمين واختبارهم له!

(1) روضة الكافي: ٢٤٩. ورواه ابن إسحاق عن أبي هريرة قال: خرجت خيل رسول الله فأخذت رجلاً أتوا به رسول الله فقال: هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره. وأمر أن تمرّ ناقته عليه ليحلبها غدوة وعشياً، وقال لأهله: ابعثوا إليه ما عندكم من طعام. وكان النبيّ يدعوه إلى الإسلام فلا يُسلم، فمكث مدة ثم أمر النبي بإطلاقه فلما أطلقوه أتى البقيع فتطهّر ثم أقبل حتى بايع النبيّ على الإسلام. وروى ابن هشام: أنه حين أسلم قال لرسول الله: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ، ولقد أصبح وهو أحبّ الوجوه إليّ. ثم خرج معتمراً فلما قدم مكة ـ وكان أول من دخل مكة يلبّي ـ قالوا له: أصبوت يا ثمام؟ قال: لا، ولكنّي اتبعت خير الدين دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله: «إنك تأمر بصلة الرحم وقد قطعت أرحامنا، فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع». فكتب رسول الله إلى ثمامة أن يخلّي بينهم وبين حمل الحبوب إليهم. مختصر ٤: ٢٨٧، ٢٨٨.

ورواية أبي هريرة وقد أسلم في السابعة، وكونه أول من لبّى بمكة يدلان على أن ذلك بعد خيبر وقبل عمرة القضاء، ولذلك ذكرناه هنا.

القَسامة، والدّية من بيت المال:

وكأنّ المدينة أصابتها مجاعة في أواخر السنة السابعة بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضاء[1].

فروى الواقدي بسنده عن مُحيِّصة بن مسعود الأنصاري قال: لما فتح رسول الله خيبر جهدنا وأصابتنا مجاعة، فقلتُ لأصحابي: قد جهدنا وأصابت مجاعة فهل لكم في خيبر؟ وكان رسول الله قد دفع إليهم زرع الأرض والنخل على النصف (فخرجنا نمتار تمراً[2]).

فخرجنا حتى قدمنا خيبر، فكنّا في الشِّق يوماً، وفي النطاة يوماً، وفي الكتيبة، ورأينا في الكتيبة خيراً فأقمنا بها أياماً، ورجع صاحبي (وهو ابن عمّي عبد الله بن سهل) إلى الشّق فغاب عنّي فغدوت في أثره حتى انتهيت إلى الشق أسأل عنه، فقال لي بعضهم: لما غابت الشمس مرّ من هنا يريد النّطاة. فعمدت إلى النّطاة أسأل عنه، إلى أن قال لي غلام منهم: تعالَ أدلّك على صاحبك! فانتهى بي إلى مَنْهَر فأقامني عليه فإذا الذُّباب يطلع من المَنْهر! فتدلّيت في المَنهر فإذا صاحبي قتيل؛ فاستعنت عليه بنفر من اليهود حتى أخرجته وكفّنته ودفنتُه. ثم خرجت مسرعاً إلى المدينة، فوجدنا رسول الله يريد عمرة القضية.

فأخبرت قومي الخبر. وكان المقتول عبد الله بن سهل، وكان أخو المقتول عبد الرحمن بن سهل أحدث مني ربيعاً مستعبراً على أخيه، وخرج من قومنا إلى النبي ﷺ ثلاثون رجلاً أكبرنا أخي حُويّصة بن مسعود. فلما بركنا بين يديه وجلسنا حوله، تقدم عبد الرحمن بن سهل وقال: يا رسولَ الله، إنّ أخي قد قُتل.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧١٤.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٦٩ ويمتار: يأخذ الميرة: المؤونة.

فقال له رسول الله: كبِّر، كبِّر! = يريد الأكبر منك للكلام أولاً! فتقدّمت وتكلّمت، فقال لي أيضاً: كبِّر، كبِّر! فسكتّ.

فتكلّم أخي حويّصة ـ وكان أكبرنا ـ فذكر أن ظِنّتنا أو تهمتنا اليهود ثم أخبرت الخبر رسول الله[1].

فكتب النبيّ ﷺ في ذلك إلى يهود خيبر: أنّه قد وُجد قتيل بين أبياتكم، فدوه أي أدّوا ديته. فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً[2].

فقال رسول الله لحويّصة ومُحيّصة وعبد الرحمن ومن معهم[3]: ائتوني بشاهدين من غيركم. قالوا: يا رسول الله، ما لنا شاهدان من غيرنا. فقال لهم رسول الله: فليقسم خمسون رجلاً منكم على رجل ندفعه إليكم. قالوا: يا رسول الله، وكيف نقسم على ما لم نره؟! قال: فيقسم اليهود؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف نرضى باليهود وما فيهم من الشرك أعظم؟! فوَدَاه رسول الله[4] من عنده مئة ناقة: خمسة وعشرين جذعة، وخمسة وعشرين حِقّة، وخمسة وعشرين بنت لبون، وخمسة وعشرين بنت مخاض. قال سهل بن أبي حثمة راوي الخبر عن محيّصة: وكنتُ يومئذٍ غلاماً فرأيتها أُدخلت عليهم مئة ناقة، وركضتني منها ناقة حمراء[5] بكرة، وأنا أحوزها[6].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧١٣، ٧١٤

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٧٠ واختصر الواقدي

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧١٤

(٤) فروع الكافي ٧: ٣٦١، الحديث ٥ والتهذيب ١٠: ١٦٦، الحديث ٢ وتمامه: قال الصادق عليه السلام: وإنما جُعلت القسامة احتياطاً لدماء الناس لكي ما إذا أراد فاسق أن يقتل رجلاً أو يغتال رجلاً حيث لا يراه أحد خاف ذلك فامتنع من القتل

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٧١٥

(٦) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٧٠

تقسيم محاصيل خيبر :

كان فتح خيبر في أواخر شهر صفر من أوائل السنة السابعة للهجرة، ومرّ أن النبي ﷺ قاسمهم محاصيلهم بالمناصفة، فهذا بحاجة إلى محاسب مختص، وعيّن النبيّ لذلك عبد الله بن رواحة، وقام بالأمر لأول حصاد بعد خيبر ثم أُصيب في حرب مؤتة. قال ابن اسحاق : وإنّما خرص عليهم عاماً واحداً[1] وليس في ما بأيدينا أيّ تاريخ لذلك سوى هذا النص. ولذلك آثرت أن أذكر ذلك وصلاً بخبر القسمة في خيبر وقبل الخروج إلى عمرة القضاء.

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال : إنّ النبي ﷺ تركها في أيديهم على النصف (زرع أرضها وعملها) فلما بلغت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة إليهم فخرص عليهم فجاؤوا إلى النبيّ ﷺ فقالوا : إنّه قد زاد علينا. فأرسل إلى عبد الله فقال له : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قد خرصت عليهم بشيء، فإن شاؤوا يأخذون بما خرصت، وإن شاؤوا أخذناه. وقال لهم : إمّا أن تأخذوه وتعطوني نصف الثمر، وإمّا أُعطيكم نصف الثمر وآخذه. فقال رجل من اليهود : بهذا قامت السموات والأرض[2].

وروى الواقدي قال : فلما خرص قال : إن شئتم فلكم، وتضمنون نصف ما خرصتُ، وإن شئتم فلنا، ونضمن لكم ما خرصت. وقد خرص عليهم أربعين ألف وسق. فجمعوا له حُليّاً من حُليّ نسائهم فقالوا : هذا لك وتجاوز في القسم ! فقال لهم : يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي أن أحيف عليكم. فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ![3]

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٣ : ٣٦٩.

(٢) فروع الكافي ٥ : ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ وأمالي الصدوق : ٢١٨ وسيرة ابن هشام ٣ : ٣٦٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٦٩١.

ويلازم أن يكون الحاسب المخمّن هو عبد الله بن رواحة قبل شهادته في حرب مؤتة، ويلازم هذا أن يكون ذلك قبل شهادة زيد بن حارثة كذلك، وهذا يقتضي أن نجد اسمه في قائمة أسماء الرجال الذين أسهم لهم رسول الله ﷺ لا أن نفتقد اسمه ونجد بدله اسم ابنه أسامة كما هو الحال في قائمتي ابن إسحاق في السيرة[1] والواقدي في المغازي[2] وكذلك نفتقد اسم جعفر بن أبي طالب إلى جانب ذكر أخويه علي ؑ وعقيل وأخواته أم طالب وأم هانئ وجُمانة. ونجد عنوان بني جعفر. مما يدل هذا على أنّ القوائم لما بعد حرب مؤتة، بل لما بعد فتح مكة لمكان عقيل وأخواته، والعباس، وأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب وغيرهم من مسلمة الفتح، مما يدل على أنّ هذه القائمة لما بعد فتح مكة لا فتح خيبر.

بل المُنصف أنّ كلاً من ابن إسحاق والواقدي قد أعقبا هذه القائمة بذكر وصيته ﷺ بطُعمة من خُمس خيبر للعشرة من الداريين الذين قدموا للإسلام من الشام وكذلك للأشعريين والرهاويين من اليمن مما يشير إلى أنّ هذه هي القوائم الأخيرة وبذلك أُثبتت مع وصاياه ﷺ والقوائم هذه لدى كل من ابن إسحاق والواقدي ثلاث قوائم.

أحدها هذه الوصايا لهذه الطوائف الثلاث: الداريّين والأشعريّين والرُهاويّين وزاد ابن إسحاق: السبئيين، لكل طائفة مئة وسق[3]

وقائمة أُخرى صغرى، كأنّ ابن إسحاق استنسخها من كتاب قسمة بعد البسملة: ذكر ما أُعطي محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر. قسم لهن مئة

---

(1) سيرة ابن هشام ٣: ٣٦٥، ٣٦٦.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٦٩٤، ٦٩٥.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٦٧، ٣٦٨ ومغازي الواقدي ٢: ٦٩٥ والوسق ستون صاعاً، والصاع ٢/٧٥٠ كغم.

وسق وثمانين وسقاً (كذا) ثم خرج من النساء إلى فاطمة بنت رسول الله، وأسامة بن زيد، والمقداد بن الأسود، ثم امّ رُميثة بنت عمر بن هاشم بن المطّلب، ثم شهد عثمان بن عفّان وعباس، وكتب[1].

ونقل الواقدي أيضاً هذه القائمة إلّا أنّه اختلف عن ابن اسحاق في: أن جعل العنوان: ذكر طُعَم النبي ﷺ في الكتيبة[2] أزواجه وغيرهم. فذكر من ذكرهم ابن إسحاق وزاد: للعباس بن عبد المطّلب مئتي وسق، ولم يذكره شاهداً ولا الكاتب، ولم يذكر القمح بل الشعير والتمر ونواه[3].

وقائمة أُخرى كبرى نقلها الواقدي بعد السابقة الصغرى بفاصل السطر بلا عنوان وهي عدة تنقص عن ابن اسحاق اثني عشر مورداً بعضهم ممن تكرّر ذكره في القائمة الصغرى. وعقّبها بالوصايا للطوائف الثلاث[4]. بينما جعلها ابن اسحاق قائمة سهام الكتيبة بين قرابته ونسائه ومعهم رجال ونساء من المسلمين أعطاهم منها، مبتدئاً بفاطمة وعلي عليه السلام وثنّى بعائشة وأبيها، وثلّث بعقيل وبني جعفر[5].

عمرة القضاء:

مرّ في بنود صلح الحديبية في ذي الحجة في السنة السادسة: أنّ المشركين قالوا لرسول الله:

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٦٧.

(٢) وقد مرّ عنه أنّ الكتيبة كانت خمس غنائم خيبر لرسول الله ﷺ.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٦٩٣، ٦٩٤.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٦٩٤، ٦٩٥.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٦٥، ٣٦٦.

«على أن نلبث في العام المقبل في هذا الشهر ثلاثة أيام، حتى تقضي نُسكك وتنصرف عنّا»، فأجابهم رسول الله إلى ذلك[1].

قال الواقدي: فلما دخل هلال ذي القعدة من سنة سبع، أمر رسول الله الذين شهدوا معه الحُديبية أن لا يتخلّف أحد منهم عن قضاء عمرتهم معه هذه السنة (السابعة) وسمح لمن لم يكونوا معه.

وروي عن ابن عباس قال: فقال رجال من حاضري المدينة من العرب: يا رسول الله ما لنا من يُطعمنا! فأمر رسول الله المسلمين أن يتصدّقوا عليهم في سبيل الله فقالوا: يا رسول الله بم نتصدّق وأحدنا لا يجد شيئاً؟ فقال رسول الله: بما كان ولو بشقّ تمرة ولو بمشقص[2] يحمل به أحدكم في سبيل الله[3].

وساق رسول الله في هذه العمرة ستين بدنة، بعد أن قلّدها بنفسه بيده وكان أبو هريرة الدَّوسي، وعبيد بن أبي رُهْم الغفاري، وعليهم ناجية بن جُندب الأسلمي ومعه أربعة فتيان من أسلم يسيرون بالهدي أمامه يطلبون الرعي في الشجر. وقاد رسول الله مائة فرس وحمل على هذه الخيل محمد بن مَسلمة الأنصاري، وحمل معهم البيض والدروع والرماح والسلاح، واستعمل عليه بشير بن سعد. فقيل: يا رسول الله حملت السلاح، وقد شرطوا علينا أن لا ندخل عليهم إلّا بسلاح المسافر

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣١١.

(٢) نصل السهم الطويل غير العريض.

(٣) ومنه نزل الله في ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥ وقبلها آية الشهر الحرام، وبعدها خمس آيات في الحج، وهذا يتلاءم ومحتوى الخبر، ولعل هذا مما يفسّر كون الآيات في سورة البقرة بأنها أُلحقت بالبقرة فيما بعد.

السيوف في القُرُب؟. فقال رسول الله: إنا لا نُدخلها عليهم الحرم، ولكن تكون قريباً منّا، فإن هاجنا هيجٌ من القوم كان السلاح قريباً منّا. وخرج المسلمون الذين أحرموا مع النبي من الجحفة[1] وسار رسول الله يلبّي والمسلمون يلبّون.

وفي مرّ الظهران التقى نفر من قريش بمحمد بن مسلمة وبشير بن سعد فرأوا معه سلاحاً كثيراً، فخرجوا سراعاً فأخبروا قريشاً بالذي رأوا من الخيل والسلاح. وفي بطن يأجج[2] قرب أنصاب الحرم تلاحق برسول الله أصحابه والهدي والسلاح.

مبعوث قريش:

وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش فالتقوا بالنبيّ في بطن يأجج فقالوا: يا محمد! والله ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح الحرم على قومك وقد شرطتَ أن لا تدخل إلّا بسلاح المسافر: السيوف في القُرُب؟! فقال رسول الله: لا ندخلها إلّا كذلك.

فرجع مكرز إلى مكة مُسرعاً يقول: إنّ محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على

---

(١) الكافي ٤: ٢٥٠ و٢٥٢ الحديث ١٠ و١٢ والفقيه ٢: ٢٧٥، الحديث ٧ وفي مغازي الواقدي: أحرم من باب المسجد ٢: ٧٣٣ و٧٣٤.

(٢) قال عاتق بن غيث البلادي في كتابه مختصر معجم معالم مكة التاريخية عن بطن يأجج: إنّه يعرف اليوم باسم ياج بالتخفيف، يمرّ به طريق مكة المدينة فيه بساتين ضعيفة وقد يسمى بئر مقيت وبه يعرفه عامة أهل مكة وهو واد يمرّ شمال التنعيم حتى يصبّ في مرّ الظهران بين دفء خرعة وبين المقوع بطول ٢٣ كيلومتراً وفي شماله موضع قتل خبيب بن عدي شهيداً في يوم الرجيع. كما عنه في مجلة ميقات الحج ٧: ٢٤١.

الشرط الذي شرط لكم. وأمر رسول الله أن يذهبوا بالهدي أمامه فيحبسوه في ذي طُوى. وخلّف مئتي رجل على السلاح عليهم أوس بن خَوْليّ. وخرج رسول الله على ناقته القَصواء[1] وأصحابه محدقون به متوشّحو السيوف يلبّون، حتى انتهى إلى ذي طُوى، ولم يقطع التلبية حتى بلغ عروش مكة[2] ثم دخل من الثنية التي تطلع على الحَجون.

وقالت قريش: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فخرجوا من مكة إلى رؤوس الجبال[3] وقد رفعوا الأصنام حسب شرط الصلح[4].

وروى ابن إسحاق عن ابن عباس: أن جمعاً صفّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ـ وتحدّثوا فيما بينهم: أنّ محمداً وأصحابه في عُسرة وجَهد وشدة![5] فدخل مكة حتى طاف بالبيت.

فروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: طاف رسول الله ﷺ على ناقته العضباء، وجعل يستلم الأركان (والحجر) بمحجنه ويقبّل المحجن[6].

---

(١) سيأتي عن الصادق عليه السلام أن الناقة كانت العَضباء.

(٢) نص: حتى جاء عروش مكة، ذلك أن أكثر بيوت مكة كانت بيوت شعر قائمة على الأعواد، فسُمّيت عروشاً. النهاية ٣: ٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٤، ٧٣٥.

(٤) انظر شروط الصلح، وتفسير العياشي ١: ٧٠.

(٥) ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤: ١٠٢.

(٦) فروع الكافي ٤: ٤٢٦ وعنه في وسائل الشيعة ١٣: ٤٤١، ط آل البيت. والمحجن: العصا المعقوفة الرأس.

وطاف على راحلته حتى ينظر الناس إلى هيئته وشمائله وقال: خذوا عنّي مناسككم. وكان تحته رَحْلٌ رثٌّ، وقطيفة خَلِقَة قيمتها أربع دراهم[1]. وكان عبد الله بن رَواحة آخذاً بخطام راحلة الرسول وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله ... خلّوا، فكلّ الخير في رسوله

يا ربّ إنّي مؤمن بقيله[2] ... أعرف حقّ الله في قبوله[3]

فنهره عمر بن الخطّاب قال: يا ابن رواحة! فردّ عليه رسول الله فقال: يا عمر، إنّي أسمع! فلما أتمّ الشوط السابع نزل فصلّى ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام[4].

---

(١) عوالي اللآلي ٤: ٣٤، الحديث ١٨، وعنه في مستدرك الوسائل ٩: ٤٢٠، الحديث ٤، ط. آل البيت.

(٢) إعلام الورى ١: ٢١١.

(٣) ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤: ١٣ وبعده:

نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مَقيله ... ويذهل الخليل عن خليله!

وعلّق ابن هشام على هذا يقول: نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمّار بن ياسر في غير هذا اليوم (أي صفّين!) قال: وإنما يقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل ٤: ١٣.

والغريب أنّ ابن إسحاق روى هذا الغلط عن عبد الله بن أبي بكر، والواقدي في مغازي الواقدي ٢: ٧٣٥ رواه بعينه بسنده عن أمّ عُمارة ولم يتفطّن إلى هذا الإشكال، وكذلك الطبرسي في إعلام الورى ١: ٢١١ والحسني في مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٥ بلا التفات إلى تنبيه ابن هشام.

(٤) روى الكليني في فروع الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث ٢ والصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٨، الحديث ١٢ بسندهما عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان موضع المقام ←

ثم ركب راحلته فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، فلما تمّ المشوار السابع عند المروة وقف هناك (أو بين المروة والصفا) وقال: هذا المَنحر، وكلُّ فجاج مكة منحر[1] ثم حلق رأسه خراش بن أُمية الخزاعي عند المروة[2].

... الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم (وكذلك كان في عصر الخلفاء)، فلما فتح النبي ﷺ مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام».

وروى الحميدي في مسند عائشة ١: ٨٢، الحديث ٧٢ عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير (عن خالته عائشة قالت): «كان رسول الله يصلي إلى صقع البيت ليس بينه وبين البيت شيء، وأبو بكر، وعمر صدراً من إمارته، ثم إنّ عمر ردّه ليس إلى المقام».

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥: ٧٥ وعبد الرزاق في المصنف ٥: ٤٨ وابن حجر في فتح الباري ٦: ٤٠٦ و ٨: ١٦٩ والازرقي في أخبار مكة ٢: ٣٠ وكذلك السمهودي ١: ٤٤٢ و ٤٥٤ وابن كثير في التفسير ١: ٢٨٤ ونقل الخبر السابق عن الكليني والصدوق عن الباقر عليه السلام قال: «فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطّاب فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟! فقال رجل: أنا، قد كنت أخذتُ مقداره بنسع (قيد من جلد) فهو عندي! فقال: ائتني به، فأتاه به، فقاسه، ثم ردّه إلى هذا المكان».

وروى الكليني كذلك في روضة الكافي: ٥١ عن علي عليه السلام خطبة قال فيها: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسولَ الله ﷺ متعمدين لخلافه ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته! ولو حملتُ الناس على تركها وحوّلتُها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جُندي حتى أبقى وحدي... أرأيتم لو أمرتُ بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله... إذاً لتفرّقوا عنّي».

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٦، وانظر وسائل الشيعة ١٤: ٨٨ ومستدرك الوسائل ١: ٨٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٧.

ثم أمر رسول الله مئتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابهم في بطن يأجج فيقيموا على السلاح، ليأتي الآخرون فيقضوا نسكهم، ففعلوا(١).

أذان بلال:

ثم أرسل رسولُ الله إلى المشركين ليدخل الكعبة، فأبوا وقالوا: لم يكن في شرطك! فدخل في فناء البيت، فلم يزل هناك حتى صار الزوال، فأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فيؤذّن، فصعد وأذّن فوق الكعبة.. فحين سمعه سهيل بن عمرو ومعه رجال، غطّوا وجوههم! وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم! حين يقوم بلال ابن أمّ بلال ينهق فوق الكعبة! وقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول! وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا(٢).

وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة، فقال ﷺ: لا أدخل البيوت. وضرب له مولاه أبو رافع القبطي قبّةً من أدم الجلود بالحجون من الأبطح، فأقبل رسول الله حتى انتهى إلى قبته ومعه أمّ سلمة، فكان يأتي للصلاة إلى المسجد من الحجون في عمرة القضاء(٣).

زواج النبيّ بميمونة:

قال ابن هشام: وكانت ميمونة بنت الحارث الهلالية أخت أمّ الفضل زوجة

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٧، ٧٣٨ وفي ٨٤٦ يتكرر الخبر ونحوه في فتح مكة وكلاهما عن ابن المسيّب، وهذا هو الأنسب.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٩.

العباس بن عبد المطّلب، فجعلت أمرها إلى أختها أمّ الفضل، وجعلت أمّ الفضل أمرها إلى العباس، فلما حلّ رسول الله من إحرامه[1] خطبها من عمّه العباس فزوّجها رسول الله وأصدقها عنه أربعمئة درهم[2].

وأقام بمكة ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع عند الظهر ورسول الله مع جمع من الأنصار يتحدث معه سعد بن عُبادة إذ أتى سهيل بن عمرو ومعه حُويطب بن عبد العزّى، فقال له سهيل بن عمرو: قد انقضى أجلك، فاخرج عنّا! فقال النبيّ: وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم فصنعتُ لكم طعاماً؟ فقالا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنّا، ننشدك الله يا محمد والعهد الذي بيننا وبينك إلّا خرجت من أرضنا! فهذه الثلاث قد مضت.

فغضب سعد بن عُبادة وقال لسهيل: كذبت لا أمّ لك، ليست بأرضك ولا أرض أبيك! والله لا يبرح منها إلّا طائعاً راضياً!

فتبسّم رسول الله وقال لسعد: يا سعدُ لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا. ثم قال لأبي رافع (القبطي): لا يُمسيَنّ بها أحد من المسلمين[3].

وأعيدت الأصنام:

أثبتُّ شروط صلح الحديبية عن تفسير القمي، وكل ما فيه بشأن عمرة

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٨ عن عطاء الخراساني ـ وهو عطاء بن أبي رباح مولى ابن عباس ـ عن سعيد بن المسيب. بينما روى ابن إسحاق عن عطاء ومجاهد، والواقدي عن عكرمة عن ابن عباس: أنه ﷺ خطبها وهو محرم وتزوّجها وهو محرم. وفي ابن هشام: وهو حرام ٤: ١٤. مع أنهم جميعاً ذكروا أنه دخل فطاف وسعى ونحر!

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ١٤ وكنيت قبله عنه أبي سبرة بن أبي رهم العامري. إعلام الورى ١: ٢٧٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٩، ٧٤٠ وانظر سيرة ابن هشام ٤: ١٤.

القضاء هو: «وأن محمداً يرجع عنهم عامهم هذا وأصحابه، ثم يدخل علينا في العام القابل مكة، فيقيم فيها ثلاثة أيام» وكذلك في سائر مصادر السيرة والتاريخ.

ولذا فهو قال: إنّ قريشاً كانت قد وضعت أصنامها بين الصفا والمروة، وكانوا يتمسّحون بها إذا سعوا. فلما كان من أمر رسول الله ما كان في الحديبية وصدّوه عن البيت وشرطوا له أن يخلوا له البيت في عام قابل حتى يقضي عمرته ثلاثة أيام ثم يخرج عنها. فلما كان عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكة وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى. فرفعوها، فسعى رسول الله بين الصفا والمروة وقد رُفعت الأصنام[1].

هذا وقد مرّ أن رسول الله أرسل إليهم أن يدخل الكعبة فأبوا وقالوا: لم يكن في شرطك[2] وهذا هو المنسجم مع أخلاق مشركي قريش، فكيف بما هو فوقه من رفع الأصنام بلا شرط في الصلح سابق؟!

وتمام كلام القمي: فلما فرغ رسول الله من الطواف ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة. وبقي رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله لم يطف، فجاء الرجل الذي لم يسع إلى رسول الله فقال: قد ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ولم أسع؟! فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[3].

وفي «فروع الكافي» و«تفسير العياشي» عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ رسول الله كان (من) شرطه عليهم: أن يرفعوا الأصنام. فتشاغل رجل من أصحابه حتى

(١) تفسير القمي ٢: ٦٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٨.

(٣) تفسير القمي ٢: ٦٤.

أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه: إنّ فلاناً لم يطُف (أي لم يَسْعَ) وقد أُعيدت الأصنام؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال: أي والأصنام عليها»(١).

ولعل هذا الخبر ومثله هو الذي أشار إليه الطوسي في «التبيان» وخصّ الأصنام فقال: هذا جوابٌ من توهم أنّ في السعي بهما جناحاً، لصنمين كانا عليهما إساف ونائلة. روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقال به الشعبي وكثير من أهل العلم، ولكنه واصلَ قائلاً: وكان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد، وكانت الأصنام على حالها حول الكعبة.

فلو كانت الأصنام حول الكعبة أيضاً في الطواف بها مثل السعي، فالذي خصّ توهّم الجناح في السعي دون الطواف بالكعبة من هنا؟! ولعله لذلك فقد أضاف:

وقال قوم: سبب ذلك أنّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما فظنّ المسلمون أنّ ذلك من أفعال الجاهلية، فأنزل الله الآية(٢).

وقد ورد هذا في «فروع الكافي» في حديث حجّ النبيّ ﷺ عن الصادق عليه السلام قال: إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ فبعد ما طاف (النبي) بالبيت وصلى ركعتيه (قرأ): ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وقال: أبدأ بما بدأ الله عزّ وجل(٣).

---

(١) تفسير العياشي ١: ٧٠ وفي فروع الكافي ٤: ٤٣٥، الحديث ٨.

(٢) التبيان ٢: ٤٤.

(٣) فروع الكافي ٤: ٢٤٥، الحديث ٤.

وقد اعتمد الطبرسي في «مجمع البيان» على هذا الخبر، ثمّ قال: وروت رواية أُخرى عن أبي عبد الله عليه السلام. وروى الخبر السابق عن «الكافي» و«تفسير العياشي» في شرط النبيّ ورفع الأصنام وإعادتها(١).

وفيه عنه عليه السلام أيضاً قال: كان على الصفا والمروة أصنام، فلما أن حجّ الناس لم يدروا كيف يصنعون؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.. ﴾ فكان المسلمون يسعون والأصنام على حالها(٢).

والتنافي بين الروايتين في شأن النزول ظاهر(٣) بل بين الروايات، فلا بدّ من ترجيح. وقد مرّ أنّ النبيّ أمر بلالاً فأذّن فوق ظهر الكعبة، فهل أذّن بين ظهراني الأوثان؟ ولو كان لذكر لغرابته. ولو كانت الأصنام منصوبة على المروة وقد قدّموا هديهم عندها لكان غريباً يذكر، وضبط الأنفس من المسلمين واحتياطهم عن أن يمدّ أحدهم يده أو لسانه بالإهانة إلى الأوثان والأصنام في المسعى وحول البيت الحرام مستبعد جدّاً أيضاً، ولا أقل من خوف المشركين من ذلك وقد شرطوا للنبيّ أن يُخلوا له مكة الكعبة والمسجد والمسعى، وهذا مما يقرّب قبولهم لاشتراط النبيّ عليهم رفع الأصنام، أقرب من أن يبقوا في خوف وحذر من أن لا تُمسّ أصنامهم بسوء بيد أو حتى لسان ولعلّهم جمعوها داخل البيت، ولذلك لم يسمحوا للنبيّ صلى الله عليه وآله بدخول البيت. ومهما كان فلا أقلّ من محاولة النبيّ والمسلمين اشتراط رفعها عنهم، سيما لم يُذكر في سوى هذا الخبر عن الصادق عليه السلام. فالظنّ أنّ هذه كلّها مرجّحات إلى جانبه، دون سائر الأخبار.

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٤٠.

(٢) تفسير العياشي ١: ٧١.

(٣) وانظر الميزان ١: ٣٨٧.

عليّ وابنة عمه حمزة (عليه السلام):

كان حمزة بن عبد المطلب قد ارتضع من ثويبة مولاة أخيه أبي لهب، وارتضع منها رسول الله، فكانا أخوين من الرضاعة. وتزوّج حمزة سلمى بنت عُميس الخثعمية وتزوّج أختها أسماء جعفر بن أبي طالب، فكانا عديلين. وهاجر حمزة وحده، وآخى النبي بين أصحابه فآخى بين عمّه حمزة وبين زيد بن حارثة، فكانا أخوين في الهجرة، فأوصى إليه في أُحد قبل شهادته [1].

فلما اعتمر النبيّ عمرة القضاء وأحلّ من إحرامه وخطب من عمّه ميمونة الهلالية أخت أمّ الفضل، ذكّره علي (عليه السلام) بابنة عمّه حمزة (عُمارة)، فقال: أما علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة، هي بنت أخي من الرضاع [2] فقال (عليه السلام): فعلامَ تترك بنت عمّك يتيمة بين ظهري مشركين؟! فأذن له النبيّ أن يخرجها معه، فأخرجها [3].

الخروج من مكة:

وركب رسول الله وتبعه الناس، ولكنه خلّف أبا رافع ليحمل إليه زوجته ميمونة حين يُمسي، فأقام أبو رافع لذلك [4]. فلما خرجوا وأخرج عليّ (عليه السلام) ابنة حمزة وعلم بذلك زيد بن حارثة زعم أنّها ابنة أخيه وأنه كان وصيّه فهو أولى بها.

فلما سمع ذلك جعفر قال: بل أنا أحقّ بها مكان خالتها عندي أسماء

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٨.

(٢) فروع الكافي ٥: ٤٣٧، الحديث ٤ و٥، و٤٤٥، الحديث ١١ والفقيه ٣: ٢٦٠، الحديث ٢١، والتهذيب ٧: ٢٩٢، الحديث ٥، ومغازي الواقدي ٢: ٧٣٩ قال: فقيل للنبي، ولم يسمّ عليًّا (عليه السلام).

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٨.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٠، وسيرة ابن هشام ٤: ١٤.

بنت عُميس، والخالة والدة. فقال رسول الله: أما أحكم بينكم، ثم التفت إلى زيد وقال له:

أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله. ثم التفت إلى علي عليه السلام وقال له: وأما أنت يا عليّ فأنت مني وأنا منك، وأنت وليّ كل مؤمن بعدي[2] ثم قال لجعفر: وأما أنت يا جعفر فتشبه خَلقي وخُلُقي، وأنت يا جعفر أحق بها، تحتك خالتها، ولا تُنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها[3] وقال: الخالة والدة[4].

وأقام أبو رافع القبطي في مكة حتى أمسى فخرج بميمونة وبمن معها فجعل سفهاء المشركين يؤذونهم والنبيّ بألسنتهم، ولم يبطشوا بهم. فقال لهم أبو رافع: افعلوا ما شئتم فهذه والله الخيل والسلاح ببطن يأجج! وبلغوا بطن يأجج فإذا بالخيل قد وقفت لهم هنالك، فلما وصلوا ساروا معهم إلى سَرِف[5] حيث بات النبيّ والمسلمون، فوصلوا إليها وقد ذهب عامّة الليل وهناك بُني للنبيّ بميمونة فعرس بالهلالية[6] وعُدّ لرسول الله حَيس[7] عن قليل فأطعمه الناس وليمةً

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس عنه ﷺ: ١٦ وعن الحسين عليه السلام: ٢٠٨ بينما اكتفى الواقدي بـ: أخي وصاحبي!

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٣٩ ورواه القاضي النعمان المصري في دعائم الإسلام ٢: ٢٢٥ وعوالي اللآلي ١: ٤٣ وقارن بعلل الشرائع ١: ٤٩٩ وتمام الخبر في مغازي الواقدي: ثم زوّجها رسول الله سلمة المخزومي بن أمّ سلمة زوجته، فقال: هل جزيت سلمة؟ لأنه هو الذي تولى تزويجه بأمّه.

(٤) أمالي الطوسي: ٣٤٢ برقم ٧٠٠.

(٥) على عشرة أميال = ٢٢ كم من مكة. إعلام الورى ١: ٢٧٨.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٠، ٧٤١.

(٧) تمر ينزع نواه ويعجن بالسمن والأقط.

لزواجه بها[1] ثم رحل فرجع إلى المدينة في ذي الحجة.

وأين خالد بن الوليد ؟:

روى الواقدي عن المغيرة بن عبد الرحمن (المخزومي ظ) عن خالد بن الوليد قال: لما دخل رسول الله في عمرة القضية تغيّبت فلم أشهد دخوله. وكان أخي الوليد ابن الوليد قد أسلم واعتمر مع النبيّ ودخل مكة فطلبني فلم يجدني، وسأله رسول الله عنّي فقال: أين خالد؟ فقال الوليد: يأتي به الله. ثم كتب إليّ كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإنّي لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به! فقال: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجدّه مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له، ولقدّمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة».

قال خالد: فلما جاءني كتابه سرّني مقالة رسول الله وزادني رغبة في الإسلام فنشطتُ للخروج إليه[2].

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

سرية السُلَمي إلى بني سُليم:

ذكر الواقدي رجلاً من بني سُليم يُدعى ابن أبي العوجاء السُلمي كان قد

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٤، وفروع الكافي ٥: ٣٦٨، الحديث ٢ والتهذيب ٧: ٩٠٤، الحديث ٢. وانظر مختصر خبر العمرة والزواج في إعلام الورى ١: ٢١١ ـ ٢١٢ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٦ ـ ٧٤٧ وفي ٧٤٥: إن خالداً وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان. ولعلّ فتزحل خبره إلى هنا.

عرض على النبيّ أن يدعو قومه إلى الإسلام، فلما رجع رسول الله من عمرة القضاء في ذي الحجة سنة سبع، بعث ابن أبي العوجاء في قومه في خمسين رجلاً وكان معه رجل من قومه فخرج الرجل إلى قومه فأخبرهم وحذّرهم.

فلما قدم عليهم ابن أبي العوجاء ومعه الخمسون، كانوا قد جمعوا جمعاً كثيراً وقد استعدّوا، فدعاهم ابن أبي العوجاء إلى الإسلام فأبوا وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه، ثم رشقوهم بالنبال وراموهم ساعة، وجاءت الأمداد لبني سليم فأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قتل كلهم ولم ينجُ منهم سوى ابن أبي العوجاء جريحاً[1].

نزول سورة الدهر في ذي الحجة

عدّ الشيخ المفيد من «مسارّ الشيعة الكرام» اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة، وقال: هو يوم نزول «هل أتى» في أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[2] وتبعه الشيخ بهاء الدين العاملي الحارثي في كتابه «توضيح المقاصد»[3] ولكنهم بعد أن عيّنوا اليوم من الشهر لم يعيّنوه من أي سنة؟

وعلى الخبر المعتبر المعتمد في ترتيب نزول السور[4] فإنّ آخر سورة سابقة فيها إشارة تاريخية هي سورة الرعد المرجّح نزولها بعد خيبر وهي ٩٦ في النزول، و١٣ في النزول بالمدينة وبعدها الرحمن وبعدها سورة «هل أتى على الإنسان

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٤١.

(٢) مسارّ الشيعة الكرام: ٥٨ ط بصيرتي.

(٣) توضيح المقاصد: ٥٤٤ من المجموعة النفيسة ط بصيرتي.

(٤) التمهيد ١: ١٠٣ ـ ١٠٧.

حين من الدهر» ولذا سُمّيت بإحدى هذه المفردات الثلاث: «هل أتى» و«الإنسان» و«الدهر».

والآية الخامسة منها: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.

وتستمر الآيات من الثالثة عشرة حتى الحادية والعشرين في وصف جنانهم، ومن بينها الثانية والعشرون قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾.

«وهي جارية في كل مؤمن عمل مثل ذلك لله عزّ وجلّ» كما رواه القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام[1] ولكن ـ كما قال في «الميزان» ـ ليس سياقها سياق فرض موضوع وذكر الوعد الجميل عليه وآثاره بل إنّ سياق هذه الآيات سياق قصة قوم مؤمنين سمّتهم السورة بالأبرار، وكشفت الآيات عن شطر من أعمالهم من الوفاء بالنذر وإطعام المسكين واليتيم والأسير، فمدحهم بذلك، ووعدهم الوعد الجميل[2] سيّما الآيتين «يوفون بالنذر» و«يطعمون الطعام»[3].

وقد قال الطوسي في «التبيان»: قد روت الخاصة والعامة: أنّ هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنهم آثروا المسكين واليتيم

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٩٩.

(٢) الميزان ٢٠: ١٢٧.

(٣) الميزان ٢٠: ١٣٥.

والأسير ثلاث ليال بافطارهم، وطووا ولم يفطروا بشيء من الطعام. فأنزل فيهم هذه السورة وأثنى عليهم فيها هذا الثناء الحسن[1].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: قد روى الخاص والعام: أنّ الآيات من هذه السورة من قوله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾ نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة.

وهو المروي عن أبي صالح ومجاهد عن ابن عباس قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدّهما صلى الله عليه وآله ووجوه العرب وقالوا: يا ابا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً؟ فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت فاطمة كذلك، وكذلك فضة. فبرئا وليس عندهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير، من يهودي، وجاء به إلى فاطمة، فطحنت صاعاً منها فاختبزته، وصلى علي المغرب وقرّبته إليهم فأتاهم مسكين يدعوهم وسألهم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء.

فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته فإذا يتيم بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء.

فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته وقدّمته فإذا أسير بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء.

فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم، أتى علي عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وبهما ضعف، فبكى رسول الله، ونزل جبرائيل بسورة «هل أتى».

ثم روى رواية أُخرى عن الواحدي في «أسباب النزول» عن عطاء بن رباح الخراساني عن ابن عباس أيضاً: أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام آجر نفسه بشيء

---

(١) التبيان ١٠: ٢١١.

من شعير ليلة، لسقي نخلاً حتى يصبح، فلما أصبح وقبض الشعير، طحن ثلثه فصنعوا منه شيئاً يقال له الخزيرة (دقيق يطبخ بلبن - حليب) أو الحريرة (دقيق يطبخ بدسم وماء) فلما تم انضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام. ثم عُمل الثلث الثاني، فلما تم نضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه. ثم عُمل الثلث الثالث، فلما تمّ نضاجه أتى أسير من المشركين فسأل، فأطعموه، وطووا يومهم ذلك[1].

ثم ذكر رواية «تفسير القمي» عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان عند فاطمة شعير فجعلوه عصيدة (دقيق يطبخ بدسم وماء)، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين: رحمكم الله! فقام علي فأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم: رحمكم الله! فقام علي فأعطاه الثلث، ثم جاء أسير فقال الأسير: رحمكم الله. فأعطاه علي الثلث الباقي، وما ذاقوها. فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم[2].

ما تبقّى من آيات الأحزاب:

مرّ في حرب الأحزاب ذكر آيات سورة الأحزاب ٩ ـ ٢٥ وقال القمي فيها: نزلت في قصة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٧٨.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٦١١ ـ ٦١٢ عن تفسير القمي ٢: ٣٩٨ وروى فرات الكوفي في تفسيره: ٥٢٠ ـ ٥٢٩ خمسة أخبار في ذلك عن الإمام الصادق أكثر تفصيلاً وعن زيد بن أرقم وعن أبي رافع وخبرين عن ابن عباس. ورواه الصدوق في الأمالي: ٢١٢ ـ ٢١٦ بسنده عن الصادق عليه السلام وعن مجاهد عن ابن عباس أيضاً.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٧٦.

وفي الآية ٢٦ قال: نزلت في بني قريظة[1] وهذا إنّما يقتضي نزول السورة أو إلى هذا المقطع منها بعد بني قريظة في السنة الخامسة.

والآيات السبع التوالي ٢٨ ـ ٣٤ تخاطب أزواج النبي ﷺ، وتُعرف بآيتي التخيير ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ وقد نقل خبر القمي بشأن الآيتين فيما بعد خيبر، حسب نصّ القمي، وهذا ما يأتي بأخبار أُخرى في ذلك.

حكى الطوسي في «التبيان» عن عكرمة: أنه كانت له يومئذ تحتهنّ: تسع نسوة: من قريش: سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة، وأُمّ سلمة بنت أبي أُمية المخزومية، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان الأُموية، ومن غير قريش: زينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حُييّ بن أخطب النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية[2].

وروى في سبب نزول آيتي التخيير: أنّ كلّ واحدة من نسائه طلبت شيئاً فسألت سودة قطيفة خيبرية، وسألت حفصة ثوباً من ثياب مصر (ولعلّه من هدايا المقوقس المصري الاسكندري) وسألت أُمّ سلمة ستراً، وسألت زينب بنت جحش برداً يمانيّاً، وسألت جويرية معجراً، وسألت أُمّ حبيبة ثوباً سحوليّاً، وسألت ميمونة حُلّة[3] وهي التي تزوّجها في عمرة القضاء.

وقال الطبْرسي في «مجمع البيان»: قال المفسرون: إنّ أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه لغيرة بعضهنّ من

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٩ و ١٩٢.

(٢) التبيان ٨: ٣٣٥.

(٣) التبيان ٨: ٣٣٤.

بعض ، فآلى رسول الله منهنّ شهراً فنزلت آية التخيير وهو قوله : ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ وكنّ يومئذٍ تسعاً : سودة بنت زمعة ، وعائشة وحفصة وأُمّ سلمة بنت أبي أُمية ، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فهؤلاء من قريش ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حُيَيّ الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية[1].

ونقل عن ابن زيد : أنّ الآية نزلت حين غار بعض امهات المؤمنين على النبيّ وطلب بعضهنّ زيادة في النفقة ، فهجرهنّ شهراً حتى نزلت آية التخيير ، فأمره الله أن يخيّرهنّ بين الدنيا والآخرة ، وأن يخلّي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله ، على أنّهنّ امهات المؤمنين ولا يُنكحن أبداً ، وعلى أنه يؤوي من يشاء منهنّ ويُرجي من يشاء منهنّ ، ويرضين به قسم لهنّ أو لم يقسم ، أو قسم لبعضهنّ ولم يقسم لبعضهنّ ، أو فضّل بعضهنّ على بعض في النفقة والقسمة والعشرة ، أو سوّى بينهنّ ، فالأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء ، فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط ، وهذا من خصائصه ﷺ[2].

فهذه الأخبار باشتمالها على ميمونة بنت الحارث الهلالية ، التي لم يتزوّجها النبيّ ﷺ إلّا في عمرة القضاء في آخر الثامنة للهجرة ، تقتضي نزول هذه الآيات بعد ذلك ، لا بعد الأحزاب أو بني قريظة أو حتى خيبر قريباً منها ، فلعلها اُلحقت بها بعد ذلك .

ويترتب على هذا ما جاء بشأن آخر الآية ٥٣ : ﴿ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً * إِنْ

---

(١) مجمع البيان ٨ : ٥٥٤ .

(٢) مجمع البيان ٨ : ٥٧٣ .

﴿تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ مرتبطاً بما سبق في الآية السادسة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

في «تفسير القمي»: لما أنزل الله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ..﴾ وحرّم نساء النبيّ على المسلمين، غضب طلحة فقال: يتزوّج محمد نساءنا ويحرّم علينا نساءه! لئن أمات الله محمداً لنفعلنّ كذا وكذا. فأنزل الله: ﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا...﴾[1].

والشيخ الطوسي في «التبيان» نقل الخبر عن السُدّي ولم يُسمّ الرجل فقال: ما نزل الحجاب (كذا) قال رجل من بني تيم [طلحة بن عبيد الله التيمي]: أنحجب عن بنات عمّنا؟! [عائشة بنت أبي بكر التيمي] إن مات عرّست بهنّ! فنزل قوله: ﴿... وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾[2].

والشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» نقل عن أبي حمزة الثمالي قال: إنّ رجلين قالا: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه بعده؟! والله لئن مات لننكحنّ نساءه... وكان أحدهما يريد عائشة والآخر يريد أمّ سلمة! وروى عن ابن عباس قال: نزل قوله: ﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، في رجل من الصحابة (؟) قال: لئن قبض رسول الله لأنكحنّ عائشة! وقال مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله[3].

فخبر السدّي يربط تحريم أزواج النبيّ بحكم حجابهن، وخبر أبي حمزة الثمالي

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

(٢) التبيان ٨: ٣٥٨. هذا، بينما روى السيوطي القول عن السّدي مصرّحاً باسم طلحة في الدر المنثور، وعنه في الميزان ١٦: ٣٤٣.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٧٤ وفي أسباب النزول للواحدي: ٢٩٩ عن عطاء عن ابن عباس قال: قاله رجل من سادة قريش؟!

ومع نقل وابن عباس يربط نزول الآية بالتحريم السابق، فهي مؤيدة لفحوى خبر القمي، ولكنها تفيد أن قوله ﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ ...﴾ هي بداية آية مستقلة لا نهاية، كما الحال في آية التطهير في نهاية الآية ٣٣ من السورة ذاتها.

آية التطهير:

روى الحسين بن الحكم الكوفي في «ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام» بسنده عن شهر بن حوشب قال: أتيت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ لأُسلّم عليها، فقلت لها: أما رأيت هذه الآية يا أمّ المؤمنين: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (وكأنه كان يراها من أهل البيت) قالت: [كنت] أنا ورسول الله على منامة لنا تحتنا كساء خيبري[1] في البيت[2] غداة[3] (و) كانت ليلة قارّة (باردة[4]) فجاءت الخادم[5] فقالت: هذا علي وفاطمة معهما الحسن والحسين بالسُّدّة[6] فقال لي: قومي تنحّي عن أهل بيتي، فقمت فجلست في ناحية، فأذن لهم فدخلوا، فقبّل فاطمة واعتنقها، وقبّل عليّاً واعتنقه، وضمّ الحسن والحسين صبيّين صغيرين[7] وجاءت فاطمة ببُرمة (قدر[8]) فخار فيه حريرة

---

(١) ما نزل من القرآن: ٧٢ ومجمع البيان ٨: ٥٥٩ عن تفسير أبي حمزة الثمالي.

(٢) عنه في تفسير فرات: ٣٣٣.

(٣) تفسير فرات: ٣٣٥.

(٤) تفسير فرات: ٣٣٣.

(٥) الخادم في العربية أعم من الذكر والانثى، وهنا أنثى.

(٦) تُطلق على أبواب وعتبتها وظُلّة عليها والساحة أمامها. مجمع البحرين.

(٧) ما نزل من القرآن: ٧٤ ومسند أحمد ٦: ٢٩٦.

(٨) تفسير فرات: ٣٣٥ ومجمع البيان ٨: ٥٥٩ عن تفسير الثعلبي النيسابوري وفي مسند أحمد ٦: ٢٩٢ وأسباب النزول للواحدي: ٢٩٥.

(أو عصيدة) تحمله في طبق، فوضعته بين يديه[٢] فقربتها فأكلوا.

ثم أقام فاطمة إلى جنب علي والحسن والحسين إلى جنب فاطمة ـ وكانت ليلة قارّة ـ فأدخل رسول الله رجليه إلى محدّ علي وفاطمة[٣] فأخذ الكساء من تحتنا فعطفه[٤] فألبسهم الكساء الفدكي[٥] وهي الخميصة[٦] له سوداء[٧] فلفّه رسول الله عليهم جميعاً وأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. ثلاث مرات[٨] كما أذهبت عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وطهّرهم من الرجس كما طهّرت آل لوط وآل عمران وآل هارون[٩] اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد[١٠]

فقلتُ ـ وأنا عند عتبة الباب ـ: يا رسول الله وأنا منهم أو معهم[١١]! هل أنا من أهل بيتك[١٢]؟ ألستُ من أهل البيت[١٣]؟ ألست من أهلك يا رسول

---

(١) ما نزل من القرآن: ٧٢

(٢) و(٨) تفسير فرات: ٣٣٥

(٣) تفسير فرات: ٣٣٣

(٤) تفسير فرات: ٣٣٢.

(٥) تفسير فرات: ٣٣٣. وفدك من خيبر فلا منافاة بينهما

(٦) قيل: لا تكون خميصة إلّا إذا كانت سوداء معلمة من صوف أو خز. النهاية ٢: ٨١

(٧) ما نزل من القرآن: ٧٤

(٩) تفسير فرات: ٣٣٧

(١٠) الدر المنثور ٥: ١٩٨.

(١١) ما نزل من القرآن: ٧٢

(١٢) التبيان ٨: ٣٣٩

(١٣) تفسير فرات: ٣٣٤

اللّه[1]؟ يا رسول اللّه ألستُ من أهلك[2] ورفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال[3]: لا[4] إنك زوج النبيّ، وأنتِ على خير[5] وهؤلاء أهل بيتي[6] وما قال إنك من أهل البيت[7] فلو كان قال نعم كان أحبّ إليّ مما تطلع عليه الشمس[8] ونزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ... ﴾ في النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[9].

فروى عن أبي الحمراء قال: خدمت النبيّ نحواً من تسعة أشهر [illegible] رأيت رسول اللّه تسعة أشهر أو عشرة عند كل صلاة فجر يخرج من بيته فيأخذ

---

(1) تفسير فرات: ٣٣٣

(2) تفسير فرات: ٣٣٥

(3) الدر المنثور ٥: ١٩٨.

(4) التبيان ٨: ٣٣٩.

(5) ما نزل من القرآن: ٧٣

(6) مستدرك الحاكم ٢: ٤١٦ صحيحاً على شرط البخاري

(7) تفسير فرات: ٣٣٤

(8) تفسير فرات: ٣٣٧

(9) تفسير فرات: ٣٣٢، وفي ٣٣٥ روى عن عبد اللّه الجدلي أنه سأل أُمّ سلمة عن الآية فقالت له: لو سألت عائشة لحدّثتك أن هذه الآية نزلت في بيتي. قال الجدلي: فدخلت على عائشة فقلت: أين نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾؟ قالت: نزلت في بيت أُمّ سلمة. تفسير فرات: ٣٣٤ وروى الطبرسي عن تفسير الثعلبي بإسناده عن جميع عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول اللّه قد جمع ثوبه على علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال... فقلت: يا رسول اللّه أنا من أهلك؟ قال: تنحّي. مجمع البيان ٨: ٥٥٩ وعنها في مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧.

(10) ما نزل من القرآن: ٧٦

بعضادتي باب علي (عليه السلام) ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين: وعليك السلام يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته. فيقول: الصلاة رحمكم الله ﴿إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾ ثم ينصرف إلى مصلاه[1].

---

(١) ما نزل من القرآن: ٧٧ وفي: ٧٦ رواه عن أنس بن مالك وعنه في مسند أحمد ٣: ٢٥٩ و ٢٨٥ ومستدرك الحاكم ٣: ١٥٨ وفي تفسير فرات الكوفي عن أبي الحمراء وعن أبي سعيد الخُدري: ٣٣٨ و ٣٣٩ وعن أبي الحمراء وابن عباس كل يوم خمس مرات في وقت كل صلاة. في الدر المنثور ٥: ١٩٨ وما بعدها.

وروى الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٦٠ عن الحاكم الحسكاني بسنده عن الحسن بن علي (عليه السلام) قال: جمعهم رسول الله وإياه في كساء خيبري لأُمّ سلمة ثم قال.

وفي تفسير القمي ٢: ١٩٣ عن أبي الجارود عن الباقر (عليه السلام) نزول الآية في بيت أُمّ سلمة.

ثم روى عن زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إن جُهّالاً من الناس يزعمون أنه أراد بهذه الآية أزواج النبيّ، وقد كذبوا وأثموا، ولو عنى بها أزواج النبيّ لقال: لِيُذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ تطهيراً، وكان الكلام مؤنثاً كما قال: ﴿واذكُرنَ ما يُتلى في بُيوتِكُنَّ﴾ ﴿ولا تَبَرَّجنَ﴾ و﴿لَستُنَّ كأحدٍ منَ النِّساءِ﴾.

وروى الطبرسي عن تفسير الثعلبي عن أبي سعيد الخُدري ٨: ٥٥٩ وعنه الواحدي في أسباب النزول: ٢٩٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٨ والطبرسي أيضاً عن الحاكم الحسكاني عن جابر الأنصاري ٨: ٥٦٠ ونقل عنه المظفر في دلائل الصدق ٢: ٦٧ خبراً صحّحه يدل على تأخّر نزول الآية عن خيبر وزواج النبيّ بصفية، ورجوع جعفر الطيّار وأهله من الحبشة: عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله: ادعوا لي! ادعوا لي! فقالت صفية: مَن يا رسولَ الله؟ قال: أهل بيتي: علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبيّ ﷺ كساءً ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمد وآل محمد، وأنزل الله: ﴿إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ ...﴾ ←

→ والطباطبائي في الميزان ١٦: ٣١١ في تفسير هذه الآية قال: وردت في سبب النزول: أنّ الآية نزلت في النبيّ وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم. وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة، فقد:

روتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام وأمّ سلمة وأبي ذر وأبي الأسود الدؤلي. ورواها السنة عن علي والحسن عليهما السلام وأمّ سلمة وعائشة وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وثوبان مولى النبيّ وأنس بن مالك وأبي الحمراء وأبي سعيد الخدري وواثلة بن الأسقع وسعد بن أبي وقاص في قرابة من أربعين طريقاً.

ثم أورد الإشكال بسياق الآيات في خطاب نساء النبي ﷺ، فأجاب: إنّ كثيراً من هذه الروايات وخاصة ما رويت عن أمّ سلمة ـ وفي بيتها نزلت الآية ـ تصرّح باختصاصها بهم وعدم شمولها لأزواج النبيّ. فهذه الأحاديث ـ على كثرتها ـ البالغة ـ ناصّة على نزول الآية وحدها، ولم يرد حتى في رواية واحدة نزول هذه الآية ضمن آيات نساء النبيّ، ولا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج النبيّ كما يُنسب إلى عروة وعكرمة ـ فالآية بحسب النزول لم تكن جزءاً من آيات نساء النبيّ ولا متصلة بها، وإنما وُضعت بينها، إما بأمر النبيّ ﷺ، أو عند التأليف بعد الرحلة.

ويؤيده: أن لو قدّر ارتفاع آية التطهير من بين جمل آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بقيت الآية على اتصالها وانسجامها. فموقع آية التطهير من آية ﴿وقرن ...﴾ كموقع آية ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من محرمات الأكل في سورة المائدة. الميزان ١٦: ٣١١، ٣١٢.

وللتفصيل انظر: إحقاق الحق ٢: ٥٠٢ و٩: ٢ وما بعدهما، دلائل الصدق ٢: ٦٤ ـ ٧٥ وتتمة المراجعات بتحقيق حسين الراضي: ٣٦ ـ ٤٤ ودروس في فقه الإمامية للفضلي ١: ١١٤ ـ ١٣٦ وكتب خاصة: حديث الكساء عند أهل السنة للسيد العسكري ط ١٤٠٢ هـ وآية التطهير في الخمسة أهل الكساء للموسوي الغريفي ط ١٣٧٧ النجف الأشرف ←

أما عن الآية ٣٦. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

في تفسير القمي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب زينب بنت جحش الأسدية وهي بنت عمة النبيّ، لزيد بن حارثة، فقالت: يا رسول الله، حتى أؤامر نفسي فانظر، فأنزل الله الآية[1].

وهذا يقتضي خلاف التأليف والسياق القائم في الآيات تقديماً وتأخيراً، فإن الآية بناءً على هذا في زواج زيد بزينب، بينما سبقت الآيات في طلاق زيد لزينب وزواج النبيّ بها.

وهناك رواية أخرى لا تقتضي ذلك رواها الواقدي بسنده إلى عروة بن الزبير قال: إنّ رسول الله قال لأمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط: تزوّجي زيد بن حارثة فإنه خيرٌ لك، فكرهت ذلك، فأنزل الله الآية[2] ورواها الطوسي في «التبيان» عن ابن زيد[3] وعنه الطبرسي في «مجمع البيان»[4] والسيوطي في «الدر المنثور»[5] مع ترجيح أن هذا كان بعد طلاق زيد لزينب.

وسلّموا له تسليماً:

فتح رسول الله خيبر، وكان الفتح القريب الموعود به، والقريب ذا الأثر

⟵ في ٢٧٨ صفحة وآية التطهير للسيد الأبطحي في ٨١٢ صفحة في مجلدين وآية التطهير للسيد مرتضى العاملي ط. بيروت ١٤١٥ هـ

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١١٢٦.

(٣) التبيان ٨: ٣٤٣.

(٤) مجمع البيان ٨: ٥٦٣.

(٥) الدر المنثور ٦: ٢٠٣ كما في الميزان ١٦: ٣٢٦.

الشديد النفس على اليهود والمشركين، وكان لخبره الأثر الكبير والعظيم في مكة ـ كما مرّ ـ مما جرّ عمرو بن العاص وخالد بن الوليد إلى الاستسلام للإسلام، كما مرّ شطر من خبرهما ويأتي تمامه. وبالإضافة من جوّ الأمن والأمان المتحصّل بشروط صلح الحديبية دخل في الإسلام أكثر ممن دخل فيه إلى ما قبله، حتى قضى النبيّ عمرته مع ألفين من المسلمين. هذا كله من ناحية.

ومن ناحية أخرى: تزوّج النبيّ بصفية، ثم وصلته هدايا المقوقس الاسكندري وفيها مارية القبطية أمّ إبراهيم. وغنم غنائم خيبر وفدك ووادي القرى، وتوقّع أزواجه ﷺ أن يفتح أبواب الدنيا عليهنّ، فاعتزلهن في مشربة أمّ إبراهيم شهراً، ثم خيّرهن بين زوجيته بصورة عقلانية فاخترنه، فحرّم الله عليهن الزوج بعده، فتجرّأ طلحة وتجاسر على ذلك بقول كان فيه نيل وأذىً للنبيّ ﷺ حسب الآية النازلة في ذلك.. من ناحية أخرى..

يبدو لي أن هذه الأمور هي السبب في تصعيد شأنه ﷺ بما لم يسبق له نظير من قبله، في قوله سبحانه ـ بعد تحريم أزواجه ـ **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً * إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾**[1]

ولا خلاف في أن الصلاة على النبيّ ﷺ في الصلوات كانت واجبة مفروضة قبل نزول هذه الآية، ولم تجب صلاة عليه خاصة بنزول هذه الآية، إذن فليست الآية من آيات الأحكام التشريعية، وعليه فليس الجديد في الآية تشريع الصلاة عليه، وإنما الجديد تنصيص القرآن على أنّ الصلاة عليه ليست من المؤمنين فقط، بل من الله وملائكته من قبل. هذا في الصلاة عليه.

وأمّا قوله سبحانه ﴿وسلّموا تسليماً﴾ فهل هو بمعنى السلام عليه؟ أي هو

(١) الأحزاب: ٥٦ ـ ٥٧

تشريع تأسيسيّ لسلام خاصّ عليه؟ أم هو بمعنى التسليم لأمره؟ مناسبة ما قدّمنا الإشارة إليه وما تقدم في آيات السورة من الإشارة إليه، وبعدها وتعظيمها لأذيّة الله في رسوله قبل هذه الآية في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وبعدها مباشرة بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ كل هذا لا يناسب الاوّل أي السلام عليه بمقدار ما يناسب الثاني أي التسليم لأمره، كما سبق في الآية ٢٢ من السورة نفسها في قوله سبحانه ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ على غرار ما جاء سابقاً في قوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] ولم يرد في القرآن الكريم تسليم في غير هذه الآيات الثلاث، كما لم يرد الترديد بين المعنيين للتسليم فيما سوى آية الصلوات.

روى البرقي في «المحاسن» بسنده عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾ فقال: الصلاة عليه، والتسليم له في كل شيء جاء به[2].

وروى فرات الكوفي في تفسيره بسنده عن أبي هاشم قال: كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام في المسجد الحرام فصعد الوالي المنبر يخطب يوم الجمعة فقرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ.. ﴾ فقال جعفر عليه السلام: يا أبا هاشم، لقد قال ما لا يعرف تفسيره، قال تعالى: (وَسَلِّموا بالولاية لعلي تسليماً)[3].

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) المحاسن للبرقي ١: ٢٤٢ ط المجمع العالمي لأهل البيت، قم.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٣٤٢ ط طهران بتحقيق المحمودي.

وإلى فحوى هذين الخبرين أشار القمّي في تفسيره قال: أي وسلّموا له ﷺ بالولاية، وبما جاء به[1].

والطوسي في «التبيان» فقال: «ثمّ أمر المؤمنين أن يسلّموا لأمره ولأمر رسوله تسليماً في جميع ما يأمرهم به» ثمّ ذكر المعنى الآخر[2].

والطبرسي في «مجمع البيان» روى خبر أبي بصير ثمّ قال: «فعلى هذا يكون معنى قوله ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾: انقادوا لأمره وابذلوا الجهد في طاعته في جميع ما يأمركم به» ثمّ ذكر المعنى الآخر[3].

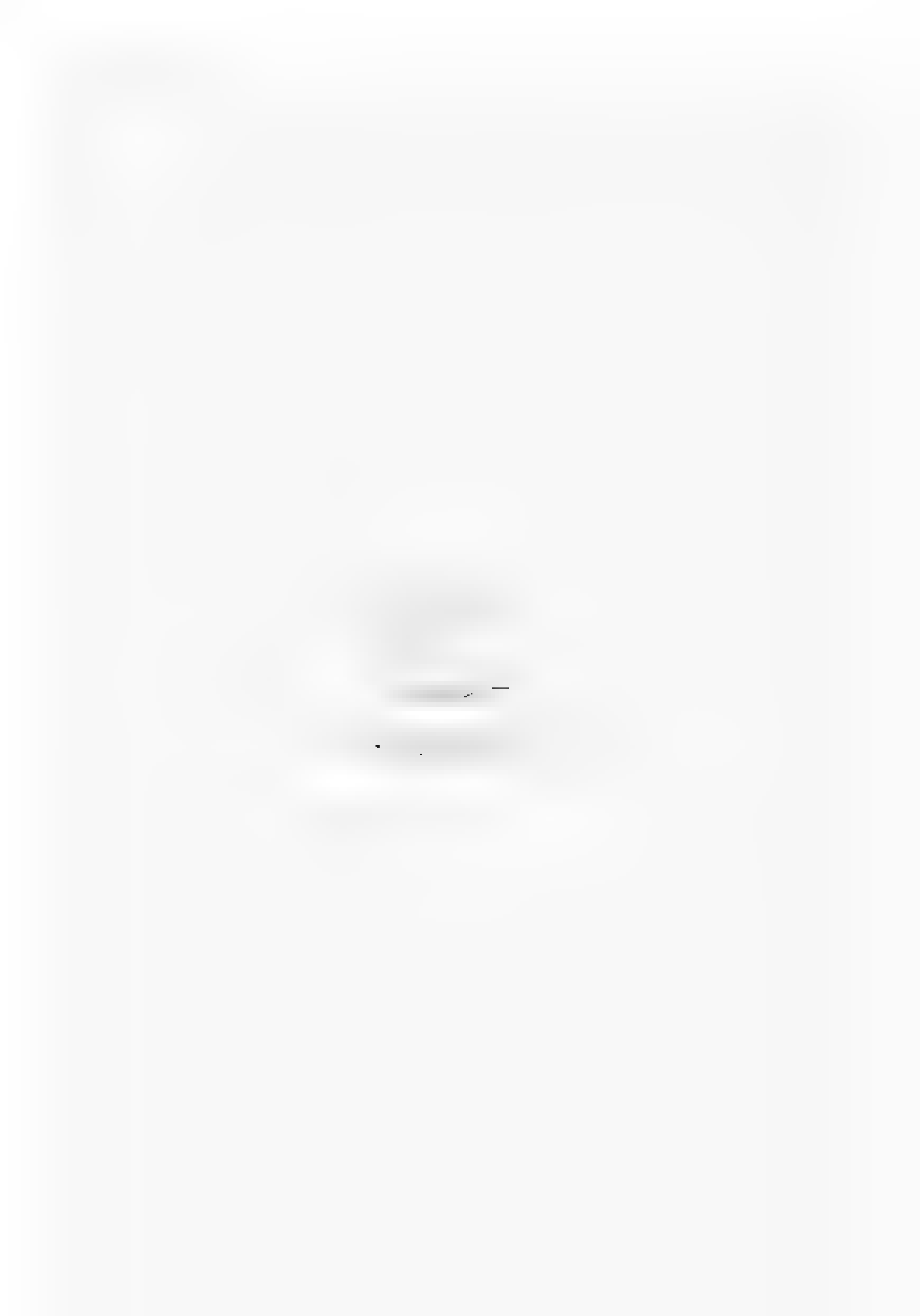
* * *

---

(١) تفسير القمّي ٢: ١٩٦.

(٢) التبيان ٨: ٣٦.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٧٩ فهذان خبران عن الإمام الصادق ﷺ في تفسير التسليم بالانقياد دون السلام. وهناك جُلّ الأخبار عنهم ﷺ إن لم تكن كلّها تصلّي على النبيّ عند ذكره هكذا: صلّى الله عليه وآله، دون «وسلّم» فضلاً عن معنى هذين الخبرين، وقال به هؤلاء المفسّرون الأوائل، والتزم بذلك جُلّ علماء المذهب، وإنّما التزم به «وسلّم» من لم يلتزم به «آله» من غير الشيعة. ولم يكن الجمع بينهما إلّا في القليل اليسير، وإنّما شاع بعض الشيء في هذا العصر الأخير. ومحاولة الجمع بينهما في الكلام يؤدّي عملاً غالباً إلى اختزال «الآل» في درج الكلام.



أهم حوادث

السنة الثامنة للهجرة

اتخاذ المنبر للنبيّ:

أظنّ أنّ ذلك التجليل القرآني الخاص للنبيّ ﷺ كان السبب في أن قال له بعض أهله أو أصحابه: يا رسول الله، إنّ الناس قد كثروا، وإنّهم يحبّون النظر إليك إذا خطبت ـ وكان في خُطبه يستند إلى جذع من أساطين المسجد ـ فلو أذنت أن نعمل لك منبراً له مراقٍ ترقاها فيراك الناس إذا خطبت؟ فأذن في ذلك[1].

وروي عن جابر الأنصاري: أنّ [illegible] امرأة من الأنصار تدعى عائشة كان لها غلام روميّ نجّار يدعى باقوم، فلمّا أذن وصنع وله ثلاث مراقٍ جيء به إلى المسجد يوم الجمعة من أوائل السنة الثامنة[2] ومرّ النبيّ بالجذع وتجاوزه إلى المنبر فصعده، فلمّا استوى عليه حنّ ذلك الجذع، فلمّا رأى رسول الله ذلك نزل عن المنبر وأتى الجذع واحتضنه ومسح عليه بيده وقال له: اسكن، فما تجاوزك رسول الله

---

(1) بحار الأنوار ١٧: ٣٢٦ عن التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام.

(2) بحار الأنوار ٢١: ٤٧ عن المنتقى للكازروني.

تهاوناً بك ولا استخفافاً بحرمتك، ولكن جلالتك وهيبتك إذ كنت مسند رسول الله، ولكن ليتمّ لعباد الله مصلحتهم فهذا حسبه. وعاد رسول الله إلى منبره[1].

إسلام خالد وعمرو بن العاص

مرّ في أخبار عمرة القضاء صدر الخبر عن بداية إسلام خالد بن الوليد المخزومي، وكذلك صدر الخبر عن بداية إسلام عمرو بن العاص السهمي، وحيث كان قدومهم المدينة في أوّل شهر صفر سنة ثمان، لذلك أخّرت ذيول أخبارهم إلى حينها:

روى الواقدي عن خالد قال: لما أجمعتُ الخروج إلى رسول الله قلت في نفسي: من أُصاحب إلى رسول الله؟ فلقيتُ صفوان بن أُمية فقلتُ له: يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنّما نحن أكلة رأس (فيه) وقد ظهر محمد على العرب والعجم (كذا) فلو قدمنا على محمد فاتّبعناه فإنّ شرف محمد لنا شرف! فقال: لو لم يبق من قريش غيري ما اتّبعته أبداً! وكان رجلاً موتوراً قد قتل أبوه وأخوه ببدر. وافترقنا.

فلقيت عكرمة بن أبي جهل، فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال لي مثل ما قال صفوان، فقلتُ له: فاطوِ ما ذكرت لك. وخرجت إلى منزلي فأمرت أن تخرج لي راحلتي، فأُخرجت إليّ، فخرجت بها.

إلى أن لقيت عثمان بن طلحة (من بني عبد الدار حملة لواء المشركين من قريش

---

(1) بحار الأنوار ١٧: ٣٢٦ عن التفسير وفيه ٢: ٤٧ عن المنتقى: لما غُيّر بناء المسجد أخذ ذلك الجذع أُبيّ بن كعب إلى داره فأكلته الأرضة فعاد رُفاتاً. وذكر الخبر الواقدي في مغازي الواقدي ٢: ١٧٩ في أوّل السنة التاسعة.

مكة ببدر، وسدنة الكعبة) فذكرت له ما صار الأمر إليه وقلت له نحواً مما قلت لصاحبه، فقال: لقد غدوت اليوم إليّ وأنا أريد أن أغدو إليه، وهذه راحلتي مُناخة بفخ[1] فتواعدنا أن نخرج سحراً فنلتقي في يأجج.

فخرجت سحراً، والتقينا في يأجج ولم يطلع الفجر، وغدونا صباحاً حتى انتهينا إلى الهدّة فوجدنا فيها عمرو بن العاص، فقال لنا: مرحباً بالقوم! فقلنا: وبك! فقال: أين مسيركم؟ فقلنا: وأنت ما أخرجك؟ قال: فما الذي أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتّباع محمد! قال: وذلك هو الذي أقدمني![2]

بينما روي عن عمرو بن العاص خبره لما كان بالحبشة حتى قال: ركبت معهم حتى انتهوا إلى الشُّعَيبة (على شاطئ البحر) وكانت معي نفقة فابتعت بعيراً وخرجت من الشُّعيبة أريد المدينة، حتى مررت على الظَّهران. فمضيت حتى بلغت الهدّة، فإذا أنا برجلين قد سبقاني إليها بغير كثير، أحدهما قائم ممسك بالراحلتين والآخر ينصب خيمة فهو داخل فيها، فنظرت وإذا القائم خالد بن الوليد، فقلت: أبا سليمان؟ قال: نعم، قلت: أين تريد؟ قال: محمداً، لقد دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طمعٌ (في شيء)، والله لو أقمنا (على شركنا) لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبع في مغارتها. فقلت: وأنا ـ والله ـ قد أردت محمداً وأردت الإسلام!

وخرج الآخر (من الخيمة) فإذا هو عثمان بن طلحة فرحّب بي، فسرنا جميعاً حتى نزلنا بئر أبي عنبة فسمعنا رجلاً من أسفله كان يصيح: يا رَباح! يا رَباح! فتفاءلنا بقوله، ثم نظر إلينا فسمعته يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين (يعنيني وخالداً)، ثم ولّى سريعاً إلى المدينة فكان أن بشّر بقدومنا رسول الله.

---

(١) من الوديان المحيطة بمكة، وبها قتل الحسين بن علي الحسني قتيل فخّ في ثورته على أوائل العباسيين، وفيه قبره.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٧، ٧٤٨.

ثم نزلنا (ظهر) الحرّة (ظهراً) فلبسنا من صالح ثيابنا، ونودي بالعصر فانطلقنا جميعاً[١] قال خالد: فلقيني أخي فقال: أسرع فإنّ رسول الله قد اُخبر بك فسرّ بقدومك، وهو ينتظركم. فأسرعت المشي فطلعت عليه، فما زال يتبسّم إليّ حتى وقفت عليه فسلّمت عليه بالنبوة، فردّ عليّ السلام بوجه طلق، فقلت: إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله. فقال: الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلّا إلى الخير. فقلت: يا رسول الله، قد رأيت ما كنتُ أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق، فادعُ الله أن يغفرها لي. فقال رسول الله: الإسلام يجبّ ما قبله. فقلت: يا رسول الله مع ذلك. فقال: اللهم اغفر لخالد كلّ ما أوضع فيه من صَدٍّ عن سبيلك[٢].

قال عمرو بن العاص: فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدّمت فما جلست بين يديه ما استطعت أن أرفع طرْفي إليه حياءً منه! فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي. فقال: إنّ الإسلام يجبّ ما قبله، والهجرة تجبّ ما قبلها[٣] وكان قدومنا في صفر سنة ثمان[٤] لهلال صفر[٥].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٤

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٩

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٥

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٩

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٧٤٥ وروى ابن إسحاق خبر إسلام خالد وعمرو بسنده عن عمرو باختصار في السيرة ٣: ٢٨٩ ـ ٢٩١ ولقوله في أول الخبر: لما انصرفنا عن الخندق، ذكره بعد الخندق، بينما هو في آخر الخبر: وذلك قُبيل الفتح! وذكر عن ابن الزِّبعري هجواً لخالد وعثمان بن طلحة، ووصفه أنه كان سادن الكعبة وصاحب مفاتحها

سرية إلى الكديد

روى الواقدي قال: في صفر سنة ثمان، بعث رسول الله غالب بن عبد الله الليثي الكلبي في سرية (بضعة عشر رجلاً) وأمره أن يشن الغارة على بني المـلوّح بالكـديـد.

قال الراوي الجهني: فخرجنا فمررنا بقُديد، ثم سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس، فكمنّا ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة لهم، فصعدت تلاً مشرفاً على الوادي يطلعني عليهم، وروحت ماشيتهم من أهلهم وأغنامهم فحلبوها، فلما اطمأنوا، وهدؤوا (وكان في وجه السَّحَر)، شننّا الغارة عليهم (وشعارنا: أمت أمت)، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذُريّة، واستقنا النعم والشاء فخرجنا نحدُرها قبل المدينة (وبنو الملوَّح كانوا من بني ليث). فلما شننّا الغارة عليهم خرج صريخ منهم إلى قومهم، فجاءنا ما لا قِبَل لنا بهم متوجّهين إلينا، ونحن عند المشلَّل (ثنيّة مشرفة على قُديد) وايم الله ما رأينا مطراً ولا سحاباً، ولكن الله جاء من حيث شاء بماء ملأ جنبتي الوادي بيننا وبينهم بما لا يستطيع أحد منهم أن يجوزه، فصعدنا المشلَّل ففُتناهم وهم ينظرون إلينا(١).

سرية إلى أرض بني عامر

وروى الواقدي قال: بعث رسول الله شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً في شهر ربيع الأول سنة ثمان إلى جمع من هوازن (وكانوا من الأحزاب) وأمره أن يغير عليهم في السِّي من ناحية ركبة من أرض بني عامر. فخرج ليلاً، يسير الليل ويكمن النهار، حتى طلع عليهم في الصباح، فأمر أصحابه أن يمعنوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٥٨.

عليهم وأن لا يوغلوا في الطلب. فأصابوا نعماً وشاءً كثيراً فاستاقوه كلّه إلى المدينة واصابوا نسوة فاستاقوهن. واستمرت غيبتهم عن المدينة حتى رجعوا إليها بعد خمس عشرة ليلة. واقتسموا الغنيمة فكانت لكل رجل خمسة عشر بعيراً، وكل بعير يعادل عشرة من الغنم[1].

واقتسموا النسوة، وكانت فيهن جارية وضيئة أخذها شجاع بن وهب بثمن فتزوّجها. ثم قدم وفدهم مسلمين، وكلّموا رسول الله في السبيّ، فكلّم النبي في ذلك شجاع بن وهب وأصحابه فردّوهن إلى أصحابهن. وخيّرها شجاع بن وهب فاختارت المقام عنده[2].

سرية إلى ذات أطلاح:

وروى الواقدي: أن رسول الله بعث كعب بن عُمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً إلى ذات أطلاح من أرض الشام. وكان كعب يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم، فرآه عين لهم فأخبرهم بقلة أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فجاؤوهم على الخيول. وكانوا جمعاً كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا، وقاتلوهم أشد قتال حتى قتلوا، وتحامل جريح منهم في الليل فأقبل حتى أتى المدينة فأخبر رسول الله الخبر، فشقّ ذلك على رسول الله وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٥١ - ٧٥٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٥٣، ٧٥٤ وتمامه: ولم يكن له منها ولد، وقُتل عنها يوم اليمامة في ١١ من الهجرة.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٥٣.

غزوة مؤتة[1].

سبب الحرب:

روى الواقدي قال: بعث رسول الله إلى ملك بُصرى[2] بكتاب، مع الحارث ابن عمير الأزدي اللهبي، فلما وصل في طريقه إلى مؤتة، وكان عليها شُرحبيل بن عمرو الغسّاني[3]، ظنّ بالحارث أنه من رُسل رسول الله فاعترضه وقال له: بعثك من رُسل محمد؟ قال الحارث: نعم، أنا رسولُ رسول الله. فأمر به أن يؤخذ فيُقتل، فأُخذ وقُتل، ولم يُقتل غيره من الرُّسل.

وبلغ الخبر إلى رسول الله فاشتدّ عليه ذلك، وندب الناس، فأخبرهم الخبر. وكأنّه طلب إليهم أن يخرجوا إلى مُعسكرهم، فخرجوا وعسكروا بالجُرُف، من دون أن يعيّن أميراً عليهم.

تعيين الأمراء:

فلما صلى الظهر جلس وجلس أصحابه حوله[4].

وفي رواية أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام: أنه ﷺ استعمل عليهم جعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فزيد بن حارثة الكلبي، فإن قُتل

---

(1) مؤتة: من قرى الشام بالبلقاء دون دمشق.

(2) بُصرى: هي مركز حوران من أعمال دمشق الشام، وقد وردها النبي ﷺ مرتين، وصالح أهلها المسلمين سنة ثلاث عشرة، فهي أول مدن الشام فُتحت صلحاً.

(3) وغسّان من الأزد أيضاً ٢: ٧٦٠.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٧٥٥، ٧٥٦ ولم يذكر غيره سبباً للحرب، ولم يذكر الرسالة والرسول ولا بعثه غيره، وذكره في الرجال: الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٣٠٥ والإصابة برقم ١٤٥٩ وأسد الغابة ١: ٣٤٢.

فعبد الله بن رواحة. فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم. وعقد لهم رسول الله لواءً أبيض. وهم ثلاثة آلاف.

خطاب الرسول فيهم:

فلما أجمعوا المسير، مشى الناس إليهم يودّعونهم ويدعون لهم. وخطبهم رسول الله فقال لهم:

«اوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً. اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغلّوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوّك من المشركين (كذا) فادعُهم إلى احدى ثلاث، فأيّتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، واكفف عنهم.

---

(١) إعلام الورى ١: ٢١٢ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٥ وفي اليعقوبي ٢: ٦٥: قيل: كان المتقدم جعفر ثم زيد بن حارثة ثم عبد الله بن رواحة. وقال المعتزلي ١٥: ٦٢: اتفق المحدثون على أنّ زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان الأمير الأول جعفر بن أبي طالب فإن قُتل فزيد بن حارثة فإن قُتل فعبد الله بن رواحة، ورووا في ذلك روايات. قال: وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب مغازي الواقدي (كذا!) ما يشهد لقولهم فمن ذلك ما رواه عن حسّان بن ثابت وهو:

فلا يُبعِدَنّ الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعاً وأسياف المنيّة تخطر

ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري:

ساروا أمام المسلمين كأنّهم طودٌ يقودهمُ الهِزَبْر المُشبلُ
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدّام أولهم، ونعم الأوّلُ

وفي الدرجات الرفيعة: ١٥٤ أنّ عقيل بن أبي طالب كان قد قَبِل مسلماً مهاجراً الى النبي ﷺ قبل الحديبية، فشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر ﵁.

ادعُهم إلى الدخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم، ثم ادعُهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم، فأخبرهم أن يكونوا كأعراب المسلمين. يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفيء ولا الغنيمة شيء إلّا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن أبوا فادعُهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم. فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟

وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تجعل لهم ذمّة الله وذمّة رسوله، فلا تجعل لهم ذمّة الله ولا ذمّة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمّتك وذمّة أبيك وذمّة أصحابك، فإنكم إن تُخفِروا ذممكم وذمم آبائكم خير لكم من أن تُخفِروا ذمّة الله ورسوله».

وخرج النبيّ ﷺ مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع[1] فوقف ووقفوا حوله فخطبهم ثانية فقال لهم:

خطبة الوداع:

«اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً معتزلين الناس في الصوامع فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين في رؤوسهم للشيطان مفاحص فافلقوها بالسيوف. ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً مرضعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تغرقنّ نخلاً، ولا تقطعنّ شجراً، ولا تهدموا بيتاً».

---

(١) يلاحظ أن ثنية الوداع على جهة الشام لا مكة، كما مرّ سابقاً.

وصايا خاصة وهي عامة

ولما ودّع رسول الله عبد الله بن رواحة قال له: يا رسول الله مُرني بشيء أحفظه عنك، فقال له: إنك قادم غداً بلداً السجود به قليل، فأكثر السجود. وسكت. فقال عبد الله: زدني يا رسول الله، فقال: اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب. فانطلق ابن رواحة ذاهباً ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله، إن الله وتر يحب الوتر! أي ثلّث الوصايا، فقال ﷺ: يا بن رواحة، ما عجزت فلا تعجزنّ إن أسأت عشراً أن تُحسن واحدة. فقال ابن رواحة: لا أسألك عن شيء بعدها. ومضى ذاهباً[1].

مسيرهم إلى الشام:

وفصل المسلمون من المدينة ومضوا ذاهبين حتى نزلوا وادي القرى، فسمع العدوّ بمسيرهم، فقام صاحب مؤتة شُرحبيل بن عمرو الغسّاني الأزدي قاتل الحارث بن عمير الأزدي اللّهبي، فقام فيهم يجمع الجموع وقدّم أمامه الطلائع وبعث أخاه سَدوس معهم، فقُتل سدوس، فبعث أخاه الآخر وَبْر بن عمرو وخاف هو فتحصّن. وتقدّم المسلمون حتى نزلوا مَعان (في الأردن، من أرض الشام) في كتاب أبان بن عثمان: بلغهم كثرة عدد الكفار من العرب والعجم من لخم وجُذام وبَليّ وقُضاعة، وقد انحازوا إلى أرض يقال لها: مشارف[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٥٦ ـ ٧٦٠.

(٢) إعلام الورى ١: ٢١٣ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٥ عنه، وفيه: وإلى المشارف تنسب السيوف المشرفية. فضعف المسلمون ﷺ وفي سائر التواريخ: معهم أي هرقل قدراً مئتي ألف في مئة ألف! وهرقل قيصر ملك بعد ثلاثين سنة، من قبل الهجرة ببضع سنين حتى أواخر عهد الخلفاء الثلاثة، كما يبدو من تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ٩١، ٩٢ وغزوة مؤتة في الثامنة للهجرة فهي في منتصف ملكه تقريباً، وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٤ أن هرقل مات سنة عشرين للهجرة. وقال المسعودي: ملك ١٥ سنة من قبل الهجرة بسبع سنين ←

وعليهم رجل من بَلِيّ يقال له مالك بن زافلة.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أن يمدّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. فشجّع الناس عبد الله بن رواحة فقال: والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور، وإما شهادة! فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحة[1].

فمضى الناس حتى إذا دنوا في أواخر البلقاء من قرية من قراها يقال لها مشارف، وإذا بجيش هرقل من الروم والعرب معهم، فانحاز المسلمون إلى قرية أُخرى من قرى البلقاء يقال لها مؤتة، ثم دنا العدو منهم حتى لقوا عندها.

حرب مؤتة:

وتعبّأ المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً يقال له: قُطبة بن قتادة العُذري، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار هو عُباية بن مالك الأنصاري[2].

= مروج الذهب ١: ٣٦٢، ٣٦١ و٢: ٢٧٨ غزوة مؤتة كانت في أواخر عهده. وقال: إنه هرقل الأول، ثم بعده موريق ثم قيصر (كذا) ثم هرقل بن قيصر على عهد عمر ٣٦٣. ونسبه في آخر كتبه - التنبيه والإشراف ١٣٣ فقال: هرقل بن فوقا بن مرقس، وكان من جنود قيصر فوقاس وثار الناس عليه فقتلوه وملّكوه، مقدمة للهجرة، فملك ٢٥ سنة ونيفاً إلى سنتين من خلافة عثمان. وقال في غزوة مؤتة: فلقيهم جموع الروم في مئة ألف، يقدمهم هرقل لقتالهم وهو يومئذ مقيم بأنطاكية، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم شُرحبيل بن عمرو، وعلى الروم ثياذوكس البطريق. التنبيه والإشراف: ٢٣٠.

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٩.

فروى الواقدي عن أبي هريرة قال: لما رأينا المشركين في مؤتة رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكُراع، والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، ما لك؟ كأنّك ترى جموعاً كثيرة؟! قلت: نعم. فقال: لو كنت تشهدنا في بدر، انا لم نُنصر بالكثرة!![1]

وعن الصادق عليه السلام قال: لما التقوا يوم مؤتة كان جعفر بن أبي طالب على فرس، فنزل عن فرسه فعرقبها[2] بالسيف، فكان أول من عرقب في الإسلام[3].

قال ابن إسحاق: فقاتل وهو يقول:

يا حبّذا الجنة واقترابها	طيّبةً وباردٌ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها	كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتُها ضِرابها

وقال ابن هشام: إنّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٠، ٧٦١.

(٢) عرّقبها: قطع عُرقوبها، والعُرقوب في الرجل بمنزلة الركبة في اليد، وقيل: هو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٣) المحاسن للبرقي ٢: ٤٧٧ وفروع الكافي ٥: ٤٩، الحديث ٩ والتهذيب ٦: ١٧٠، الحديث ٦ وهو ذلك في الحرب لكي لا يأخذ الفرس العدو فيفيد منه في حرب الإسلام.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٢٠ وروى الطبرسي في إعلام الورى عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة، خمس وعشرون منها في وجهه. إعلام الورى ١: ٢١٣.

وروى الواقدي: أنّ رجلاً من الروم قطعه بنصفين فوُجد في نصفه بضع وثلاثون ←

قال الواقدي: وأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل معه جمع من الناس والمسلمون على صفوفهم، حتى قُتل زيد بن حارثة. وما قُتل إلّا طعناً بالرمح

وروى ابن إسحاق عن من حضر الغزوة قال: وأخذ الراية عبد الله بن رواحة، وكأنه تردّد بعض التردّد ثم قال يستنزل نفسه:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلِنّهْ ... لتنزلِنّ أو لتُكرهِنّهْ

إن أجلبَ الناسُ وشدّوا الرّنّهْ ... ما لي أراكِ تكرهين الجنّهْ

قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ ... هل أنتِ إلا نطفةٌ في شَنّهْ[2]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إن لم تُقتلي تموتي ... هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ

وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ ... إن تفعلي فعلَهما هُديتِ

ثم سمع صارخ الحرب في ناحية من العسكر، فنزل عن فرسه، ثم تقدم نحوهم فقاتل حتى قُتل[3]

فروى الواقدي قال: لما قُتل ابن رواحة انهزم المسلمون في كل وجه أسوأ هزيمة؟ وبادر رجل من الأنصار يقال له ثابت بن أقرم إلى اللواء فأخذه وجعل يصيح بالأنصار: إليّ أيها الناس! فجعل قليل منهم يثوبون إليه ويجتمعون، فنظر

← جراحة وفي أخرى: وُجد فيه أكثر من ستين جُرحاً وفي أخرى: وجد فيما بين منكبيه اثنان وستون ضربة بسيف وطعنة برمح وليس طعنة قد نفذت فيه. مغازي الواقدي ٢: ٧٦١

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٦١

(٢) الشنّة: القربة القديمة البالية، ويقصد بالنطفة الماء، يشبّه نفسه بماء في قربة بالية يوشك أن تنخرق فيراق منها.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢١

ثابت فيهم إلى خالد بن الوليد فناداه: يا أبا سليمان! خذ اللواء، فقال له: أنت رجل قد شهدت بدراً ولك سنّ فلا آخذه وأنت أحق به! فقال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلّا لك! فأخذه خالد.

وحمل المشركون يحملون عليه.. وحمل بأصحابه ففضّ جمعاً منهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانكشفوا راجعين فكانت الهزيمة، واتبعهم المشركون. وجعل قُطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يُقتل الرجل مُقبلاً أحسن من أن يُقتل مُدبراً فما يثوب إليه أحد[1].

النبيّ ﷺ بالمدينة:

وروى أبان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال:

بينا رسول الله ﷺ في المسجد، إذ خُفض له كل رفيع، ورُفع له كل خفيض حتى نظر إلى جعفر عليه السلام يقاتل الكفار فقُتل. فقال رسول الله ﷺ: قُتل جعفر وأخذه المغصُ في بطنه[2].

وروى الراوندي في «الخرائج والجرائح» عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

لما كان اليوم الذي وقعت فيه حربهم (مؤتة)، صلى النبيّ بنا الغداة ثم صعد المنبر فقال: قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة. ثم أقبل يحدثنا بكرّات بعضهم على بعض إلى أن قال: أخذها (الراية) جعفر بن أبي طالب وتقدّم بها للحرب. ثم قال: قد قطعت يده (اليمنى) وقد أخذ الراية بيده الأخرى (اليسرى)، ثم

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٣.

(2) روضة الكافي: ٣٠٨.

قال: وقطعت يده الأخرى (اليسرى)، وقد احتضن الراية في صدره. ثم قال: قُتل جعفر وسقطت الراية.

ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة. ثم قال: قُتل عبد الله بن رواحة وأخذ الراية خالد بن الوليد، وانصرف المسلمون. وقد قتل من المشركين كذا، وقُتل من المسلمين فلان وفلان فذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم.

ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر، فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره(١).

تسلية المصابين

روى البرقي في «المحاسن» بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ قتل جعفر بن أبي طالب، دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بنيّ؟ فدعت بهم، وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمد، فمسح رسول الله رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فعجب رسول الله من عقلها فقال: يا أسماء، ألم تعلمي أن جعفراً رضوان الله عليه استشهد؟ فبكت. فقال لها

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٦٦ برقم ٢٥٦ وذكر مختصره برقم ٩٨. وأشار إليه ابن إسحاق في السيرة ٣: ٢٢ ورواه الواقدي في مغازي الواقدي ٢: ٧٦١، ٧٦٢ وعنه فلا يصح ما رواه الأصفهاني في مقاتل الطالبيين عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً (كذا) إلى رسول الله يوم مؤتة فلما دخلت المسجد قال لي: على رسلك يا عبد الرحمن، ثم أخبر أصحابه بخبرهم. منكر. مقاتل الطالبيين: ٧، ٨ ط نجف الأشرف و ١٣ ط بيروت. وفي شرح المواهب ٢: ٢٧٦ قيل: إنّ الذي قدم بخبر مؤتة أبو عامر الأشعري أو يعلى بن أمية.

رسول الله لا تبكي، فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر. فقالت: يا رسول الله، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا يُنسى فضله. فعجب رسول الله من عقلها[1].

وروى عنه عن الصادق عليه السلام مثله ثم قال: فخرج رسول الله ﷺ فصعد المنبر وأعلم الناس بذلك ثم نزل[2].

---

(١) المحاسن ٢: ١٩٤ برقم ١٩٩.

(٢) المحاسن ٢: ١٩٣ برقم ١٩٨.

وروى الطبرسي في إعلام الورى عن عبد الله بن جعفر قال: قام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقى إلى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يُعرف عليه، فقال:

«إنّ المرء كثير حزنه بأخيه وابن عمه، ألا إنّ جعفر قد استشهد وجعل له جناحان يطير بهما في الجنة».

ثم نزل ودخل بيته وأدخلني معه، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي، فتغدّينا عنده ـ والله ـ غداءً طيباً مباركاً، وأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا. ورواه الواقدي في مغازي الواقدي ٢: ٧٦٦، ٧٦٧.

ثم روى الطبرسي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: اذهبي فابكي على ابن عمك، فإنك إن لم تدعي بثكل فما قلت فقد صدقت. إعلام الورى ١: ٢١٤.

وعليه فلا يصح ما رواه ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٣ والواقدي في المغازي ٢: ٧٦٧ عن عائشة: أنّ النبيّ أمر رجلاً أن يُسكت النساء عن البكاء على جعفر قال: ابن ان يحثو في أفواههنّ التراب. بينما هما رويا بسندهما عن أسماء أنها صرخت حتى اجتمع إليها النساء، ولم يرويا أنه منعها أو منعهن بل رويا أنه خرج إلى فاطمة فأمر أن يصنعوا لهم طعاماً ٤: ٢٢ والمغازي للواقدي ٢: ٧٦٦ وفيه: على مثل جعفر فلتبك البواكي.

وروى فيه عنه عليه السلام أيضاً قال: لما قُتل جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام أن تأتي أسماء بنت عميس هي ونساؤها، وتقيم عندها ثلاثاً، وتصنع لها طعاماً ثلاثة أيام. فجرت بذلك السنة أن يصنع لأهل المصيبة طعام ثلاثة أيام[1].

وروى الصدوق: أنّ النبي ﷺ لما جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جداً ويقول: كانا يحدّثاني ويؤانساني فذهبا جميعاً[2].

ثم جاءت الأخبار بأنهم قد قُتلوا في ذلك اليوم على تلك الهيئة[3].

رجوعهم إلى المدينة:

روى الواقدي بسنده عن أبي سعيد الخُدْري قال: أقبل خالد بن الوليد بالناس منهزماً، فلما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقَّوهم إلى الجُرُف (من نواحي المدينة)، فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فُرّار! أفررتم في سبيل الله؟![4].

---

(١) المحاسن ٢: ١٩٣ برقم ١٩٧ و ١٩٦ وفي فروع الكافي ٣: ٢١٧ الحديث ١ وكتاب من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٢، ١٨٣، الحديث ٥٤٩ والحديث ٥٤٦ وفيه: فقد شُغلوا والحديث ٥٤٨ وفيه: كان من عمل الجاهلية الأكل عند أهل المصيبة، والسنة البعث إليهم بالطعام. وأمالي الطوسي: ٦٥٩ برقم ١٣٦٠.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٧، الحديث ٥٢٧.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٢١ الحديث ١٩٨ ولعله كان على لسان عبد الرحمن بن سمرة كما في مقاتل الطالبيين: ٧ أو أبي عامر الأشعري أو يعلى بن أمية كما في شرح المواهب ٢: ٢٧٦ كما مرّ.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٤، ٧٦٥.

وروى ابن إسحاق عن عروة قال: لما دنوا من المدينة تلقاهم المسلمون ورسول الله مقبل معهم على دابة، وجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فُرّار! فررتم في سبيل الله! فيقول رسول الله: ليسوا بالفُرّار، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله[1].

وروى الواقدي قال: لقي أهل المدينة أصحاب مؤتة بالشرّ، حتى إن الرجل يأتي إلى بيته وأهله فيدقّ عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له ويقولون: ألا تقدّمت مع أصحابك؟! فأمّا من كان كبيراً من أصحاب رسول الله فإنه جلس في بيته استحياءً، حتى جعل النبيّ يرسل إليهم رجلاً رجلاً، ويقول لهم: أنتم الكُرّار في سبيل الله.

وكان ممن حضر مؤتة سلمة بن هشام المخزومي ابن أمّ سلمة زوج النبيّ، فدخل داره ولم يخرج منها، ودخلت امرأته على أمّ سلمة فقالت لها أمّ سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام أيشتكي شيئاً؟ فقالت امرأته: لا والله ولكنه لا يستطيع الخروج، فإنه إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: يا فُرّار أفررتم في سبيل الله؟! فلذلك قعد في البيت. فذكرت أمّ سلمة ذلك لرسول الله فقال رسول الله: بل هم الكُرّار في سبيل الله، فليخرج! فخرج[2].

شهداء مؤتة:

وقتل بمؤتة من عدا الثلاثة: جعفر[3] وزيد وعبد الله بن رواحة الخزرجي من

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٤ وعنه في إعلام الورى ١: ٢١٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٥ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٤، ٢٥ بدون الذيل.

(٣) روى الأصبهاني في مقاتل الطالبيين: ٨ عن علي بن عبد الله بن جعفر: أن جعفر ...

قريش: مسعود بن الأسود العدوي، ووهب بن سعد بن أبي سرح أخو عبد الله بن سعد بن أبي سرح. ومن بني النجار من الخزرج: سراقة بن عمرو، وجابر بن عمرو وأخوه أبو كلاب أو كليب، وعمرو بن سعد وأخوه عامر والحارث بن النعمان بن أساف[1] أو يساف[2].

---

* قتل وهو ابن أربع وثلاثين سنة. ثم قال: وهذا عندي شبيه بالوهم، وعلى ما أرى أن من قيس أمره، علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين، فإنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله إحدى وعشرون سنة، وهو أسنّ من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين.

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٩. هذا، وفي إحدى روايتي الكليني في أُصول الكافي ٢: ٥٤ عن أبي بصير، وهي التي عن القاسم بن بريد عنه عن الصادق عليه السلام قال: استقبل رسول الله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار! فقال له رسول الله ﷺ: عبد نوّر الله قلبه! أبصرت فاثبت! فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني الشهادة معك. فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة. فلم يلبث إلّا أياماً حتى... استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر، وكان هو العاشر.

هذا، والمقتول في مؤتة كما مرّ هو الحارث بن النعمان بن أساف أو يساف، وليس حارثة بن مالك بن النعمان، ولا يوجد في السيرة والتاريخ أحد بهذا الاسم، بل الحارث بن مالك أبو واقد الليثي وليس هو به، والحارث بن مالك بن البرصاء أسلم في السابعة وليس هو به قطعاً أيضاً.

وقد ورد في آخر الرواية الأخرى للخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في معنى ←

أمّا تاريخ الغزوة: فقد كانت في جمادى الأولى من سنة ثمان[1].

سريّة وادي الرمل اليابس[2].

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ أهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، فتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على أن لا يتخلّف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحداً ولا يفرّ رجل عن صاحبه حتى يموتوا

← الأخبار للشيخ الصدوق: ١٨٧ فقال له: يا رسول الله ما أنا أخوف من شيء على نفسي أخوف مني عليها من بصري! فدعا رسول الله فذهب بصره!

وذكره الطوسي في رجاله فقال فيه: شهد بدراً وأحداً وما بعدها من المشاهد، وشهد مع أمير المؤمنين القتال، وتوفي أيام معاوية. رجال الطوسي: ١٧ ط. النجف الأشرف. وكذلك ذكره العسقلاني في الإصابة برقمي ١٤٧٨ و١٥٣٢ وأخرج حديثه هذا عن عدة من جوامعهم الحديثية بألفاظ مختلفة ثم قال: إنه حديث معضل لا يعوّل عليه إذ لم يثبت موصولاً.

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٥ وإعلام الورى ١: ٢١٢ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) هذا ما رواه في تفسير القمي ٢: ٤٣٤ ويبدو عنه في تفسير فرات الكوفي: ٥٩٩، الحديث ٧٦١ وعنهما في بحار الأنوار ٢١: ٦٧ - ٧٤ وباسم وادي الرمل لدى المفيد في الإرشاد ١: ١١٣ وقال: ويقال: إنها كانت تسمّى غزوة السلسلة. وفي ١٦٢ بتقديم اسم: غزاة السلسلة. قوم من العرب بوادي الرمل. وعن القوم وموضعهم قال: بني سُليم، وهم قريب من الحَرّة. وذكر الحموي الزبيدي باسم ذات السلاسل، وعن الموضع قيل: ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل. الخرائج والجرائح ١: ١٦٧ و٢٥٧ وفي ابن هشام ٤: ٢٧٢ عن ابن إسحاق: ذات السلاسل من أرض بني عُذرة في جهة الشام، على ماء بأرض جُذام يقال له السَلسَل، وبذلك سمّيت الغزوة ذات السلاسل. وفي الطبقات الكبرى ٢: ٩٤ ذات السلاسل: وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. وليس لوادي الرمل اليابس ذكر في التواريخ والسِيَر.

كلهم على حلف واحد ـ أو يقتلوا محمداً ﷺ وعلي بن أبي طالب، فنزل جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ وأخبره بقصتهم وما تعاقدوا عليه وتواثقوا، وأمره أن يبعث أبا بكر[1] إليهم في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار.

فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، إنّ جبرئيل أخبرني أنّ أهل وادي اليابس اثني عشر ألف فارس قد استعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل بصاحبه ولا يفرّ عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب، وقد أمرني أن أسيّر إليهم أبا بكر في أربعة آلاف فارس، فخذوا في أمركم، واستعدوا لعدوّكم، وانهضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله تعالى.

فأخذ المسلمون عُدّتهم وتهيّؤوا، وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر بأمره، وكان في أمره به أنّه إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوه، وإلّا واقعهم فيقتل مقاتليهم، ويسبي ذراريهم، ويستبيح أموالهم، ويخرّب ضياعهم وديارهم. فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عُدّة وأحسن هيئة، يسير بهم سيراً رفيقاً، حتى انتهوا إلى أهل وادي اليابس.

فلما بلغ القوم نزولهم إليهم، ونزل أبو بكر وأصحابه قريباً منهم، خرج إليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدجّجين بالسلاح، فلما صادفوهم قالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول الله. قالوا: ما أقدمك علينا؟ قال: أمرني رسول الله أن أعرض عليكم الإسلام، فإن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون

---

(1) كذا في نسخة بحار الأنوار، وتفسير فرات الكوفي، وفي المطبوع: فلاناً، وكذا في سائر الموارد.

فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم، وإلّا فالحرب بيننا وبينكم. فقالوا له: أما واللات والعزّى، لولا رحم بيننا وقرابة قريبة (؟) لقتلناك وجميع أصحابك قتلةً تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك وارجوا العافية، فإنّا نحب أن يرد صاحبكم بعينه وهو علي بن أبي طالب. فقال أبو بكر: يا قوم، إنّ القوم أكثر منكم أضعافاً وأعدّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلم رسولَ الله بحال القوم. فقالوا له: يا أبا بكر، خالفت قول رسول الله وما أمرك به، فاتّق الله وواقع القوم ولا تخالف رسولَ الله! فقال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فانصرف وانصرف الناس أجمعون، فأخبر رسولَ الله ﷺ بمقالة القوم وما ردّ عليهم. فقال رسولُ الله: يا أبا بكر، خالفت أمري، ولم تفعل ما أمرتك، وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك! ثم قام النبيّ ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين، إنّي أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس، وأن يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله، فإن أجابوه، وإلّا واقعهم، وإنّه سار إليهم، فخرج إليه منهم مائتا رجل، فلما سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ سَحْره[1] ودخله الرعب منهم، فترك قولي ولم يطع أمري. وإنّ جبرئيل أمرني عن الله أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه الأربعة آلاف فارس. فسِر يا عمر على اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك، فإنّه قد عصى الله وعصاني. وأمره بما أمر أبا بكر.

فخرج ومعه المهاجرون والأنصار الذين كانوا مع أبي بكر، يقتصد بهم في سيرهم، حتى شارف القوم وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه، فخرج إليهم

---

(١) كذا في تفسير الكوفي، وفي القمي: صدره. والسَّحر: الرئة، أي انتفخت رئته خوفاً. انظر مجمع البحرين.

منهم مئتا رجل، فقاتلوهم مثل مقاتلتهم لأبي بكر، فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم!

وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره بمثل ما أخبره به صاحبه، فقال له: يا عمر، عصيت الله في عرشه وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك! ألا قبّح الله رأيك! وإن جبرئيل قد أمرني أن أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين، وأخبرني أن الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا علياً عليه السلام وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر وأصحابهم الأربعة آلاف فارس، وأخبره أن الله سيفتح عليه وعلى أصحابه. فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار، وأعنف بهم في السير حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابهم(1)، فقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأخبرني أن الله سيفتح عليّ وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير وإلى خير. فطابت نفوسهم وقلوبهم، وساروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم أمر أصحابه أن ينزلوا.

مواجهة الإمام علي عليه السلام القوم:

وسمع أهل وادي اليابس بقدوم علي بن أبي طالب وأصحابه، فخرجوا إليهم منهم مئتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ فقال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن آمنتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشر. فقال له: إياك أردنا، وإياك طلبنا، قد سمعنا مقالتك وما عرضت

---

(1) كان إذا رقّ حافر الدابة قيل: حفيت الدابة، كأنها أصبحت حافية من حافرها.

علينا، فجدّ جِدّك واستعِدّ للحرب العَوان[1] واعلم أنّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعد بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم! فقال لهم علي عليه السلام: ويلكم! تهدّدوني بكثرتكم وجمعكم! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه. فلما جنّه الليل أمر أصحابه أن يُقضِموا[2] دوابّهم ويحسّوا إليها ويُسرجوها.

اشتباك الحرب:

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغَلَس[3] ثم أغار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطأتهم الخيل، فما أدرك آخرَ أصحابه حتى قتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرّب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه. وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس. وما غنم المسلمون مثلها قط، إلّا أن يكون من خيبر، فإنها مثل ذلك.

وأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم سورة «والعاديات ضبحاً» يعني بالعاديات الخيل تعدو بالرجال، والضبح صيحتها في أعنّتها ولجمها[4].

---

(١) الحرب العوان: التي فيها جولات وكرّات.

(٢) يقضموا الدوابّ أي يجعلوها تقضم أي تأكل شعيرها.

(٣) الغلس: الظلام في آخر الليل، والغسق في أوّله.

(٤) كما في عدّة الخبر في تفسير القمي، والكوفي ٢: ٦٠٢ الحديث ٧٦٦ والطوسي في الأمالي: ٤٠٧، الحديث ٩١٣ بسنده عنه عليه السلام أيضاً مختصراً قال: وجّه رسول الله صلى الله عليه وآله عمر ابن الخطاب في سرية (ولم يعيّن) فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه. فلما انتهى إلى النبيّ قال لعلي عليه السلام: أنت صاحب القوم، فتهيّأ أنت ومَن تريده من فرسان ...

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله ﷺ بما فتح الله لعلي ﷺ وجماعة

← المهاجرين والأنصار. وقال له: كفى النهار وسر الليل ولا تفارقك العين. فسار علي ﷺ إليهم فما كان عند الصبح أغار عليهم، فأنزل الله على نبيه ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ إلى آخرها. والخبر من مرويات أبي القاسم بن شبل الوكيل. وإليه أشار الحسني في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٤٠ ولم ينقل الحديث بطوله. أشار الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٨٠٣ فقال: نزلت السورة لما بعث النبيّ ﷺ عليّاً ﷺ إلى ذات السلاسل فأوقع بهم. وهو المرويّ عن أبي عبد الله ﷺ في حديث طويل قال: ولما نزلت السورة خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرأ فيها ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها! فقال رسول الله: نعم، إنّ عليّاً ظفر بأعداء الله وبشّرني بذلك جبرئيل في هذه الليلة. هذا وقد نقل الطوسي في التبيان ١٠: ٣٩٥ عن الضحاك أن السورة مدنية، والطبرسي أيضاً نقل ذلك عن ابن عبّاس وقتادة ١٠: ٨٠١.

وفي آيات إطعام أهل البيت ﷺ من سورتهم سورة الإنسان قال: إن بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال: هذه السورة مكية، فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة؟! واستدل بذلك على أنها مخترعة، جرأة على الله وعداوة لأهل بيت رسوله. فأحببت كشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه.

فنقل عن كتاب الإيضاح للأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: سألت النبيّ عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة، على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب... إلى أن قال: وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة... وبإسناده عن الحسن البصري وعكرمة، وبإسناده عن عثمان بن عطاء الخراساني عن ابن عباس. ورواه الطبرسي أيضاً عن الحاكم الحسكاني النيسابوري ١٠: ٦١٢ ـ ٦١٤ وليس في قوائم هذه الأخبار مدنية العاديات، بل هي فيها مكية. وبذلك صحّ ذكرنا لها في عداد المكيات الأوائل، وبناءً على هذه الأخبار عن الصادق ﷺ نزولها هنا في المدينة فهي نازلة هنا إما ابتداءً أو ثانية وبمعنى ثان.

المسلمين. فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يُصَب منهم إلّا رجلان، ونزل.

ثم خرج يستقبل عليّاً في جمع من أهل المدينة من المسلمين، إلى ثلاثة أميال من المدينة. فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبيّ صلى الله عليه وآله حتى التزمه وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى علي عليه السلام حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

والمفيد في «الإرشاد» نقل الخبر عن أصحاب السير إلى أن قال: فروى عن أُمّ سلمة رحمها الله قالت: كان نبيّ الله صلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه من منامه فزعاً. فقلت له: الله جارك! قال: صدقتِ، الله جاري، لكنّ هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني أنّ عليّاً قادم. ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً عليه السلام

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤٣٤ ـ ٤٣٨ ويقرب منه في تفسير فرات الكوفي ٥٩٩ ـ ٦٠٢، الحديث ٧٦١ وروى قبله حديثاً أطول منه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه فيه: أنّ الذي أخبر النبيّ بخبر استعداد القوم أعرابيٌّ من بني لُخيم، وأنّ القوم من خثعم يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمي في خمسمائة منهم، وكان الحارث يعدّ بخمسمائة فارس، وأنه أرسل إليه عليّاً أن بخمسمائة أو بخمسين ومائة فارس، فقتل الحارث صباحاً وهزمهم وغنم وسبى منهم، ونزلت سورة العاديات. واستقبله الرسول والمسلمون على ثلاثة أميال من المدينة. وروى قبله خبراً عن أبي ذر الغفاري وفيه: أنّ النبيّ أقرع بين أهل الصفة فبعث منهم ومن غيرهم ثمانين رجلاً إلى بني سُليم وولّى عليهم رجلاً فهُزموا، فدعا لها عليّاً عليه السلام فبعثه إليهم وشيّعه إلى مسجد الأحزاب، فلما طلع الفجر أغار عليهم وكان رئيسهم الحارث بن بشر فقتله ومائة وعشرين منهم وسبى منهم مائة وعشرين فتاةً ناهدة، ونزلت سورة العاديات فيه. وعن ابن عباس، وفيها سمّي السرية ذات السلاسل وفيه: أنّ النبي بعث فيها أبا بكر ثم عمر ثم خالد بن الوليد فهُزموا، فدعا لها عليّاً عليه السلام وسيّرهم معه، وكمن بهم خلف جبل إلى السحر، فلما كان السحر أشرف عليهم من الجبل فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، ونزلت سورة العاديات في ذلك.

وتلقّاه المسلمون صفّين مع رسول الله ﷺ، فلمّا بصر بالنبيّ ﷺ ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له: اركب، فإنّ الله تعالى ورسوله عنك راضيان! فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً، فقال له النبيّ ﷺ: يا عليّ، لولا أنّني أشفق أن تقول فيك طوائف من اُمّتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك ـ اليوم ـ مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك[1].

وانصرف عليّ عليه السلام إلى منزله، فقال النبيّ ﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ فقالوا: لم ننكر منه شيئاً إلّا أنّه لم يؤمّ بنا في صلاة إلّا قرأ بنا فيها بقل هو الله أحد، فقال النبيّ لهم: سأسأله عن ذلك. فلمّا جاءه قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلّا بسورة الإخلاص؟ فقال عليه السلام: يا رسول الله أحببتها، فقال له النبيّ عليه السلام: فإنّ الله قد أحبّك كما أحببتها[2].

---

(١) الإرشاد ١: ١١٦، ١١٧ و ١٦٥.

(٢) الإرشاد ١: ١١٦، ١١٧. وروى خبر سورة التوحيد الصدوق في التوحيد: ٩٤ بسنده عن عمران بن الحصين الأنصاري: أنّ النبيّ ﷺ بعث سرية ولم يسمّها. والطبرسي في إعلام الورى نقل ما ذكره المفيد في الإرشاد أولاً ١: ١١٣ ـ ١١٦. ونقل القطب الراوندي في الخرائج والجرائح ١: ١٦٧، ١٦٨، الحديث ٢٥٧ مع ذكر دور عمرو بن العاص في الغزوة نحو ما في الإرشاد. ونسبه المفيد إلى أصحاب السير ولم يسمّهم. وأشار الحلبي في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٤٠، ١٤١ إلى أسمائهم فقال: ذكر الزجاج والثوري والسدّي ومقاتل وأبو صالح عن ابن عباس. مع ذكر دور خالد بن الوليد أو عمرو بن العاص.

أمّا ابن إسحاق والواقدي فقد قالا: إنّ النبيّ ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة إلى الشام على ماءٍ بأرض جُذام يقال له السَّلسل وبذلك سمّيت الغزوة: ذات السلاسل. وذلك أنّه بلغه أنّ جمعاً من بَليّ وقُضاعة قد تجمّعوا يريدون المدينة، فبعثه في ثلاثمئة من سراة المهاجرين والأنصار، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب وهي بلاد بَليّ وعُذرة وبلقين، وإنما اختاره النبيّ ﷺ لأنّ أمّ أبيه العاص من ←

سَرِيّة أبي قتادة إلى خَضِرة(١)

روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: أقبل رجل من بني جُشَم يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رُفاعة بقومه حتى نزل

ـــ بلاد كانت بني بليّ، فأراد أن يتألّفهم بذلك. فلما دنا من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فخاف منهم، فبعث رافع بن مُكيث الجُهني إلى رسول الله يخبره ويستمدّه، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجرّاح في مئتين من سراة الأنصار والمهاجرين منهم أبو بكر وعمر فساروا وكان قبل هذا يسير الليل ويكمن النهار أما الآن فسار الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليّ. وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا به تفرّقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وعُذرة وبَلْقين، فهناك لقي جمعاً غير كثير، فترموا بالنبل وتناضلوا ساعة، ثم حمل المسلمون عليهم فهربوا وتفرّقوا. وأقام عمرو هنالك أياماً يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشياة والنَّعم.

ويروون عن رافع بن عميرة الطائي أنه كان نصرانياً يُدعى سيرجس فأسلم وبعث في هذا البعث مع أبي بكر فاستنصحه فقال له: آمرك أن توحّد الله ولا تشرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمّر على رجلين من المسلمين أبداً.

فلما توفي رسول الله واستخلف أبو بكر قدم عليه فقال له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن تأمّر على رجلين من المسلمين؟ فقال: بلى وأنا الآن أنهاك عن ذلك! قال: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟! أو ما لك تأمّرت على أمّة محمد؟! قال: اختلف الناس فخشيت عليهم الهلاك، ودعوا إليّ فلم أجد لذلك بدّاً، أو: خشيت على أمة محمد الفُرقة! سيرة ابن هشام ٤: ٢٧٢ ـ ٢٧٤ ومغازي الواقدي ٢: ٧٧١ ـ ٧٧٢ وفي مقدمته ذكر أنها كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان.

(١) على عشرين ميلاً (ثمانين كم) بناحية نجد عند بستان ابن عامر. مغازي الواقدي ١: ٦.

بالغابة يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ[1].

وروى عنه الواقدي قال: وكنت قد تزوّجت ابنة سُراقة بن حارثة النجّاري الشهيد ببدر، وأصدقتها مئتي درهم، ولا أجدها، فجئت النبيّ فأخبرته وقلت له: يا رسول الله أعنّي في صَداقها. فقال رسول الله: ما وافقتَ عندنا شيئاً أُعينك به، ولكنّي قد أجمعتُ أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً [في سرية] فهل لك أن تخرج فيها؟ فإنّي أرجو أن يغنّمك الله مهرَ امرأتك. فقلت: نعم.

فبعثنا النبيّ إلى غطفان نحو نجد، وقال لنا: سيروا الليل واكمنوا النهار، وشُنّوا الغارة، ولا تقتلوا النساء والصبيان. فخرجنا حتى أتينا ناحية غطفان ليلاً، فألّف أبو قتادة بين كل رجلين منّا، ثم خطبنا فأوصانا بتقوى الله: لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أو يرجع إليّ فيخبرني خبره، ولا يأتيني رجل فأسأله عن صاحبه فيقول: لا علم لي به. وإذا كبّرتُ فكبّروا، وإذا حملت فاحملوا، ولا تمعنوا في الطلب. ثم جرّد أبو قتادة سيفه وجرّدنا سيوفنا، وكبّر وكبّرنا معه، فشددنا وهجمنا على حاضر منهم عظيم[2].

وفي خبر ابن إسحاق قال: قربت حاضرهم عُشَيشية (عشيّة) مع غروب الشمس، ونحن ننظر غِرّة القوم حتى غشينا الليل وذهبت فَحمةُ العشاء (ظلمتها) فقدم صاحبهم رفاعة بن قيس وأخذ سيفه وجعله في عنقه وخرج يتبع أثر زرع قد سرّح ضابطاً عليهم فتخوّفوا عليه، فقال له نفر ممن معه: نحن نكفيك، قال: لا والله لا يذهب إلّا أنا. فقالوا له: فنحن معك، قال: لا والله لا يتبعني أحد منكم. ثم خرج فمرّ بي، فلما أمكنني رميته بسهمي فوضعته في فؤاده، ثم وثبت إليه

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٨.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٧٧٨.

فاحتززت رأسه، ثم شددنا في ناحية العسكر وكبّرنا، فوالله ما كان إلّا النجاء بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفّ معهم من أموالهم. ونحن سقنا إبلاً وغنماً كثيراً فجئنا بها إلى رسول الله، وجئته برأسه أحمله معي، فأعطاني رسول الله من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً[١].

وروى الواقدي: أنهم غابوا خمس عشرة ليلة في شعبان سنة ثمان[٢]، وجاؤوا بمائتي بعير وألفي شاة، مع سبي كثير: أربع نسوة، وأطفال من غلمان وجوارٍ. وعزلوا الخمس، وكان سهمهم كل رجل اثني عشر بعيراً، وكان البعير يعدل بعشر من الغنم. وجاء محمية بن جَزء الزُبيدي إلى النبيّ فقال: يا رسول الله، إنّ أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة، وقد كنتَ وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله عليك.

فأرسل رسول الله إلى أبي قتادة فقال: ما جارية صارت في سهمك؟ فقال أبو قتادة: نعم جارية من السبي أخذتها لنفسي بعد أن أخرجنا الخمس من الغنم. فقال النبيّ: هبها لي. قال أبو قتادة: نعم، يا رسولَ الله. فأخذها رسول الله فدفعها إلى محميّة بن جَزء الزُّبيدي[٣].

نزول سورة الطلاق:

نجد في ترتيب النزول المعتمد سورة الطلاق بعد سورة الإنسان[٤] وقال الطبْرسي في «مجمع البيان»: وتسمّى سورة النساء القُصرى، ثم روى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: إنّ سورة النساء القُصرى (الطلاق) نزلت بعد قوله

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٧٩.

(٢) و(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٠.

(٤) التمهيد ١: ١٠٧.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ﴾[1] وروى السيوطي في «الدر المنثور» عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت سورة النساء القُصرى بعد التي في البقرة (يعني قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ﴾ بسبع سنين[2]) أي في السنة السابعة للهجرة.

وأيضاً في الترتيب المعتمد بعد سورة الطلاق سورة البيّنة، ثم سورة الحشر. ولم يُذكر لسورة البيّنة شأن نزول ولا سبب. ولم يختلفوا أن شأن نزول سورة الحشر إخراج يهود بني النضير من ديارهم إلى خيبر والأردن والشام، وكان ذلك قبل خيبر بكثير، أي قبل السنة السابعة بما يقتضي نزولها قبل هذا.

وفي الترتيب المعتمد بعد سورة الحشر سورة النصر: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾: أي فتح مكة، وفي الروايات في بدايات مقدمات الفتح نزول الآيات الأوائل من سورة الممتحنة، كما سيأتي، بينما هي في روايات النزول قبل هذا بعشر سور!

بدايات روايات الفتح

نقض قريش لعهد الحديبية:

مرّ في شروط صلح الحُديبية: «وأنّه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنّ من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل» ولما كتبوا الكتاب قامت خُزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده. وقامت بنو بكر (من كنانة قريش) فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٤.

(٢) الدر المنثور ٧ كما عنه في الميزان ١٩: ٣١٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣١٣ و٣١٤.

وآخر ما كان بين خُزاعة وبني بكر أن عدت خُزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب أبناء الأسود الدِّيلي من بني بكر من أشراف كنانة فقتلوهم في عرفات، قرب علائم حدود الحرم، قُبيل الإسلام بقليل، ثم تشاغلوا بالإسلام فحجز بينهم[1] فتحاوروا وكفّ بعضهم عن بعض من أجل الإسلام، وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم، إلّا أنه قد دخل الإسلام عليهم جميعاً فأمسكوا[2].

وانتصرت خزاعة لرسول الله

وعلى رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية وقبل شهر شعبان[3]، قعد أنس بن زُنَيم الدّيلي يروي هجاء رسول الله، فسمعه غلام من خزاعة فقال له: لا تذكر هذا! قال: وما أنت وذاك؟! فقال: لئن أعدت لأكسرنّ [فاك] فأعادها الدِّيلي فوقع عليه الخزاعي فشجّه، فخرج الدّيلي إلى قومه فأراهم شجّته، فثار الشرّ بينهم[4].

وأراد نوفل بن معاوية الدِّيلي ـ وهو قائد بني الدِّيل من بني بكر من كنانة ـ أراد أن يثأر من خزاعة لمن قتلوه قُبيل الإسلام من أبناء الأسود الدِّيلي: ذؤيب وسلمى وكلثوم، فأبى عليه بعض بني بكر وتابعه بعضهم، ومنهم بنو نُفاثة من بني بكر، فكلّموا أشراف قريش أن يعينوهم بالسلاح والرحال لقتال عدوّهم من خزاعة، وذكّروهم بالقتلى منهم على يد خُزاعة، وبدخولهم في عقدهم وعهدهم، وأنّ خزاعة انحازت إلى عقد محمد وعهده.

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٣١.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٣.

(٤) إعلام الورى ١: ٢١٥ ومغازي الواقدي ٢: ٧٨٢.

فأما أبو سفيان فإمّا لم يشاوروه، أو شاوروه فأبى عليهم، وأما سائر القوم فقد أسرعوا لهم. وأما خُزاعة فإنهم كانوا في دعة وأمان من عدوّهم لما حجز الإسلام بينهم، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعُدّة فتواعدت قريش فيما بينهم سرّاً لئلا تُخبر خزاعة فتحذر، فتواعدوا على ماء لخزاعة يُسمّى الوتير، فوافوا للميعاد، وفيهم رجال من كبار قريش متنقّبين متنكّرين: صفوان بن أمية، ومكرز بن حفص، وحُويطب بن عبد العزّى، وجلبوا معهم أرقّاءهم، فبيّتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم رجلاً يقال له مُنبّه، ثم لم يزالوا يقاتلونهم حتى انتهوا بهم إلى علائم حدود الحرم (من قبل عرفات).

فلما انتهوا إلى الحرم قال بنو بكر لقائدهم نوفل الدّيلي: يا نوفل، إلهك إلهك، قد دخلنا الحرم! فقال نوفل: لا إله لي اليوم يا بني بكر! أصيبوا ثأركم! فلعمري إنكم قد كنتم تسرقون الحاجّ في الحرم، أفلا تدركون ثأركم فيه من عدوّكم؟! لا يؤخّر أحد منكم بعد اليوم من ثأره.

وانتهوا بهم في عماية الصبح إلى مكة، فدخل الخُزاعيون إلى دار خزاعيّين في مكة: بديل بن ورقاء ورافع مولاهم، فانصرف عنهم القرشيون إلى منازلهم وقد قتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً[1].

ثم إنهم حضروا وحصروا خزاعة في دار رافع وبديل يريدون قتل من بقي منهم[2] ثم مشى الحارث بن هشام وقد حبسوهم ثلاثة أيام فكلّموا فيهم[4] وعبد الله ابن أبي ربيعة المخزوميان إلى صفوان بن أُمية وعكرمة بن أبي جهل

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣١ ـ ٣٣ ومغازي الواقدي ٢: ٧٨٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٤.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٢.

المخزومي، فلاموهم على عونهم بني بكر فيما صنعوا، وذكّروهم أن هذا نقض لما بينهم وبين محمد من عقد وعهد ومدّة. وتولّى سهيل بن عمرو أن يكلّم نوفل بن معاوية الدّيلي فقال له: قد رأيت ما صنعت من القوم وأنت اللوم قد حصرتهم وحصرتهم تريد قتل من بقي منهم! هذا ما لا نطاوعك عليه! فاتركهم لنا. فقال: نعم فتركهم، فخرجوا[1].

ندوة قريش للمشورة:

قال الواقدي: ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقالا له: هذا أمر لا بدّ أن يُصلَح، والله لئن لم يُصلَح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه!

فلما علم أبو سفيان بما وقع من الشر قال: هذا والله أمر لم أشهده ولم أغب عنه، والله ما شوورت، ولا هويتُ حيث بلغني! إن صدقني ظنّي ـ وهو صادقي ـ فوالله ليغزونا محمد[2].

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد ارتدّ عن الإسلام وهرب بعد الهجرة، فكان يومئذ حاضراً هناك فقال: إنّ عندي رأياً: إنّ محمداً ليس يغزوكم حتى يُعذر إليكم ويخيّركم في خصال كلها أهون عليكم من غزوه. قالوا: ما هي؟ قال:

ـ يُرسل: أن أدّوا (سلّموا) دية قتلى خزاعة، وهم ثلاثة وعشرون رجلاً.

ـ أو تبرؤوا من حلف من نقض العهد بيننا بنو نُفاثة (من بني بكر من كنانة).

ـ أو ننبذ إليكم الحرب.

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٤.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٥.

لنا عندكم في هذه القصة ؟ فقال سُهيل بن عمرو : ما حصلة أيسر علينا من البرّؤ من حِلف بني نُفاثة . وقال شيبة : لا ، ولكننا ندي (نؤدّي دية)، قتلى خُزاعة فهو أهون علينا . فقال قُرَطة بن عبد عمرو : لا والله لا يودون ، ولا نبرأ من حِلف نفاثة ، فهم أعمدة لشدّتنا ، ولكن ننبذ إليه على سواء ! فقال أبو سفيان : ما هذا بشيء ! وما الرأي إلّا جحد هذا الأمر أن تكون قريش قد دخلت في نقض عهد وقطع مدّة . فإن قطعه قوم بغير هوىً منّا ولا مشورة فما علينا ؟ ! قالوا : هذا الرأي ، لا رأي غيره ، الجحد بكلّ ما كان من ذلك . فقال : وربّي لم أشهده ولم أؤامر فيه ، وأنا في ذلك صادق . لقد كرهت ما صنعتم ، وعرفت أن سيكون له يوم مظلم ! فقالوا له : وأنت تخرج بذلك ![1].

وقال : ما لي بدٌّ أن آتي محمداً قبل أن يبلغه هذا الأمر فأكلّمه لنجدّد العهد ونزيد في الهُدنة . فقالوا : قد والله أصبت الرأي . فأسرع الخروج أبو سفيان[2] بعد يومين ، أي خمسة أيام بعد مقتل خزاعة[3] مع مولىً له على راحلتين ، وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله ، هذا وقد سبقه عمرو بن سالم الخُزاعي الكعبي

استنصار خزاعة بالرسول :

روى الواقدي عن حزام الكعبي الخُزاعي عن آبائه قال : كان عمرو بن سالم

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٧٨٧ ، ٧٨٨

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٧٨٥

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٧٩٢

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ٧٨٥

الكعبي الخزاعي رأس خزاعة، فخرج في أربعين راكباً من خزاعة (١) صبيح الواقعة (٢) يخبرون رسول الله بالذي أصابهم، وأن صفوان بن أُميّة حضر ذلك في رجال من قومه متنكّرين فقاتلوهم بأيديهم، وأعانوهم بالرجال والسلاح والكُراع، فهم يستنصرون رسول الله عليهم. فقدم على رسول الله المدينة، ودخلوا مسجده وهو جالس بين ظهراني الناس، وقام يستأذن النبيّ ينشده شعراً، فأذن له، فقال:

لاهُمَّ إني ناشدٌ (٣) محمّداً حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا (٤)

قد كنتمُ وُلْداً وكنّا والدا (٥) ثُمّتَ أسلمنا (٦) ولم ننزع يدا

فانصُر هداك الله نصراً أعتدا (٧) وادعُ عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجرّدا (٨) إن سيمَ خسفاً وجهُهُ تربّدا

في فيلق كالبحر يجري مُزبدا (٩) إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٢.

(٣) ناشد: طالب.

(٤) الأتلد: الأقدم، وأبوه الأقدم جدّه عبد المطّلب.

(٥) لا يعني الولد الذكر من الولد، فوالدة قُصيّ فاطمة بنت سعد الخزاعية، ووالدة عبد مناف منهم أيضاً. فهذه الأواصر هي التي استتبعت الحلف مع عبد المطلب.

(٦) لم يثبت إسلام عمرو بن سالم يومئذٍ، نعم كان قد أسلم بعضهم ولم يهاجر. ولعله يعني أسلم بعضنا وسالم سائرنا.

(٧) أعتد: المُعدّ الحاضر.

(٨) تجرّد للأمر: تهيأ وأعدّ واستعد، وشمّر فجرد ساعديه.

(٩) الفيلق: العسكر الكثير. المُزبد: الهائج المنتفخ.

ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا ... وجعلوا لي في كداء رُصَّدا[1]
هُمْ بيّتونا بالوتير هُجَّدا[2] ... تتلوا القرآن رُكّعاً وسُجّدا[3]
وزعموا أن لستُ أدعو أحدا ... وهم أذلُّ وأقلُّ عددا

فلما فرغ، قال الركب لرسول الله: إنّ أنس بن زُنيم الدِّيلي (الكناني البكري من كنانة) قد هجاك. فأهدر رسول الله دمه[4].

وقال لعمرو بن سالم: نُصرتَ يا عمروَ بن سالم[5]. ثم قال: لكأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدِّدِ العهد، وزِدْ في المُدّة! وهو راجع بسخطه[6].

ثم عرضت سحابة في السماء، فنظر إليها رسول الله وتفأّل بها فقال: إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب (من خُزاعة)[7]. ثم قام وهو يجرّ طَرَفَ ردائه ويقول: لا نُصِرتُ إن لم أنصر بني كعب! ثم قال لعمرو بن سالم وأصحابه: ارجعوا وتفرّقوا في الأودية[8] (لئلا تعلم قريش خبرهم) ثم دخل دار ميمونة بنت الحارث الهلالية (التي تزوّجها في عمرة القضاء) وقال: اسكبوا لي ماءً، فجعل يغتسل ويقول: لا نُصرتُ إن لم أنصر بني كعب![9]

---

(١) كَداء: جبل بمكة قرب المعلاة والحجون. رُصَّد: جمع الراصد.
(٢) هُجَّد: جمع الهاجد: النائم والقائم من الأضداد.
(٣) يُقرأ بتخفيف الهمزة. ويعني من قُتل منهم مُسلماً من القتلى ٢٣ شخصاً، ولم نُعرف من هو المسلم منهم.
(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٨٩ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٦ وإعلام الورى ١: ٢١٥.
(٥) و(٦) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٧.
(٧) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٧ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٥.
(٨) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٦.
(٩) إعلام الورى ١: ٢١٥ ورواه الواقدي عن عائشة في سننها. قال ابن إسحاق ←

لقاء أبي سفيان بالخزاعيّين

روى الواقدي عن حزام الكعبي الخزاعي قال: لما سمع الكعبيون الخزاعيون بالأبواء في رجوعهم من المدينة إلى مكة، لزم بُديل بن ورقاء منهم الطريق، وذهبت طائفة منهم (مع عمرو بن سالم) إلى الساحل.

وكان أبو سفيان قد خرج من مكة وهو متخوّف أن يكون عمرو بن سالم وأصحابه قد جاؤوا رسول الله، فلما لقي أبو سفيان بُديل الخُزاعي في نفر معه أشفق أن يكون بُديل قد جاء محمداً، فقال لهم: أخبروني منذ كم عهدكم بيثرب؟ فقالوا: لا علم لنا بها. فعرف أنهم كتموه، فقال: أما معكم شيء من تمر يثرب تُطعموناه! فإن تمرهم أفضل من تمر تهامة. فقالوا: لا. ثم أبت نفسه أن تُقرّه، فقال لبُديل: يا بُديل، هل جئت محمداً؟ قال: لا، ولكنّي سرت في بلاد كعب وخُزاعة من هذا الساحل في قتيل كان بينهم، فأصلحت بينهم. فقال أبو سفيان: الله وإنه لبرّ واصل.

ثم قام القائلة معهم حتى راح بعد العصر بُديل وأصحابه.

فقام أبو سفيان إلى محلّ ركابهم فأخذ من أبعار إبلهم ففتّه فوجد فيها نوى، فجعل يقول: أحلف بالله لقد جاء القوم محمداً[1].

← وخرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله فأخبروه بما أصاب منهم بنو بكر ومظاهرة قريش لهم عليهم، ثم انصرفوا راجعين فلقوا أبا سفيان بعسفان ٤: ٣٧. وذكر الواقدي مواجهة بديل لأبي سفيان في رجوعه من المدينة، ولكنه جعله ممن كان مع عمرو بن سالم ٢: ٧٩١ وهذا هو الأقرب من وفدين من خزاعة لذلك.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٩١، ٧٩٢ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٦ مختصراً ونحوه في مجمع البيان ١٠: ٨٤٥.

ابو سفيان في المدينة

مرّ في الأخبار السابقة أن أبا سفيان كان في مكة حين نقض قريش للعهد الحُديبية. وجاء فيما رواه الطبْرسي في «إعلام الورى» عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي، عن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: انتهى الخبر (بنقض قريش) إلى أبي سفيان وهو بالشام. فأقبل حتى دخل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، احقنْ دمَ قومك، وأجِرْ بين قريش، وزدنا في المدة. قال ﷺ: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا. قال: فنحن على ما كنّا عليه. فخرج فلقي أبا بكر، فقال له: يا أبا بكر، أجِرْ بين قريش. قال أبو بكر: ويحك! وأحدٌ يجير على رسول الله؟! ثم لقي عمر، فقال له مثل ذلك (فأجابه بمثل ذلك أيضاً).

ثم خرج فدخل على أمّ حبيبة (ابنته)، فذهب ليجلس على الفراش، فأهوت إلى الفراش فطوته! فقال لها: يا بُنيّة، أرَغبةً بهذا الفراش عنّي؟! فقالت: نعم، هذا فراش رسول الله ما كنت لتجلس عليه وأنت رجسٌ مشرك[1].

فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال له: يا علي، إنك أمسّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئتك، فلا أرجعنّ كما جئتك خائباً، اشفع لي إلى محمد في ما قصدته. فقال عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه!

فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة عليها السلام فقال لها: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر؟! فقالت: ما بلغ بنيّاي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ

---

(١) إعلام الورى ١: ٢١٧ ونحوه في مجمع البيان ١٠: ٨٤٥

فأقبل على علي عليه‌السلام فقال: يا أبا الحسن، أرى الأُمور قد التبست عليّ، فانصح لي! فقال له علي عليه‌السلام: ما أرى شيئاً يغني عنك، ولكنّك سيّد بني كِنانة[1] فقم فأجِر بين الناس، ثم الحق بأرضك! قال: فترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ولكنّي لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إنّي قد أجرتُ بين الناس ثم خرج[2].

وروى مثله ابن إسحاق[3] والواقدي وزاد: وكان قد طالت غيبته وأبطأ على قريش، فاتهموه يقولون فيه: إنا نراه قد صبأ فسيتبعه ويكتم إسلامه سرّاً!

وبلغ بيته ليلاً، فلما دخل على هند قالت له: لقد حُبست حتى اتّهمك قومك! فإن كنت ـ مع طول الإقامة ـ جئتهم بنجح فأنت الرجل! فدنا وجلس إليها مجلس الرجل من امرأته، فقالت: ما صنعت؟ فأخبرها خبره، حتى قال: لم أجد إلّا ما قال لي عليّ! فقالت: قُبِّحتَ من رسول قوم! وضربت برجلها في صدره. فشقَّ عليه ذلك بشدة اتّهامه، وأراد أن يبرأ إلى قريش من ذلك، فلما أصبح حمل معه ذبيحةً إلى الصنمين إساف ونائلة، فحلق رأسه عندهما ثم ذبح لهما وأخذ يمسح رؤوسهما بدم ذبيحته لهما وهو يقول لهما: لا أُفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي! يريد بذلك أن يبرأ إلى قريش مما اتهموه به[4].

فاجتمع إليه جمع من قريش فقالوا له: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمداً

---

(١) يعني عليه‌السلام ببني كنانة لعله يعرّض به أن النقض كان منهم.

(٢) الإرشاد ١: ١٣٢، ١٣٣ ومثله في إعلام الورى ١: ٢١٧ ـ ٢١٨ بالرواية عن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي عن الصادق عليه‌السلام ونحوه في مجمع البيان ١٠: ٨٤٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٣٨، ٣٩.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٥.

فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً! ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً؟ ثم لقيت ابنَ الخطّاب فوجدته فظّاً لا خير فيه، ثم أتيت عليّاً فوجدته ألين القوم لي. وقد أشار عليّ بشيء فصنعته، فوالله ما أدري يغني عنّي شيئاً أم لا؟ فقالوا له: بما أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. فقالوا له: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك، والله ما زاد الرجل على أن لعب بك! فما يغني عنك؟

فقال أبو سفيان: لا والله ما وجدتُ غير ذلك![1].

الاهتمام بفتح مكة بلا إعلام:

ثم أجمع رسول الله ﷺ على المسير إلى مكة[2] وقال لعائشة: جهّزينا، وأخفي أمرك![3] وقال: اللهم خذ العيون من قريش حتى نأتيها في بلدها[4].

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تعمل سويقاً تمراً ودقيقاً[5] فقال: أي بُنيّة، أأمركم رسول الله أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز! قال: فأين ترينه يُريد؟ قالت: والله ما أدري[6] هذا عند ابن إسحاق.

(1) الإرشاد ١: ١٣٣ - ١٣٤ ومثله في إعلام الورى بالرواية عن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي عن الصادق ﷺ ونحوه في مجمع البيان ١٠: ٨٤٦ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٨، ٣٩، ومغازي الواقدي ٢: ٧٩٥

(2) إعلام الورى ١: ٢١٦

(3) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٦

(4) إعلام الورى ١: ٢١٦ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٩ ومغازي الواقدي ٢: ٧٩٦ هذا، وسيأتي أن المسلمين مع الرسول لم يكونوا يعلمون غايته

(5) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٦

(6) هذا، ولا يستلزم ذلك الكتمان ولا سيّما مع اليمين.

وقال الواقدي: فقال: يا عائشة، أهمّ رسول الله بغزو؟ قالت: ما أدري. فقال: إن كان رسول الله همّ بسفر فآذنينا نتهيّأ له. قالت: ما أدري، لعلّه يريد بني سُليم، لعلّه يريد ثقيفاً، لعلّه يريد هوازن!

ودخل رسول الله، فقال له أبو بكر: يا رسول الله أردتَ سفراً؟ قال: نعم، قال: فأتجهّز؟ قال: نعم. قال: وأين تريد يا رسولَ الله؟ قال: قريشاً. قال: أوليس بيننا وبينهم مدّة؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم. ثم قال له: أخفِ ذلك يا أبا بكر، واطوِ ما ذكرت لك![1]

وتجسّسٌ قريش:

روى فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره عن ابن عباس قال: قدمت سارة مولاة (عمرو بن) هاشم إلى المدينة، فأتت رسول الله ﷺ ومن معه من بني عبد المطلب[2].

وكانت مغنّية نائحة، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت موالِيّ، واحتجت حاجة شديدة، فقدمتُ عليكم لتعطوني وتكسوني. قال: فأين أنت من شُبّان مكّة (تغنّين لهم فيعطونك)؟ فقالت: ما طُلب منّي بعد وقعة بدر! فحثّ رسولُ الله عليها بني عبد المطّلب فكسوها وأعطوها نفقة[3]. وأمر رسول الله الناس أن يتجهّزوا،

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٦.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٤٧٩.

(٣) مجمع البيان ٩: ٤٠٤، ٤٠٥ عن ابن عباس أيضاً.

وقال القمي في تفسيره: كان لحاطب بن أبي بلتعة عيال بمكة، وخافت قريش أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألونه عن خبر محمد وهل يريد أن يغزو مكة؟ فكتب عيال حاطب إليه يسألونه عن ذلك. فكتب إليهم حاطب: أن رسول الله يريد ذلك(١)، ودفع الكتاب إلى (تلك الامرأة) فوضعته في شعرها ومشت.

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك(٢).

قال المفيد في «الإرشاد»: فاستدعى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: إنّ بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم خبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم. والكتاب مع امرأة سوداء، وقد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها، وخلّها، وصر به إليّ(٣).

ثم استدعى الزبير بن العوّام فقال له: امض مع عليّ بن أبي طالب في هذا الوجه فمضيا، وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها، فأنكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت. فرجع الزبير إلى علي عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن ما أرى معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله لنخبره ببراءة ساحتها! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله أنّ معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها، وأنت تقول إنه لا كتاب معها! ثم تقدم إليها واخترط السيف فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنّك ثم لأضربنّ عنقك! فقالت

(١) وسيأتي نص كتابه.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٦١.

(٣) وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن أبي رافع عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد وقال: انطلقوا إلى روضة خاخ. مجمع البيان ٩: ٤٠٥.

له: يا بن أبي طالب، إذا كان لا بدّ من ذلك فأعرِض بوجهك عنّي، فأعرض بوجهه عنها فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من شعرها.

فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر أن يُنادى بالصلاة جامعةً فنودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم، فأخذ رسول الله الكتاب بيده وصعد إلى المنبر فقال: أيها الناس، إني كنت سألت الله عزّ وجلّ أن يُخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة[1] يخبرهم بخبرنا! فليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي! فلم يقم أحد فأعاد رسول الله مقالته ثانية قال: ليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي! فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يُرْعَدُ كالسعفة في يوم الريح العاصف فقال: يا رسول الله، أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكّاً بعد يقيني. فقال له النبيّ: فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟ فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكة أهلاً وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفّاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشكّ في الدين. فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله مُرني بقتله فإنه قد نافق! فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّه من أهل بدر، ولعلّ الله اطّلع عليهم فغفر لهم.

ثم قال: أخرجوه من المسجد! فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه وهو يتلفّت إلى النبيّ ليرقّ له، فأمر صلى الله عليه وآله بردّه وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربّك ولا تعُد لمثل ما جنيت[2].

---

(١) كذا في هذا الخبر، وهو متضمن للفظ المعرض من كتابه الخبر عن أهل مكة، فكيف يعنى به؟!

(٢) الإرشاد ١: ٥٧ ـ ٥٩ ومثله في التبيان ٩: ٥٧٥، ٥٧٦ والطبرسي روى الخبر عن ابن عباس ٩: ٤٠٥ ولفظ المفيد يفيد أن حاطباً قد جنى وأجرم وعليه أن يستغفر ربّه ←

وروى الكوفيّ في تفسيره الخبر عن ابن عباس وفيه: أنه قال لهما: عليكما الميثاق إن أعطيتكما الكتاب أن لا تقتلاني ولا تسبياني ولا تردّاني إلى المدينة، فقالا: نعم، فأخرجته من شعرها فخلّيا سبيلها ورجعا إلى النبيّ ﷺ فأعطياه الصحيفة فإذا فيها: «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: إنّ محمداً قد نفر، وإنّي لا أدري إياكم أراد أو غيركم، فعليكم بالحذر». فأرسل رسول الله ﷺ فأتاه فقال له: يا حاطب، تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم! قال: فما حملك عليه؟ فقال: أما والذي أنزل عليك الكتاب، ما كفرت منذ آمنت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من أصحابك إلّا وله بمكة عشيرة تمنعه فأحببت أن أتّخذ عندهم يداً ثم قد علمت أن الله منزل بهم بأسه ونقمته، وأنّ كتابي لا يغني عنهم شيئاً.

فصدّقه رسول الله وعذره. فأنزل الله تعالى على رسوله من (سورة الممتحنة):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [1] * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

← هذا إن صحّ الخبر، ويبدو لي أن هذا الخبر يتضمن نقض الغرض من كتمان المرام عن أهل البلد الحرام وأن الراجح الخبر الثاني عن تفسير فرات الكوفي فهو لا يتضمن نقض الغرض والإعلام، ولعلّ هذا هو السرّ في إعراض الطبرسي في مجمع البيان عمّا في التبيان.

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٨٠ والقمي ٢: ٣٦٣ والتبيان ٩: ٥٧٥ و٥٧٦ ومجمع البيان ←

حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

قال الطوسي: ومنع رسول الله أن يخرج أحد من المدينة إلى مكة(١). وزاد الطبرسي: ووضع حرساً على المدينة وعليهم حارثة بن النعمان(٢).

= ٩: ٤٠٤، والآية الأخيرة هي الثالثة في السورة، وهذا يدل على هذا الموضع في نزول الآيات هو القمي، بينما الآيات متصلة المعنى حتى آخر الممتحنة. ونصّ على هذا ابن إسحاق في السيرة ٤: ٤١، وروى الواقدي الخبر فأشرك الزبير في جند علي ﷺ. مغازي الواقدي ٢: ٧٩٧، ٧٩٨.

(١) التبيان ٩: ٥٧٥.

(٢) إعلام الورى ١: ٢١٧، وفي مغازي الواقدي ٢: ٧٩٦: هو عمر بن الخطاب. هذا وسيأتي في الأخبار أن الناس لم يكونوا يعلمون بوجه رسول الله حتى ما بعد منزل العرج في الطريق، والآيات من سورة الممتحنة غير صريحة، وعليه فيترجّح خبر الكوفي عن ابن عباس، ولا ينسجم هذا مع خبر المفيد، فإنه ينبه الالتفات العامة، وهو خلاف الغرض، وأما فيه القول: إنّ الله اطلع على أهل بدر... فلا يثبت.

المؤمنات المهاجرات:

مرّ في شروط صلح الحديبية: «وأنّه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليّه، يردّوه إليه.»[1]

أمّا ردّ من أتى أصحاب النبيّ ﷺ من رجال قريش بغير إذن وليّه، فهو داخل في هذا الشرط من شروط صلح الحديبية، ولم نجد للنساء ذكراً صريحاً في شروط الصلح، فهل يشملهنّ هذا الشرط كذلك أيضاً؟

في سور الذكر الحكيم سورة سُمّيت بالممتحنة، اقتباساً من كلمة في الآية العاشرة من السورة وهي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وقد مرّ الخبر عن الآيات الأوائل من السورة حتى الآية التاسعة منها قبل هذه الآية: أنها نزلت في محاولة حاطب بن أبي بلتعة أن ينذر أهل مكة بخطر غزو النبيّ لهم[2] وعليه فهي نزلت بعد الحديبية وعمرة القضاء قُبيل فتح مكة.

ومع ذلك روى عن مقاتل عن ابن عباس: أنّهم لما صالحوا بالحديبية وختموا الكتاب جاءتهم سُبيعة بنت الحرث الأسلمية زوج صيفي بن الراهب أو مسافر المخزومي، جاءتهم مسلمة وزوجها كافر مشرك، وأقبل زوجها في طلبها فقال لرسول الله ﷺ: يا محمد، إنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا منّا، وهذه طينة الكتاب

---

(1) تفسير القمي ٢: ٣١٤.

(2) تفسير القمي ٢: ٣٦٢ وفرات الكوفي: ٤٨٠ وسيرة ابن هشام ٤: ٤١.

لم يمضِ بعد، فاردد عليّ امرأتي، فنزلت الآية التالية العاشرة في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ فأعطى رسول الله زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها[1] وهذا يقتضي أن هذه الآية العاشرة في السورة كانت قد نزلت قبل الآيات التسعة السابقة بعامين تقريباً.

وروى الطوسي في «التبيان» عن عروة بن الزبير في سبب نزول الآية قال: هاجرت كلثم بنت أبي مُعيط مسلمة إلى المدينة، فجاء أخواها فسألا رسولَ الله أن يردّها، فنهى الله تعالى أن تُردّ إلى المشركين[2] وحكاه الطبْرسي في «مجمع البيان» عن الجُبّائي قال: إن رسولَ الله قال لهما: إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء. ورواه عن الزهري: أُميمة بنت بشر هربت من زوجها الكافر ثابت بن الدحداحة إلى المدينة وأسلمت، فزوّجها رسول الله سهل بن حُنيف فهي أُم عبد الله بن سهل. وروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب زوج طلحة بن عبيد الله، كانت كافرة فهاجر عنها طلحة، ثم هربت إلى رسول الله (ولم يستردّها طلحة) فزوّجها رسول الله خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة[3] وهذه الموارد تنسجم مع نزول الآيات متواليات.

والآية لما حكمت: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ علّلت ذلك بالتالي: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وتتبعه الحكم التالي أيضاً: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ أي الكافرات. وقال القمي في تفسيره: كان سبب نزول ذلك: أنّ عمر بن الخطاب كانت عنده فاطمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي فكرهت الإسلام

---

(١) مجمع البيان ٩: ٤١٠.

(٢) التبيان ٩: ٥٨٤.

(٣) مجمع البيان ٩: ٤١١.

والمهجرة مع عمر وأقامت مع المشركين، وبهذا فرّق الإسلام بينهما، فتزوّجها معاوية ابن أبي سفيان[1] وحكاه الطبرسي في «مجمع البيان» عن الزهري وزاد له امرأة أخرى هي أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعي أم عبد الله بن عمر، فتزوّجها أبو جهم بن حذافة العدوي[2] فأمر رسول الله أن يعطي عمر مثل صداقها[3] من الغنائم، عملاً بالآية التالية: ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

والآية التالية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ.. ﴾ سيأتي الحديث عنها أنها نزلت في بيعة نساء قريش لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة.

وعليه فالآيات متواليات في النزول والحوادث. غاية الأمر أن هذا يقتضي هجرة هؤلاء النسوة في فترة متلاحقة بعد محاولة حاطب بن أبي بلتعة وقبل الفتح، ومع هذا فلا غرابة في الأمر. ولا نجد فيما بأيدينا من التاريخ أيّ خبر عن احتجاج المشركين على هذا التفسير لهذا الشرط من الصلح (ردّ الرجال دون النساء) بما كان من الممكن للمشركين أن يعتبروه نقضاً للصلح. ولكنّهم علموا أن نقضهم له كان قبل هذا، فلا ينفعهم هذا الاحتجاج شيئاً وهم اليوم يحاولون توثيق الصلح فسكتوا عن ذلك.

نزول سورة النصر:

روى الطوسي في «التبيان» عن الحسن ومجاهد: أن سورة النصر وعد من

(1) تفسير القمي ۲: ٣٦٣.

(2) مجمع البيان ۹: ٤١٠، ٤١١.

(3) تفسير القمي ۲: ٣٦٣.

الله لنبيّه ﷺ فتح مكة ونصرته على كفّار قريش قبل وقوع الأمر. وعن قتادة: إنّما عاش النبيّ بعد هذا سنتين ثم توفي[1].

وفي الخبر المعتمد في ترتيب نزول السور ترتيبها الثانية بعد المئة بعد الحشر وقبل النور، وبعد الممتحنة بعشر سور[2].

التعمية على قريش بسريّة أبي قَتادة:

قال الواقدي: وبعث رسول الله أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر إلى بطن إضَم (في طريق مكة إلى اليمامة) ليظن الناس أنه يتوجّه إليها ويشيع الخبر بذلك. فروى

---

(١) التبيان ١٠: ٤٢٥ و٤٢٦ ومختصره في مجمع البيان ١٠: ٨٤٤.

(٢) التمهيد ١: ١٠٧ و١٠٦. وروى الواقدي عن الزهري قال: فتح رسول الله مكة لثلاث عشرة مضت من شهر رمضان وأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ٣: ٨٨٩.

وروى الواحدي بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما رجع ﷺ من غزوة حُنين أنزل الله عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: ٤٠١ وذلك بعد فتح مكة أيضاً.

وروى الكليني في الكافي ٢: ٦٢٨ والصدوق في عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٦ عن أبيه عن جده الصادق ﷺ قال: إنّ آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وهذا يقرّب قول القمي في تفسيره ٢: ٤٤٦: نزلت بمنى في حجة الوداع. وما رواه الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٨٤٤ عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ﴾ قال ﷺ: نُعيت إليّ نفسي بأنها مقبوضة في هذه السنة. وما رواه عن ابن عباس قال: وتسمى هذه السورة سورة التوديع. وينافي ما رواه فيه عنه أيضاً قال: لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا (؟) وبكى عمه العباس! فقال له: ما يبكيك يا عمّ؟ فقال: أظنّ أنه قد نُعيت إليك نفسك يا رسول الله. فقال: إنه لكما تقول. قال ابن عباس: فعاش بعدها سنتين! ورواهما الطبرسي ولم يعلّق بشيء.

هو وابن إسحاق عن ابن أبي حَدْرد، وكان أحد هذه السريّة قال: مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي فسلّم علينا بتحيّة الإسلام، وكان بينه وبين مُحلّم بن جثّامة شيء من سابق، ومحلّم كان معنا، فحمل عليه فقتله وسلبه[١].

نفيرٌ عام بلا إعلام:

وعزم رسول الله ﷺ على المسير إلى مكة، فأرسل إلى من حوله من المسلمين في البادية يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة، ودعا رئيس كل قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم[٢].

فروى الواقدي: أنه أرسل أسماء وهنداً ابني حارثة إلى بني أسلم يقولان لهم: إنّ رسول الله يأمركم أن تحضروا رمضان بالمدينة.

وأرسل رافعاً وجُندباً ابني مَكيث إلى جُهينة يأمرهم أن يحضروا رمضان بالمدينة.

وأرسل إيماء بن رَحضة وكلثوم بن الحصين الغفاريين إلى بني غفار وضمرة.

وبعث إلى أشجع نُعيم بن مسعود ومعقل بن سنان الأشجعيّين.

---

(١) قال الواقدي: ثم لم نلق من القوم جمعاً حتى انصرفنا أجمعين، حتى انتهوا إلى ذي خُشُب (على ليلة من المدينة) فبلغهم أنّ رسول الله قد توجه إلى مكة، فالتحقوا به في السُّقيا. قال ابن أبي حدرد: فينا حقاً النبيّ نزل فينا القرآن: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً تبتغون عَرَض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ النساء: ٩٤. مغازي الواقدي ٢: ٧٩٧ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٥ واتفقا على السرية أنها كانت قبل الفتح، وفي بداية غزوة حنين يُطالَب بدمه، وسيأتي خبره هناك.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٩.

(٣) إعلام الورى ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.

وبعث إلى مُزينة: بلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو المزنيّين.

وبعث إلى بني سُليم: الحجّاج بن عِلاط، وعِرباض بن سارية السُّلميّين.

وبعث إلى بني كعب من خزاعة: بُديل بن ورقاء وبُسر بن سفيان الخزاعيّين.

وجعل المعسكر ببئر أبي عِنَبة[1]. كل ذلك بلا إعلام بالغاية والمَرام!

خروج الرسول إلى مكة:

قال الطبْرسي: واستخلف على المدينة أبا لبابة بن المنذر[2] وخرج يوم الجمعة بعد العصر لليلتين من شهر رمضان[3].

وروى عن الباقر عليه السلام قال: خرج رسول الله في غزوة الفتح، ومعه نحو من عشرة آلاف رجل، ونحو من أربعمئة فرس[4].

وفصّل الواقدي فقال: كانت الأنصار أربعة آلاف معهم من الخيل خمسمئة، وكان المهاجرون سبعمئة معهم من الخيل ثلاثمئة فرس. ومن القبائل كانت مُزينة ألفاً فيها من الخيل مئة فرس، وكانت جُهينة ثمانمئة معها من الخيل خمسون فرساً، وكانت أسلم أربعمئة فيها ثلاثون فرساً. وخرج معه من بني كعب من خُزاعة من كان بالمدينة، ولقيه سائرهم بالقُديد فكانوا خمسمئة. وقدّم رسول الله أمامه الزبير بن

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٩، ٨٠٠.

(٢) وقال ابن إسحاق: أبا رُهم كلثوم بن حصين الغفاري، سيرة ابن هشام ٤: ٤٢ ومثله في مجمع البيان ١٠: ٨٤٦ مصحّفة في ط الأخيرة: بادر.

(٣) وقال الواقدي: يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان. وروى الواقدي بسنده عن أُمّ سلمة زوج النبي قالت: خرجتُ معه ﷺ في فتح مكة، فلما بلغنا ذا الحُليفة اغتسل فضفرتُ رأسه أربع ضفائر. مغازي الواقدي ٢: ٨٦٨ وكذلك في ابن هشام.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٠٩.

العوّام في مئتين من المسلمين. وخرج رسول اللّه والمسلمون عشرة آلاف ممتطين الإبل يقودون الخيل. فما حلّ النبيّ عقدة حتى انتهى إلى الصُلصُل [1].

روى الواقدي قال: كان قد بلغ الخبر إلى عُيينة بن حصن بنجد أن العرب قد جمعت إلى رسول اللّه يريدون وجهاً فخرج عُيينة في نفر من قومه حتى قدم المدينة بعد خروج رسول اللّه بيومين، فسلك رَكوبة فسبقه إلى العَرْج. فلما نزل رسول اللّه العَرْج جاءه عُيينة فقال له: يا رسول اللّه بلغني أن الناس يجتمعون إليك وأنك تريد الخروج، ولم أشعر فأجمع قومي فنكون لنا جلبة كثيرة، وأقبلت سريعاً. ولست أرى هيئة حرب: لا ألوية ولا رايات، فالعمرة تريد؟ فلا أرى هيئة إحرام، فأين وجهك يا رسولَ اللّه؟ قال: حيث يشاء اللّه.

هذا والناس كذلك لا يدرون أين توجُّه رسول اللّه إلى قريش أو إلى هوازن أو إلى ثقيف؟ فهم يحبّون أن يعلموا. وكان كعب بن مالك الأنصاري أحد شعراء النبيّ، فقال لأصحابه: سآتي رسول اللّه فأعلم لكم وجهته. ثم مشى حتى جثا على ركبتيه بين يديه فقال:

قضينا من تهامة كلّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أجْمَمْنا السيوفا [2]

نُسائلها، ولو نطقت لقالت ... قواطِعُهنّ: دَوْساً أو ثقيفا

فلستُ لحاصنٍ إن لم تروها ... بساحة داركم منها أُلوفا

فننتزع الخيام ببطن وجٍّ [3] ... ونترك دورهم منها خُلوفا [4]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٠ - ٨٠١ والصُلصُل على سبعة أميال = ١٤ كم. وفي الوفاء ٢: ٣٣٦، ولم تذكر هنا ما رووه في خروج الرسول إلى بدر في شهر رمضان وإفطاره في الطريق قرب المدينة، وإنما يروى لإفطارهما قبل مكة بمرحلتين، كما يأتي.

(٢) أجممنا: أرحنا.

(٣) وَجّ: اسم موضع قرب مكة.

(٤) خلوفاً: خالية.

فلم يرد رسول الله على أن تبسّم له. فلما رجع إلى أصحابه جعل الناس يقولون له: والله ما بيّن لك رسولُ الله شيئاً، ما ندري من يريد؟ أقريش؟ أو ثقيف؟ أو هوازن؟ وسار رسول الله حتى نزل السُقيا فوجد فيها أنّ الأقرع بن حابس التميمي قد وافاها في عشرة نفر من قومه، فساروا معه.

وتجسّست هوازن أيضاً:

روى الواقدي: أنّ من العرج تقدمت طليعة من الخيل أمام المسلمين، فلما كانوا بين العرج إلى الطّلوب جاؤوا برجل إلى رسول الله وقالوا: كان هذا على راحلته فلما طلعنا عليه تغيّب عنّا في وهْدة (منخفض من الأرض) ثم طلع على مرتفع من الأرض، فركضنا نحوه فأراد أن يهرب منّا، فقلنا له: ممّن أنت؟ قال: رجل من غِفار، فقلنا: من أيّ بني غفار أنت؟ فعيي (عجز عن الجواب)، ولم ينفذ لنا نسباً، فازددنا به ريبة وأسأنا به الظنّ، فقلنا: فأين أهلك؟ قال: قريباً وأومأ إلى ناحيه. قلنا: على أيّ ماء؟ ومن معك هنالك؟ فلم ينفذ لنا شيئاً، فلما رأينا ما خلط قلنا: لتصدقنا أو لنضربنّ عنقك؟ قال: فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم؟ قلنا: نعم.

فقال: أني رجل من بني نضر من هوازن، بعثوني وقالوا: ائت المدينة لتستخبر لنا ما يُريد محمد في أمر حلفائه (خُزاعة) أيبعث إلى قريش بعثاً أو يغزوهم بنفسه؟ فقال: خرج سائراً أو بعث بعثاً فسر معه حتى تنتهي إلى بطن سَرِف، فإن كان يريدنا أوّلاً فيسلك في بطن سَرِف حتى يخرج إلينا، وإن كان يريد قريشاً فسيلزم الطريق. فقال رسول الله: وأين هوازن؟ قال: تركتُهم ببقعاء وقد جمعوا الجُموع وأجلبوا في العرب، وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم، فتركت ثقيفاً على ساق قد جمعوا الجموع، وبعثوا إلى الجُرَش[1] ليصنعوا لهم منجنيقاً ودبّابات، ثم هم

---

(١) الجُرَش من مدن اليمن إلى جهة مكة. معجم البلدان ٣: ٨٤.

سائرون إلى جمع هوازن فكونون جمعاً فقال رسول الله وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى فتاهم مالك بن عوف فقال رسول الله وأحسب كل هوازن إلى مالك ؟ قال قد أبطأ منهم من بني عامر بنو كعب وبنو كلاب . قال . ما فعل بنو هلال ؟ قال قلّ من آوى إليه منهم

ثم قال الرجل : وقد مررت أمس بمكة ، وكان قد قدم عليهم أبو سفيان فرأيتهم خائفين وجلين ساخطين بما جاء به من عندك فقال رسول الله : حسبي الله ونعم الوكيل . ما أراه إلّا صدقني الرجل فقال الرجل فيسعني ذلك .

فجاءوا أن يقدّم الرجل فحذّر الناس فأمر رسول الله خالد بن الوليد أن يوثقه فحبسه عنده حتى يدخل مكة ، فأخذه خالد[1].

ومن رأفته ﷺ بالحيوان روى الواقدي عن ابن حزم قال بين العرج والطّلوب نظر رسول الله إلى كلبة حولها أولادها يرضعونها فأمر رجلاً من أصحابه يدعى جُعال بن سُراقة الضمري أن يقوم قربها لئلّا يعرض لها ولأولادها أحد من الجيش[2]

مَناة صنم خُزاعة وهُذيل .

خرج النبيّ ﷺ إلى مكة بحجّة نقض قريش لصلح الحديبية بعدوانهم على خزاعة المحالفة له ، وقليل منهم مسلمون وأكثرهم مشركون ، ولهم صنم من الأصنام الكبرى الشهيرة مذكورة في القرآن الكريم بقوله سبحانه ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٨٠٤ ـ ٨٠٦

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٨٠٤

(٣) النجم : ٢٠ .

وذكر الكلبي في كتابه «الأصنام»: أنه ﷺ لما خرج من المدينة إلى مكة سنة ثمان عام الفتح وسار أربع أو خمس ليال، بعث علياً عليه السلام يهدم صنم هُذيل وخزاعة: مَناة، ويغنم مالها، فهدمها وغنم مالها، ووجد سيفين: مخذم ورَسوب، أهداهما لها الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان، فوهبهما النبيّ لعلي عليه السلام[1].

سابقة سيئة:

في شأن نزول الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء، مرّ الخبر عن ابن عباس: أن جماعة من قريش اجتمعوا عند الكعبة وبعثوا خلف محمد ﷺ ليخاصموه، وفيهم عبد الله بن أبي أُمية المخزومي ابن عمّته عاتكة بنت عبد المطلب. ولما قام النبيّ من بينهم قام معه هذا فقال له: يا محمد! عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله، ثم سألوا لأنفسهم أموراً فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل عليهم ما تخوّفهم به فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ سُلّماً إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك، وكتاب يشهد لك. فأنزل الله الآيات[2].

وقال القمي في تفسيره: لما خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكة، استقبله عبد الله بن أبي أُمية فسلّم على رسول الله، فأعرض عنه ولم يجبه بشيء. وكانت أُمّ سلمة المخزومية أخته مع رسول الله، فدخل إليها فقال: يا أختي، إنّ رسول الله قد قبل إسلام الناس كلهم، وردّ عليّ إسلامي وليس يقبلني كما قبل غيري.

فلما دخل رسول الله إلى أُمّ سلمة قالت له: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، سعد بك جميع الناس إلّا أخي من بين قريش والعرب، رددت إسلامه وقبلت الناس

(١) الأصنام للكلبي: ١٤، ١٥.

(٢) مجمع البيان ٦: ٦٧٨، ٦٧٩ والإشارة إليه في تفسير القمي ٢: ٢٦ والتبيان ٦: ٥١٩.

كيف؟! فقال رسول الله: يا أمّ سلمة، إنّ أخاك كذّبني تكذيباً لم يكذّبني أحدٌ من الناس، هو الذي قال لي: «لن نؤمن لك حتى تفجر لك من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه» فقالت أمّ سلمة: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ألم تقل: إن الإسلام يجبّ ما قبله؟ قال: نعم، ثم قبل إسلامه[1].

ولم أرَ من ذكر دافعاً لاقتراب هذا ـ القريب البعيد عن النبيّ والإسلام ـ إلى الإسلام والنبيّ ﷺ في خصوص هذه الأيام قُبيل فتح مكة. ولكن لا أستبعد أن يكون من دفعه لذلك هو من دفع ابن خاله ـ وابن عمّ النبيّ ـ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب أخا عبيدة بن الحارث الشهيد ببدر، وهو ترب النبيّ وأخوه في الرضاعة من حليمة السعدية، وكان آلف [illegible]بيّ قبل بعثته.

قال الواقدي: فلما بُعث رسول الله ﷺ عاداه عداوة لم يُعاده بها أحد قط، ولم يدخل معهم في الشعب، بل هجا النبيّ، وهجا حسّان ومنه قوله:

ألا أبلغ حسّان عنّي رسالة   فحظك من شرّ الرجال الصعالك
أبوك أبو سوء وخالك مثله   فلست بخير من أبيك وخالك[2]

وظلّ عدوّاً له عشرين سنة يهجو المسلمين ويهجونه، ولا يتخلّف عن قتال قريش لرسول الله ﷺ، فكان قد أهدر دمه!

فروى الواقدي بسنده عنه قال: قلت في نفسي: مَن أصحب؟ ومع مَن

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٦، ٢٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٦.

أكون؟ وقد ضرب الإسلام بجرانه (بزمامه = استقرّ) فهربت، وقدمت على قيصر ملك الروم (؟!) فقال لي: ممّن أنت؟ فانتسبت له: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب. فقال قيصر: ومحمد بن عبد الله بن عبد المطّلب. قال: كنت صادقاً فأنت ابن عمّ محمد! فقلت: نعم أنا ابن عمّه! ثم قلت في نفسي: لا أرى نفسي لا أعرف عند ملك الروم إلّا بمحمد! وقد هربتُ من الإسلام. فيومئذٍ عزمت أن ما كنت فيه من الشرك باطل؛ ودخلني الإسلام (١) فانصرفت راجعاً إلى مكة.

هذا، وابنه جعفر كان قد أسلم وهاجر أباه وهاجر من مكة إلى مدينة النبي ﷺ هذا والنبيّ قد أهدر دم أبيه! وأنا لا أستبعد أن يكون هو أسرّ إلى أبيه خبر مسير النبيّ وأوعز إليه أن يستقبله فيستقبله بالإسلام، كما سرّه إلى جانب أنه شفيعاً له لقبول الرسول بإسلامه، ولا أستبعد أن يكون الخبر قد سرى من أبيه أبي سفيان إلى ابن أخته عبد الله المخزومي، فخرجا.

روى الواقدي عن أبي سفيان قال: جئت إلى أهلي فقلت لهم: تهيّؤوا للخروج، فلقد أظلّ قدومُ محمد إليكم. فقالوا له: قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً (!) وأنت موضع في عداوته. وكنت أولى الناس بنصره! قال: ثم سرنا، فنزلنا الأبواء إلا ومقدّمته قد نزلت الأبواء، وكان النبيّ قد أهدر دمي، فخفتُ أن أُقتل، فتنكّرت.

وفي صباح الغداة صبّح رسول الله بالأبواء وأقبل معه الناس فرقة فرقة، فتنحّيت خوفاً من أصحابه. فلما طلع مركبه تصدّيت له تلقاء وجهه، فملأ عينيه مني ثم أعرض بوجهه عنّي! فتحوّلت إلى وجهه فأعرض عني! وهكذا مراراً. ورأى المسلمون إعراض رسول الله عنّي، فأغرى عمر بن الخطاب بي رجلاً من الأنصار

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨١١، ٨١٢.

قصير أسمر يُدعى النعمان بن الحارث من بني النجار، فلازمني يقول لي: يا عدوّ الله، أنت الذي كنت تؤذي رسولَ الله وتؤذي أصحابه، قد بلغتَ مشارق الأرض ومغاربها في عداوته! ورفع صوته عليّ حتى احتبس عليَّ الناس وهم يفرحون بذلك[1].

وفي الجحفة ـ بعد الأبواء وقبل قديد ـ روى ابن هشام عن ابن شهاب أن العباس بن عبد المطلب كان قد خرج من مكة مهاجراً بأهله فلقي رسول الله بالجحفة وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته وتجارته بإذن رسول الله[2].

وفي الجحفة قال ابو سفيان: دخلت على عمّي العباس فقلت: يا عمّ كفّ عني هذا الرجل الذي يشتمني! قال: صفه لي. فقلت: قصير أسمر بين عينيه شجة، فعرفه فأرسل إليه يقول: يا نعمان، إن أبا سفيان ابن عمّ رسول الله وابن أخي، وإن يكن رسول الله ساخطاً فسيرضى. فكفّ عنه. فكفّ عنّي، ولكنه لم يتركني. فقلت للعباس: قد كنت أرجو أن سيفرح رسول الله بإسلامي لقرابتي وشرفي (...) وقد كان منه ما رأيت. فكلّمه ليرضى عني. فقال: لا والله، إني أُجِلّ رسول الله وأهابه، فلا أكلّمه فيك كلمة أبداً بعد الذي رأيت منه، إلّا أن أرى وجهاً. فقلت: يا عمّ إلى من تكلني؟ فقال: هو ذاك.

فلقيت علياً عليه السلام فكلّمته، فقال لي مثل ذلك. فخرجت، ومعي ابني جعفر، فجلست على باب منزل رسول الله، حتى خرج [من] [3] الجحفة ولم يكلّمني، ولا يراني إلّا أعرض عني[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٧، ٨٠٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٤٢.

(٣) في الأصل: إلى الجحفة. وهذا يقتضي أن يكون مجاورته للعباس قبل الجحفة، وقد مرّ أن العباس التحق بهم بالجحفة، وهذا يقتضي أن يكون الصحيح: من الجحفة.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٦ ـ ٨٠٨.

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» أن العباس بن عبد المطلب تلقّى رسول الله في موضع يُدعى: نيق العُقاب، ورسول الله في قبّته (خيمته) وعلى حرسه يومئذٍ زياد بن أُسيد، ومع العباس ابن أخيه أبو سفيان بن الحارث وابن عمته عبد الله بن أبي أُمية، فاستقبلهم زياد فقال: أمّا أنت يا أبا الفضل فامضِ إلى القبّة، وأمّا أنتما فارجعا. فمضى العباس حتى دخل على رسول الله ﷺ فسلّم عليه وقال: بأبي أنت وأُمي، هذا ابن عمك قد جاء تائباً، وابن عمتك. قال: لا حاجة لي فيهما، إن ابن عمّي انتهك عرضي، وأمّا ابن عمتي فهو الذي يقول لي بمكة: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعاً ﴾[1]

فلما خرج العباس كلّمته أُمّ سلمة فقالت: بأبي أنت وأُمي، ابن عمك قد جاء تائباً، فلا يكون أشقى الناس بك، وأخي ابن عمتك وصهرك فلا يكوننّ شقياً بك[2].

وللخبر صلة بعد الفتح.

وفي قُديد عقد الألوية:

روى الواقدي بسنده عن عبّاس بن مرداس السُّلمي قال: هبط رسول الله ﷺ من ثنيّة المشلَّل[3] في آلة الحرب، ونحن عليها الحديد واصطففنا له[4].

وكان قد أرسل رسول الله إلى بني سُليم: الحجّاج بن عِلاط السُّلمي

---

(١) سورة الإسراء: ٩٣.

(٢) إعلام الورى ١: ٢١٩ ونحوه في مجمع البيان ١٠: ٨٤٦ ومثله في سيرة ابن هشام ٤: ٤٢، ٤٣. والواقدي في المغازي ٢: ٨١٠، ٨١١ بعد النقل الأول.

(٣) ثنيّة مشرفة على قُديد. معجم ما استعجم: ٥١٠.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨١٣.

وعرباض بن سارية[1] فنفروا من بلادهم وحشّدوا تسعمئة وألفاً، وهم على الخيول جميعاً، مع كل رجل رمحه وسلاحه، ومعهم رسولان إليهم، ولواءان وخمس رايات سود مطوية غير معقودة. وتقدم عيينة بن الحصن فنادى النبيّ من خلفه: أبا عُيينة، هذه بنو سُليم قد حضرت بما ترى من العُدّة والعدد والسلاح، وإنهم لأحلاس الخيل[2] ورجال الحرب، ورُماة الحَدَق[3]

وقال قائلهم: يا رسولَ الله، إنك تُقصينا وتستغشّنا ونحن أخوالك[4] فقدِّمْنا يا رسول الله، حتى تنظر كيف بلاؤنا، فإنا صُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء، فُرسان على متون الخيل. فاعقد لنا (لواءً)، وضع رايتنا حيث رأيت. فقال ﷺ: يحمل رايتكم اليوم من كان يحملها في الجاهلية، فما فعل الفتى كان حسن الوجه جيّد اللسان كان قد قدم مع وفدكم عليّ؟ قالوا: مات[5]

فسلَّم رايتهم إلى رسوله إليهم [الحجاج بن علاط السُّلمي[6]] وعقد لواءين لهم فلواء يحمله عباس بن مرداس، ولواء يحمله خُفاف بن نُدبة[7] ثم جعلهم مقدمته مع خالد بن الوليد حتى بلغوا مَرّ الظهران[8] فلما رأى عيينة ذلك عضّ على أنامله! فقال له أبو بكر: علامَ تندم؟ قال: على قومي أن لا يكونوا نفروا مع محمد فأين

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٧٩٩

(2) الأحلاس جمع الحِلْس، وهو جُلّ الفرس والبعير

(3) أي يرمون حدق العيون

(4) ذلك أن أُم هاشم بن عبد مناف هي عاتكة بنت مرّة بن هلال السُّلمي من بني سُليم

(5) مغازي الواقدي ٢: ٨١٢، ٨١٣

(6) المواهب اللدنية ٢: ٣٦٤ عن الواقدي

(7) مغازي الواقدي ٢: ٨١٩

(8) مغازي الواقدي ٢: ٨١٣ وانظر: ٨٠٩

يريد محمد يا أبا بكر ؟ قال : حيث يشاء الله ![1] ومن هنا يُعلم مدى الكتمان الشديد.

وكان رسول الله قد أرسل إلى بني كعب بن عمرو من خزاعة : بُسر بن سفيان وبُديل بن ورقاء، فلقيه بنو كعب أيضاً بقُديد[2] وكانوا خمسمئة، فعقد لهم ثلاثة ألوية: لواء مع بُسر بن سفيان، ولواء مع ابن شريح، ولواء مع عمرو بن سالم[3].

وفي بني مُزينة ثلاثة ألوية: لواء مع بلال بن الحارث، ولواء مع عبد الله بن عمرو، ولواء مع النعمان بن مقرّن.

وفي جُهينة ـ وهم ثمانمئة ـ أربعة ألوية: لواء مع أبي زرعة، ولواء مع ابن مُكيث، ولواء مع سويد بن صخر، ولواء مع عبد الله بن بدر.

وفي بني أسلم ـ وهم أربعمئة ـ لواءان: أحدهما لبُريدة بن الحُصيب، والآخر لناجية بن الأعجم.

وكانت رايات الأوس: راية بني عبد الأشهل مع أبي نائلة، وراية بني ظفر مع قتادة بن النعمان، وراية بني حارثة مع أبي بُردة بن نيار، وراية بني معاوية مع جبر بن عتيك، وراية بني خطمة مع أبي لُبابة بن عبد المنذر، وراية بني أُمية مع مُبيض، وراية بني ساعدة مع أبي أُسيد الساعدي.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٠ و٨٠١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٠١ ومر أن بُديل بن ورقاء قد تخلف في مكة ثم قدم مع أبي سفيان، كما يأتي، ولم يُعرف لماذا تخلف ؟ وأنا لا أستبعد أن يكون رسول الله ﷺ قد تقدّم إلى بُديل أن يستدرج قريشاً وأبا سفيان للخروج به لئلا يرى نيران المسلمين، فيستدرج إلى فتح مكة سلماً بغير حرب، باستسلام أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمية.

ورايات الخزرج: راية بني الحارث بن الخزرج مع عبد الله بن زيد، وراية بني سلمة مع قطبة بن عامر بن حديدة، وراية بني مالك بن النجّار مع عُمارة بن حزم، وراية بني مازن مع سليط بن قيس، وراية بني دينار مع

وللمهاجرين ثلاث رايات: راية مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وراية مع الزبير، وراية مع سعد بن أبي وقّاص[1].

إفطار الصيام والعصاة:

روى الطبرسي في «إعلام الورى» عن الباقر عليه السلام قال: خرج رسولُ الله ﷺ في غزوة الفتح فصام وصام الناس حتى نزل كراع الغميم[2] فأفطر وأفطر الناس، وصام قوم فسُمّوا العصاة، لأنهم صاموا[3].

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ خرج من المدينة إلى مكة في شهر رمضان ومعه الناس وفيهم المشاة، فلما انتهى إلى كراع الغميم دعا بين الظهر والعصر بقدح من ماء فشربه وأفطر فأفطر الناس معه، وتمّ أناس على صومهم، فسمّاهم العصاة[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٠ وسيأتي أن لواء الفتح كان مع سعد بن عبادة فنقله ﷺ إلى علي عليه السلام.

(٢) كراع الغميم على مرحلتين من مكة من جهة المدينة. القاموس المحيط ٣: ٧٨.

(٣) إعلام الورى ١: ٢١٩.

(٤) فروع الكافي ٤: ١٢٧، الحديث ٥ وكتاب الفقيه ٢: ٩١ الحديث ٤٠٧ وبهذا الخبر وأنه يوجد تأخر أمر رسول الله بما يُشعر بأن الأمر بالإفطار كان هو الأمر الأخير بعد ترخيص الصيام والإفطار في الأسفار.

ورواه الواقدي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كنّا بالكديد بين الظهر والعصر أخذ رسولُ الله إناءً من ماءٍ في يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر وبلغ رسول الله ﷺ أن قوماً صاموا، فقال: اولئك العُصاة![1]

وقال ابن اسحاق: خرج فصام وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكَديد ـ بين عُسفان وأمج ـ أفطر[2].

وهنا في منزل القُديد نقل المعتزليّ عن كتاب الجمل لأبي مخنف روى بسنده قال: قالت أمّ سلمة لعائشة عند خروجها إلى البصرة: أتذكرين يوم أقبل رسول الله ونحن معه حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال، فخلا بعليّ يناجيه فطال، فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني وهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية فقلت لك: ما شأنك؟ فقلت: أتيتهما وهما يتناجيان فقلتُ لعلي: ليس لي من رسول الله إلّا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني ـ يا بن أبي طالب ـ ويومي؟! فأقبل عليّ رسول الله وهو محمرّ الوجه غضباً فقال لي: ارجعي وراءك! والله لا يبغضه أحد من الناس إلّا وهو خارج من الإيمان، فرجعتِ نادمة ساخطة. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٢ ـ ٨٠٣ وقد روى من قبل هي غزوة بدر أنّ النبيّ أفطر لمّا خرج من المدينة إلى بيوت السقيا المتصلة بالمدينة ١: ٢٢ مما يدل على أنّ هذا الإفطار المتأخر إلى مرحلتين عن مكة إنّما كان لافطار من استنفر من أحياء من بني سليم وبني كعب بن عمرو من خزاعة والعصاة.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٤٢.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٢١٧ عن كتاب الجمل لأبي مخنف.

وهل علمت قريش بالخبر؟

المنزل التالي مرّ الظَّهران. وسيأتي عن ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ نزل مرّ الظَّهران وقد عُمّيت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل(1).

ثم هو يروي أن حماس بن قيس بن خالد من بني بكر (من كنانة)، كان قبل دخول رسول الله يُعدّ سلاحاً ويصلحه، حتى سألته امرأته: لماذا تُعدّ ما أرى؟ قال: محمد وأصحابه! وإني لأرجو أن أُخدمكِ بعضهم، وارتجز يقول:

إن يُقبلوا اليومَ فما لي عِلّةْ ... هذا سلاح كامل وألّةْ

وذو غِرارين سريعُ السَّلّةْ(2)

فهذا يقتضي أن يكونوا قد أتاهم خبر عنه وعلموا بخروجه ومسيره إليهم، وأنه سيقبل عليهم اليوم أو غداً.

ونظنّ أن هذا هو السرّ في ما يأتي من خروج العباس بن عبد المطّلب بأهله، وابن أخيه أبي سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب، وابن أخت العباس وابن عمّة أبي سفيان: عبد الله بن أبي أُمية المخزومي أخو أُمّ سلمة المخزومية من أبيها. وأنّ هذا هو سرّ خروج أبي سفيان صخر بن حرب مع حكيم بن حزام لمنعة وصول عسكر المسلمين إلى مرّ الظَّهران في ظهر مكة، وإلّا فما سبب خروجه حينئذٍ؟! وستأتي هذه الأخبار.

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤ ـ ٤٢.

(2) ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤: ٤٩ ـ ٥٠ وانظر مغازي الواقدي ٢: ٨٢٣. وألّة: الحربة عليها السنان.

وفي مرّ الظّهران ظهر مكّة:

قال الطبرسي: ونزل رسول الله ﷺ مرّ الظّهران وقد غُمّت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر عنه[1].

وقال الواقدي: ونزل المسلمون مرّ الظّهران ولم يبلغ قريشاً حرفٌ واحد من مسير رسول الله إليهم. وبلغ رسول الله إلى مرّ الظّهران عشاءً، فأمر أصحابه أن يوقدوا النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار! واجتمعت قريش أن تبعث أبا سفيان بن حرب يتحسّب الأخبار، وقالوا له: إن لقيت محمداً فإن رأيت في أصحابه رقّة فآذنه بحرب، وإلّا فخذ لنا منه جواراً! فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام، ولقيا بُديل بن ورقاء فاستتبعاه فخرج معهما. فلمّا بلغوا الأراك من مرّ الظّهران رأوا الأبنية (الخيام) والعسكر والنيران، وسمعوا صهيل الخيل ورُغاء الإبل فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً[2] فقالوا لبُديل: هؤلاء بنو كعب (من خزاعة) حاشتها (جمعتها وساقتها) الحرب! فقال بُديل: هؤلاء أكثر من بني كعب! فقال بعضهم: فهل هي هوازن جاءت إلى أرضنا للنجعة (طلب الماء والكلاء)؟ وقالوا: والله ما نعرف هذا، إنّ هذا العسكر مثل يوم الحُجّاج[3].

أبو سفيان عند النبيّ ﷺ:

روى الواقدي بسنده عن ابن عباس عن أبيه قال: لما نزل رسول الله بمرّ

---

(١) مجمع البيان ١٠: ٨٤٦.

(٢) وعليه فبعث قريش لأبي سفيان ليتحسّب الأخبار لم يكن لرؤيتهم النيران ولا لأنه بلغهم ـ كما قال ـ حرف واحد من مسير رسول الله، إذن فلماذا أجمعوا أن يرسلوه؟ اللهم إلّا ما رجّحناه آنفاً.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨١٤.

الظَّهران قلت (في نفسي): واصباح قريش! والله لئن دخلها رسول الله عنوةً إنّه لهلاك قريش آخر الدهر! فأخذت بغلة رسول الله الشهباء فركبتها ألتمس إنساناً أبعثه إلى قريش فيلقون رسولَ الله قبل أن يدخلها عليهم عنوة. فبينا أنا في الأراك (من مرّ الظَّهران) أبتغي إنساناً، إذ سمعت كلاماً يقول: والله ما رأيت كالليلة من النيران. وإذا بأبي سفيان، فناديته: أبا حنظلة! فعرف صوتي فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فداك أبي وأمّي! فقلت له: ويلك، هذا رسولُ الله في عشرة آلاف! فقال: بأبي وأمّي! فما تأمرني؟ هل من حيلة؟ قلت: نعم، تركب عجُز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله، فإنّه والله إن ظفر بك دون رسول الله لتُقتلنّ! فقال أبو سفيان: وأنا أرى ذلك.

فرجع عنه بُديل وحكيم، وجاء هو فركب خلفي، فتوجّهتُ به. فكلّما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فقلت: العبّاس، فإذا رأوني قالوا: عمّ رسول الله على بغلته. حتى مررتُ بنار عمر بن الخطّاب، فلما رآني قام فقال: مَن هذا؟ فقلتُ: العبّاس. فنظر فرأى أبا سفيان خلفي فقال: أبو سفيان عدوّ الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بلا عَهْد ولا عَقْد. ثم أخذ يشتدّ إلى رسول الله، وركضت البغلة حتى اجتمعنا جميعاً على باب خيمة النبيّ فدخلت عليه، ودخل عمر على إثري فقال عمر: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدوّ الله، قد أمكن الله منه بلا عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه. فقلت: يا رسولَ الله، إني قد أجرته. ثم قلت لعمر: مَهلاً يا عمر! فإنه لو كان رجل من بني عديّ بن كعب ما قلت هذا (لأنه من عشيرتك) ولكنه أحد بني عبد مناف! فقال رسول الله: اذهب به، فقد أجرناه لك، فليَبِت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت. فذهبت به[1].

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨١٦ ـ ٨١٧ مسنداً، وابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٤ ـ ٤٥ ونحوه في إعلام الورى ١: ٢١٩ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٦، ٨٤٧.

وفي نقل آخر للواقدي: أنّ العباس أقبل على حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء فقال: أسلما، فإنّي جارٌ لكما حتى تنتهوا إلى رسول الله، فإني أخشى أن تُقتطعوا دونه! فوقفوا. فخرج بهم العباس حتى أتى رسولَ الله فدخل عليه فقال: يا رسول الله، أبو سفيان وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء قد أجرتهم، يدخلون عليك؟ قال: أدخِلهم. فدخلوا عليه، فقال لهم: تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّي رسولُ الله؟! فشهدوا أن لا إله إلّا الله، وشهد بُديل وحكيم بالرسالة، ولم يشهد أبو سفيان! فقال: نبيٌّ وأنّي رسول الله! فقال أبو سفيان: يا محمد! والله إنّ في النفس من هذا لشيئاً يسيراً بعد! فأرجئها. فقال رسول الله للعباس: قد أجرناهم، فاذهب بهم إلى منزلك. فذهب بهم

وأصبح الصباح:

قال العباس: فلما طلع الفجر أذّن العسكر كلّه! ومن أذانهم فزع أبو سفيان فقال لي: ما هذا؟ قلت: الصلاة. قال: كم يصلّون في اليوم والليلة؟ قلت: يصلّون خمس صلوات. فقال: والله كثير! ثم خرجت وإيّاه حيث يرون رسول الله وهو يتوضّأ، ورأيتهم يتبادرون وَضوء النبيّ[1] وأيدي المسلمين تحت شعره فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلّا مسح بها وجهه![2] فقال لي: يا أبا الفضل، ما رأيت ملكاً هكذا قط، لا مُلك كسرى، ولا ملك بني الأصفر[3] فلما صلّى[4] قال: أدخِلني عليه يا أبا الفضل[5]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨١٥، ٨١٦ والوَضوء بفتح الواو: ماء الوضوء.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٢١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨١٦ وبنو الأصفر: الروم.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٢ وفيه أنّ أبا سفيان أسلم ليلاً وعلّمه العباس الوضوء والصلاة فصلّى معهم.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨١٦

جوار أبي سفيان ورسول الإيمان:

قال العباس: فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟! قال: بأبي أنت، ما أحلمك وأكرمك! وأعظمَ عفوك! قد كان يقع في نفسي أنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عنّي شيئاً بعدُ[1] يا محمد! استنصرتُ إلهي واستنصرتَ إلهك، فلا والله ما لقيتك من مرة إلّا ظُهِرتَ عليّ! فلو كان إلهي محقّاً وإلهك مبطلاً غلبتُك![2]

فقال ﷺ: يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسولُ الله؟! فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك وأكرمك! وأعظم عفوك! أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لشيئاً بعدُ! فقلت له: ويحك، اشهدْ أن لا إله إلّا الله واشهدْ أنّ محمداً عبده ورسوله![3] فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.[4]

ثم قال: يا محمد! جئت بأوباش الناس! من يُعرف ومن لا يُعرف، إلى أهلك وعشيرتك؟! فقال رسول الله: أنت أظلم وأفجر! غدرتم بعهد الحديبية، وظاهرتم على بني كعب (من خزاعة) بالإثم والعدوان في حرم الله وأمنه! فقال أبو سفيان: يا رسولَ الله، وهلّا كنت جعلت حدَّتك ومكيدتك بهوازن فهم أبعد رحماً وأشدّ لك عداوة! فقال رسول الله: إنّي لأرجو من ربّي أن يجمع ذلك لي كله بفتح مكة وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن! وأن يغنّمني الله أموالهم وذراريهم، فإني

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨١٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨١٦.

(٣) في إعلام الورى ١: ٢٢١ يضربُ عنقك أو تشهد. وفي السيرة: قبل أن تُضرب عنقك ٤: ٤٦ ولكن ليس فيه إجارته من قبل العباس.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨١٨.

رغب إلى الله تعالى في ذلك[1]. فقال لي أبو سفيان: فما نصنع باللات والعزّى؟! فقال عمر: يسلّح عليهما[2] فقال له أبو سفيان: أُفٍّ لك! ما أفحشك يا عمر! ما يُدخلك في كلامي وكلام ابن عمي!

ثم قال أبو سفيان: يا رسول الله، إني أُحبّ أن تأذن لي إلى قومك فأُنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله! فأذن له رسول الله. فقال أبو سفيان للعباس: كيف أقول لهم؟ بيّن لي من ذلك أمراً يطمئنّون إليه. فقال له رسول الله: تقول لهم: من قال: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً رسول الله، وكفّ يده، فهو آمن! ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن! فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فلو خصصته بمعروف! فقال ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن! قال أبو سفيان: داري؟. قال: دارك. ثم قال: ومن أغلق بابه فهو آمن!

فقام أبو سفيان ومضى لوجهه. فقلت للنبيّ: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل من شأنه الغدر، وقد رأى من المسلمين تفرّقاً. فقال لي رسول الله: فأدركه واحبسه في مضيق الوادي حتى تمرّ به جنودُ الله. فلحقته فناديته: يا أبا حنظلة! فوقف وقال: أغدراً يا بني هاشم؟! فقلت له: ستعلم أنّ الغدر ليس من شأننا، ولكن اصبح حتى تنظر إلى جنود الله[3]

وعليه فإن العباس استصحب أبا سفيان تلك الليلة معه إلى خيمته.

وهنا روى الصدوق مرسلاً في «كمال الدين»: أنّ أبا سفيان قال في نفسه:

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨١٦.

(٢) سلّح: أي سلَح أوساخه وقذاراته.

(٣) كمال الدين: ٣٦٢ ط النجف الأشرف.

مَن فعلَ مثل ما فعلتُ؟! جئتُ فدفعتُ يدي في يده، ألا كنتُ أجمع عليه الجموع من الأحابيش وكِنانة فكنت ألقاه بهم فلعلِّي كنت أدفعه! فناداه النبيّ ﷺ من خيمته قال: يا أبا سفيان: إذاً كان الله يخزيك[1].

استعراض عسكر المسلمين:

قال الواقدي: وعبّأ رسول الله أصحابه، وكان قد قدّم بني سُليم في ألف رجل بقيادة خالد بن الوليد، ومعه لواء يحمله الحجاج بن علاط السُلمي، ولواءين أحدهما للعباس بن مرداس، والآخر يحمله خُفاف بن ندبة.

فلما حاذى خالد العباس وأبا سفيان كبّر ثلاثاً فكبّروا معه، فقال أبو سفيان: مَن هذا؟ قال: خالد بن الوليد. قال: الغلام؟ قال: نعم.

ثم مرّ الزبير بن العوّام براية سوداء ومعه مهاجرون وأعراب، فلما حاذاهما كبّر فكبّروا، فقال: مَن هذا؟ قال الزبير بن العوّام. قال: ابن أختك؟ قال: نعم.

ثم مرّ أبو ذرّ الغفاري ـ أو إيماء بن رَحْضة ـ بثلاثمئة من بني غفار، فلما حاذوهما كبّروا، فقال: يا أبا الفضل من هؤلاء؟ قال: بنو غفار، قال: ما لي ولهم؟

ثم مرّ بُريدة بن الحُصيب الأسلمي بمئتين من بني أسلم، وناجية بن الأعجم بمئتين آخرين منهم، بلواءين معهما، ولما حاذوهم كبّروا، فقال: مَن هؤلاء؟ قال: أسلم. قال: يا أبا الفضل ما بيني ولأسلم؟! قال العباس: هم قوم دخلوا الإسلام.

ثم مرّ بُسر بن سفيان الكعبي الخزاعي بخمسمئة منهم، وكبّروا، فقال صخر: من هؤلاء؟ قال: بنو كعب بن عمرو (من خزاعة) قال: نعم، هؤلاء حلفاء محمد: (وليس النبيّ)

(١) كمال الدين: ٢ / ٣١٢ ط النجف الأشرف

ثم مرّت مزينة في ألف رجل، ومئتي فرس، وثلاثة ألوية مع بلال بن الحارث وعبد اللّه بن عمرو والنعمان بن مُقرّن، وكبّروا، فقال: مَن هؤلاء؟ قال: مزينة قال: يا أبا الفضل ما لي ولمزينة؟ جاءتني تُقعقع من شواهقها[1].

ثم مرّت جُهينة في ثمانمئة، كل مئتين بلواء مع: رافع بن مَكيث، وسُويد بن صخر، وعبد اللّه بن بدر، ومعبد بن خالد، وكبّروا ثلاثاً.

ثم مرّ أبو واقد الليثي بمئتين من بني ليث وبني بكر، وبني ضمرة من كنانة وكبّروا، فقال: مَن هؤلاء؟ قال: بنو بكر (من كِنانة)، قال: نعم، واللّه هم الذين غزانا محمد (!) بسببهم، أهل شؤم واللّه، أما واللّه ما شوورت فيه ولا علمتُه، ولقد كنت له كارهاً حيث بلغني، ولكنّه أمر حُمّ (أي صار أجله)، فقال له العباس: قد خار اللّه لك في غزو محمد، فقد دخلتم في الإسلام كافّة!

وقيل: بل كان لواء بني ليث مع الصعب بن جَثّامة الليثي في مئتين وخمسين من بني ليث فحسب، وكبّروا، فقال: مَن هؤلاء؟ قال: بنو ليث.

وفي الأخير مرّت ثلاثمئة من أشجع بلواءين مع نُعيم بن مسعود الأشجعي ومعقل بن سنان الأشجعي، وكبّروا، فقال: مَن؟ فقال العباس: هم من أشجع! فقال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشدَّ العرب على محمد (وهكذا)! فقال العباس: أدخلَ اللّه في قلوبهم الإسلام، وهذا من فضل اللّه ـ عزّ وجل ـ فسكت[2].

المهاجرون والأنصار:

وكان للأنصار أربعة آلاف ولهم خمسمئة من الخيل، وكان المهاجرون سبعمئة

---

(١) كانت منازل مزينة في الجبال الشواهق، والقعقعة: أصوات الأسلحة.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨١٩، ٨٢٠.

ولهم ثلاثمئة فرس[1] وقد مرّ في الخمسمئة مع الزبير بن العوّام جمع من المهاجرين[2] مئة أو مئتان، وبقي خمسمئة منهم مع الخمسة آلاف من الأنصار مع كل بطن من الأنصار راية ولواء، فيهم ألف دارع بالحديد لا يُرى منهم إلّا الحَدَق[3] ولذلك قيل لهم الكتيبة الخضراء أي السوداء[4].

الكتيبة الخضراء، والراية:

روى الواقدي قال: لما طلعت كتيبة رسول الله الخضراء، طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل، وجعل الناس يمرّون، كل ذلك وأبو سفيان يقول للعباس: ما مرّ محمد؟! (كذا) فيقول العباس: لا.

وكان رسول الله قد أعطى رايته سعدَ بن عُبادة الخزرجي فكان هو أمام الكتيبة، فلما مرّ سعدٌ براية النبيّ نادى ونادى معه من كان معه: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة! اليومَ تُستحلّ الحرمة! اليوم أذلّ الله قريشاً!

وأقبل رسول الله يسير على ناقته القصواء[5] معتماً بعمامة سوداء بغير دوابة بطرف بردٍ يماني أحمر[6] أو أسود[7] بين الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن[8] وأُسيد بن حُضير

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨١٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٢١ وسيرة ابن هشام ٤: ٤٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٤٦، ٤٧.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٢١.

(٦) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٤٧.

(٧) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٣ و٨٢٤.

(٨) مغازي الواقدي ٢: ٨٠٤.

الأنصاري، وأبي بكر. وكان على عمر بن الخطّاب الحديد، وبه رجل بصوت عالٍ (فلم يعرفه أبو سفيان) فقال للعباس: يا أبا الفضل، ومَن هذا المتكلِّم؟ قال: هو عمر بن الخطاب. فقال أبو سفيان: والله لقد قوي أمر بني عَديّ بعد قلّة وذلّة! فقال له العباس: يا أبا سفيان، إنّ الله يرفع ما يشاء بما يشاء، وإنّ عمر ممّن رفعه الإسلام[1]. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، ما رأيت مثل هذه الكتيبة قطّ، ولا خبّرنيه مخبّر؟ سبحان الله، ما لأحد بهذه طاقة ولا يدان! ثم قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً!

فروي عن العباس قال: فقلت له: ويحك يا أبا سفيان، ليس بملك ولكنّها نبوّة! فقال أبو سفيان: نعم[2] إذن[3].

وأقبل رسول الله حتّى إذا حاذى أبا سفيان، ناداه أبو سفيان: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟ إنّ سعداً ـ ومَن معه ـ حين مرّ بنا قال: يا أبا سفيان، اليومُ يومُ الملحمة! اليومَ تُستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً! وإنّي أُنشدك الله في قومك فأنت أبرّ الناس وأرحم الناس وأوصل الناس[4].

فقال العباس للنبيّ ﷺ: يا رسول الله إنّي لا آمن أن تكون لسعد صولة في قريش[5] أو قاله عمر بن الخطاب[6] أو عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٨٢١.

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٨٢٢ وتاريخ اليعقوبي ١ : ٥٩.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٤٧.

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ٨٢١.

(٥) الإرشاد ١ : ١٣٥ وفي ٦٠ بعض القوم.

(٦) سيرة ابن هشام ٤ : ٤٩، وابن إسحاق: رجل من المهاجرين. فقال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

عوف، فقال رسول الله لعلي بن أبي طالب: أدركه، فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها[1] مكة. فأدركه علي عليه السلام فأخذها منه، ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه[3].

وجاء حكيم بن حزام، وبُديل بن ورقاء[4] وجُبير بن مُطعم العدوي[5] إلى رسول الله فأسلموا وبايعوه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الأوّلين بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام (أسلموا تسلموا). وكانت دار أبي سفيان في أعلى مكة ودار حكيم بن حزام في أسفل مكة، فأضاف صلى الله عليه وآله: من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن[6].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٢١ و٨٢٢.

(٢) الإرشاد ١: ٦٠ ومثله في سيرة ابن هشام ٤: ٤٧ وفي مغازي الواقدي ٢: ٨٢٢ يقال: إنّ رسول الله أمر عليّاً فأخذ اللواء فذهب به [illegible] أعطى رايته سعد بن عبادة وليس اللواء.

(٣) الإرشاد ١: ١٣٥ وفي مغازي الواقدي ٢: ٨٢٣: فأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء وجعلها إلى ابنه قيس، فأبى سعد أن يسلّم اللواء لابنه قيس إلّا بأمارة من النبيّ، فأرسل إليه رسول الله بعمامته علامة، فعرفها، فدفع اللواء لابنه قيس. وقيل: بل لم يعزله! وهكذا شفّعوا في علي عليه السلام بذلك! وابن إسحاق نقل ذلك في دخول مكة، وكذلك المفيد في الإرشاد.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٢٢ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٧.

(٥) إعلام الورى ١: ٢٢٣.

(٦) تفسير القمي ٢: ٣٢١ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٨. وروى العلّامة الحلّي في كشف الحق عن الحُميدي في الجمع بين الصحيحين عن مسند أبي هريرة في صحيح مسلم: أن الأنصار لما سمعوا ذلك قال بعضهم لبعض: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في بلدته أو قريته! كما في دلائل الصدق ٣ القسم الثاني: ٢٦ ط بغداد.

أبو سفيان ينادي بالأمان:

روى الواقدي: أنّ العباس قال لأبي سفيان: فاخرج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم! فخرج أبو سفيان فتقدّم الناس كلهم حتى دخل من قِبَل جُبَيل كَداء (بأعلى مكة) وقد رفع النداء[1] صارخاً بأعلى صوته: يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به! فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن![2] ومن أغلق بابه فهو آمن! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة المخزومية فأخذت برأسه فقالت: ما وراءك؟ قال: هذا محمد في عشرة آلاف، عليهم الحديد! وقد جعل لي: من دخل داري فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن! فقالت: قبّحك الله رسول قوم![3] وأخذت بشاربه تقول: اقتلوا هذا الزِّقّ الدَّسِم الشحيم، قُبّح من طليعة قوم! فقال أبو سفيان: ويلكم، لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالوا له: قاتلك الله! وما تُغني عنّا دارك؟ فقال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن[4] ويلكم رأيتُ ما لم تروا! رأيت الرجال والسلاح والكُراع، فلا لأحدٍ بهذا طاقة[5].

وحماسٌ أحمق:

من الخبر عن ابن إسحاق بإسناده قال: كان حِماس بن قيس بن خالد الدُّئلي

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٢.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٢، ٨٢٣.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٧.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٣.

من بني بكر (من كِنانة) قبل دخول رسول الله يُعد سلاحاً ويصلحه، فقالت له امرأته: لماذا تُعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه! قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء!

ثم هو وصفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل المخزومي، وسُهيل بن عمرو جمعوا ناساً بموضع يقال له الخندمة ليقاتلوا ويقاوموا[1] وانضم إليهم ناس من قريش وناس من بني بكر من كنانة وهُذيل، وتلبّسوا السلاح، وهم يُقسمون بالله: لا يدخلها محمد عَنوة أبداً (فكانت هند المخزومية تريد زوجها الأموي بن جابس ابن عمها المخزومي)!

النبي في ذي طُوى:

قالوا: وانتهى المسلمون إلى ذي طُوى، فوقفوا وتلاحقوا ينظرون ما يفعل رسول الله[2] فروى ابن اسحاق: أنّ رسول الله انتهى في مسيره إلى ذي طُوى فوقف على راحلته ... وفرّق جيشه، فجعل الزُّبير بن العَوّام على الجناح الأيسر وأمره أن يدخل من ثنيّة كُدى (بأسفل مكة) وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن ومعه من قبائل العرب: أسلم وسُليم وجُهينة ومُزينة وغِفار، وأمره أن

---

(1) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٤٩، ٥٠. والخندمة بن خادم سلسلة جبال تمتد من شعب عامر قرب المسجد الحرام فتتّجه شرقاً حتى المعجر ثم جنوباً فيكون بينها جبل شديد معابر نحجون، والخندم مشرفة على كل مَعلاة مكة في أعلى مكة إلى المسجد الحرام، كما في مقال عبد الرحمن خويلد في مجلة الميقات ٤: ٢٠٣ و ٢٠٤ وحيث إن دخول رسول الله ﷺ كان من هناك فهم أرادوا مقاتلته.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٢.

يدخل من الليط أسفل مكة أيضاً [١] وأن يغرز رايته دون البيوت (البيوت الشعر = عروش مكة) وقد أمر الزبير أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحَجون، وقال له: لا تبرح حتى نأتيك. وبعث سعد بن عُبادة على كتيبة من الأنصار في مقدّمته [٢] وأمره أن يدخل من ثنية كَداء بأعلى مكة [٣].

المهدورة دماؤهم:

قال ابن إسحاق: وعهد رسول الله إلى أمرائه من المسلمين: أن لا يقتلوا بمكة إلّا من قاتلهم، سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ ﷺ أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة [٤].

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٧ و ٤٩ ومغازي الواقدي ٢: ٨٢٥ وأطلق الأزرقي في أخبار مكة اسم الليط على جزء من وادي ذي طُوى في الطرف الغربيّ لجبل الكعبة يسمى اليوم وادي التنضباوي نسبة إلى أشجار التنضب التي كانت تنبت في هذا الوادي، كما في معجم معالم مكة التاريخية لعاتق بن غيث البلادي، وعنه في مجلة الميقات ٢: ١٥١.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٨٤٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٥ وابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٩ كداء، وقيل: المعروف أن جيوش الفتح أحاطت بمكة من ثلاث جهات: أذاخر حيث دخل رسول الله ﷺ وكداء حيث دخل الزبير وكتائب الأنصار، ودخل خالد بن الوليد من كُدى المعروف اليوم بريع الرسام، وكان سيره على طول الشارع المعروف اليوم بشارع خالد بن الوليد، وفيه مسجد يُنسب إليه، وذلك غربيّ المسجد الحرام. أما الزبير فقد جرّ فرقته من المعلاة بأعلى مكة (ريع الحجون اليوم) إلى ثنية المدنيين في سفح جبل الخندمة إلى المسجد الحرام حيث اجتمعوا فيه.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٥١.

وردت أسماؤهم في خبر رواه الحميري في «قرب الإسناد» عن الباقر عليه السلام: عبد الله بن سعد بن أبي سرح (المرتدّ، أخو عثمان من الرضاعة)، وعبد الله بن خطل (الأدرمي، لقتله عبده المسلم وارتداده مشركاً إلى مكة)، ومقيس بن صبابة (الليثي، لقتله عمداً مسلماً قتل أخاه خطأً وارتد إلى مكة)، وفرتنا وسارة، وكانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبيّ وتحضّضان يوم أُحد على رسول الله ﷺ[1].

وزاد ابن إسحاق: الحُويرث بن نُقيذ، وكان ممن يؤذيه بمكة[2]، وعكرمة بن أبي جهل المخزومي[3].

وزاد الواقدي: هبّار بن الأسود لإرعابه زينب بنت النبي وطرحها ولدها، وهند بنت عتبة بن ربيعة المخزومية زوج أبي سفيان[4].

---

(١) قرب الإسناد: ٦١. وفي الإرشاد ١: ١٣٦: قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إحدى القينتين، وأفلتت الأخرى حتى استؤمن لها بعد، وفي إمارة عمر بن الخطاب ضربها فرس بالأبطح فقتلها. وفي مغازي الواقدي ٢: ٨٦٠ قال: قُتلت أرنب وأما فرتنا فاستؤمن لها فعاشت حتى عهد عثمان، فكُسر ضلع من أضلاعها فماتت منه، فقضى عثمان فيها ثمانية آلاف درهم: ديتها ستة آلاف، وألفان تغليظاً للحرم!

(٢) وفي الإرشاد ١: ١٣٦: قتله علي عليه السلام، وإعلام الورى ١: ٢٢٤ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٨.

(٣) وكذلك في خبر الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٥٠٦، ٥٠٧ عن السُدّي عن مصعب بن سعد عن أبيه.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٥ واليعقوبي ١: ٥٩، ٦٠ والحلبي في المناقب ١: ٢٠٨. وكان ممن هاجر المدينة إلى مكة بعد هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة: أبو عامر الراهب الفاسق أبو حنظلة غسيل الملائكة يوم أحد، وهو من بني سالم بن عوف في قباء، خرج إلى المشركين ليحرّضهم على قتاله ﷺ، وحضر معهم في أُحد ثم الخندق فلقّبه النبي بالفاسق، وكان في مكة عند فتحها، وكأنّه ﷺ اكتفى بلقبه بالفاسق دون أن يهدر دمه يوم الفتح. وإلى ــــ

وزاد الحلبي: صفوان بن أمية المخزومي[1].

ووجّه الزبير بن العوّام بمن معه حيث وجّهه رسول الله، ووجّه خالد بن الوليد بمن معه حيث وجّهه رسول الله إلى الليط من أسفل مكة.

وتوجّه مولى رسول الله أبو رافع القبطي بأمره ـ كما سبق في عمرة القضاء ـ إلى الحجون بالأبطح، فضرب به هناك قبةً من أدم الجلود. وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة ـ فقيل لرسول الله: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ (شعب أبي طالب بالأبطح) فقال: وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً؟! فقيل: فانزل في بعض بيوت مكة من غير منازلك! فقال: لا أدخل البيوت[2].

عكرمة المخزومي يواجه خالد المخزومي:

روى خبر ابن إسحاق قال: إنّ عكرمة بن أبي جهل المخزومي وصفوان بن أمية

= كان هو أنشط من الهاجين له والمؤلّبين عليه. ولعلّه كان ذلك كراماً لأبيه غسيل الملائكة، إلا أن أبا عامر راهب النبي هرب منه إلى الطائف، ولعله بيحرّضهم ضدّه. التبيان 5: ٢٩٨ وعنه في مجمع البيان ٥: ١١٠.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨ وسيأتي تفصيل كل ذلك.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٩ ونقل خبر حنين في مجمع البيان ٩: ٢٢١، والدرجات الرفيعة: ١٥٤ وقال في مجمع البحرين: البطحاء: الأرض المستوية، وفيها البطحاء، وهو دقاق الحصى. والبطح، مثل الأبطح وهو: مسيل وادي مكة وهو واسع فيه دقاق الحصى، أوله من مقطع الشعب في وادي منى، وآخره مقبرة المعلاة. ونقل البلادي في معجم معالم مكة: كان أهل مكة يقولون: إن البطحاء بين مهبط ريع الحجون إلى مسجد الحرام، فإذا تجاوزت ريع الحجون مشرقاً فهو الأبطح إلى بئر الشيبي ويطلق عليه المعلاة، لأنه أعلى مكة.

وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخَندمة ليقاتلوا المسلمين (١) إذ دخل خالد ابن الوليد بمن معه من النبط في كُدَى في أسفل مكة.

قال الواقدي: فوجد جمعاً من قريش وأتباعهم قد اجتمعوا له معهم عِكرمة ابن أبي جهل وسُهيل بن عمرو وصفوان بن أُمية، فرموهم بالنبل وشهروا السلاح وقالوا لخالد: لا تدخلها عَنوةً أبداً! فصاح خالد بأصحابه فقاتلهم، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً، وأربعة من هُذيل معهم (٢).

قال ابن إسحاق: وكان مع خيل خالد بن الوليد خُنَيس بن خالد (الخزاعي) وكُرْز بن جابر الفهري، فسلكا طريقاً شذّا به عن خيل خالد، فقتلهم المشركون، فقُتل خُنَيس بن خالد الخزاعي، فوقف دونه كُرْز بن جابر وجعل يرتجز ويقول:

قد علمت صفراء من بني فِهر ... لأضربنّ اليوم عن أبي صخر

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٤٩.

(٢) بالاعتماد على ما مرّ في تعريف جبل الخندمة، وبتمحيص هذين المصدرين ابن إسحاق والواقدي على أن أمر جبهة كانت في الخندمة. علق عاتق بن غيث البلادي في معجم معالم مكة التاريخية على هذا الخبر فقال: هذا ما نَحَت عمّا لخالد بن الوليد في نفوس المسلمين من بطولة، فلا يكادون يجهلون قائداً أحدث مثل هذا حتى يبادروا إلى أنه خالد بن الوليد. وهذا وهم، لأن خالداً دخل من كُدَى، وهي غرب المسجد الحرام، فكيف يقاتل خالد بن الوليد في الخندمة في أعلى مكة؟ لكن هذه فرقة أرسلها الزبير لا شك للسيطرة على جبل الخندمة المشرف على كل مَعلاة مكة إلى المسجد الحرام، موطئة لمرور رسول الله في الأبطح، ثم رجع فقتلهم الزبير بظهير. هذا الحجب لتحول معلاة مكة، وما دنت في ربع الحجون اليوم من ثنية المدنيين وبين المسجد الحرام. معجم المعالم ٤: ٢٠٣، ٢٠٤.

فلم يزل يقاتل حتى قُتل شهيداً، وأُصيب من خيل خالد سَلَمة بن الميلاء الجهني[1].

قال الواقدي: وكان قد ذُكر لبنات سعيد بن العاص الأموي أنّ رسول الله قد دخل! فخرجن وقد نزعن خُمُرَهنّ بأيديهن يضربن بها وجوه خيول المشركين (يحرّضنهم على القتال)! فمرّ بهنّ في تلك الحال عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي (المهدور الدم) مُدَجَّجاً في الحديد، على فرس ذنوب، وبيده قناة، فضربن وجه فرسه بخُمُرهنّ يُحرّضنه! فقال لهن: أما والله لا يدخلها حتى ترين ضرباً كأفواه القِرب (من كثرة الدماء)! ولكنّه لما انتهى إلى الخَنْدمة ورأى القتالَ وخيلَ المسلمين أخذته الرِّعدة من الرُّعب ما لا يستمسك معه[2].

فلما أشرف رسول الله على ثنيّة أذاخر[3] نظر إلى بيوت مكة، فحمد الله وأثنى عليه، ونظر إلى قبّته، قال جابر بن عبد الله الأنصاري: وكنتُ ألازمه ونحن بالأبطح نحو شعب أبي طالب حيث حُصر رسول الله وبنو هاشم ثلاث سنين، فقال لي: يا جابر، هذا منزلنا حيث تقاسمت (أي تحالفت) علينا قريش في كفرها[4].

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٥٠ ولم يرهما الواقدي من أصحاب الزبير، وسمّى الثاني خالد الأشعر، وسمّى قبله خُنيس بن أبي محرز الجمحي. مغازي الواقدي ٢: ٨٢٨.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٧.

(3) قال الأزرقي في أخبار مكة ٢: ٢٨٩: من ثنيّة أذاخر دخل النبيّ ﷺ مكة يوم فتحها وهي الثنيّة التي تشرف على حائط خُرمان، وعلّق البلادي في معجم معالم مكة قال: وحائط خرمان يعرف اليوم بالخُرمانية بصدر مكة، وقد عُمّر اليوم مقراً لأمانة العاصمة ورحبة تقف فيها سيارات الأُجرة.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٧.

ورأى بريق السيوف في الخندمة فقال: ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟. فقيل: يا رسول الله، خالد قوتل، ولو لم يقاتل ما قاتل. فقال رسول الله: قضى الله خيراً[1].

هزيمة المقاومة:

قال الواقدي: ثم انهزم القوم أقبح انهزام وتولوا في كل وجه، واتبعهم المسلمون، فقُتل بعضهم في سوق الحَزْوَرة (في المَسعى)، وصعد جمع منهم إلى رؤوس الجبال. وانتهى عبد الله بن هلال بن خطَل الأدرميّ إلى الكعبة، فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت ستار البيت! ولحقه رجل من بني كعب (بن عمرو من خزاعة فلم يقتله ولكنّه) أخذ سيفه وترسه ومغفره ودرعه وصفقه (الذي يلبس تحت الدرع) وأدرك فرسه فركبه ولحق بالنبيّ ﷺ[2]. وتسابق إليه عمار بن ياسر وسعيد بن حُريث المخزومي، فسبق سعيد عماراً فقتله[3].

وخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام يصيحان بالمشركين: يا معشر قريش! علامَ تقتلون أنفسكم؟! من دخل داره فهو آمن! ومن وضع السلاح فهو آمن! فجعل الناس يطرحون أسلحتهم في الطُرقات ويقتحمون الدور ويغلقونها! وانهزم حِماس بن قيس بن خالد الدُؤلي البكري إلى بيته وقد ذهبت روحه، فدقّه، ففتحت امرأته الباب فدخل[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٦، ٨٢٧.

(٣) إعلام الورى ١: ٢٢٤ ومجمع البيان ١٠: ٨٤٨ وقال الواقدي: يقال: قتله عمار بن ياسر ويقال: سعيد بن حريث ويقال: شريك بن عبدة وأثبته عندنا أبو برزة الأسلمي ٢: ٨٥٩.

(٤) فقالت له: تسخر منه: ... ما زلتُ منتظرتك منذ اليوم فأين الخادم الذي وعدتني؟ ←

وروى ابن اسحاق والواقدي بسندهما عن أسماء بنت أبي بكر عن عمتها قُرَيبة بنت أبي قُحافة قالت: قال لي أبي وهو أعمى: أي بُنيّة خذي بيدي إلى جبل أبي قُبيس لننظر ما يكون، فأشرفتُ به عليه، فقال: أي بُنيّة ماذا ترين؟ قلت: أرى سواداً مجتمعاً (بذي طُوى) فقال: تلك الخيل. ثم تفرّق السواد فأخبرته فقال: فقد تفرقت الجيوش فالبيت! البيت. فنزلتُ به. وكان في عنقي طوق من فضة فتلقاه رجل ممن دخل مكة (من المسلمين) فاقتطعه من عُنقي واختلسها(1).

جوار أمّ هانئ:

روى ابن اسحاق بسنده عن أبي مُرّة مولى عقيل بن أبي طالب عن اخته أمّ هانئ ابنة أبي طالب زوج هُبيرة بن أبي وَهْب المخزومي قالت: لما نزل رسول الله بأعلى مكة فرّ إليّ رجلان من أحمائي بني مخزوم(2)

← قال: دعي عنك هذا وأغلقي بابي! قالت: وما بابي؟ قال: إنه لا يفتح على أحد بابه، فإنه من أغلق بابه فهو آمن. ثم قال شعراً:

إنك لو شهدتِ يوم الخندمة	إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة	واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة	ضرباً فلا يُسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة	لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

ويعني بأبي يزيد سهيل بن عمرو خطيب قريش وكاتبها في صلح الحديبية. مغازي الواقدي ٢: ٨٢٦ و ٨٢٧ والخبر الأخير في سيرة ابن هشام أيضاً ٤: ٥٠، ٥١ ويعني هذه الأخبار عن موقع الخندمة التعليق السابق لعاتق بن غيث البلادي في معجم معالم مكة.

(1) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٤٨ والواقدي في المغازي ٢: ٨٢٤.

(2) قال ابن هشام ٤: ٥٢ هما: الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية، وقال الواقدي ←

وقال المفيد في (الإرشاد): وبلغ عليّاً عليه السلام أنّ أُخته أُمّ هانئ قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم: الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنّعاً بالحديد، فنادى: أخرجوا من آويتم! فخرجت أُمّ هانئ وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله، أنا أُمّ هانئ بنت عمّ رسول الله وأُخت عليّ بن أبي طالب، انصرف عن داري. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخرجوهم. فقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله. فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فأقبلت نحوه حتى التزمته وقالت: فديتك، حلفت لأشكونّك إلى رسول الله!

فقال لها: اذهبي فبرّي قسمك، فإنه بأعلى الوادي[1].

وروى الواقدي بسنده أيضاً عن أبي مُرّة مولى عقيل، عن أُمّ هانئ قالت: فذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء فوجدت فيه فاطمة، فقلت: ماذا لقيت من ابن أُمّي عليّ؟! أجرتُ حمويْن لي من المشركين فتفلّت عليهما ليقتلهما! فقالت لي فاطمة: تُجيرين المشركين! فكانت أشدّ عليّ من زوجها! إذ طلع رسول الله وعليه ثوب واحد وعليه آثار الغُبار، ورآني فعرفني وقال لي: مرحباً فاختة أُمّ هانئ!

فقلت له: ماذا لقيت من ابن أُمّي عليّ؟! ما كدتُ أفلت منه! أجرتُ حمويْن لي من المشركين فتفلّت عليهما ليقتلهما[2]. فقالت فاطمة: يا أُمّ هانئ إنما جئتِ تشتكين عليّاً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله! فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله لعليّ سعيه، وأجرتُ من أجارت أُمّ هانئ، لمكانها من عليّ بن أبي طالب[3].

= ٢: ٨٢٩. وعبد الله بن أبي ربيعة. أمّا زوجها هُبيرة فقد هرب إلى نجران في اليمن وأقام هناك حتى مات مشركاً. سيرة ابن هشام ٤: ٦٢ ومغازي الواقدي ٢: ٨٤٨، ٨٤٩.

(١) الإرشاد ١: ١٣٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٠.

(٣) الإرشاد ١: ١٣٨.

ثمّ أمر فاطمة فسكبت له غسلاً[1] فأفرغ على نفسه الماء من جفنة يُرى فيها أثر العجين، ثمّ تحرّى الصلاة، والوقت ضحى، فصلّى ثماني ركعات، لم يركعها رسول الله قبل ذلك ولا بعده[2].

نزول الرسول إلى بيت الله:

قالوا: اغتسل رسول الله ﷺ واطمأنّ في منزله ساعة من النهار، وقد صفّ له الناس، والخيل والمسلمين تموج بين الحجون إلى الخندمة، ثمّ دعا براحلته القصواء، ولبس مغفره على رأسه ولبس سلاحه ثمّ ركب راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها والمشركون ينظرون إليه من فوق الجبال. فمرّ رسول الله حتى انتهى إلى الكعبة براحلته، فاستلم الركن بمحجنه[3] وكبّر، فكبّر المسلمون وردّدوا التكبير حتى ارتجّت مكة بتكبيرهم حتى جعل رسول الله يشير إليهم أن يسكتوا.

وكان حول الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنماً مرصّصة بالرصاص، أعظمها هُبل وُجاه باب الكعبة. وبدأ رسول الله طوافه بالبيت على راحلته وبيده قضيب يشير به إلى كل صنم يمرّ به ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[4] فما يزيد رسول الله على أن يشير بالقضيب إلى الصنم[5] فما أشار إلى

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٠.

(٢) فروع الكافي ١: ١٢٥/ ٢٦، وكذلك في الواقدي ٢: ٨٣٠ وفي ٨٦٨ كانت أُم هانئ تحدث تقول: ما رأيت أحداً أحسن ثغراً من رسول الله وقد ضفر رأسه بأربع ضفائر.

(٣) المحجن: عود معوجّ الطرف.

(٤) سورة الإسراء: ٨١.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٣١، ٨٣٢.

صنم منها في وجهه إلّا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلّا وقع[1].

وفي «الإرشاد»: قال لأمير المؤمنين: يا علي أعطني كفّاً من الحصى، فقبض له أمير المؤمنين كفّاً فناوله، فرماها به وهو يتلو الآية، فما بقي منها صنم إلّا خرّ لوجهه. ثم أمر بها فأُخرجت من المسجد وكُسرت وطُرحت[2].

وروى الواحدي بسنده عن عِكرمة عن ابن عباس قال: فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته، وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته، وتوجّه رسول الله إلى مقام إبراهيم ﷺ وهو يومئذٍ لاصق بالكعبة[3] فصلى

---

(1) سعد السعود: ٢٢٠ عن تفسير الكلبي. وتمامه: فجعل أهل مكة يتعجّبون ويقولون فيما بينهم: ما رأينا رجلاً أسحر من محمّد!

(2) الإرشاد ١: ٨٣٢. وروى ابن هشام عن فضالة بن عُمير بن الملوّح الليثي أنه دنا من النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت يريد قتله، فلما دنا منه قال له: أفَضالة؟ قال: نعم، قال: ماذا كنت تحدّث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله. فضحك النبيّ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره [illegible]، فرفع يده عن صدره حتى ما كان شيء أحبّ إليه منه. سيرة ابن هشام ٤: ٥٩. وحيث كان النبيّ في يوم الفتح يطوف راكباً فلا يتيسّر أن يضع يده على صدر الرجل، اللهم إلّا أن يكون في طواف في يوم آخر بعد الفتح.

(3) في خبر صلاته ﷺ خلف مقام إبراهيم ﷺ في عمرة القضاء، مرّ الخبر عن الكليني في فروع الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث ٢ والصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٨، الحديث ١٢ بسندهما عن الإمام الباقر ﷺ قال: كان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم ﷺ عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النبيّ ﷺ مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم ﷺ.

وروى السجستاني في مسند عائشة: ٨٢، الحديث ٧٣ عن هشام بن عروة عن ←

ركعتين وعليه الدرع والمغفر والعمامة.

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أُلقيت الأصنام كبّها لوجوهها وقد بقي على البيت هُبل الصنم الطويل، فنظر النبيّ ﷺ إلى علي ﷺ وقال له: يا علي تركب عليّ أو أركب عليك لأُلقي هُبل عن ظهر الكعبة؟ فقال علي: بل تركبني، فلما جلس علي وصعد النبيّ على منكبه قال: بل أركبك يا رسول الله، فنزل وضحك وطأطأ ظهره وقال له: اصعد على منكبي، فصعد على منكبه ثم نهض النبيّ به حتى صعد علي على الكعبة وتنحّى رسول الله ﷺ. وكان صنم قريش الأكبر هبل من نحاس موتّداً بأوتاد إلى سطح الكعبة فقال النبيّ لعلي: عالجه، فما زال يعالجه ورسول الله يقول له: إيه إيه! ثم قال له: دقّه، فدقّه حتى كسره،

← أبيه عروة بن الزبير (عن خالته عائشة قالت): «كان رسول الله يصلي إلى صقع البيت ليس بينه وبين البيت شيء، وأبو بكر وعمر صدراً من إمارته، ثم إنّ عمر ردّ الناس إلى المقام» وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥: ٧٥ والأزرقي في أخبار مكة ٢: ٣٠ وكذلك الفاكهي ١: ٤٤٢ و ٤٥٤ وابن حجر في فتح الباري ٦: ١٠٦ و ٨: ١٦٩ وابن كثير في التفسير ١: ٣٨٤ وعبد الرزاق في المصنف ٥: ٤٨ وتمام الخبر السابق عن الكشي والصدوق عن الباقر ﷺ قال: «فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسع (قيد من جلد) فهو عندي. فقال: ائتني به، فأتاه به، فقاسه، ثم ردّه إلى هذا المكان».

وروى الكليني كذلك في روضة الكافي: ٥٨ عن علي ﷺ خطبة قال فيها:

«قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمّدين لخلافه ناقضين لعهده مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عنّي جندي حتى أبقى وحدي... أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم ﷺ فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ إذاً لتفرّقوا عنّي».

فقال له: اقذف به، فقذفه، فتكسّر كما تتكسر القوارير. ولما أراد أن ينزل عليّ ألقى نفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبيّ ﷺ. فلما استقر على الأرض ضحك، فسأله النبيّ عن تبسّمه فقال: لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم، فقال له النبيّ: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبرئيل[1].

قال الواقدي: وكان أبو سفيان واقفاً فقال له الزبير بن العوّام: يا أبا سفيان، قد كُسر هُبَل! أما إنك كنت منه يوم أُحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم! فقال له أبو سفيان: دع عنك هذا يا بن العوّام، فقد أرى لو كان مع إله محمد (كذا) غيره لكان غير ما كان[2]. ثم انصرف إلى بئر زمزم ومعه العباس بن عبد المطّلب، فنزع له العباس أو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب دلواً منه، فشرب منه[3].

مفتاح الكعبة:

مرّ الخبر عن قدوم عثمان بن طلحة من بني عبد الدار مع عمرو بن العاص السهمي وخالد بن الوليد المخزومي من مكة إلى المدينة في هلال صفر سنة ثمان،

---

(١) أخرج خبره جمع من أئمة التاريخ والحديث، وذكر الأمينيّ له أربعين مصدراً في الغدير ٧: ١٠ ـ ١٣. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق بسنده عن الصادق ﷺ قال: لمّا رمى به عليّ ﷺ عن ظهر الكعبة لمّا علا ظهر رسول الله ﷺ أمر به فدفن عند باب بني شيبة، فصار الدخول إلى المسجد من باب بني شيبة سنةً لأجل ذلك ٢: ٢٣٨ ط طهران و ١٥٤ ط النجف. وليس في السيرة شيء عن كسر هُبَل. واكتفى الواقدي بجملة مجملة فقال فيها: ثم وقف على هُبَل فأمر بكسره فكُسر وهو واقف عليه ومعه الزبير وأبو سفيان ٢: ٨٣٢ ولم يذكر علياً ﷺ.

(٢) و (٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٢.

وإسلامهم. وعثمان بن طلحة هو سادن الكعبة بعد أبيه طلحة، الذي كان من حملة لواء المشركين ببدر والمقتول يومئذٍ. وقد ترك المفتاح بيد أمّه وهي بنت شيبة المخزومي المقتول ببدر أيضاً.

وقد روى الواقدي بسنده عن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة على بعير ومعه بلال بن أبي رباح وأُسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، فلما طلع رأس الثنيّة أرسل عثمان فأرسله إلى أُمه ليأتيه بمفتاح الكعبة[1]. ودخل رسول الله المسجد الحرام فطاف، ثم انصرف فجلس في ناحية من المسجد والناس حوله[2]، ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة[3].

وروى الطَبْرسي في «إعلام الورى» عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن بشير النبّال عن الصادق عليه السلام قال: سأل رسول الله ﷺ عن مفتاح الكعبة فقالوا: عند أُمّ شيبة (بنت شيبة)، فدعا ابنها عثمان بن طلحة فقال له: اذهب إلى أُمّك فقل لها ترسل بالمفتاح[4]. قال عثمان: نعم. وخرج إلى أمّه فقال لها: يا أُمّه، أعطيني المفتاح فإنّ رسول الله قد أرسلني وأمرني أن آتيه به. فقالت له أُمّه: قتلت مقاتلنا وتريد أن تأخذ منا مكرمتنا؟! فقال لها: لتُرسِلِنّ به أو لأقتلنّك! فوضعته

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٤.

(٢) فروى الواقدي عن عامر بن وائلة قال: كنت مع أبي يوم فتح مكة فرأيت رسول الله يمشي ويمشون حوله فمنهم من يقصر عنه ومنهم من هو أطول منه، ولا أنسى شدة بياضه وسواد شعره ٢: ٨٦٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٢، ٨٣٣.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٢٥.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٣.

في يد العلاء، فجاء به إلى رسول الله فأخذه، ودعا عمر فقال له: «هذا تأويل رؤياي من قبل»! ثم قام ففتحه[1] ومعه عثمان بن طلحة، وبلال بن رباح، وأسامة بن زيد[2] ووقف على الباب خالد بن الوليد يذبّ الناس عن الباب حتى خرج رسول الله. وكان البيت يومئذٍ على ستة أعمدة[3].

فروى الواقدي بسنده عن أُسامة بن زيد قال: لما دخلنا مع رسول الله الكعبة رأى فيها صوراً، فأمرني أن آتيه بدلو من الماء، فأتيته به، فأخذ ثوباً وجعل يبلّه ويضرب به الصور ويقول: قاتل الله قوماً يصوّرون ما لا يخلقون. وروى عن الزهري: أنه رأى فيها صور الملائكة، وصورة مريم، وصورة إبراهيم عليه السلام شيخاً كبيراً يستقسم بالأزلام! فقال: قاتلهم الله جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام.[4] أو جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ وأمر بتلك الصور كلها فطُمست[5] ووجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده وطرحها[6] ثم جعل عمودين (من أعمدة البيت) عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة وراءه[7]

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٢٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٥ وعن الصادق عليه السلام ذكر أُسامة فقط في التهذيب ١: ٢٤٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٥.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٤ وفي قرب الإسناد: ٦١ عن الباقر عليه السلام: أنه رأى فيه صورتين (لإبراهيم ومريم) فدعا بماء وثوب فبلّه ثم محاهما.

(٥) سيرة ابن هشام ٤: ٥٥ ونحوه في فروع الكافي ١: ٢٢٧ عن الصادق عليه السلام، واليعقوبي ١: ٦٠.

(٦) سيرة ابن هشام ٤: ٥٤.

(٧) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٥ وقريب منه عن الصادق عليه السلام في التهذيب ١: ٢٤٥.

وجعل الباب خلف ظهره حتى كان بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع[١] وصلى ركعتين ثم خرج إلى الناس وقد اجتمعوا له.

خطبة الفتح، والعفو العام

فروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ثم أخذ رسول الله بعضادتي باب الكعبة فقال: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ماذا تقولون؟ وماذا تظنّون؟ فقالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال ﷺ: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢] ألا إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا يُنفّر صيدها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُختلى خلاها[٣] ولا تحل لُقطتها إلّا لمُنشد. فقال العباس: يا رسول الله إلّا الإذخر[٤] فإنه للقبر وللبيوت. فقال رسول الله: إلّا الإذخر[٥].

أيها الناس، ليبلّغ الشاهد الغائب، أنّ الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية والتفاخر بآبائها وعشائرها.

أيها الناس، إنكم من آدم وآدم من طين.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٥٦ وفي مغازي الواقدي: روى أن النبيّ بعث من البطحاء عمر بن الخطاب مع عثمان بن طلحة وأمره أن يتقدم فيفتح البيت فلا يدع فيه صورة إلّا محاها إلّا صورة إبراهيم. وعن الزهري: فمسحوا ما فيها من الصور إلّا صورة إبراهيم.

(٢) يوسف: ٩٢

(٣) يُعضد: يقطع. الخلا: النبات الرطب. اختلى: اقتطع

(٤) الإذخر: نبات طيب الرائحة

(٥) فروع الكافي ١: ١٢٦

ألا وإنّ خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم وأطوعكم له.

ألا وإنّ العربية ليست بأب والد ولكنّها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه.

ألا وإنّ كل دم أو مظلمة أو إحنة كانت في الجاهلية فهي مُطَلٌّ تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة[1] إلّا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما.

ثم قال: ألا لبئس جيران النبيّ كنتم، لقد كذّبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء![2]

وزاد ابن إسحاق: ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلّظة: مئة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها[3].

وأضاف الواقدي: ولا وصية لوارث، وإنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر. ولا يحلّ لامرأة تعطي من مالها إلّا بإذن زوجها. والمسلم أخو المسلم والمسلمون إخوة وهم يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، يردّ عليهم أقصاهم ويعقد عليهم أدناهم. ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده. ولا يتوارث أهل ملّتين مختلفتين. ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلّا في بيوتهم وأفنيتهم. ولا تُنكح المرأة على عمتها وخالتها. والبيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر. ولا صلاة بعد الصبح وبعد العصر. وأنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى ويوم الفطر[4].

---

(1) بحار الأنوار ٢١: ١٣٧ و ١٣٨ عن روضة الكافي وكتاب المؤمن للحسين بن سعيد الأهوازي، مخطوط. وإعلام الورى ١: ٢٢٥.

(2) إعلام الورى ١: ٢٢٦ وقصص الأنبياء: ٣٥٠ والمناقب للمجلسي ١: ٢٠٩ وذكر ابن إسحاق في السيرة ٤: ٥٤، ٥٥ «اذهبوا فأنتم الطلقاء» واليعقوبي ٢: ٦٠، ولم يروه الواقدي!

(3) سيرة ابن هشام ٤: ٥٤.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٦، ٨٣٧ وانظر مصادر الكتب والبحث فيه في كتاب ←

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» في خبر أبان عن بشير النبّال عن الصادق عليه السلام قال: ثم دعا الغلام (عثمان بن طلحة) وقال له: ابسط رداءك. فبسط رداءه فجعل مفتاح الكعبة فيه وقال: ردّه إلى أمّك[1].

وروى ابن إسحاق قال: ثم جلس رسول الله في المسجد ومفتاح الكعبة في يده، فقام إليه علي بن أبي طالب فقال له: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك (فلم يجبه)، وقال: أين عثمان بن طلحة؟ فدُعي له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليومُ يومُ برٍّ ووفاء[2].

وروى الواقدي عن عثمان قال: فاستقبلته ببِشر واستقبلني ببِشر ثم قال: خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها إلّا ظالم. يا عثمان، إنّ الله استأمنكم على بيته فقم على الباب وكُل بالمعروف. وأعطاه المفتاح وهو مضطبع بثوبه، وقال للناس: أعينوه. وجاء خالد بن الوليد فقال له رسول الله: يا خالد، لم قاتلت وقد نُهيت عن القتال!

فقال: يا رسول الله، إنهم بدؤونا بالقتال، ورشقونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح، وقد كففتُ ما استطعتُ، ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا حتى إذا لم أجد بدّاً قاتلتهم، فظفّرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله! فقال رسول الله: قضى الله خيراً! ثم قال رسول الله: كفّوا السلاح إلّا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر، وهي الساعة التي أُحلّت لرسول الله لم تحل لأحد قبله[3] فقتلت خزاعة جمعاً من بني بكر قصاصاً قبل صلاة العصر.

← مكاتيب الرسول ١: ٥٤٠ و ٢: ٥٢١ ـ ٥٢٥.

(١) إعلام الورى ١: ٢٢٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٥٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٣٨، ٨٣٩ وروى عن عطاء بن أبي رباح الخراساني مولى ←

ثم أذّنوا لصلاة الظهر:

فروى الطبرسي في «إعلام الورى» في خبر أبان عن بشير النبّال عن الصادق عليه السلام قال: ودخل وقتُ (الظهر[1]) فأمر رسول الله بلالاً فصعد على الكعبة وأذّن، فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره صوت ابن رباح ينهق على الكعبة! وقال (عتاب[2]) بن أسيد أخو عتّاب: الحمد لله الذي أكرم أبا عتّاب من أن يرى هذا اليوم ابن رباح قائماً على الكعبة! وكان أقصدهم سهيل بن عمرو إذ قال: هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء لغيّر![3] وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، والله لو نطقت لظننت أن هذه الجُدُر تُخبر به محمداً (كذا)[4].

وزاد ابن هشام: أنهم كانوا بفناء الكعبة، فخرج عليهم النبيّ ﷺ فقال: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم! فقال الحارث بن هشام وعتّاب بن أسيد: والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك، فنحن نشهد أنك رسول الله[5].

وفي خبر أبان قال: قال عتّاب: يا رسول الله، قد والله قلت ذلك،

= ابن عباس قال: جاء يوم الفتح رجل إلى النبيّ وقال: إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس، فقال النبيّ: ها هنا فصلّ، فأعاد الرجل مقالته فقال رسول الله: والذي نفسي بيده لصلاة ها هنا أفضل من ألف فيما سواه من البلدان ٢: ٨٦٦.

(1) الخرائج والجرائح ١: ٩٨، الحديث ١٥٨ و ١٦٢ والحديث ٢٥٢ وكذلك في مغازي الواقدي ٢: ٧٣٧ ودلائل النبوة للبيهقي ٤: ٣٢٨ وفي الخبر: العصر.

(2) في المصدر: خالد، ثم يذكر اعتذار عتّاب كسائر المصادر.

(3) وسيأتي أنه دخل داره حتى أجاره النبيّ، فهل هذا كان بعد جواره؟

(4) أليس كان قد أسلم؟ فكيف يحضرهم ويقول هكذا؟!

(5) سيرة ابن هشام ٤: ٥٦.

فنستغفر اللّه ونتوب إليه، وأسلم فولاّه رسول اللّه مكة[1].

ورواه الواقدي بسنده عن ابن المسيّب قال: لما أذّن بلال رفع صوته كأشدّ ما يكون، فلما بلغ إلى قوله: «أشهد أنّ محمداً رسول اللّه» قال خالد بن أسيد: الحمد للّه الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: وا ثكلاه! ليتني متّ قبل هذا اليوم ولا أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة! وقال الحكم بن أبي العاص: هذا واللّه الحدث العظيم أن يصيح عبد بني جُمح على بنيّة أبي طلحة! وقال سُهيل بن عمرو: إن كان هذا يُسخط اللّه فسيغيّره وإن كان يُرضيه فسيقرّه! وقال ابو سفيان (؟!): أمّا أنا فلا أقول شيئاً لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء! وكانوا قد تغيّبوا فوق رؤوس الجبال خوف أن يُقتلوا[2] وأتى جبرئيل عليه السلام رسول اللّه فأخبره خبرهم[3].

اليوم الثاني والخطبة فيه:

مرّ أن النبيّ ﷺ دخل المسجد الحرام فطاف بالبيت ثم دخله ثم خطب الناس، ثم صلى الظهر ثم قال: يا معشر المسلمين! كُفّوا السلاح إلّا خزاعة عن

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٢٦ والخرائج والجرائح ١: ٩٨، الحديث ١٥٨ و ١٦٣ والحديث ٢٥٢.

(٢) فما محلّ أبي سفيان منهم ؟ ! فإن دلّ هذا فعلى ماذا يدلّ ؟ !

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٦ ومرّ خبر مثله، عنه في عمرة القضاء عن سعيد بن المسيب، وهو الأنسب. وروى بسنده عن الزهري: أنّ رسول اللّه أقام بمكة خمس عشرة يوماً، وفي خبر آخر عشرين ليلة يصلي ركعتين، أي قصراً ٢: ٨٧١. وروى الطوسي في التهذيب ١: ٣: ٤٤٨ عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول اللّه ﷺ يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر: يا رسول اللّه صنعت شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال: عمداً فعلته يا عمر! وعنه في مجمع البيان ٣: ٢٥٢.

بني بكر إلى صلاة العصر[1] فبدخول صلاة العصر انتهت ساعة لي أحلها رسول الله لخزاعة على بني بكر قصاصاً.

وكان من ثارات خزاعة من غير بني بكر، من هذيل إذ كانوا قد أغاروا في الجاهلية على حيّ بني أسلم من خزاعة يقودهم جُندب بن الأدلع الهُذلي، وهل هذا شجاعاً من بني أسلم من خزاعة يُدعى أحمر بأساً فكأنّه أمن بأمن الإسلام فدخل مكة في الغد من يوم الفتح[2] أي بعد الفتح بيوم، والناس آمنون، يتردد وينظر[3] ويسأل عن أمر الناس، وهو على شركه[4] فاجتمع حوله جمع من الناس يحدثهم عن قتله أحمر بأساً وغارته على بني أسلم من خزاعة غزاه جُندب بن الأعجم الأسلمي الخزاعي فقال له: أنت جُندب بن الأدلع قاتل أحمر بأساً؟! قال: نعم[5] أنا قاتل أحمر، فمه؟!

فانطلق جُندب فلقي خراش بن أُمية الكعبي الخزاعي فأخبره واستحثه عليه، فاشتمل خراش على السيف وأقبل معه إليه، فرآه مستنداً إلى الجدار والناس حوله وهو يحدثهم فصاح بالناس: هكذا عن الرجل! فانفرجوا عنه. فحمل عليه خراش بالسيف فطعنه في بطنه فسالت أحشاؤه وقال: أقد فعلتموها يا معشر خزاعة؟! ثم وقع ميّتاً. وبلغ ذلك رسول الله فقام يلوم خراش: إنّ خراش لقتّال!

وروى ابن إسحاق بسنده عن أبي شريح الخزاعي قال: لما عدت خزاعة على

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٨، ٨٣٩.

(2) سيرة ابن هشام ٤: ٥٧.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٣.

(4) سيرة ابن هشام ٤: ٥٧.

(5) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٣ وفي السيرة: ابن الأدلع، وأخرى: ابن الأكوع.

الهُذلي فقتلوه وهو مشرك في الغد من يوم الفتح قام فينا خطيباً[1] فهي خطبته بعد من يوم الفتح بعد صلاة الظهر، قال:

«يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام، إلى يوم القيامة، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيه دماً، ولا يعضد فيها شجراً، لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحلّ لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلّا ساعة من نهار، غضباً على أهلها! ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلّغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إنّ رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إنّ الله قد أحلّها لرسوله ولم يُحلِلها لكم. يا معشر خُزاعة! ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر القتل إن نفع، وقد قتلتم قتيلاً لأدينّه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا فدم قاتله، وإن شاؤوا فعقله»

ثم ودى رسول الله ذلك الرجل الذي قتلته خُزاعة بمئة ناقة[3].

وروى الواقدي بسنده عن عمران بن الحُصين أن النبيّ قال: لو كنتُ قاتلاً مؤمناً بكافر لقتلت خِراشاً بالهُذلي. ثم أمر رسول الله خزاعة يخرجون ديته، فأخرجت خُزاعة ديته، ومنها غنم يعض من بني مُدلج من خزاعة بدلاً من الإبل[4].

ثم بعث رسول الله تميم بن أسد الخُزاعي بنصاب أنصاب الحرم ليجدّدها، وهي الأنصاب التي جدّدها من قبل قُصي على آثار أنصاب إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهي بتعليم جبرئيل لإبراهيم عليه السلام[5].

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٥٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٤ وابن هشام في فروع الكافي ١: ٢٢٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٥٨.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٥.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٢.

خبر سفير الصلح

كان سفير مشركي قريش للصلح مع النبيّ ﷺ في الحديبية سُهيل بن عمرو المخزومي المشرك أبا عبد الله المسلم، فأين هو اليوم؟

روى الواقدي بسنده عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة منتصراً (ونادى مناديه: مَن دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن) دخلت داري وأغلقت عليّ بابي[1] وأخذت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه فليس أحد أسوأ أثراً مني، وأني لقيت رسول الله يوم الحديبية بما لم يلقه به أحد، وكنت أنا الذي كاتبته بالإضافة إلى حضوري بدراً وأُحداً، وكلّما تحركت قريش كنت فيها، فلم آمن من أن أُقتل! (وكان ابني عبد الله مع رسول الله) فأرسلتُ إليه أن يطلب لي من محمد جواراً! فذهب ابني عبد الله إلى رسول الله وقال له: يا رسول الله تؤمّن سهيل بن عمرو؟ قال: نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر. ثم قال لمن حوله: مَن لقي سُهيل بن عمرو فلا يشدّ النظر إليه، فليخرج. فلعمري إنّ سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سُهيل جهل الإسلام، ولقد رأى أن ما كان يوضع فيه لم يكن ينفع له. فخرج إلى أبي يخبرني بمقالة رسول الله، فقلت: كان والله برّاً صغيراً وكبيراً. وأخذت أُقبل وأُدبر وأنا على شركي[2].

---

(١) هذا وقد مرّ عن الواقدي نفسه خبر مقالة عند سماعه أذان بلال مع رجال قريش في رؤوس الجبال، فلعل ذلك كان بعد هذا!

(٢) وتمامه: وخرجت مع النبيّ إلى حُنين وأنا على شركي حتى أسلمت بعد ذلك في الجعرّانة. مغازي الواقدي ٢: ٨٤٧ وعليه فلم يكن حاضراً في خطبة الفتح، وقد جاء في خبر الطبرسي عن أبان عن بشير النبّال: أن الذي قال: أخ كريم وابن أخ كريم، هو سُهيل بن عمرو، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ١: ٦٠ فلا يصح هذا!

واختبأ حُويطب بن عبد العُزّى في حائط عوف، ودخله أبو ذر الغفاري لحاجته، فلما رآه حويطب هرب، فناداه أبو ذر: تعال، أنت آمن! فرجع إليه، فسلّم عليه أبو ذر وقال له: أنت آمن، فإن شئت فاذهب إلى منزلك وإن شئت أدخلتك على رسول الله. فقال حويطب: وهل لي سبيل إلى منزلي؟! ألقى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلي، أو يُدخل عليّ منزلي فأُقتل! فقال أبو ذر: فأنا أبلغ معك إلى منزلك. فبلغ معه إلى منزله، ثم جعل ينادي على بابه: إنّ حُويطباً آمن فلا يُهجم عليه. ثم انصرف أبو ذر إلى رسول الله فأخبره خبره، فقال: أوليس قد أمّنّا كلّ الناس إلّا من أمرت بقتله[1].

ومقتل من أمر بقتله

وكان ممّن أمر بقتله رسول الله: مِقْيَس بن صُبابة الليثي، وكانت أُمّه من بني سهم فالتجأ فيهم، وتتبّع أخباره نُميلة بن عبد الله الليثي حتى علم مكانه في بني سهم، فأتاه ودعاه، وكان قد نادم الخمرة فهو ثمل ومع ذلك خرج إليه. وكأنّ الدار التي آوى إليها كانت بين الجبلين الصفا والمروة، فخرج وهو يغنّي بشعر، فضربه نُميلة بسيفه، ورآه المسلمون فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه[2] فهو خامس من قُتل من الرجال والنساء: عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، والحُويرث بن نُقيذ، ومقيس بن صُبابة هذا مع احدى قينتي ابن خطل، وسارة مولاة عمرو بن هاشم. أما هند بنت عتبة فقد أسلمت كما يأتي. وأسلمت أمّ حكيم زوج عكرمة بن أبي جهل المخزومي فاستأمنت له فأمّنه النبي ﷺ كما يأتي، وعبد الله بن سعد بن أبي

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٤٩، ٨٥٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٠، ٨٦١ وقد سبقت الإشارة إلى سبب هدر دمه في دخول مكة.

سرح الأُموي فقد استوهبه أخوه من الرضاعة عثمان بن عفّان كما يأتي، وأسلم وحشي قاتل حمزة وهبّار بن الأسود مُسقط حمل زينب بنت النبي ﷺ. فلم يُقتلوا، وإنّما قتل أُولئك الخمسة فحسب.

ومع ذلك فقد روى الواقدي أنّ هؤلاء لما قُتلوا سُمع نوح عليهم بمكة، فجاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله يقول له: فداك أبي وأُمّي! البقيّةَ في قومك! فقال ﷺ: لا تُقتل قريش صبراً بعد اليوم[1] يعني على الكفر.

وممّن عفي عنه:

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممّن أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكة[2].

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما فتح رسول الله مكة أمر بقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي عثمان بن عفّان من الرضاعة، فجاء به عثمان قد أخذ بيده، ورسول الله في المسجد، فقال: يا رسول الله اعفُ عنه. فسكت رسول الله. ثم أعاد فسكت رسول الله، ثم أعاد، فقال ﷺ: هو لك. فلما مرّ قال ﷺ لأصحابه: ألم أقل: من رآه فليقتله؟! فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله! فقال رسول الله: إن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة. فكان من الطلقاء[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٢.

(٢) فروع الكافي ٨: ٢٠٠ وتفسير العياشي ١: ٣٦٩.

(٣) تفسير القمي ١: ٢١١.

وزاد ابن إسحاق: أنه فرّ إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فغيّبه حتى اطمأنّ أهل مكة فأتى به رسول الله يستأمن له، فصمت طويلاً ثم قال: نعم، فلما انصرف قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: لقد صمتُّ طويلاً ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه[1].

وقال الواقدي: جاء ابن أبي سرح يوم الفتح إلى عثمان بن عفان فقال: يا أخي إنّي والله اخترتك فاحتبسني هاهنا واذهب إلى محمد فكلّمه فيّ، فإنّ محمداً إن رآني ضرب الذي فيه عيناي إنّ جرمي أعظم الجرم وقد جئت تائباً، والله لئن رآني ليضربنّ عنقي، وأصحابه يطلبوني في كل موضع، فقال عثمان: بل انطلق واذهب معي فلا يقتلك إن شاء الله.

وفوجئ رسول الله بعثمان آخذاً بيد عبد الله بن سعد واقفين بين يديه وعثمان يقول: يا رسول الله، إن أمّه كانت تحملني وتمشّيه، وترضعني وتفطمه، وتلطفني وتتركه، فهَبْه لي وكلما كان يُعرض عنه رسول الله كان عثمان يستقبله في وجهه فيعيد عليه بالكلام ثم أكبّ عثمان على رسول الله يقبّل رأسه ويقول: يا رسول الله فداك أبي وأمّي تبايعه؟! فقال رسول الله: نعم، ثم بايعه (أي قبل توبته إلى الإسلام).

فلما انصرفا التفت إلى أصحابه فقال لهم: ما منعكم أن يقوم رجل منكم إلى هذا الفاسق أو الكلب فيقتله؟! فقال عبّاد بن بشر: ألا أومأت إليّ يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق إني لأتّبع طرفك من كل ناحية رجاء أن تشير إليّ فأضرب عنقه! فقال رسول الله: إنّي لا أقتل بالإشارة. أو: إنّ النبيّ لا تكون له خائنة الأعين![2]

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤ : ٥٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٨٥٦.

صفوان بن أُمية الجُمحي :

لم يذكر صفوان بن أُمية الجُمحي في من أمر رسول اللّه بقتله سوى الحلبي[1] وهو من المطعمين لجيش المشركين في مسيرهم إلى بدر، وقُتل أبوه أُمية بن خلف فيمن قُتل منهم يومئذٍ، ولذلك كفل عيالَ عُمير بن وهب الجُمحي على أن يذهب إلى المدينة بحجة السعي لفك ابنه الأسير وهب فيغتال رسول اللّه، وأنبأه النبيّ بما أضمر عليه في صدره فأسلم الرجل، فحلف صفوان أن لا يكلّمه أبداً.

ومع ذلك لم يُذكر في مَن أمر رسول اللّه بقتله، ولكنّه مع ذلك لم يأمن على نفسه، فروى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أُمية من مكة[2]. وقال الواقدي : مع غلامه يسار يريد الشُّعيبة[3] ليركب منها إلى اليمن.

قال ابن إسحاق : فأتى عمير بن وهب إلى النبيّ وقال له : يا نبيّ اللّه، إنّ صفوان بن أُمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمِّنه صلى اللّه عليك ! قال : هو آمن. فخرج عمير في أثره حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر.

قال الواقدي : ورآه صفوان فقال لغلامه يسار : ويحك انظر مَن ترى ؟ قال : هذا عُمير بن وهب. فقال صفوان : وما أصنع بعُمير وقد ظاهر محمداً عليّ ؟ ! واللّه ما جاء إلّا يُريد قتلي. ولحقه عمير فقال له صفوان : يا عُمير، ما كفاك ما صنعت بي ؟ ! حمّلتني دينك وعيالك ثم جئتَ تريد قتلي !

قال ابن إسحاق : فقال عمير : يا صفوان فداك أبي وأُمي ! اللّه اللّه في نفسك

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٢٠٨.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤ : ٦٠.

(٣) الشعيبة : ميناء الحجاز على بحر الأحمر قبل جدّة، وقال ابن إسحاق : قصد جدّة.

أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به! قال صفوان: ويحك اعزب عنّي فلا تكلّمني! قال عُمير: أي صفوان، فداك أبي وأُمّي! أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، ومُلكه مُلكك! قال: إنّي أخافه على نفسي! قال: هو أحلم من ذاك وأكرم! إن رسول الله قد أمّنك!

قال الواقدي: فقال صفوان: لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها! فرجع عُمير إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، أدركت صفوان هارباً يريد أن يقتل نفسه (بركوب البحر) فأخبرتُه بما أمّنته فقال: لا أرجع حتى تأتي بعلامة أعرفها. يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك.

فأعطاه رسول الله عمامته وكانت حبرة يمانية دخل فيها رسول الله يومئذٍ معتجراً بها (غير مُحنّك) فخرج عمير بها الثانية حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر فقال له: يا أبا وهب، جئتك من عند خير الناس وأوصل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس، مجده مجدك وعزّه عزّك وملكه ملكك، ابن أُمّك وأبيك، فاذكّرك الله في نفسك! قال له: أخاف أن أُقتل!

قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام فإن رضيت وإلّا سيّرك شهرين، وهو أوفى الناس وأبرّهم، وقد بعث إليك ببُرده الذي دخل به معتجراً، تعرفه؟ قال: نعم، فأخرجه له. فقال: نعم هو هو.

فرجع صفوان ومعه غلامه يساير مع عمير بن وهب حتى انتهو إلى المسجد الحرام ورسول الله يصلّي بالمسلمين العصر (قصراً: ركعتين) فلما سلّم، صاح صفوان: يا محمد إنّ عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك فإن رضيتُ أمراً (؟!) وإلّا سيّرتني شهرين؟! فقال رسول الله: انزل أبا وهب. قال: لا والله حتى تبيّن لي! قال: بل تسير أربعة أشهر! فنزل صفوان[1].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٥٣، ٨٥٤.

أمّ حنظلة، وأمّ حكيم من مخزوم

مرّ الخبر عن نزول الآيات الأوائل إلى التاسعة من سورة الممتحنة بشأن محاولة حاطب بن أبي بلتعة أن ينذر أهل مكة بمحاولة فتحها، ونزول الآيتين العاشرة والحادية عشرة بشأن النساء المسلمات المهاجرات قبيل الفتح والآية التالية الثانية عشرة بشأن بيعة النساء المسلمات المؤمنات بعد الفتح: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن ... فَبَايِعْهُنَّ ﴾ بلا خلاف في ذلك، ومن دون آية في بيعة الرجال، وإنّما تصدّر خبر بيعة النساء، أنها كانت بعد بيعة الرجال، بلا تفصيل لذلك.

ومن المعهود أنّ البيعة للنصرة في الحروب، ولا يتوقع ذلك من النساء، ولذلك ذكر الشيخ الطوسي في «التبيان»: أنّ الوجه في بيعة النساء مع أنهنّ لسن من أهل النصرة في المحاربة هو أخذ العهد عليهنّ بما يصلح شأنهنّ في الدين للأنفس والأزواج، وكان ذلك في صدر الإسلام لئلّا ينفتق بهنّ فتق لما صنع من الأحكام، فبايعهنّ النبيّ ﷺ حسماً لذلك[1].

هذا، وقد مرّ خبر عن عفو الرسول ﷺ عن جمع منهم: هند بنت عتبة المخزومية زوج أبي سفيان[2] وقال الحلبي عنها: إنّها دخلت دار أبي سفيان، فتكلم أبو سفيان مع النبيّ ﷺ في بيعة النساء وأعانته أمّ الفضل فقبل منهن البيعة[3].

وعن عدد النساء ومن بيعتهن ما روى الواقدي بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: إنّ عشر نسوة من قريش أتين رسول الله بالأبطح فدخلن عليه،

---

(١) التبيان ٩: ٥٨٧ وعنه في مجمع البيان ٩: ٤١٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٢٥ واليعقوبي ٢: ٥٩، ٦٠ و ... في المناقب ١: ٢٠٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨.

وعنده ابنته فاطمة، وزوجته أُمّ سلمة، ونساء من بني عبد المطلب، وسمّى خمسة منهن: هند بنت عتبة، وهند بنت المنبّه بن الحجاج أُمّ عبد الله بن عمرو بن العاص، وأُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي امرأة عكرمة بن أبي جهل، والغول بنت المعذّل الكنانية امرأة صفوان بن أُمية، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومي[1].

بينما روى الطبرسي في «مجمع البيان»: أنّ النبيّ ﷺ بايعهنّ وهو على الصفا، وكان عمر بن الخطاب أسفل منه، فقال النبيّ: أبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئاً. وكانت هند بنت عتبة متنكّرة بين النساء ومتنقّبة خوفاً أن يعرفها رسول الله، وكان ﷺ قد بايع الرجال يومئذٍ على الإسلام والجهاد فقط، فقالت هند: إنّك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال؟! فسكت عنها رسول الله!

ثم قال: ولا تسرقن. وكان أبو سفيان واقفاً يسمع، فقالت هند: إنّ أبا سفيان رجل ممسك، وإنّي أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحلّ لي أم لا؟. فقال لها أبو سفيان: ما أصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال! فعرفها رسول الله وضحك وقال: وإنّك لهند بنت عتبة؟ فقالت: نعم، فاعف عمّا سلف يا نبيّ الله، عفا الله عنك! (فسكت عنها).

ثم قال: ولا تزنين. فقالت هند: أوَ تزني الحرّة؟! فتبسّم عمر بن الخطاب لما بينهما في الجاهلية!

فقال ﷺ: ولا تقتلن أولادكن. فقالت هند: ربّيناهم صغاراً وقتلتموهم

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨٥٠ وعن الأبطح قال البلادي في معجم معالم مكة: إذا انحدرت من ريع الحجون مشرقاً فهو الأبطح إلى المحصّب عند شعب الشبيبي. أما البطحاء فهو من مهبط ريع الحجون إلى المسجد الحرام.

كذا أ (تعني ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر، فتبسّم النبيّ ﷺ.

وقال: ولا تأتين ببهتان. فقالت هند: والله إنّ البهتان قبيح، وما تأمرنا إلّا بالرشد ومكارم الأخلاق!

وقال وهو يتلو الآية: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ فقالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء[1]. وقالت أمّ حكيم بنت الحارث امرأة عكرمة: يا رسول الله، ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟ فقال ﷺ: لا تلطمن خداً، ولا تخمشن وجهاً، ولا تنتفن شعراً، ولا تشققن ثوباً، ولا تسوّدن ثوباً، ولا تدعين بويل[2]. فقلن: يا رسول الله كيف نبايعك؟ قال: إنّي لا أصافح النساء. ثم دعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها فقال: أدخلن أيديكنّ في هذا الماء، فهي البيعة[3].

ثم قالت أمّ حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله، إنّ عكرمة خاف أن تقتله فهرب منك إلى اليمن، فأمّنه. فقال لها رسول الله: هو آمن. وكان لها غلام رومي، فخرجت معه في طلب عكرمة حتى أدركته في ساحل من أرض تهامة يريد ركوب البحر. فلما أدركته جعلت تقول له: يا بن عمّ، جئتك من عند أوصل الناس وأبرّ الناس وخير الناس، فلا تهلك نفسك! فوقف لها حتى وصلت إليه فقالت له: إنّي قد استأمنت لك محمداً رسول الله. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلّمته فأمّنك. فرجع معها.

---

(١) مجمع البيان ٩: ٤١٤.

(٢) رحكاه في التبيان ٩: ٥٨٨ عن زيد بن أسلم وفي مجمع البيان ٩: ٤١٤ عن مقاتل والكلبي.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ١٣٤ عن فروع الكافي ٢: ٦٦ بثلاث طرق عن الصادق عليه السلام وتفسير القمي ٢: ٣٦٤ وفيه: انه قعد في المسجد يبايع الرجال إلى العصر ثم قعد يبايع النساء.

فلما دخل مكة وأقبل معها إلى رسول الله ـ أو قبل ذلك ـ قال النبيّ لأصحابه: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً[1] فلا تسبّوا أباه فإنّ سبّ الميت يؤذي الحيّ ولا يبلغ الميت. ودنا عكرمة من رسول الله وزوجته معه متنقبة، ورسول الله جالس، فوقفا بين يديه، فقال عكرمة وهو يشير إليها: يا محمد، إنّ هذه أخبرتني أنّك أمّنتني، فقال رسول الله: صدقتْ فأنت آمن. فقال عكرمة: فإلى ما تدعو يا محمد؟ قال: أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة[2]. وعدّ خصالاً من الإسلام. فقال عكرمة: والله ما دعوت إلاّ إلى الحقّ وأمرٍ حسنٍ جميل، قد كنت فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً وأبرّنا برّاً، فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. فردّ عليه رسول الله امرأته بنكاحه الأول[3] وذلك أنّ إسلام عكرمة كان في عدة امرأته لإسلامها قبله[4].

تكريم، وتحريم، وفضيلة، وعطاء:

قالوا: وقدمت أخت حليمة السعدية من بني سعد بن بكر على رسول

---

(1) في نصّ الواقدي زيادة: ومهاجراً، وأظنه زيادة إذ إنّ ذلك يتنافى وقوله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح.

(2) كذا، وسيأتي أنّ الزكاة إنما فرضت في التاسعة بعد رجوعه من فتح مكة.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٨٥٢ وفي بقية الخبر: أنّ النبيّ ﷺ قال لعكرمة: قل: أنّي مسلم مهاجر. بينما ثبت عنه ﷺ أنه قال: لا هجرة بعد الفتح.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٨٥٥ وبقي ممّن أهدر رسول الله دمه وأسلم فيما بعد فلم يقتل: وحشي قاتل حمزة، وقد هرب إلى الطائف حتى قدم في وفد الطائف فأسلم فلم يقتل. وهبّار بن الأسود الذي كان قد أسقط زينب بنت النبيّ جنينها يوم هجرتها، فأهدر النبيّ دمه، ففرّ في فتح مكة حتى قدم المدينة بعد الجعرانة فأسلم وأمن. وسنأتي على خبرهما في موضعهما من سياق التاريخ.

الله ﷺ بعد فتح مكة وهو بالأبطح، فلما دخلت عليه و تسبب له عرفها رسول الله، وكان معها جِراب فيه أَقِط[1] وزِقّ فيه سمن فقدمتها له هدية إليه، فدعاها رسول الله إلى الإسلام فأسلمت، فأمر بقبول هديتها، ثم جعل يسائلها عن حليمة فأخبرته أنها توفيت من زمان، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم سألها عمّن بقي منهم فقالت: أخواك وأختاك، ولقد كان لهم موئل (مسحل)، فذهب عنهم و لله محتاجون إلى صلتك وبرّك. فأمر لها رسول الله بكسوة وجمل ومئتي درهم، فانصرفت وهي تقول: والله نعم المكفول كنت صغيراً ونعم المرء كنت كبيراً عظيم البركة[2].

وروى الواقدي بسنده عن ابن عباس قال: قدم صديق رسول الله ﷺ عليه من ثقيف بعد فتح مكة ومعه راوية خمر قدّمها هدية لرسول الله! فقال له رسول الله: أما علمت أنّ الله حرّمها؟! فسارّ الرجل غلامه فقال له رسول الله: بمَ أمرته؟ قال: ببيعها! فقال: إنّ الله الذي حرّم شربها حرّم بيعها. فصبّوها في البطحاء.

وروى عن الزهري أنّه ﷺ نهى بعد الفتح عن ثمن الخمر وثمن الأصنام وثمن الميتة وثمن الخنزير، وحُلوان الكُهّان[3] وأنّه قال: لا يزيد الإسلام حلف الجاهلية إلّا شدة (ولكن) لا حلف في الإسلام[4].

---

(١) الأقِط: لبن مجفّف على شكل كُريات مدوّرة يستعمل في الطبخ وغيره.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٤ وزاد عن الزهري: أنّه يومئذٍ حرّم متعة النساء! فكأنّها كانت كسوابقها مورد ابتلاء شائع في أهل مكة! والظلوان: الحلاوة.

(٤) مغازي الواقدي بسنده عن زمعة بن عبّاد ٢: ٨٦٧ ولعله يشير إلى حلف حلف الفضول، كما مرّ الكلام فيه.

وروى عن عطاء بن أبي رباح قال: جاء رجل إلى رسول الله بعد الفتح فقال: إنّي كنت قد نذرت إن الله فتح عليك مكة أن أُصلي في بيت المقدس! فقال رسول الله: ها هنا أفضل، كرّر ذلك ثلاثاً ثم قال: والذي نفسي بيده لَصلاة ها هنا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان (١).

وخبر وفد بكر بن وائل:

روى الصدوق في «كمال الدين» بسنده عن الباقر ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم (بعد أن افتتح مكة) بفناء الكعبة إذ أقبل وفد إليه وسلّموا عليه، فقال ﷺ: مَن القوم؟ قالوا: وفد بكر بن وائل، فسألهم عن خبر قُسّ بن ساعدة الإيادي، فقالوا: مات، فقال رسول الله: الحمد لله ربّ الموت وربّ الحياة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ كأنّي أنظر إلى قُسّ بن ساعدة الإيادي وهو بسوق عكاظ على جمل أحمر له وهو يخطب الناس ويقول:

«أيها الناس اجتمعوا، فإذا اجتمعتم فأنصِتوا، فإذا أنصتّم فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا، فإذا وعيتم فاحفظوا، فإذا حفظتم فاصدقوا.

ألا إنه مَن عاش مات، ومَن مات فات، ومن فات فليس بآتٍ. إنّ في السماء خبراً وفي الأرض عِبَراً: سقف مرفوع ومهاد موضوع، ونجوم تمور، وليل يدور، وبحار (لا) تغور. يحلف قُسّ ما هذا بلعب، وأنّ من وراء هذا لعجباً! ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُركوا فناموا؟!

يحلف قُسّ يميناً غير كاذبة: أنّ لله ديناً هو خير من الدين الذي أنتم عليه».

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٦ هذا، وعن الصادق ﷺ أنها تعدل مئة ألف صلاة. الوافي ٨: ١٠٤، ومن هنا أفاد الفقهاء شرط الرجحان الشرعي في المنذور.

ثمّ قال رسول الله: رحم الله قسّاً، يُحشر يوم القيامة أُمّة وحده. ثمّ قال لهم: وهل فيكم أحد يُحسن من شعره شيئاً؟ فقال أحدهم: سمعته يقول:

في الأوّلين الذاهبين من القرون لنا بصائر

لمّا رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر

أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

وروى فيه بسنده عن محمد بن السائب الكلبي: أنّه ﷺ سألهم عن بعض حِكَم قُسّ فحكى له أحدهم من شعره وخطبه قوله:

يا ناعي الموت، والأموات في جدث	عليهم من بقايا بزّهم خِرَق
دعهم فإنّ لهم يوماً يُصاح بهم	كما يُنبّه من نوماته الصَعِق
منهم عُراة ومنهم في ثيابهم	منها الجديد ومنها الرثّ والخَلَق
حتّى يعودوا بحال غير حالهم	خلق جديد وخلق بعدهم خلقوا!

ثمّ قال: مطر ونبات، وآباء وأُمّهات، وذاهب وآت، وأموات بعد أموات، وآيات إثر آيات: ضوء وظلام، وليال وأيّام، وفقير وغني، وسعيد وشقي، ومحسن ومسيء، تبّاً لأرباب الغفلة، ليُصلحنّ كلّ عامل عمله!

كلّا! بل هو الله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدأ، وإليه المعاد غداً!

أمّا بعد ـ يا معشر إياد ـ أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ أين الحسن الذي لم يُشكر؟ والقبيح الذي لم يُنقم؟! كلّا وربّ الكعبة ليعودنّ ما بدأ، ولئن ذهب يوم ليعودنّ يوم[1]

---

(١) كمال الدين: ١٦٦ ـ ١٦٨، ط. طهران.

الأصنام في مكة وحواليها:

روى الواقدي عن سعد بن عمرو الهذلي: أنّه كان يرى في مكة أبا تُجراة يعمل الأصنام ويبيعها. وعن جُبير بن مطعم قال: كنت أرى الأصنام يطاف بها في مكة، ولم يكن رجل من قريش بمكة إلّا وفي بيته صنم، إذا دخل يمسّه أو خرج تمسّح به تبرّكاً، وكان يشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم.

فلما كان يوم الفتح نادى منادي رسول الله: من كان يؤمن بالله فلا يتركنّ في بيته صنماً إلّا كسره أو حرقه، وثمنه حرام. فجعل المسلمون يكسرونها. وقد أسلم عكرمة كان إذا سمع بصنم في بيت من بيوت قريش مشى إليه حتى يكسره. وبثّ السرايا لذلك. فبعث لهدم صنم مَناة بالمشلّل سعد بن زيد الأشهلي، فهدمه[1].

وبعث لهدم صنم سُواع ـ وهو لبني هُذَيل ـ عمرو بن العاص السهمي، فروي عنه قال: انتهيت إليه وعنده سادنه فقال لي: ما تُريد؟ قلت: هدم سُواع! فقال: ما لك وله؟ قلت: أمرني رسول الله. قال: لا تقدر على هدمه! قلت: لِمَ؟ قال: يمنع! فقلت: أنت في الباطل حتى الآن؟! ويحك وهل يسمع أو يُبصر؟! ثم دنوت إليه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يكن فيه شيء[2].

قال ابن إسحاق: وكانت العُزّى في جبل بموضع نخلة في بيت يعظّمه قريش ومُضر وكنانة كلها، وحُجّابها وسادنها من بني شيبان من سُليم[3].

---

(1) مرّ الخبر عن الكلبي في الأصنام: ١٤ أنّه ﷺ بعد أن خرج من المدينة بأربع أو خمس ليالٍ، بعث عليّاً ؑ إلى مناة صنم هذيل وخزاعة فهدمها وأخذ سيفين: المخذم والرسوب كان أهداهما الحارث الغساني إليها، فوهبهما النبيّ لعلي ؑ. وبعثه ﷺ أيضاً إلى الفلس صنم طيء فهدمه، وقيل هما كانت هدايا الحارث الغساني.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٠، ٨٧١.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٩.

وقال الواقدي: هو أفلح بن نضر الشيباني من بني سُليم، وهو [illegible] أبو لهب ـ وكان في فرش الموت ـ فرآه حزيناً، فقال له: ما لي أراك حزيناً؟ قال: أخاف أن تضيع من بعدي العُزّى! فقال أبو لهب: فلا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك!

وقال خالد لرسول الله: أي رسول الله، الحمد لله الذي أكرمنا وأنقذنا من الهلكة! إنّي كنتُ أرى أبي الوليد بن المغيرة يذهب إلى العُزّى بخير مئة من الإبل والغنم فيذبحها للعزّى، ويقيم عندها ثلاثاً، ثم ينصرف إلينا مسروراً! فأنا اليوم أنظر إلى ما مات عليه أبي وذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله كيف خُدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر؟! فقال رسول الله: إنّ هذا الأمر إلى الله، فمن يسّره للهدى تيسّر، ومن يسّره للضلالة كان فيها.

وبعثه رسول الله لهدم العُزّى، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه، فلما انتهى جرّد سيفه، فجعل السادن يصيح عليها:

أيا عُزّ، شُدّي شدة لا شوى لها ... على خالد، ألقي القناع وشمّري[1]

أيا عُزّ، إن لم تقتلي المرء خالداً ... فبوئي بذنب عاجل أو تنصّري[2]

قال خالد: وأخذني اقشعرار في ظهري! ثم أقبلت عليها بسيفي وأنا أقول:

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك ... إنّي وجدتُ الله قد أهانك[3]

ثم جدّلها فقطعها، وهدمها. وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان[4]، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال: هُدمت؟ قال: نعم يا رسولَ الله. قال: نعم، تلك العُزّى وقد يئست أن تُعبد ببلادكم أبداً[5].

(١) لا شوى لها: لا يبقى لها. واللفظ لابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٩.

(٢) تنصّري: كوني نصرانية خارجة عن دينك، أو بمعنى: انتصري لنفسك على خالد.

(٣) عوداً على ما قاله حين إسلامه أنه وجد الله قد خذلهم وأعزّ عبده وجُنده، كما مرّ.

(٤) بينما جاء في المنتهى: بعثه لخمس بقين من رمضان وانتهى إليها في الثلاثاء فهدمها.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٣ ـ ٨٧٤.

وروى الواقدي عن سعيد الهذلي قال: قدم رسول الله مكة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رمضان، فبثّ السرايا في كل وجه وأمرهم أن يُغيروا على من لم يُسلم (؟!) فخرج هشام بن العاص في مائتين إلى جهة يَلَمْلَم (وهو جبل في واد على ثلاث ليال من مكة)، وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة إلى وادي عُرَنَة (بعد عرفة)[1].

بينما روى الطبْرسي في «إعلام الورى» قال: بعث عبد الله بن سهيل بن عمرو المخزومي (وقد لحق بالمسلمين والنبيّ بعد الفتح، مع إسلام أبيه سهيل) إلى بني مُحارب بن فهر، فأسلموا وجاء منهم نفر إلى رسول الله بإسلامهم. وبعث عمرو بن أُميّة الضَّمري إلى بني الدِّيل الحرعيين، فدعاهم إلى الله ورسوله، فأبوا أشدّ الإباء، فأشار عليه الناس بغزوهم، فقال: لأن يأتيكم سيّدهم قد أسلم، فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم (فكان كما قال). وبعث عيّاش بن عبد الله إلى بني مُدلج فقالوا: لسنا معكم ولا عليكم، فأشار عليه الناس بغزوهم فقال: إنّ لهم سيّداً أديباً أريباً، ورُبّ غازٍ من بني مدلج شهيد في سبيل الله. فكان كما قال[2].

ونَصّ ابن إسحاق: بعث رسول الله السرايا حول مكة تدعو إلى الله عزّ وجلّ، ولم يأمرهم بقتال[3].

خالد وبنو جَذيمة:

قال ابن إسحاق: كان رجل من بني جذيمة بن عامر من بني كنانة تاجراً في

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٣.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٢٧.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٠، ٧.

الجاهلية إلى اليمن، في سنة تاجر فيها إليها رجال من قريش منهم: عفّان بن أبي العاص بن أميّة ومعه ابنه عثمان، وأبو عبد الرحمن عوف بن عبد عوف الزهري والفاكه بن المغيرة المخزومي، ومات الرجل من بني جذيمة باليمن، فأوصى بماله أن يحمله أولئك الرجال من قريش إلى ورثته بأرضهم الغميصاء قرب مكة، فحملوه معهم. وعلم بذلك رجل من بني جذيمة يقال له: خالد بن هشام، فوافق جمعاً من قومه ليأخذوا المال من أولئك الرجال قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، وأن يقاسموهم فأبوا عليهم ذلك فلقوهم وطالبوهم المال فأبوا عليهم فقاتلوهم، فقتل أبو عبد الرحمن عوف بن عبد عوف الزُّهري، والفاكه بن المغيرة المخزومي، وفرّ عفّان بن أبي العاص وابنه عثمان.

وهمّت قريش بغزو بني جذيمة، وأرسل بنو جذيمة إلى قريش: ما كان مُصاب أصحابكم عن ملأ منّا، إنّما عدا عليهم قوم بجهالة فأصابوهم ولم نعلم، ونحن نعقل لكم (أي نؤدي عقله: ديته) ما كان لكم قِبَلنا من دمٍ أو مال. ورصد عبد الرحمن بن عوف قاتل أبيه فقتله، فقبلت قريش بذلك، ووضعوا الحرب[1].

وبقي وِتر الفاكه بن المغيرة المخزومي عمّ خالد بن الوليد لم يُثأر، ولم يقتصّ له من بني جذيمة، وخلُد هذا في خَلَد خالد وما انصاع لما صدع به رسول الله بعد فتح مكة من وضع تِرات الجاهلية ودمائها بما فيها من دم الحارث بن عبد المطّلب من بني هاشم لم يقتصّ به، ولكنّه ﷺ ـ كما قال العقّاد ـ أراد أن يستثمر تلك الترة التي كانت بين خالد بن الوليد وبينهم لصالح الإسلام. قال: «ولولا ذلك ما رأى رسول الله ﷺ خالداً أهلاً للإمارة على المسلمين، ولذلك أيضاً أنفذ معه عبد الرحمن بن عوف

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٤.

بعثاً للبِرّ التي كانت بينه وبينهم»[1] و«فعقد لخالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ولم ينفذه محارباً (بل) داعياً إلى الإسلام»[2].

وهذا هو ما رواه ابن اسحاق في السيرة عن حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنيف الأنصاري[3] عن الإمام الباقر عليه السلام، ورواه الواقدي أيضاً عنه بواسطة عبد الرحمن بن عبد العزيز أكثر تفصيلاً قال: لما رجع خالد بن الوليد من هَدْم العُزّى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة، بعثه رسول الله إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في المسلمين من المهاجرين والأنصار وبني سُليم ثلاثمئة وخمسين رجلاً.

فلما انتهى إليهم بأسفل مكة قيل لبني جذيمة: هذا خالد بن الوليد ومعه المسلمون. قالوا: ونحن قوم مسلمون قد صدّقنا بمحمد وبنينا المساجد وأذّنّا فيها وصلّينا! ولكنهم تسلّحوا، فلما انتهى إليهم خالد قال لهم: الإسلام! قالوا: نحن مسلمون! قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إنّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا أنتم هم، فأخذنا السلاح ندفع عن أنفسنا. قال: فضعوا السلاح! فأخذوا يضعون عنهم السلاح.

فقال لهم رجل منهم يقال له: جحدم: يا بني جذيمة، إنّ محمداً ما طلب من

---

(١) الإرشاد ١: ١٣٩.

(٢) الإرشاد ١: ٥٥.

(٣) الرجل من الأنصار ثم من بني حنيف الأنصاريين، جدّه عبّاد أخو سهل وعثمان ابني حنيف الأنصاريين عاملي علي عليه السلام على البصرة قبل الجمل وبعدها، لم يذكره النجاشي وذكره الطوسي في رجال الإمام السجاد عليه السلام: ٨٧، وذكره الأردبيلي في جامع الرواة ١: ٢٦٨ راوياً عن الباقر والصادق عليهما السلام أيضاً، وهو الصحيح.

أحداً أكثر من أن تقرّوا بالإسلام ونحن مقرّون بالإسلام (و) خالد لا يريد بنا ما يُراد بالمسلمين. فقال له قومه: إنّ محمداً قد فتح مكة، والناس قد أسلموا، وإنّا مسلمون، فما نخاف من خالد؟ فقال: أما والله ليأخذنكم بما تعلمون من الأحقاد القديمة! وأبى أن يُلقي سيفه حتى كلّموه جميعاً فألقى سيفه[1].

فلما وضع القوم السلاح قال لهم خالد: استأسروا! وأمرهم فأخذ بعضهم يكتف بعضاً، فكلما كتف الرجل والرجلان دفع الواحد أو الاثنين إلى رجل من المسلمين.

واختلف المسلمون في أمرهم على قولين: فقائل يقول: سلوهم ونختبرهم وننظر هل يسمعون ويطيعون. وقائل يقول: بل نذهب بهم إلى النبيّ ﷺ. ولما جاء وقت الصلاة كانوا يفكّونهم فيصلون ثم يُربطون! وباتوا هكذا في وثاق! فلما كان السحر نادى خالد بن الوليد: من كان معه أسير فليذافّه (أي يجهز عليه بالسيف)! فأما بنو سُليم فقتلوا كل من كان في أيديهم (ولكنّ) المهاجرين والأنصار فكّوا أُساراهم[2].

قال الواقدي: وكان بنو سُليم موتورين من بني جَذيمة منحنقين عليهم يريدون القصاص منهم، لحروب كانت بينهم فكانت بنو جَذيمة قد أصابوا

---

(1) ورد هذا في مغازي الواقدي ضمن الخبر عن الباقر ﷺ، بينما قطع ابن إسحاق الخبر ليروي خبر جحدم عن بعض أهل العلم من بني جذيمة ثم يرجع إلى سائر الخبر عن الباقر ﷺ أيضاً.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٥، ٨٧٦ ثم لا يرجع الواقدي إلى ما جاء في رواية ابن إسحاق في سيرته ٤: ٧١، ٧٢ من تبرّي النبيّ من فعل خالد وبعثه علياً ﷺ بديات القتلى من بني جذيمة إلى أوليائهم الباقين منهم. ولا يوجد الخبر فيما بأيدينا من كتبنا

بني سُليم في أرض بُزرة في الجاهلية قبل الإسلام، فشجّع هذا بني سُليم على بني جذيمة[1] وتراً وقصاصاً.

وروي عن زيد بن ثابت قال: لما نادى خالد بن الوليد أن يدفّفوا على أسراهم وثب بنو سُليم على أسراهم فذافّوهم، وأرسل الأنصار والمهاجرون أسراهم فغضب خالد عليهم، فقال له أبو أُسيد الساعدي: اتّق الله يا خالد، والله ما كنا لنقتل قوماً مسلمين! قال: وما يُدريك؟ قال: هذه المساجد بساحتهم ونسمع إقرارهم بالإسلام[2].

وروي عن أبي قَتادة قال: لما نادى خالد في السحَر: من كان معه أسير فليُذافّه أرسلت أسيري وقلت لخالد: اتّق الله، فإنك ميّت! وإن هؤلاء قوم مسلمون! فقال لي خالد: يا أبا قتادة، إنّه لا علم لك بهؤلاء. قال أبو قتادة: وإنما كان يكلّمني خالد على ما في نفسه من التِرة عليهم![3]

وروي عن أبي بشير المازني قال: لما نادى خالد: من كان معه أسير فليُذافّه! كان معي أسير منهم فأخرجت سيفي لأضرب عنقه، فقال لي الأسير: يا أخا الأنصار، انظر إلى قومك! فنظرت فإذا الأنصار طُرّاً قد أرسلوا أُسارهم، فقلت له: انطلق حيث شئت. فقال: بارك الله عليكم، ولكن قتلنا من كان أقرب رحماً منكم: بنو سُليم![4].

وروي عن خالد بن إلياس يقول: بلغ أنه قتل منهم ثلاثون رجلاً تقريباً[5].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٨

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٧

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٨١

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٧

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٤

وروى ابن هشام أنّه انفلت رجل من القوم (بني جذيمة)، فأتى رسول الله فأخبره الخبر، فسأله رسول الله: هل أنكر عليه أحد؟ ولم يكن يعرف المسلمين، فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة لا بالطويل ولا بالقصير، فنهره خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل فراجعه واشتدت مراجعتهما. فقال عمر بن الخطاب: أمّا الأوّل فابني عبد الله، وأمّا الآخر فسالم مولى أبي حذيفة[1].

وفي تمام خبر حكيم بن حكيم عن الباقر عليه السلام قال: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد[2].

وروى الواقدي قال: استقرض رسول الله من ثلاثة نفر من قريش بعد أن أسلموا: حويطب بن عبد العزّى أربعين ألف درهم، وصفوان بن أمية المخزومي خمسين ألف درهم، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أربعين ألف درهم، فكانت مئة وثلاثين ألف درهم، فقسمها بين أهل الضعف من أصحابه، فكان يصيب الرجل منهم خمسون درهماً أو أقل أو أكثر، وكان منه ما بعث به إلى بني جذيمة[3].

علي عليه السلام يرأب الصدع:

في تمام خبر ابن إسحاق عن حكيم عن الباقر عليه السلام قال: ثم دعا رسول

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٧٢.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٢ ولم يروه الواقدي في تمام خبر حكيم عن الباقر عليه السلام ورواه مرسلاً ٢: ٨٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٦٣، ٨٦٤ وعنه الخبر [illegible] وقال في ٢: ٨٨٢ يقال إنّ المال الذي بعث به مع علي عليه السلام كان استقرضه النبيّ من ابن أبي ربيعة وصفوان بن أُمية وحويطب بن عبد العزى. وقال اليعقوبي: بعث معه بمال [illegible] من اليمن ٢: ٦١.

اللّه ﷺ عليّ بن أبي طالب (رضوان اللّه عليه)، فقال له: يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. (وبعث معه بمال).

فخرج علي عليه السلام ومعه المال الذي بعث به معه رسول اللّه، فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال، حتى إنّه لَيَدي ميلغة الكلب[1] حتى لم يبق شيء من دم ولا مال إلّا وداه، وبقيت معه من المال بقية، فقال لهم: هل بقي لكم بقية من دمٍ أو مال لم يودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أُعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول اللّه مما لا يعلم ولا تعلمون.

ثم رجع إلى رسول اللّه فأخبره الخبر، فقال له: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول اللّه ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه لَيُرى ما تحت منكبيه يقول ثلاث مرات: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد[2].

وقال الواقدي: فلما رجع عليّ عليه السلام دخل على رسول اللّه ﷺ فقال: ما صنعتَ يا علي؟ فقال: يا رسول اللّه، قدمنا على قوم مسلمين قد بنوا المساجد بساحتهم، فوديت لهم كلّ من قتل خالد حتى ميلغة الكلاب، ثم بقي معي بقية من المال فقلت لهم: هذا من رسول اللّه مما لا تعلمه ولا يعلمونه. فقال رسول اللّه: أصبت! ما أمرتُ خالداً بالقتل، إنّما أمرته بالدعاء[3].

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عنه عليه السلام قال: فذهبت فوديتهم ثم ناشدتهم باللّه هل بقي شيء؟ فقالوا: إذ نشدتنا باللّه فميلغة كلابنا وعقال بعيرنا، فأعطيتهم لها، وبقي معي ذهب كثير فأعطيتهم إياه وقلت: هذا لذمّة رسول اللّه ﷺ

---

(١) الميلغة: إناء خشبي لولوغ الكلاب عند الرعاة وأهل البوادي.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٧٢، ٧٣.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٢ ولم يروه من خبر حكيم عن الإمام الباقر عليه السلام مع أنه روى أوله، ورواه عنه ابن اسحاق في السيرة مختصراً، كما مرّ.

ولما يعلمون، ولما لا يعلمون ولروعات النساء والصبيان. ثم جئت إلى رسول الله فأخبرته، فقال: يا عليّ والله ما سرّني أنّ لي بما صنعت حمرَ النعم[1].

وروى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال في خبره: ورجع علي عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أرضيتني رضي الله عنك، يا علي أنت هادي أُمّتي، ألا إنّ السعيد كل السعيد من أحبّك وأخذ بطريقتك، ألا إنّ الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة[2]. ويبدو من خبر الطبرسي في «الاحتجاج» أنّه صلى الله عليه وآله هنا بعث (ابن عمه العباس عبد الله بن العباس)[3]، إلى معاوية ليكتب لبني جذيمة، فعاد إليه وقال: هو يأكل. فأعاد الرسولَ إليه ثلاث مرّات، كل ذلك يعود الرسول ويقول: هو يأكل! فقال رسول الله: اللهم لا تُشبع بطنه![4].

خالد عند رجوعه

ولما قدم خالد بن الوليد إلى مكة، عاتبه عبد الرحمن بن عوف ومعه عثمان بن

---

(1) الخصال ٢: ٥٦٢ واختصر الخبر وذكر آخره اليعقوبي ٢: ٦١ وزاد: يومئذٍ قال لعليّ: فداك أبواي!

(2) أمالي الطوسي: ٤٩٨.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦: ١٥٥ والاستيعاب ٤: ٤٧١ وأُسد الغابة ٤: ٣٨٦.

(4) الاحتجاج على أهل اللجاج ١: ٤٠٨ في احتجاجات الحسن عليه السلام وعن ابن عباس في صحيح مسلم وعنه في تذكرة الخواص: ... وفي خصائص الأئمة: ... ٢ وفي الاستيعاب وفي أُسد الغابة بلفظ: لا أشبع الله بطنه!

عفّان وعمر بن الخطّاب، فقال ابن عوف لخالد: يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية! قتلتهم بعمّك الفاكه، قاتلك الله! فقال خالد: بل أحدهم قتل أبيك! فقال عبد الرحمن: كذبت والله، لقد قتلتُ قاتل أبي بيدي وأشهدت على قتله عثمان بن عفّان، ثم التفت إلى عثمان فقال له: أنشدك الله هل علمت أنّي قتلتُ قاتل أبي؟ فقال عثمان: نعم. فقال عبد الرحمن لخالد: يا خالد ويحك ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ فقال له خالد: ومن أخبرك أنّهم أسلموا؟! فقال ابن عوف: أهل السريّة كلهم يخبروننا أنك وجدتهم قد بنوا المساجد وأقرّوا بالإسلام، ثم حملتهم على السيف. فقال خالد: جاءني رسول رسول الله أن أغير عليهم، فأغرتُ بأمر النبيّ!

فقال ابن عوف: كذبتَ على رسول الله![1].

فقال عمر لخالد: ويحك يا خالد، أخذت بني جذيمة بالذي كان من أمر الجاهلية! أوَليس الإسلام قد محا ما كان قبله في الجاهلية؟ فقال له: يا أبا حفص، والله ما أخذتهم إلّا بالحق، أغرتُ على قوم مشركين فامتنعوا فأسرتهم ثم حملتهم على السيف! فقال له عمر: أيّ رجل تراه ابن عبد الله؟ قال خالد: والله أراه رجلاً صالحاً؟ قال عمر: فهو كان معك في الجيش وقد أخبرني غير الذي أخبرت. فقال خالد: فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه! فقال له عمر: ويحك يا رسولَ الله يستغفر لك!

وقدم خالد على النبيّ ﷺ وهو عليه غضبان[2] وعاتب[3]، فكان يُعرض

(١) ومختصر الخبر لليعقوبي ٢: ٦١.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٠، ٨٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٠.

عنه ولا يُقبل عليه وخالد يتعرض لرسول اللّه ويحلف له أنه ما قتلهم على ترةٍ ولا عداوةٍ![1]

ودخل عمّار بن ياسر حليف بني مخزوم على رسول اللّه وخالد جالس، فقال له: يا رسول اللّه، لقد حمّس قوماً قد أسلموا وصلّوا، ثم أغلظ على خالد عند النبيّ وهو ساكت لا يتكلم. ثم قام عمار فخرج فوقع فيه خالد عند النبيّ، فالتفت النبيّ إليه وقال له: مَه يا خالد! لا تقع بأبي اليقظان فإنه من يُعاده يُعاده اللّه، ومن يبغضه يبغضه اللّه، ومن يسفّهه يسفّهه اللّه![2]

ومَن يعذر خالداً؟!:

وبعد كلّ هذا أعقب الواقديّ ذلك بنقل قول لقائل يُدعى عبد الملك قال: أمر رسول اللّه خالد بن الوليد أن يُغير على بني كنانة إلّا أن يسمع أذاناً أو يعلم إسلاماً، فخرج حتى انتهى إلى بني جَذيمة فتلبّسوا السلاح وامتنعوا أشد امتناع، فانتظر بهم صلاة العصر والمغرب والعشاء فلم يسمع أذاناً، فحمل عليهم فأسر من أسر وقتل من قتل منهم، فبعد ذلك ادّعوا الإسلام، فما عتب رسول اللّه في ذلك على خالد وقال: وكان رسول اللّه يُعرض عن خالد حتى قدم علي عليه السلام، وقد وداهم، فأقبل رسول اللّه على خالد، فلم يزل عنده من جِلّة أصحابه، ونهاهم أن

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٣.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٨٨١ – ٨٨٢ وقال: وبلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف فقال له: يا خالد، ذروا لي أصحابي! متى يُنكأ أنف المرء يُنكأ! لو كان لك أُحد ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل اللّه لم تدرك غدوةً أو روحةً من غدوات أو روحات عبد الرحمن بن عوف! ٨٨ قال: فمشى خالد بعثمان بن عفّان إلى عبد الرحمن فاعتذر إليه حتى رضي عنه. ٨٨١ ثم لا يهمّه أمر عمار وهو حليف لهم!

يسبّونه فقال: لا تسبّوا خالد بن الوليد فإنه سيف من سيوف الله سلّه على المشركين! بل قال: نعم عبد الله خالد بن الوليد وأخو العشيرة، وسيف من سيوف الله سلّه الله على الكفّار والمنافقين![1].

وروى ابن إسحاق عن خالد قال: ما قاتلت حتى جاءني عبد الله بن حُذافة السهمي وقال لي: إنّ رسول الله قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام!

ولكن ابن إسحاق عنون هذا بقوله: وقد قال بعض من يعذر خالداً[2]. أقول: فهذا كلّه لتعذير خالد وتبرير ما تبرّأ منه رسول الله إلى الله مستقبلاً القبلة شاهراً يديه حتى يُرى ما تحت منكبيه، كما عند ابن إسحاق، أو حتى يُرى بياض إبطيه كما في نقل الواقدي، كما مرّ.

وعلى ما مرّ فإنّ خالداً كان قاتلاً للثلاثين رجلاً منهم ليس خطأً بل عمداً، إن لم يكن مباشراً فيُقتصّ منه، فهو آمر به، وحكمه في الإسلام السجن المؤبّد[3] ولم يُنفَّذ فيه؟ إمّا لأنه لم يُشرَّع بعدُ يومئذٍ، أو لأنّ تنفيذه فيه موكول على طلب أولياء الدماء، وقد أدّى ﷺ إليهم دية قتلاهم، فرضي البالغون منهم بذلك وقصُر القاصرون منهم عن طلب تنفيذ الحكم في حدّه، فتوقّف أو تجمّد.

وأما المباشرون لقتل القتلى بأمر خالد من بني سُليم، وقد مرّ عن الواقدي أنّ بني جذيمة كانوا قد أصابوا بني سُليم في الجاهلية، فكان بنو سُليم موتورين يريدون القَوَد من بني جذيمة[4] فقد درأ حدَّ القتل قِصاصاً عنهم ما درأه عن خالد من رضى البالغين من أولياء الدماء بالديات المؤدّاة إليهم واسترضاء المرتضى عليه السلام

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٣.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٧٣.

(٣) انظر مورد السجن في الإسلام في النصوص والفتاوى للشيخ نجم الدين الطبسي النجفي.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٧٨.

منهم، وتقصير القاصرين منهم عن طلب التصالح والتودّد، بالإضافة إلى شبهة طاعة خالد القائد، هذا وقد تقرّر: أنّ الحدود تُدرأ بالشبهات

---

(١) لم نعرض لشبهة وردّها من عرض لخبر من الشيخ المفيد في الإرشاد، أو الطبرسي في إعلام الورى، أو المجلسي في بحار الأنوار، ولا في «باب عصمته وتأويل بعض ما يوهم خلاف ذلك» ١٧: ٣٤ - ٩٧، ولا السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء، ولا في أماليه غرر الفوائد ودُرر القلائد، ولا في بحث العصمة من التجريد في الكلام، ولا غيره في سائر كتب الكلام والعقائد اللهم إلّا ما عثرت عليه ضمن كلام المرحوم المظفّر في دلائل الصدق ٢ (القسم الثاني): ٣٥ قال: وإنّما لم يقتل النبيّ ﷺ خالداً بمن قتله من المسلمين لقبول أهلهم الدية، أو لئلا يقال: إنّه يقتل أصحابه، فيحصل في أمره وهن أو لادّعاء خالد الشبهة، لقوله ـ كما ذكره الطبري ـ إنّ عبد الله بن حذافة السهمي أمره بذلك عن رسول الله، أو لما ذكره ابن عمر: من أنّهم قالوا: صبأنا.

وإن لم يكن للشبهة حقيقة عندنا، ولذلك برئ النبي ﷺ إلى الله تعالى من فعله، كما أنّ براءته ﷺ من صنيع خالد دون ابن حذافة دليل على كذب خالد في عذره أو كذب من أراد إصلاح حاله.

ومن من أخباره ﷺ في مكة بعد فتحها وقبل أن يخرج منها لحرب حُنين ثم الطائف ثم منصرفه إلى المدينة: أنّه تزوّج مُلَيكة بنت داود الليثية وهي امرأة قُتل أبوها في الفتح، وكأنّه أراد أن يتألّفهم بذلك. وكان معه من أزواجه أُمّ سلمة وزينب بنت جحش، وكأنّها هي التي غارت من الليثية وكانت حدثة جميلة فقالت لها: ألا تستحيين تتزوّجين رجلاً قتل أباك؟! فإذا دخل عليك فاستعيذي منه! فلما دخل عليها استعاذت منه! فطلّقها، كما في الطبري ٣: ٦٥ عن الواقدي وليس في المغازي. ونقله مرة أُخرى عنه: ٩٥ وسمّاها فاطمة بنت الضحاك الكندية ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٨٣ عن الباب الخامس من المنتقى للكازروني. ومثله الحلبي في المناقب ١: ١٦٠: أسماء بنت النعمان بن الأسود الكندي (من أهل اليمن) كان إحدى أزواجه قالت لها تقوله لتحظى عنده! فمن ←

غزوة هوازن في حُنين[1].

استعدت هوازن للحرب منذ الفتح: لما خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكة أظهر أنّه يريد هوازن وبلغ الخبر هوازن، فتهيّؤوا وجمعوا الجموع والسلاح، واجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف النصري فرأّسوه عليهم[2].

قال ابن إسحاق: فاجتمعت إليه من هوازن: نصر وجُشم، وسعد بن بكر (قبيلة حليمة السعدية مرضعة النبيّ)، وناس قليل من بني هلال، وغابت عنها كعب وكلاب. واجتمع إليه مع هوازن ثقيف: بنو مالك، وفيهم سيّداهم أحمر بن الحارث وأخوه شُبيع بن الحارث ذو الخمار. والأحلاف وفيهم سيّدهم القارب بن الأسود بن مسعود. وجُمع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري[3].

وروى الواقدي مثل ذلك وأضاف: أنّ كنانة بن عبد ياليل الثقفي قال لهم: يا معشر ثقيف، إنكم تخرجون من حصنكم وتسيرون إلى رجل لا تدرون أيكون لكم أم عليكم، فمُروا بحصنكم أن يُرَمّ ما رَثّ منه فإنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، فخلّفوا على مرمّته رجلاً وأمروه أن يصلحه، وساروا. وإذ تركت كلاب من هوازن

دخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك! فقال: عذت بمعاذ، الحقي بأهلك. وهو ما ذكره اليعقوبي ٢: ٨٥ وكرّر مثل ذلك في جونية الكندية وأنّ عائشة وحفصة أصلحتاها فقال لها إحداهما أن تتعوّذ منه إذا دخل عليها، ففعلت، ففارقها، فماتت كمداً!

(١) واد بين مكة إلى الطائف إلى جنب ذي المجاز، ٤٠ كم عن مكة تقريباً، بينه وبين مكة ثلاث ليال، كما في التنبيه والإشراف: ٢٣٤.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٨٥ وجاء وصف مالك هذا لدى الواقدي قال: وكان سيّداً فيها مُسبلاً لثيابه إلى الأرض كبراً واختيالاً محموداً وهو ابن ثلاثين سنة. المغازي ٢: ٨٨٥.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٠.

الحرب مع قومها لأن ستدفعه بن أبي البراء مشى فيه فنهاها عن المصير فقال: والله لو ناوأ من بين المشرق والمغرب محمداً لظهر عليهم[1].

خروجهم بعوائلهم:

وكان من رأي مالك بن عوف أن يحملوا معهم عوائلهم، فخرجوا بهم.

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن الصادق (عليه السلام) قال: كان مع هوازن دُريد بن الصِّمّة (الجُشمي) شيخاً كبيراً خرجوا به يتيمّنون برأيه (حتى نزلوا في أوطاس (ثلاث مراحل في جنوب مكة)) قال: نعم مجال الخيل، لا حزنٌ ضرس، ولا سهل دَهِس[2] ولكن ما لي أسمعُ رغاء البعير ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم. قال: فأين مالك؟ فدُعي له مالك فأتاه، فقال له: يا مالك، أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم! قال: ويحك، لم تصنع شيئاً أن قدّمت بيضة هوازن إلى نحور الخيل، وهل يردّ وجه المنهزم شيء؟! إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك! فقال له مالك: إنّك قد كبرت وكبر علمك! فقال دُريد: إن كنتُ قد كبرتُ فأنت تورث قومك غداً ذلاً بتقصير رأيك وعقلك، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٨٨٦.

(٢) الحزن: الخشن. الضرس: صخور محدّدة كالضروس. دهس: ليّن كثير التراب.

(٣) إعلام الورى ١ : ٢٢٩.

ثم قال دُرَيد: ما فعلتْ كعب وكِلاب؟ قالوا: لم يحضرها منهم أحد. قال: غاب الحدّ والعزم، لو كان يوم عُلا وسعادة ما كانت تغيب كعب ولا كلاب.

ثم قال: فمَن حضرها من هوازن؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر، فقال: ذانك الجذعان(١) لا ينفعان ولا يضرّان. ثم تنفّس دُرَيد وقال: حربٌ عوان:

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأضعْ

أقود وطفاء الزَّمَعْ ... كأنها شاةٌ صَدَعْ(٢)

ثم قال: يا معشر هوازن، والله ما هذا لكم برأي، هذا فاضحكم في عوراتكم، وممكّن منكم عدوّكم ولاحق بحصن ثقيف فتاركوه، فانصرفوا! وكره مالك أن يكون لدُرَيد فيها ذكر أو رأي، فسلّ سيفه ونكسه وقال: يا معشر هوازن، والله لتطيعُنّي أو لأتّكئنّ على السيف حتى يخرج من ظهري! وأراد بذلك أن لا يكون لدُرَيد فيه ذكر ولا رأي. فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: والله لئن عصينا مالكاً وهو شابٌّ ليقتلنّ نفسه، ونبقى مع دُرَيد وهو شيخ كبير لا قتال فيه. فأجمعوا أمرهم مع مالك(٣).

الإعداد للجهاد

قال الطبرسي: ذُكر خبر هوازن لرسول الله ﷺ، وذُكر له أنّ لصفوان بن أُمية مئة درع(٤).

---

(١) الجذعان: الشابّان.

(٢) جذع: شاب. والخبّ: التراوح بين الرجلين في المشي. والوضع هنا: السرعة في المشي. وطفاء: طويلة. زمع: شعر على الفرس. شاة: قرينة. صدع: تؤمّل الوسط القوى العوان. الوسط، والوسط في سنّ الحيوان أقواه، فيقصد به الأقوى.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٨.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٢٨.

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: بعث رسول الله ﷺ إلى صفوان بن أُمية فاستعار منه سبعين درعاً بأطراقها[1] فقال: أغصبون؟ وهو بعد مشرك، أغصباً يا محمد؟ فقال النبيّ ﷺ: بل عارية مضمونة[2].

وقال القمي: لما بلغ رسولَ الله ﷺ اجتماع هوازن في أوطاس، جمع القبائل فرغّبهم في الجهاد، ووعدهم النصر، وأنّ الله قد وعده أن يغنّمه أموالهم ونساءهم وذراريهم.

وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام: كان معه ﷺ ألف رجل من بني سُليم يرأسهم العباس بن مرداس السُّلمي[3] ومعه راية، وراية مع الحجّاج بن عُلاط السُّلمي، وراية مع خُفاف بن ندبة، وقدّمهم رسول الله، وكان قد استعمل عليهم خالد بن الوليد على مقدمته فأقرّه عليها[4].

قال القمي: وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى علي عليه السلام[5] وذكره الواقدي وزاد: ولواء الأوس مع أُسيد بن حُضير، ولواء الخزرج مع سعد بن عُبادة أو الحُباب بن المنذر. وكانت الألوية بعضاً

وفي كل بطن من الأوس والخزرج راية: في بني عبد الأشهل راية مع أبي نائلة، وفي بني حارثة راية مع أبي بُردة بن نيار، وفي ظفر راية مع قَتادة بن النعمان،

---

(1) الطرق: البيضة.

(2) فروع الكافي ٥: ٤٠، الكتاب ١٧، الباب ١١١، الحديث ١٠. وفي الفقيه ٣: ١٩٣، الباب ٩٣، الحديث ٤: سبعين درعاً حُطَمية. وفي التهذيب ٧: ١٨٢، الباب ٧، الحديث ٥: ثمانين درعاً.

(3) تفسير القمي ١: ٢٨٦.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٦، ٨٩٧ ولعله كان تألّفاً لقلوبهم.

(5) تفسير القمي ١: ٢٨٦.

وراية بني معاوية مع جبر بن عتيك، وراية بني واقف مع هلال بن أُمية، وراية بني عمرو بن عوف مع أبي لُبابة بن عبد المنذر، وراية بني ساعدة مع أبي أُسيد الساعدي، وراية بني مالك بن النجار مع عُمارة بن حزم، وراية بني عَديّ بن النجار مع أبي سليط، وراية بني مازن مع سليط بن قيس. وكانت راياتهم خضراً وحُمراً، وأقرّها الإسلام على ما كانت عليه.

وكان في قبائل العرب: في أسلم رايتان مع بُريدة بن الحُصيب وجندب بن الأعجم. وراية بني غفار مع أبي ذر الغفاري، وراية بني ضمرة، وليث، وسعد بن ليث مع أبي واقد الحارث بن مالك الليثي، ورايتا كعب بن عمرو مع أبي شُريح وبسر بن سفيان، ورايتا بني أشجع مع نُعيم بن مسعود الأشجعي ومعقل بن سنان، ورايات بني مُزينة مع بلال بن الحارث والنعمان بن مقرّن وعبد الله بن عمرو، ورايات جُهينة مع أبي زُرعة معبد بن خالد وسُويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر(1) واستعمل رسول الله على مكة عتّاب بن أسيد الأموي أميراً على من تخلّف عنه من الناس(2) يصلي بهم، ومُعاذ بن جبل الأنصاري يعلّمهم الفقه والسنن.

وخرج منها غداة يوم السبت لست ليال خلون من شوّال(3).

وأعجبتهم كثرتُهم

قال المفيد في «الإرشاد»: ثم استظهر رسول الله ﷺ في غزاة حنين بجمع كثير وخرج متوجهاً إلى القوم في عشرة آلاف من المسلمين، و[illegible] جمعهم وكثرة عُدّتهم

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٦.

(2) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٣ ، فلعله كان تأليفاً لقلوبهم.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٨٨٩.

وسلاحهم، ظنّ أكثرهم أن لن يُغلبوا لذلك، وأعجبت كثرتهم يومئذٍ أبا بكر فقال لن نُغلب اليوم من قلة[1].

قال الطبْرسي: وكان ﷺ دخل مكة في عشرة آلاف رجل، وأقام بمكة خمسة عشر يوماً وخرج منها ومعه من مسلمة الفتح ألفا رجل[2].

وقال الواقدي: وخرج معه صفوان بن أمية وهو في المدة التي جعلها له رسول الله، ومعه حكيم بن حزام، وحُويطب بن عبد العزّى، وسُهيل بن عمرو المخزومي والحارث بن هشام المخزومي، وعبد الله بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب في أثر العسكر كلما مرّ بتُرس ساقط أو رمح أو متاع حمله. وخرج معه ﷺ من مكة

---

(١) الإرشاد ١: ١٤٠ وقال: وعانهم ـ أي أصابهم بعينه ـ أبو بكر بعُجبه. وأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثرة قوله: ﴿ويوم حُنينٍ إذ أعجبتكُم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكُم شيئاً﴾ التوبة: ٢٥، ومثله في إعلام الورى ١: ٢٢٨ ومناقب آل أبي طالب ١: ٢١٠. أمّا ابن إسحاق فقد قال: زعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها (؟!)، بل قال: حدثني بعض أهل مكة (؟) أنّ رسول الله حين فصل من مكة إلى حُنين ورأى كثرة من معه من جنود الله قال: لن نُغلب اليوم من قلة ٤: ٨٧. بينما قال اليعقوبي: قال بعضهم: ما نؤتى من قلة، فكره ذلك رسول الله ٢: ٦٢. لكن الواقدي روى بسنده عن الزهري عن سعيد بن المسيّب: أنّ الذي قاله أبو بكر، إلّا أنه أردفه برواية أخرى عن الزهري بسنده عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: خير الأصحاب أربعة! وخير السرايا أربعمئة، وخير الجيوش أربعة آلاف! ولا تُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ٣: ٨٩٠ فكأنهم بهذا يبكّتون صرف التوبيخ القرآني: ﴿إذ أعجبتكُم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً﴾ إلى من سوى أبي بكر حتى ولو كان النبيّ نفسه. وممن روى الإعجاب عن أبي بكر البلاذري في أنساب الأشراف ١: ٣٦٥.

(٢) مجمع البيان ٥: ٢٩، وفي سيرة ابن هشام ٤: ٨٣: ومعه ألفان من أهل مكة. وفي التنبيه والأشراف: ٢٣٤: والخيل ستمائة فرس أو أكثر.

رجال على غير دين، ركباناً ومُشاة، ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من غنائمهم! ولا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد وأصحابه[1]

ومنهم: عِكرمة بن أبي جهل المخزومي، وزُهير وأخوه عبد الله ابنا أبي أُمية المخزومي، وهشام بن المغيرة المخزومي، والأقرع بن حابس، وعُيينة بن حصن[2] وكلدة بن الحنبل أخو صفوان بن أُمية لأُمّه. وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار[3] وأبوه عثمان كان من حاملي لواء المشركين المقتولين في أُحد بسيف علي عليه السلام والحارث بن الحارث بن كلدة العبدري، والعلاء بن حارثة الثقفي ومعاوية بن أبي سفيان، كما في اليعقوبي[4].

سنن السابقين

روى ابن إسحاق عن الزُهري بسنده عن أبي واقد الليثي الحارث بن مالك قال: كانت لكفّار قريش ومَن سواهم من العرب شجرة خضراء عظيمة كانوا يأتونها يوماً في كل سنة يعكفون عندها ذلك اليوم ويذبحون عندها ويعلقون أسلحتهم عليها ـ ولذلك يسمونها ذات أنواط ـ وكنّا حديثي عهد بالجاهلية إذ خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حُنين، فبينا نحن نسير مع رسول الله إذ رأينا سدرة عظيمة خضراء فتنادينا من جنبات الطريق: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٥ و ٨٩٤.

(2) الإرشاد ١: ١٤٥.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٦ و ٨٧.

(4) تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٣ والإرشاد ١: ١٤٥ وعُرف هؤلاء في المؤلفة قلوبهم الذين أعطى النبيّ لكل واحد منهم مئة من إبل الغنيمة.

فقال لنا رسول الله: الله أكبر، والذي نفس محمد بيده قلتم كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] إنها السنن، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم[2].

وروى ابن إسحاق: أنّ رسول الله مرّ بامرأة مقتولة والناس مجتمعون عليها، فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد! فقال رسول الله لبعض من معه: أدرك خالداً فقل له: إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً[3].

وتقدم إليه رجل ممّن معه فأخبره عن امرأة مقتولة وادّعى أنها أرادت قتله، فأمر بدفنها[4]. وأسرع السير رسول الله ﷺ حتى أتاه رجل فقال: يا رسول الله، قد تقطّعوا من ورائك! فنزل حتى آوى إليه الناس فنزلوا، وصلّوا العصر. وجاء فارس فقال له: يا رسول الله، إنّي انطلقت بين أيديكم على جبل كذا فإذا بهوازن في وادي حنين بنسائهم وظُعُنهم ونَعَمهم. فتبسّم رسول الله وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله! ثم قال رسول الله: ألا فارس يحرسنا الليلة؟ فقال أُنيس بن أبي مَرثد الغنوي: أنا ذا يا رسول الله. فقال له: انطلق حتى

---

(١) الأعراف: ١٣٨.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٥ وفيه: عن أبي واقد الليثي: أنّ الحارث بن مالك قال: بينما، وفي مغازي الواقدي ٣: ٨٩٠ عن أبي واقد الليثي وهو الحارث، وهو الصحيح. وقد ذكر: أنّها سنن من كان قبلكم، بدون: لتركبُنّ. ورواه كذلك عن عكرمة عن ابن عباس. هذا وقد نقلنا في أوائل الكتاب ١: ١١٧ عن الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٦٦ عن مجاهد عن ابن عباس: أنّ الشجرة كانت لغطفان بوادي نخلة شرقي مكة إلى الطائف، وكانت تسمى العُزّى، وكذلك في الأصنام للكلبي: ١٧ ومعجم البلدان مادة العُزّى.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٠٠ والعسيف: الشيخ الفاني، والعبد. النهاية ٣: ٩٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩١٢.

تقف على حصن كذا فلا تبرحنّ من على ظهر جوادك، إلّا مصيباً أو قاضي حاجة، ولا تقربنّ من خلفك![1]

قالوا: وكان انتهاء رسول الله إلى حُنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوّال[2]

عيون الطرفين:

وعرف ابن عوف بوصول المسلمين إلى حُنين، فاختار من عسكره ثلاثة نفر وأمرهم أن يتفرّقوا في عسكر محمد وأصحابه وينظرون إليه وإليهم فمضوا، ورجعوا وإنّ أفئدتهم تخفق، فقال لهم: ويلكم ما شأنكم؟ فقالوا له: ما نقاتل أهل الأرض إن نقاتل إلّا أهل السموات، فقد رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى! وإن أطعتنا رجعت بقومك، فإنّ الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثل الذي أصابنا. فقال لهم: أفٍّ لكم، بل أنتم أجبن أهل العسكر! ثم خاف أن يشيع ذلك الخوف في العسكر فحبسهم عنده.

ثم قال: دُلّوني على رجل شجاع! فاتّفقوا على رجل، فبعثه إليهم، فخرج، ثم رجع إليه وقد أصابه ما أصاب من قبله منهم، فقال له: ما رأيت؟ قال: رأيت رجالاً بيضاً على خيل بُلق ما يطاق النظر إليهم، فوالله ما تماسكت أن أصابني ما ترى![3]

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد عيناً له عليهم فخرج حتى وصل إلى معسكر ابن عوف فسمعه يقول لهم: يا معشر هوازن! إنكم أحدُّ العرب وأعدّه، وإن هذا لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٤.

(٢) و(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٢.

سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد». فأتى ابن أبي حدرد رسول الله فأخبره خبره فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد[1]؟ كذب ابن أبي حدرد! فقال ابن أبي حدرد: لئن كذّبتني لربّما كذّبت بالحق! فقال عمر لرسول الله: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟! فقال ﷺ: صدق، كنت ضالاً فهداك الله[2].

الاستعداد للجهاد:

في تفسير القمي: قال مالك بن عوف لقومه: ليصيّر كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غلس الصبح فاحملوا حملة رجل واحد وهدّوا القوم، فإنّ محمداً لم يلق أحداً يُحسن الحرب[3].

قالوا: ولما كان الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبّأهم في وادي حُنين، وكان وادياً أجوف ذا شعاب ومضايق، ففرّق الناس فيه، على أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة.

وفي السحر عبّأ رسول الله أصحابه فصفّهم صفوفاً، وركب رسول الله بغلته الشهباء دُلدُل[4]، ولبس درعين والمغفر والبيضة، وطاف على صفوفهم يحرّضهم

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٢٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٣ ونقله ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٣ وكأنّما ثقل ذلك على بعضهم فحذفه من بعض نسخ السيرة كما في هامشه برقم (١).

(٣) تفسير القمي ١: ٢٨٦، ٢٨٧.

(٤) ويأتي في خبر العباس: أنه كان على بغلة شهباء.

على القتال وبشّرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا[1] وجعل شعار المهاجرين بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس بني عُبيد الله، وسمّى خيله خيل الله[2].

وروى عن سهل بن الحنظلية الأنصاري قال: وسرنا حتى أضاء الفجر، وحضرت الصلاة، فخرج علينا رسول الله، وأُقيمت الصلاة فصلى بنا، فلما سلّم رأيته ينظر خلال الشجر وجاء أُنس بن أبي مرثد الغنوي (الذي حرسهم تلك الليلة فارساً على الجبل) فقال له: يا رسول الله، إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلّا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت. فلم أحسّ أحداً. فقال له ﷺ: انطلق فانزل عن فرسك. ثم قال: ما على هذا أن لا يعمل بعد هذا عملاً[3].

الهزيمة أولاً:

روى الواقدي عن أنس بن مالك قال: كان أول الخيل (في المقدمة) خيل سُليم، وتبعهم أهل مكة، وانتهينا إلى وادي حُنين، فانحدروا فيه، وانحدرنا فيه خلفهم في غلَس الصبح، فما شعرنا إلّا بخروج كتائب هوازن من مضائق الوادي وشعبه وحملوا حملة واحدة، فانكشف أول الخيل خيل سليم مولّية، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء[4].

وروى ابن إسحاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان القوم قد سبقونا إلى وادي حُنين من أودية تهامة فكمنوا لنا في أحنائه وشعابه ومضايقه،

(١) و(٢) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٤ ولعله ﷺ أراد ما عليه الجهد ذلك اليوم.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٧.

واعتدرنا فيه انحداراً في عَماية الصبح (قبل أن يسبق) فما راعنا إلّا أن كتائب هوازن شدّت علينا شدة رجل واحد، فانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد[1].

ورواه الطبرسي في «إعلام الورى» وزاد: أقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمداً، فأروه إياه، فحمل على رسول الله ﷺ، وكان رجلاً أهوج، فلقاه رجل من المسلمين قيل هو: أيمن بن عُبيد الخزرجي ابن أمّ أيمن حاضنة النبيّ، فقتله مالك، ثم أقحم فرسه نحو النبيّ فأبى الفرس عليه[2] فنكص على عقبيه. وسنعود إلى مقتل أيمن في الثابتين معه ﷺ.

وقال القمي في تفسيره: كانت بنو سُليم على مقدّمته، فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية، فانهزمت بنو سُليم (وبأتي ما قد يفسّر ذلك) وانهزم من وراءهم ولم يبق أحد إلّا انهزم، وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل في نفر قليل[3].

وروى ابن إسحاق بسنده عن العباس بن عبد المطّلب قال: لما التقى المسلمون والمشركون يوم حُنين ولّى المسلمون حتى رأيت رسول الله ما معه إلّا ابن أخي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وهو آخذ بالسير في مؤخّر بغلة النبيّ البيضاء[4] والنبيّ يُسرع نحو المشركين! فأتيته حتى أخذت بلجامها وضربتها به[5] فأوقفتها.

ثم انصرف إليهم الفضل بن العباس، وقد تفرّق الناس عن بكرة أبيهم، فالتفت العباس فلم ير علياً عليه السلام مع النبي ﷺ فقال: شوهة! بوهة! أفي مثل هذا الحال

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٥ والطبرسي في إعلام الورى ١: ٢٣٠.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٣٠.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٨٧.

(٤) وفي مغازي الواقدي ٢: ٨٩٨: الشهباء، بسند نفسه.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٧.

يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ؟! وهو صاحب ما هو صاحبه (يقصد موقفه المشهور) قال الفضل ابنه: فقلت له: نقّص قولك لابن أخيك يا أبه. فقال: وما ذاك يا فضل؟ فقلت له: ألم تره في الرعيل الأول؟! أما تراه في رهج الغبار؟! فقال: يا بنيّ أشعره لي. فقلت له: هو ذو البردة ذو كذا وكذا (حتى عرفه)، فقال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يُزيّل به بين الأقران! فقال: بَرٌّ ابنُ بَرّ! فداه عمٌّ وخال![1]

وفي تفسير القمي: وأخذ العباس بلجام بغلة النبيّ عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث عن يساره، وقد شهر رسول الله سيفه ثم رفع يده وقال: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان!

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا رسول الله دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون[2]. ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبد لا تُعبد![3] اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا[4].

محاولة قتل الرسول ﷺ :

وكان من قتلى شيوخ قريش ببدر أبو صفوان أُمية بن خلف الجُمحي. فبذل ابنه صفوان الأموال بقتل الرسول قبل فتح مكة، ولذلك كان ممن أهدر الرسول دمه في فتحه مكة. ثم استؤمن له فأمّنه. واستمهله للإسلام فأمهله أربعة أشهر، فأعار

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٧٤، الحديث ١١٨٧.

(٢) وفي مغازي الواقدي ٢: ٩٠١.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٨٧.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٨٩٩ وإعلام الورى ١: ٢٣٢.

رسول الله مئة درع، وخرج معه إلى حُنين. وكان عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار من حملة لواء المشركين المقتولين في أُحد بيد حمزة أو علي عليه السلام، فتعاهد ابنه شيبة مع صفوان أن إذا دارت الدائرة على رسول الله أن يشدّا عليه فيشتفيا منه.

ويبدو أن شيبة بادر لذلك في هذه الفترة كما في الخبر عنه قال: ما كان أحد أبغض إليّ من محمد فقد قتل منّا ثمانية حملة اللواء في أُحد، فكنت أتمنّى قتله حتى فتح مكة فأيست من ذلك وقلت في نفسي: قد دخلت العرب في دينه فمتى أُدرك منه ثاري! حتى اجتمعت هوازن في حُنين، فقصدتهم لآخذ منه غرّة فأقتله! فلما انهزم الناس وبقي محمد والنفر الذين بقوا معه جئت من ورائه ورفعت السيف وكدت أحطّه وإذا بشيء قد غشي فؤادي فلم أُطق ذلك! فعلمت أنه ممنوع منه. ثم التفت إليّ محمد فقال لي: ادنُ يا شيبة وقاتل، فدنوت منه فوضع يده على صدري فأحببته وتقدّمت وقاتلتُ بين يديه، وحدّثني بما كنت أُسِرّه في نفسي، فقلت: ما اطّلع على هذا إلّا الله، فأسلمت[1].

وكان صفوان مع شيبة خلف النبيّ ﷺ[3] لكنه هو أيضاً أعرض عما تعاهد عليه مع شيبة من قتله ﷺ، فصاح به أخوه لأمّه كَلَدة بن الحنبل: ألا بطل السحرُ اليوم! فصاح به صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لئن يربّني رجلٌ من قريش أحبُّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٩، ٩١٠ وإعلام الورى ١: ٢٣١ نحوه، ومجمع البيان ٥: ٣٠ عن الزهري قريباً منه. وفي الخرائج والجرائح ١: ١١٧، الحديث ١٩٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٨٦ ونقله الطبرسي في إعلام الورى بلا إسناد ١: ٢٣٠ ويربّني: أن يكون ربّاً لي أي ملكاً عليّ.

الثابتون مع النبيّ:

قال المفيد في «الإرشاد»: لما التقى المسلمون المشركين لم يلبثوا حتى انهزموا بأجمعهم! فلم يبق منهم مع النبيّ ﷺ إلّا عشرة أنفس: ثمانية من بني هاشم ـ وتاسعهم علي عليه السلام ـ وهم: أبو سفيان ممسكاً بسرجه، ثم عمّه العباس بن عبد المطلب عن يمينه، ثم ابنه الفضل بن العباس عن يساره، ونوفل وربيعة ابنا الحارث بن عبد المطلب أخوا أبي سفيان، وعُتبة ومعتّب ابنا أبي لهب، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، فهؤلاء تسعة من بني هاشم خاصة. وعاشرهم أيمن ابن أُمّ أيمن، فقتل أيمن رحمه الله(1).

---

(1) وروي عن العباس شعرٌ في هذا المقام قال:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة	وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وعاشرنا لاقى الحِمامَ بنفسه	لما ناله في الله لا يتوجّع
وقولي إذ ما الفضل شدّ بسيفه	على القوم أخرى يا بنيّ ليرجعوا

وفي ذلك أيضاً يقول مالك بن عُبادة الغافقي:

لم يواسِ النبيَّ غيرُ بني ها	شم عند السيوف يوم حُنين
هرب الناس غير تسعة رهط	فهمُ يهتفون بالناس أين
ثم قاموا مع النبيّ على المو	ت فآبوا زيناً لنا غير شين
وثوى أيمنُ الأمين من القو	م شهيداً فاعتاض قرّة عين

الإرشاد 1: 141 واليعقوبي 2: 62 ذكر عدد الثابتين تسعاً أو عشراً بلا زيادة. وزاد ابن إسحاق في الثابتين من بني هاشم وحلفائهم: جعفر بن أبي سفيان بن الحارث، وأُسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، وأبا بكر وعمر 4: 85 وكذلك الواقدي 2: 900 وزاد عثمان بن عفّان، وأبا دجانة الأنصاري وأبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري ومعه امرأته أُمّ سُليم بنت ملحان أُمّ أنس بن مالك 2: 902 وسيذكر نساءه الثوابت معها وفيهن أُمّ الحارث ←

النساء الثوابت :

قال الواقدي: ورأت أمّ حارثة الأنصارية الناس يولّون منهزمين فحملت تقول: والله ما رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء الفُرّار! من حول بعيري أقعده! ورأت زوجها أبا الحارث على جمله وجمل يريد أن يلحق بأهله! فقالت له: يا حارِ! تترك رسول الله؟! وأخذت بخطام الجمل وهي لا تفارقه. ومرّ بها في هذا الحال عمر بن الخطاب. فقالت له أمّ الحارث: يا عمر! ما هذا؟! فقال عمر: أمر الله[1]

وفي تفسير القمي قال: كانت نُسيبة بنت كعب المازنية تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول لهم: أين تفرّون عن الله ورسوله؟! ومرّ بها (فلان)، فقالت له: ويلك! ما هذا الذي صنعت؟! فقال لها: هذا أمر الله[2].

وألمح الواقدي إلى أن أبا طلحة زيد بن سُهيل الأنصاري كان من الثابتين أو الثائبين الأوائل إلى النبيّ ﷺ، وهو زوج أُم سليم بنت ملحان أمّ أنس بن مالك الأنصاري، وروى عنه وعن أمّ عمارة: أنها جرّدت سيفاً وثبتت ومعها أمّ الحارث وأمّ سَليط وأمّ سُليم وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها خنجر سلّته وهي تصيح بالأنصار: أيّة عادة هذه! ما لكم وللفرار! وتطرّب إلى رجل من هوازن

← أمسك بزوجها معه ٢: ٩٠٤. وبهذا يزداد التسع الثابتون من بني هاشم إلى مثلهم من غيرهم فالمجموع سبعة عشر رجلاً ولكن ما عدا التسعة من أوائل الراجعين. وسنقرأ عن عمر خبراً خاصاً مع إحدى النساء الثوابت، فيما يأتي. وسنقرأ عن عقيل بن أبي طالب أنه قاتل المشركين ورجع إلى مكة وسيفه متضمّخ بدمائهم ٢: ٩١٨.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٤٠١ وروى مثله عن أبي قتادة ٣: ٩٠٨.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٨٧ والكلمة من البوادر الأولى لفكرة القدر بمعنى الجبر.

حامل لواء لهم على جمل وهو يتبع المسلمين، فعرضته وضربت بخنجرها عرقوب جمله فوقع على ذيله، فضربت الرجل بخنجرها حتى قتلته وأخذت سيفه!

تقول: وكان المسلمون قد بلغ أقصى هزيمتهم مكة! ورسول الله قائم مصلت بيده سيفه قد طرح غمده ينادي: يا أصحاب سورة البقرة! ثم تراجع المسلمون وكرّوا، فكرّوا الأنصار ينادون بشعارهم شعار الأوس: بني عُبيد الله، وشعار المهاجرين: بني عبد الرحمن، وسائر المسلمين: يا خيل الله! ورجع فيهم ابناي إليّ: حبيب وعبد الله[1].

وروى عن ابن عباس: أنّ الصابرين كانوا ثمانية منهم حارثة بن النعمان[2].

وروى عن حارثة بن النعمان قال: لما انكشف الناس قال لي رسول الله: يا حارثة كم ترى الذين ثبتوا؟ فنظرت عن يميني وشمالي فحزرتهم مئة، فقلت: يا رسول الله هم مئة. وما التفتّ وراءي تحرّجاً[3].

ويقال: إنّ المئة الصابرة يومئذٍ ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار قد حفّوا به ﷺ[4] ولعلهم أوائل الراجعين.

شماتة الكفار:

قال ابن إسحاق: لما رأى جُفاة أهل مكة الهزيمة تكلم بعضهم بما في نفوسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر![5] فسمعه

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٣ هذا وقد مرّ أنه كان حاملاً بعبد الله فلعلّ أحدهما عبيد الله.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٠١.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٠.

(4) مغازي الواقدي ٢: ٩٠١.

(5) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٦، واليعقوبي ٢: ٦٢، ومغازي الواقدي ٢: ٩١٠.

أبو سفيان لأسلمي فداه - أما والله لولا أني سمعت رسول الله ينهى عن قتلك لقتلتك! وقال سُهيل بن عمرو المخزومي: إنّ هذه لا يجبرها محمد وأصحابه! فسمعه عكرمة بن هشام المخزومي فقال: ليس الأمر إلى محمد وإنّما الأمر بيد الله، إن أُديل عليه اليوم فإنّ له العاقبة غداً. فقال له سهيل: إنّ عهدك بخلافه لحديث. فقال له عكرمة: إنّا كنّا نوضع في غير شيء، كنا نعبد الحجر وهو حجر لا يضرّ ولا ينفع!

وروى المفيد في «الإرشاد» عن معاوية بن أبي سفيان قال: لما كانت الهزيمة يوم حُنين لقيت بني أُمية ومعهم أبي منهزمين، فصحت بأبي: يابن حرب، والله ما صبرت عن دينك، ولا صبرت مع ابن عمك! ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك! فقال: مَن أنت؟! فقلت: معاوية. فقال: ابن هند؟! قلت: نعم، فقال: بأبي أنت وأُمّي! ثم وقف، فاجتمع إليه جمع من أهل مكة[2].

مقتل أبي جرول:

جاء في «الإرشاد»: فنزل هوازن وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل يرفعه لمن وراءه من المشركين ليتبعوه، فإذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرولٍ، لا براحْ   حتى نبيحَ القومَ أو نُباحْ

فصمد له علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطّه وهو يقول:

قد علم القوم لدى الصباحْ   أنّي في الهيجاء ذو نِصاحْ

فلما قتل علي عليه السلام أبا جرول خُذل قومه لقتله، وكرّ المسلمون من الأنصار

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩١٠، ٩١١.

(٢) الإرشاد ١: ١٤٤ وقد مرّ عن اليعقوبي ٢: ٦٣ أنه عدّ معاوية ضمن المؤلّفة قلوبهم الذين أعطى النبيّ لكل واحد منهم مئة من إبل الغنيمة.

والمهاجرين عليهم، وتقدّمهم علي عليه السلام حتى قتل أربعين رجلاً منهم[1]. فكان من قتله أبا جرول والأربعين الذين تولّى قتلهم منهم قد تسبّب في هلعهم ووهنهم وخذلانهم وهزيمتهم وظفر المسلمين بهم[2].

تراجع المنهزمين:

قال القمي في تفسيره: إنه صلى الله عليه وآله قال لعمه العباس: يا عباس اصعد هذا

---

(١) رواه الكليني بسنده عن أبان الأحمر البجلي عن الصادق عليه السلام في روضة الكافي: ٣٠٨ وعنه في بحار الأنوار ٢١: ١٧٦ وخلت الروضة المطبوعة عن أبان.

(٢) الإرشاد ١: ١٤٣، ١٤٤، ١٥٠ وقال اليعقوبي: ومضى علي عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله فكانت الهزيمة ٢: ٦٣ ولا يعني به إلّا أبا جرول. وذكره ابن إسحاق بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار فأتاه علي من خلفه فضرب عرقوب الجمل فوقع وضرب الأنصاري نصف ساقه فقطعها ٤: ٨٦ و ٨٨ أما الواقدي فقد رفعه مرسلاً، وسمّى الأنصاري أبا دجانة وقال: هو الذي عرقب الجمل، وشدّ عليه هو وعلي عليه السلام فقطع علي يده اليمنى وقطع أبو دجانة يده اليسرى، فاعترض لهما فارس آخر بيده راية حمراء فضربوا فرسه ثم ضرباه بأسيافهما ولم يسلباهما، وسلبهما أبو طلحة زيد بن سهل، ومضيا هما يضربان أمام النبيّ صلى الله عليه وآله ٢: ٩٠٢ أما عن عدد القتلى من هوازن فسيأتي عن ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٢٩ أنه قتل منهم سبعون رجلاً وفي مغازي الواقدي ٢: ٩٠٧ أنه قتل منهم قريب من مئة رجل. وكذلك في مجمع البيان ٥: ٣٠ وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٣٥ أنهم ستة وخمسون. فالواقدي زاد ثلاثين والمسعودي زاد خمسين. وعلى الأول يكون علي عليه السلام نصف القتلى، وعلى الأخير الثلث، ويكون الباقون لسائر المقاتلين من المسلمين كلهم. وعليه فلا يعدم صحة ما في دعاء الندبة: «فأودع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيبرية وحنينية».

الظرب (التل الصغير) ونادى: يا أصحاب البقرة ويا أصحاب الشجرة! إلى أين تفرّون؟! هذا رسول الله! ففعل العباس ذلك. فلما سمع الأنصار نداء العباس عطفوا يرجعون وهم يقولون: لبّيك، وكسروا جفون سيوفهم، ولكنهم استحيوا أن يرجعوا إلى رسول الله فرّوا به ولحقوا براياتهم، فسأل رسول الله عنهم عمّه العباس: مَن هؤلاء يا أبا الفضل؟ قال: هؤلاء الأنصار يا رسول الله[1] واشتبكوا مع المشركين.

قال المفيد: فلما رآهم النبيّ قام في ركابي سَرجه فأشرف عليهم وقال: الآن حمي الوطيس (= التنّور).

أنا النبيّ لا كذب — أنا ابن عبد المطّلب[2]

قال القمي: ثم قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفّاً من الحصى، فناوله، فرماه في وجوه المشركين وقال: شاهت الوجوه![3]

وروى الطبْرسي في «إعلام الورى» عن سلمة بن الأكوع قال: نزل رسول الله عن البغلة بنفسه فقبض قبضة من التراب ثم ركب واستقبل به وجوه القوم ورماه وقال: شاهت الوجوه! فما خلق الله منهم إنساناً إلّا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فولّوا مدبرين واتّبعهم المسلمون يقتلون فيهم، وفرّ مالك بن عوف[4]

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٨٧.

(٢) الإرشاد ١: ١٤٣ وروى: حمي الوطيس الصدوق في الفقيه ٤: ٣٧٧ ط الغفاري.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٨٧ ورواه الواقدي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ٣: ٨١٠ وروى قبله عن الزهري عن كثير بن العباس بن عبد المطّلب: أنّ النبيّ قال ذلك للعباس وهو ناوله ٣: ٨٩٨، ٨٩٩ ولا ريب أن جابر الأنصاري أكثر سداداً في الرواية.

(٤) إعلام الورى ١: ٢٣٢.

وروى الواقدي ما يفسّر الهزيمة الأُولى لخالد بن الوليد مع بني سُليم في المقدمة، قال: قالوا: لما رجع المسلمون يتّبعون هوازن يقتلونهم وهزموا، نادى بنو سُليم بينهم: ارفعوا القتل عن بني أُمّكم! ارفعوا الرماح وكفّوا عن القتل! فلما رأى رسول الله الذي صنعوا قال: اللهم عليك ببني بُكمة أما في قومي فوضعوا السلاح وضعاً وأما عن قومهم فرفعوا رفعاً! وأمر رسول الله بطلب القوم. وكانت بكمة ابنة مرّة أُمّ سليم جدّة بني سليم من الهوازن. ولعلهم لذلك هُزموا أوّلاً.

وقال ﷺ لخيله: إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنّ منكم. وكان بجاد من بني سعد بن بكر من هوازن قبيلة حليمة السعدية مُرضعة النبي، وكان قد نزل لديه رجل مسلم فأسره بجاد وقطّعه عضواً وحرّقه بالنار[1].

نزول النصر:

قال القمي في تفسيره: ونزل النصر من السماء، فكانت هوازن تسمع قعقعة السلاح في الجوّ فانهزموا في كل وجه، وهو قول الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾[2].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن سعيد بن المسيّب عن رجل من هوازن كان معهم يوم حنين قال: لما التقينا يوم حنين كشفناهم وجعلنا نسوقهم حتى انتهينا إلى رسول الله على البغلة الشهباء، فتلقانا رجال بيض الوجوه، فقالوا لنا: ارجعوا، وركبوا أكتافنا! فرجعنا، يعني الملائكة[3].

وروى الواقدي عن من أسلم من هوازن قالوا: حملنا عليهم حملة ركب

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩١٢، ٩١٣.

(2) تفسير القمي ١: ٢٨٨.

(3) مجمع البيان ٥: ٣٠.

أكتافهم حتى نهينا إلى النبيّ على بغلة شهباء، وحوله رجال بيض حسان الوجوه فقال شاهت الوجوه، ارجعوا! فانهزمنا وركب المسلمون أكتافنا وتفرّقت جماعتنا في كل وجه، وجعلنا نلتفت وراءنا ننظر إليهم وهم يطلبوننا، وجعلت الرّعدة تسحقنا حتى لحقنا بعلياء بلادنا مما كان منا من الرّعب!

وروي عن عدّة منهم قالوا: لقد رمى رسول الله ﷺ بتلك الكف من الحصيات، فما منّا أحد إلّا يشكو القذى في عينيه! ولقد كنّا نجد في صدورنا خفقاناً كوقع الحصى في الطّساس ما يهدأ عنّا. ولقد رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق عليهم عمائم حُمر قد أرخوها بين أكتافهم، وهم بين السماء والأرض كتائب كتائب، لا شيء بأيديهم ولكنّا لا نستطيع أن نقاتلهم أو نتأمّلهم من الرُّعب!

هكذا ترعب الملائكة لهم، بينما حكى الله للمسلمين عن نصره لهم يوم حنين فقال: ﴿ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ فما روي عن المسلمين فهم رأوا جنود الله، ولا عن مَن معهم من المؤلفة قلوبهم من مشركي قريش مكة، اللهم إلّا

ما رواه الواقدي عن شيوخ الأنصار قالوا: رأينا يومئذٍ شيئاً كالكساء المخطّط أو كالسحاب المركوم هوى من السماء إلى الأرض، فإذا هو نمل مبثوث في الوادي، وإذا هو نصرٌ أيّدنا الله به[2]

وما رواه ابن إسحاق عن أبيه عن جُبير بن مُطعم العدوي قال: حين اقتتل الناس وقبل هزيمة هوازن رأيت شيئاً كالكساء الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فإذا هو نمل اسود قد ملأ الوادي، ثم لم يكن إلّا أن هزم القوم، فما نشك أنها كانت الملائكة[3]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٦

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٥

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٩١ ومغازي الواقدي ٢: ٩٠٥

وفي كيفية هزيمتهم ومقاومتهم قال ابن إسحاق: لما انهزمت هوازن اشتد القتل من ثقيف في بني مالك، وكانت رايتهم مع عوف بن ربيع ذي الخمار فقُتل، فأخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل، وقتل منهم معه وتحت رايته سبعون رجلاً.

وأما راية الأحلاف منهم فقد كانت مع قارب بن الأسود، وهو لما رأى هزيمة قومه أسند رايته إلى شجرة وهرب معه بنو عمه وقومه من الأحلاف، فلم يُقتل منهم سوى رجلين[1].

قتل الصغار والأسارى:

وروى الواقدي: أنّ الخزرج رجعوا وزعيمهم سعد بن عُبادة وهو يصيح بهم: يا آلَ الخزرج يا للخزرج! وثاب الأوس وزعيمهم أُسيد بن حُضير وهو يصيح بهم: يا للأوس يا للأوس! وحنقوا على هوازن فقتلوا منهم حتى الصغار، فسمع ذلك رسولُ الله فنادى بالأوس: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرّية؟ ألا لا تُقتل الذرّية! ثلاثاً. فقال أُسيد بن حُضير: إنما هم أولاد المشركين! فقال ﷺ: أوليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يُعرب عنها لسانُها، فأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها[2].

قال المفيد: وما زال المسلمون يقتلون المشركين ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار، فأمر رسول الله ﷺ بالكفّ عنهم ونادى: أن لا يُقتل أسير من القوم. ومرّ عمر بن الخطّاب بأسير من هُذيل يُدعى ابن الأكوع كان عيناً لهم على المسلمين في

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٩٢ ومغازي الواقدي ٢: ٩٠٧ لأنه قال: قتل منهم قريب من مئة رجل. وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: قتل منهم مئة وخمسون رجلاً: ٢٣٥.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٥ ويلاحظ فيه: حتى يُعرب عنها لسانها، وليس فيه: ويهوّدانه أو ينصّرانه، فهي إضافة زائدة. والمشهور: كل مولود، وليس فيه: حتى يُعرب.

فتح مكة، وحصر معهم في حُنين مأسر، فأمل عمر على رجل من الأنصار وقال له: عدوّ الله الذي كان عيناً علينا ها هو أسير فاقتله. فقتله الأنصاري. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فكرهه وقال: ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً؟!

ومع ذلك يلمه بعد ذلك أنهم قتلوا أسيراً آخر هو جميل بن معمر بن زهير! فغضب ﷺ وبعث إليهم يقول لهم: ما حملكم على قتله وقد جاءكم أن لا تقتلوا أسيراً؟! فقالوا: انما قتلنا بقول عمر! فلم يصفح عنه حتى تشفّع فيه عُمير بن وهب[1].

ومرّ أنه ﷺ نهى عن قتل الوليد والمرأة والعسيف، وهو الشيخ الفاني، وأنه الآن أمر بالكف عن قتلهم، وكفّ المسلمون عن تتبّع من سلك الثنايا إلّا بعض بني سُليم، فانهم تعقّبوا بني عدد من ثقيف وقد توجّهوا نحو ثنيّة نخلة، ومعهم شيخهم دُريد بن الصِّمة.

قال ابن اسحاق: فادرك ربيعةُ بن رُفيع السُلمي دُريد بن الصِّمة (في وادي شُمرة) على جمل في مركب دون الهودج فهو يظن أنها امرأة يريد أسرها. فأناخ الجمل فإذا هو شيخ كبير ابن مئة وستين سنة وهو لا يعرفه، فرفع سيفه وضربه به فلم يعمل شيئاً، فقال له: بئس ما سلّحتك به امّك! خذ سيفي من وراء الرّحل في اشجار (الهودج) واضرب به فوق الطعام ودون الدّماغ، فاذا ذهبت إلى أمّك فأخبرها أنك قتلت دُريد بن الصِّمة. فضربه بسيفه فقتله[2] مع أنه كان أسيراً أو مستأسراً وعسيفاً أي شيخاً فانياً[3] وقد مرّ أنه ﷺ نهى عن قتلهما.

---

(١) الإرشاد ١: ١٤٤، ١٤٥.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٩٥ ومغازي الواقدي ٢: ٩١٤، ٩١٥ إلّا أنه ادّعى أنّ رسول الله بعث ذلك المخبر خلفهم.

(٣) النهاية ٣: ٢٣٦.

وروى الواقدي عن عمّ عمارة عن أمّ سليم بنت ملحان أمّ أنس بن مالك قالت: رجع إليّ ابن أبي حبيب وعبد الله بن زيد الأنصاري بأسارى مكتّفين فقمت إليهم وقتلت أحدهم من غيظي، فمنعني النبيّ ﷺ عن ذلك مكرراً[1].

مصير الأمير مالك:

وادي نخلة كان إلى جهة الطائف، وسلكه سوى بني غيرة الثقفيين أميرهم مالك بن عوف النصري ومعه جمع من الفرسان وتبعهم غيرهم نحو الطائف.

قال ابن إسحاق: فوقف في طريقه على ثنية من الثنايا (مرتفع من جبال) وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم، فوقفوا حتى مضى من كان لحق بهم من المنهزمين.

وقال ابن هشام: بينا مالك وأصحابه على الثنية إذ رأى خيلاً طلعت، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيولهم طويلي الأفخاذ. فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم! فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم على خيولهم، أغفالاً (لا علامة لهم) فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم! فلما انتهوا إلى أسفل الثنية سلكوا طريق بني سليم في بطن الوادي ولم يصعدوا في الثنية.

ثم طلع فارس، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل الفخذين، واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بعصابة حمراء. فقال: هذا الزبير بن العوّام، وأحلف باللات ليخالطنّكم فاثبتوا له!

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٣

فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فقصدهم، فنزل مالك عن فرسه وعلق فلوذ بالشجر حتى سنده في جبل يسمى اليسوم في أعلى وادي علة، وبصر بهم الزبير فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثنية، وهرب مالك بن عوف إلى ناحية «لية» من نواحي الطائف، فدخل فيها قصراً تحصّن فيه[2].

والي أوطاس:

قال المؤلف: أخذت ثقيف ومن تبعها إلى الطائف، وأخذت الأعراب ومن تبعهم إلى أوطاس (حيث جاؤوا منه) فبعث النبيّ في أثرهم إلى أوطاس أبا عامر الأشعري في جماعة منهم ابن عمه أبو موسى الأشعري قيس بن عبد الله[3] فوقفوا لقتالهم.

قال ابن هشام: فتقدم لقتاله إخوة عشرة، فدعاهم أبو عامر إلى الإسلام، فكان يحمل عليه أحدهم فيقتله أبو عامر فيتقدم الآخر منهم حتى تقدم عاشرهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يقول: اللهم اشهد عليه. فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليّ! فكفّ عنه أبو عامر، وانصرف الرجل، فرماه أخوان آخران فأصاب أحدهما ركبته وأصاب الآخر قلبه فقتله، فقتلهما أبو موسى[4].

قالوا: وأوصى أبو عامر إلى ابن عمه أبي موسى ودفع رايته إليه وقال له: ادفع فرسي وسلاحي إلى رسول الله وقل له يستغفر لي، ورجع أبو موسى ومن معه

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٩٧ـ٩٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩١٦ـ٩١٧

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٩٧ـ١٠٠

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩١٦.

إلى رسول الله، وجاء بفرسه وسلاحه إليه وقال: إنّ أبا عامر أمرني بذلك وقال: قل لرسول الله يستغفر لي. فقام رسول الله فصلّى ركعتين ثم قال: اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمّتي في الجنة. ثم أمر بتركة أبي عامر أن تُدفع إلى ابنه[1].

الغنائم والأسرى:

روى ابن إسحاق بسنده عن أبي قتادة الأنصاري قال: لما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله: من قتل قتيلاً فله سلبه[2].

وروى بسنده عن أنس بن مالك قال عن زوج أمّه أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري أنه في يوم حنين استلب وحده عشرين قتيلاً[3].

وروى الواقدي عن أمّ أنس بن مالك أمّ سُليم بنت ملحان زوجة أبي طلحة الأنصاري قالت: لما كانت هزيمة هوازن وذهبوا في كل وجه جعل الناس يأتون بالأسارى فرأيت في بني مازن بن النجّار ثلاثين أسيراً، ورجع إليّ ابناي حبيب وعبد الله ابنا زيد بن سهل ـ أبي طلحة الأنصاري ـ بأسارى مكتّفين، فقتلتُ أحدهم من غيظي! فمنعني النبيّ ﷺ عن ذلك.

قالوا: وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم أن تُجمع، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغلّ. ومن أصاب شيئاً من المغنم فليردّه!

وروى الواقدي عن عُمارة بن غُزيّة: أنّ عبد الله بن زيد المازني كان قد أخذ قوساً يومئذٍ يرمي بها المشركين فردّها في المغنم. وجاءه رجل بحبل وقال: يا رسولَ

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩١٦.

(٢) وفي مغازي الواقدي: من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه ٢: ٩٠٨.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٩١.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٣.

الله، وجدت هذ الحبل حيث انهزم لعدو أفأشدّ به على رحلي؟ فقال رسول الله ﷺ: لك نصيبي منه فكيف نصنع بأنصباء المسلمين؟[1]

وقال ابن اسحاق: جاءه رجل من الأنصار بكُبّة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله أخذتُ هذه الكُبّة أعمل بها برذعة بعير لي دَبِر؟ فقال: أما نصيبي منها فلك! فقال: أما إذا بلغت هذ فلا حاجة لي بها، فطرحها من يده[2]

ووُجد في رَحل رجل من أصحابه غلولاً، فلم يخرق رحله ولم يعاقبه وانما لامه وبكّته[3] معم، بضرب الأيدي وحثوا التراب عليه عاقب من قتل امرأة:

فقد روى الواقدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن أزهر قال: كنتُ مع النبيّ ﷺ يوم حُنين فرأيته يتخلّل الرجال ويسأل عن منزل خالد بن الوليد، فأُتي به إليه ـ وهو يومئذٍ شاب ـ فحثا عليه التراب، وأمر من عنده فضربوه بما كان في أيديهم[4] عقوبة على قتله المرأة كما مرّ.

وروى ابن هشام بسنده قال: وكان عقيل بن أبي طالب صهر شيبة بن ربيعة المخزومي[5] على ابنته فاطمة، وكان قد قاتل المشركين يوم حُنين وانّما أخذ ابرة منهم ورجع بها إلى مكة فدفعها إلى امرأته وقال لها: هذه ابرة تخيطين بها ثيابك! وسمع منادي رسول الله ﷺ يقول: من أصاب شيئاً من المغنم فليردّه! فرجع عقيل إلى زوجته فاطمة وقال لها: والله أرى ابرتك قد ذهبت فردّها[6]

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩١٨

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٣٥ ودَبِر: مجروح دَبِره اي عقبه، والبرذعة: جُلّ البعير

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩١٨، ٩١٩ والتبكيت: التقريع والتوبيخ

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٢

(٥) وفي مغازي الواقدي ٢: ٩١٨: لوليد بن شيبة بن ربيعة.

(٦) سيرة ابن هشام ٤: ١٣٥

فروى الطبْرسي في «إعلام الورى» عن أبان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه‌السلام قال: سبى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يوم حُنين أربعة آلاف رأس (؟) ج سبايا، غير ما لفظ سبي، واثني عشر ألف ناقة، سوى ما لا يُعلم من الغنائم[1] كذا. بل الظاهر: الأغنام، بقرائن: ذكر النوق، وعدم ذكر الغنم وهو بصدد البيان، وعدم معنى محصّل للغنائم هنا، وذكر ما يقربه لدى الواقدي قال: «وكانت الغنم لا تُدرى عددها أربعين ألفاً وأقل وأكثر» ولكن للإبل ردها إلى الضعف: أربعة وعشرين ألف بعير، ولم يذكرهما ابن اسحاق، واتفقا في عدد السبي بزيادة الفين، فعن الواقدي: وكان السبي ستة آلاف[2] من النساء والذراري[3] ولعلّ ما في خبر أبان عن الصادق عليه‌السلام أحدهما: الذراري أو النساء، ولأحمر هو الظاهر المتبادر من لفظ السبي بلا ذكر الذرية. وأما سائر الأسرى غير الذرية والنساء، من الرجال، فكأنهم لم يذكروا لقلّتهم.

خبر بجاد والشيماء:

منهم بجاد السعدي، قال الواقدي: وكان قد أتاه رجل مسلم - قبل حُنين - فأخذه بجاد فقطّعه ثم حرّقه بالنار، وعُرف جُرمه فهرب[4].

فروى ابن اسحاق: أنّ رسول الله قال يومئذٍ: إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنّكم! وظفر به المسلمون مع أهله، وقربوا منهم الشيماء بنت الحارث السعدي

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٣٣ وفي كتاب أبان المقداد، البعث والمغازي: ١١١.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٣.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٣١.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩١٣.

أخت رسول الله من الرضاعة، وهم مهرمون، فساقوهم معهم، فقالت لهم: تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدّقوها، حتى أتوا بها إلى رسول الله، فقالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضّةٌ عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك أحملك على وركي. فعرف رسول الله العلامة، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه[1] وقال لها:

إن أحببتِ فعندي محبّةٌ مكرّمة، وإن أحببتِ أن أُمتّعكِ متاعاً، وترجعي إلى قومك فعلت. فقالت: بل تُمتّعني وتردّني إلى قومي. فأعطاها جارية وأكرمها بغلام مكحول[2]

وزاد الواقدي: أنها أسلمت. وكلّمها النسوة في بجاد، فرجعت إليه فكلّمته أن يعفو عنه ويهبه لها. وسألها عمّن بقي منهم؟ فأخبرته بعمّها أبي ثروان وأخيها وأختها، فأمر لها ببعيرين، ثم قال لها: ارجعي إلى الجعرّانة تكونين مع قومك[3]

قال ابن إسحاق: وأخذ عُيينة بن حصن من هوازن عجوزاً وقال: إني لأحسب لها في الحيّ نسباً فعسى أن يعظُم فداؤها!

---

(١) وعن ابن إسحاق في إعلام الورى ١: ٢٣٩: فنزع النبيّ بُرده فبسطه لها فأجلسها عليه.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٠٠، ١٠١.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩١٤ وتمامه: فلما رجع من الطائف إلى الجعرانة أعطاها نَعَماً وشاءً لها ولمن بقي من أهل بيتها. وفي خبره: أنه سألها عن أمه وأبيه من الرضاعة، فأخبرته بموتهما، ودمعت عيناه. ٢: ٩١٣ بينما مرّ عنه في آخر أخبار فتح مكة عن أبي الحصين قال: قدمت عليه ﷺ خالته أو عمته من بني سعد و... تشبّثت له فعرفها، وجعل يسألها عن حليمة فأخبرته أنها توفيت. فذرفت عينا رسول الله. ثم سألها عمّن بقي منهم فقالت: أخواك وأختاك ٢: ٨٦٩ وعليه فقد علم بوفاة مرضعته حليمة السعدية، ولم تخبره أخته الشيماء هنا عن أبيه وأبيها الحارث بن عبد العزّى.

وأعطى رسول الله جارية لعمر بن الخطّاب، فوهبها لابنه عبد الله، فبعث بها إلى أخواله بني جُمح في مكة حتى يرجع إليهم. وأعطى عثمان زينب بنت حيّان، وأعطى علياً (عليه السلام) ريطة بنت هلال السعدية[1] فلم يُصبها علي عليه السلام وأعطى عبد الرحمن بن عوف امرأة منهنّ وهو في حُنين فردّها إلى الجعرانة[2] وأعطى صفوان بن أُمية أُخرى. وأعطى جُبير بن مُطعِم جارية منهن. وأعطى طلحة بن عبد الله جارية منهن. وأعطى سعد بن أبي وقاص جارية منهن، وأعطى أبا عبيدة بن الجراح جارية منهن، وأعطى الزبير بن العوّام جارية منهن، وهذا كله بحُنين[3].

ونادى مناديه في الناس: أن استبرئوا سباياكم بحيضة[4]. وقال رسول الله يومئذ: لا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة. وسألوا النبيّ يومئذ عن العزل فقال: ليس من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء[5].

وقال ابن إسحاق: ولما جُمِعت لرسول الله سبايا حُنين وأموالها جعل عليها

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٢ و ١٣٣.

(٢) الجعرّانة في طريق مكة إلى الطائف أقرب إلى مكة على سبعة أميال (كيلومترين تقريباً) من مواقيت حدود الحرم، والجعرّانة لقب لريطة بنت سعد صاحبة المثل المعروف ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ فالموضع سُمي بلقبها.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٤.

(٤) التهذيب ٨: ١٧٦، الحديث ٦١٥ بسنده عن الصادق عليه السلام.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩١٩.

مسعود بن عمرو القاري، وأمر بها أن تُحمل إلى الجِعرّانة، فحُبست بها[١] وقال الواقدي: جعل عليها بديل بن ورقاء الخُزاعي[٢].

الشهداء والقتلى:

مرّ آنفاً مقتل أبي عامر الأشعري في أوطاس، ودُفن بها. ومرّ قبله مقتل أيمن بن عُبيد الخزرجي ابن أمّ أيمن الحبشية حاضنة النبيّ ﷺ دفاعاً دونه ضدّ نصر هوازن مالك بن عوف النصري. ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث العجلاني. وانفرد الواقدي بذكر رُقيم بن ثابت من بني لوذان، وانفرد ابن إسحاق بذكر يزيد بن زمعة من قريش جمح به فرسه فقتل، فدفنوا هناك.

قال الواقدي: وذُكر له ﷺ رجل من المسلمين قاتل قتالاً شديداً فأصابته جراح اشتدّت به، فقال ﷺ: هو من أهل النار! فوقع في نفوسهم من ذلك شيء وارتابوا. ولما اشتدّ الجراح بالرجل ـ ولم يسمّه ـ أخذ من كنانته مِشقصاً (نصلاً عريضاً) فانتحر به! فأمر رسول الله بلالاً أن ينادي: إنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر! ألا لا يدخل الجنة إلّا مؤمن![٣]

دمُ عامر الأشجعي:

قبل اليوم بأربعين صباحاً تقريباً ـ مرّ الخبر ـ أنه ﷺ تعمية لخبر مسيره إلى مكة لفتحها، أرسل أبا قتادة في سريّة إلى بطن إضم في طريق تهامة، وكان منهم مُحلّم

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٠٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩١٧ وكما في مجمع البيان ٥: ٣٠ والدرجات الرفيعة: ٤١٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩١٧.

بن جثّامة الليثي، وكان في نفسه شيء من عامر بن الأضبط الأشجعي، إذ مرّ بهم في ذلك الطريق ولم يكن عَلِم إسلامه قبله إلّا أنه لما مرّ عليهم سلّم عليهم بتحيّة الإسلام، ومع ذلك حمل عليه مُحلّم فقتله وسلبه. وفي شأنه نزلت الآية من سورة النساء: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] ثم لم يلقوا جمعاً فرجعوا إلى المدينة، وفيها سنة في منزل ذي خُشُب بلغهم خروجه ﷺ إلى مكة، فأخذوا على يين حتى لحقوا به في منزل السقيا[2].

والأشجع من غطفان، ورئيسهم يومئذٍ عُيينة بن حصن الفزاري من غطفان، وبنو ليث من بني تميم ويدفع عنهم الأقرع بن حابس التميمي، ومُحلّم القاتل حاضر في حُنين، ولم يذكروا لماذا لم تُطالب بدم المقتول الأشجعي قبل اليوم، أما اليوم

فقد روى ابن إسحاق بسنده عن عروة بن الزبير بن سعد السُلمي ممّن حضر حُنيناً قال: صلّى بنا رسولُ الله الظهر في حُنين ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها، فقام إليه عُيينة بن حصن يطلب بدم عامر الأشجعي، وقام إليه الأقرع بن حابس يدفع عن القاتل مُحلّم بن جثّامة وهو في طرف الناس وهو رجل طويل ضرب اللحم أسمر مختضب بالحنّاء كان قد تهيّأ للقصاص في حُلّة عليه.

قال سعد: فسمعت عُيينة بن حصن يقول للنبيّ: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أُذيق نساءه من الحُرقة مثل ما أذاق نسائي! ورسول الله يقول: بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا[3] وأبى عُيينة، فارتفعت الأصوات وكثر اللغط، إلى أن قام رجل من بني ليث ـ قبيلة المقتول ـ قصير مجمع، عليه أداة

(1) النساء: ٩٤ كذا، بينما نزول السورة كان في السنة الرابعة للهجرة لا الثامنة.

(2) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٥ ومغازي الواقدي ٢: ٧٩٧.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٥، ٢٧٦.

كاملة ونصف ديته، فقال له: تكيَّل، فقال: يا رسول الله، والله ما وجدت لهذا القتيل شبهاً في غُرّة الإسلام إلا كغنم وردت الماء، فرُميت أولاها فنفرت أخراها(١)، اسْنُن اليوم، وغيِّر غداً(٢).

فرفع رسولُ الله يده فقال: بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا(٣).

وخلا الأقرع بن حابس بقيس وعُيينة بن حصن فقال لهم: يا معشر قيس، يستصنع رسول الله الناس في قتيل (بديته) تعتقونه! أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله فيغضب الله عليكم بغضبه؟! أو أن يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله بلعنته؟! فوالذي نفس الأقرع بيده لتسلمنّه إلى رسول الله فليصنعنّ ما أراد، أو لآتينّ بخمسين رجلاً من بني تميم كلهم يشهدون بالله أنّ صاحبكم قُتل كافراً ما صلّى قط! فلأُطِلَّنّ (أُهدِرنّ) دمه! فلما سمعوا بذلك قبلوا الدية(٤).

فلما قبض أولياء القتيل الدية، قال بعض من حضر لأولياء القاتل: أين صاحبكم هذا القاتل يستغفر له رسولُ الله؟ فأخذوه فقام الرجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ وعيناه تدمعان وقال: يا رسولَ الله، قد كان من الأمر

---

(١) وكأنه يهدّد رسول الله بالارتداد عن الإسلام إذ هم وردوه في غُرّته فنفروا عنه بقتل صاحبهم والحكم بالدية له وعدم القصاص له!

(٢) أي: اعمل بسنّتك في القصاص اليوم فإذا شئت أن تغيّر فغيّر بعد ذلك، كما في النهاية ٢: ١٨٦ فكأنه يتّهمه ﷺ بتغيير سنّته في القصاص لهم، وكذا فسّره أبو ذر الخشني: غيِّر: من الغِيَر بمعنى الدية بحاشية السيرة ٤: ٢٧٦.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٦.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٧.

الذي بلغكم فإنّي أتوب إلى الله تعالى فاستغفر لي(١). فقال له رسول الله: أنت آمنت بالله ثم قتلته بسلاحك في غرّة الإسلام؟! ثمّ رفع يديه ورفع صوته يتفقّد به الناس فقال: اللهم لا تغفر لمحلّم! ثلاثاً، ثمّ قال له: قم!

فقام من بين يدي رسول الله وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه!

وقال ضمرة بن سعد السُلمي وكان حضر حُنيناً مع أبيه سعد: كنّا نتحدث فيما بيننا أن رسول الله ﷺ إنّما أراد أن يُعلم قدر الدّم عند الله، وإلّا فإنّه حرّك شفتيه باستغفار له(٣).

فروى ابن إسحاق عن الحسن البصري قال: فوالله ما مكث مُحلّم بن جثّامة إلّا سبعاً حتى مات، فدفنوه، فلفظته الأرض، فأعادوه، فأعادته الأرض، فردّوه فردّته الأرض، فطرحوه بين صخرتين ثم رضموا عليه بالحجارة حتى واروه! فبلغ ذلك رسولَ الله فقال: والله، إنّ الأرض لتُطابقُ على من هو شرٌّ منه، ولكنّ الله أراد أن يعظكم في حرمة ما بينكم بما أراكم منه(٤).

والي الطائف:

مرّ عن ابن إسحاق: أن جفاة أهل مكة لما رأوا هزيمة المسلمين تكلّم بعضهم

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٠.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٦.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٠، ٩٢١.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٧٧ ونحوه الواقدي ونقل مختصر خبره الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٤٥ وسيأتي في حصار الطائف أن رجلاً من بني ليث قبيلة المقتول قد قتل رجلاً من هُذيل، فأمر ﷺ بالقصاص منه فكان أول قصاص، بينما مرّ قبل هذا غير واحد من موارد القصاص في المدينة قبل فتح مكة، وإنّما نحمل مثل هذا على مبلغ علم الراوي لا الاستقصاء.

عمّا في نفوسهم من الطَّعن والطِّعن، منهم أبو سفيان، فإنه قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر![1] فسمعه أبو مُقَيت الأسلمي فناداه: أما والله لولا أنّي سمعت رسول الله ينهى عن قتلك (للأمان) لقتلتك.[2] وصاح به ابنه معاوية: يا بن حرب! لا فاتنت عن دينك، ولا صبرت مع ابن عمك! ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حرمك.

فلما سمع من ابنه معاوية هذا اللوم تلاوم وتفاوم وتلاءم مع جمع من أهل مكة[3] فتراجعوا لمقاومة الأعراب من هوازن وثقيف. واتفقوا على أنه كان لأبي سفيان مصاهرة في ثقيف فاختلفوا في بنته هل هي امه أم ميمونة، وهل أمّ داود فهل هو داود بن عروة بن مسعود الثقفي أو هو ابن أبي مُرّة بن عروة.[4] وقد غاب عروة بن مسعود عن حُنين لأنه كان قد ذهب مع غَيلان بن سلمة إلى جُرَش اليمن لتعلّما صنعة الدبّابات والمنجنيق[5] استعداداً لحرب المسلمين.

فلعله لهذا وذاك وتأليفاً لهم، لمّا فضّ الله جمع المشركين بحُنين وأحدب ثقيف ومن معها إلى الطائف بعث النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب إلى الطائف فعيّنه ثقيف

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٨٦ واليعقوبي ٢: ٦٢ ومغازي الواقدي ٢: ٩١٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩١١.

(٣) الإرشاد ١: ١٤٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ١٢٦.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٢٦ والدبّابة القديمة: مصفّحة مربعة مستطيلة من خشب عليه صفائح الجلود أو الحديد، يدخل فيها رجلان ثلاثة أو أربعة فيدبّون بها إلى الأسوار ليثقبوها. والمنجنيق: معرّب منگنه، يُرمى بها الحجارة الثقيلة. وقال الواقدي: كانا بجُرَش يتعلّمان عمل الدبّابات والمنجنيق، يريدان أن يتصباه على حصن الطائف وكانوا قد أصلحوا حصنهم ـ وله بابان ـ وصنعوا الصنائع للقتال وتهيّؤوا وأدخلوا ما يصلحهم لو حوصروا فيه إلى سنة ٣: ٩٢٤.

فضربوه على وجهه، فهزموه ورجع إلى النبي ﷺ فقال له: ضيّعتني مع قوم من هُذيل والأعراب لا يُرقع بهم الدّلاء، ما أغنوا عنّي شيئاً! فسكت ﷺ[1]

وأراد المسير إلى الطائف فبعث الطُّفيل بن عمرو الدّوسي مع جمع من قومه إلى قومه، وأمره أن يهدم صنمهم ذا الكفّين، ويستمدّ من قومه، ويذهب بهم إلى الطائف. وطلب الطُّفيل إليه أن يوصيه فقال له:

«استحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله، وإذا أسأت فأحسن ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[2] وأفشِ السلام، وابذل الطعام»

فخرج الطُّفيل إلى قومه وأوقد ناراً فأدخلها في جوف صنمهم ذي الكفّين وهو يقول له: يا ذا الكفّين لستُ من عُبّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا إنّي حشوت النار في فؤادكا ثم استمدّ من قومه فاستجاب له أربعمائة منهم[3] وقدّم النبيّ من حُنين خالدَ بن الوليد على مقدّمته كذلك إلى الطائف[4].

مسيره ﷺ إلى الطائف:

عن الواقدي: وأخذ رسول الله من الأدلّاء من يدلّه على الطريق إلى

---

(١) الإرشاد ١: ١٥١، ١٥٢.

(٢) هود: ١١٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٣ و٢: ٨٧٠، وفي ٩٢٧ قال: قدم معه من قومه بدبّابة ومنجنيق لحرب الطائف!

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٣ ولعلّه ليريهم كيف أن أبطال قريش قد خضعوا له، فيفتّ ذلك في عضد أهل الطائف.

الطائف، فسار من أوطاس على نخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المُليح، ثم على بَحْرة الرُّغاء من وادي لِيّة، وابتنى بها مسجداً بيده وأصحابه ينقلون إليه الحجارة، فصلّى فيه الظهر. وأتاه رجال من هُذيل برجل من بني ليث قتل رجلاً من هُذيل، فاختصموا عنده، فدفعه رسول الله إليهم فقدّموه فضربوا عنقه[2]

وصلّى رسول الله العصر، ورأى قصراً حصيناً فسأل عنه فقالوا: هو قصر مالك بن عوف. فقال: أين هو؟ قالوا: هو الآن في حصن ثقيف. فقال: أمَن في قصره؟ قالوا: ما فيه أحد. فقال: حرّقوه! فحرّق من حين العصر إلى أن غابت الشمس.

وكان هناك قبرٌ مشرف لسعيد بن العاص الأموي والد أبان وعمرو مع رسول الله، فلما نظر أبو بكر إلى قبره قال: لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان محادّاً الله ورسولَه. وسمعه ابناه عمرو وأبان فقالا: لعن الله أبا قحافة فإنه كان لا يُطعم الضيف ولا يَقري الضيف. فقال رسول الله: إن سبّ الأموات يؤذي الأحياء، فإن شتمتم المشركين فعُمّوا. ثم مضى رسول الله من لِيّة على طريق الضيقة، فقال رسول الله: بل هي اليُسرى! ثم خرج على وادي ليُحِبّ عند حائط رجل من ثقيف، فأبى أن يخرج إلى رسول الله، فأرسل إليه النبيّ ﷺ: إما أن تخرج وإما أن نحرق عليك حائطك! فأبى أن يخرج. فأمر رسول الله بإحراق حائطه وما فيه[3]

---

(١) قرية في طريق الطائف بينها وبين مكة خمسون ميلاً (٨٠ كم تقريباً) معجم البلدان ٧: ٦٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٤ وعنه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤: ١٢٥ وقالا: فكان أول دم أُقيد به في الإسلام. هذا وقد ذكر الواقدي مثله في قصاص جُثّامة قبله في حُنين، بل وقبله أُخرى من موارد القصاص أكثر من واحد. وإنما نُحمل مثل هذا على مبلغ علم الراوي إلّا الاستقصاء، كما مرّ قبيل قليل.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٥ وعنه ابن إسحاق في السيرة ابن هشام ٤: ١٢٥ إلّا أنه قال: فأمر بإخرابه، لا إحراقه. وليس فيه خبر لعن أبي بكر لسعيد ولعن ابنيه له بالمثل.

بدء حصار الطائف:

قال: ومضى رسول الله حتى نزل قريباً من حصن الطائف، فلما حلّ جاءه الحُباب بن المنذر فقال له: يا رسولَ الله، إنّا قد دنونا من الحصن، فإن كان عن أمر سلّمنا، وإن كان عن الرأي فالتأخر عن حصنهم؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فروى عن عمرو بن أمية الضَّمْري قال: لما نزلنا جاءنا من نبلهم شيء كأنّه جراد كثير حتى أُصيب عدد من المسلمين بجراحات. فحينئذٍ دعا رسول الله الحباب بن المنذر فقال له: انظر لنا مكاناً مُرتفعاً مستأخراً عن القوم. فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف (اليوم) خارج القرية، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله أصحابه أن يتحوّلوا إليه، ونزل رسول الله على الأكمة، ومعه امرأتان من نسائه أمّ سلمة وزينب. وثار المسلمون إلى الحصن، وخرج أمامهم يزيد بن زمعة بن الأسود وسألهم الأمان ليكلمهم، فأعطوه الأمان، فلما دنا من حصنهم رموه بالنبل فقتلوه!

فقال: كمن لهم يعقوب بن زمعة أخو المقتول، وخرج من باب الحصن هُذيل بن أبي الصلت، فأسره يعقوب وأتى به النبيّ فقال له: هذا قاتل أخي يا رسولَ الله، فأمكنه النبيّ منه فضرب عنقه بأخيه.

مشورة سلمان بالمنجنيق:

قال: وشاور رسول الله ﷺ أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسولَ الله، أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فإنّا كنّا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون، وتُنصَب علينا، فنصيب من عدوّنا، ويصيب منّا، وإن لم يكن المنجنيق طالت الإقامة. فأمره رسول الله أن يعمله، فعمل بيده منجنيقاً ونصبه باتجاه حصن الطائف[1].

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٤ ـ ٩٢٧ وعنه في إعلام الورى ١: ٢٣٤ ولم يسلم بعضهم ←

ومرّ الخبر عن بعث النبيّ ﷺ الطُّفيل بن عمرو الدّوسي إلى قبيلته الدّوس وأنه أمره أن يستمدّ منهم ويوافيه بالطائف، فأسرع معه أربعمئة رجل من قومه، وقدم معه بمنجنيق ودبّابتين، فوافوا النبيّ ﷺ بالطائف بعد مُقامه بأربعة أيام فاليوم حاول المسلمون أن يقيدوا من الدبّابتين وعليهما جلود البقر، فدخلوا تحتهما ثم زحفوا بهما إلى جدار الحصن ليحفروه وينقبوه فأحموا لهم سكك الحديد وأرسلوها عليهم فاحترقت الدّبابتان وخرج المسلمون من تحتهما فرمتهم ثقيف بنبلهم فقُتل منهم رجال وأُصيب آخرون. فقيل لذلك اليوم: يوم الشَّدْخة، لما قُتل وأُصيب فيه من المسلمين

قال: فأمر رسول الله ﷺ أن يقطع كل رجل من أعنابهم خمس حَبَلات[1] مما يؤكل ثمره، وقال: من قطع حَبَلةً فله حَبَلة في الجنة فجعل المسلمون يقطعونها قطعاً ذريعاً فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي: يا محمد، لمَ تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها إن ظهرتَ علينا، وإما أن تدعها لله وللرّحِم كما زعمت! فقال رسول الله: فإني أدعها لله وللرّحم[2].

وكان رجل منهم يقوم على الحصن فيقول للمسلمين: روحوا رِعاء الشاء! روحوا عبيد محمد! روحوا جلابيب محمد! أترونا نتباءس على أحبُل من كرومنا أصبتموها؟. فقال رسول الله: اللهم روِّح مُروِّحاً إلى النار! فأهوى إليه سعد بن أبي وقّاص بسهم في نحره، فهوى من الحصن ميتاً. فسُرَّ النبيّ ﷺ بذلك[3]

← المسلمين بهذه المشورة تفشير، فقال: بل جاء بالمنجنيق والدبابتين الطفيلُ بن عمرو الدّوسي من أرض الدوس! ولم يُعهد منهم ذلك، ولعلّه لذلك قال آخرون: بل جاء بهما خالد بن سعيد بن العاص من جُرَش في اليمن. م ص

(١) الحبلة: شجر العنب أو المثمر منه.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٨ وعنه في إعلام الورى ١: ٢٣٤ وفي شرح نهج البلاغة ٣: ٣٧، أن الرّحم هنا لأن إحدى أمهات آمنة بنت وهب هند بنت يربوع الثقفي

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٩، ٩٣٠

حميّة جاهلية:

ومرّ الخبر عن مصاهرة عروة بن مسعود الثقفي لأبي سفيان بن حرب على ابنته آمنة، أو مصاهرة أبي مرّة بن عروة له على ابنته ميمونة[1]، ولكنّ عروة بن مسعود كان قد خرج إلى جُرَش في أوائل اليمن من ناحية الحجاز ليتعلّم منهم صنعة الدبّابة والمنجنيق[2] فافتقد أبو سفيان صهره عروة ليكلّمه في ابنته آمنة عسى أن تُسبى، فلجأ إلى المغيرة بن شعبة الثقفي واتّفق معه على أن يتقدّما إلى الحصن فيكلّما ثقيفاً في نساء عندهم من قريش وبني كنانة منهنّ آمنة أو ميمونة، والفراسيّة بنت سويد بن عمرو، وأُميمة بنت أُميّة الثقفية.

فتقدّما فنادى: أن ائتونا حتى نكلّمكم، فأمّنوهما، فطلبا منهم أن يدعوا لهم هذه النساء، فدعوهنّ لهما. فلما عرض أبو سفيان على ابنته ميمونة أو آمنة الأمان من النبيّ مع نساء الطائف ـ مع صواحبها ـ فأبت عليه، وأبين عليهما[3] ولم تأخذ مرّة بالإسلام أبا سفيان أن يدعو ابنته إلى الإسلام، وإنّما حيث خاف عليها السباء، فدعاها إلى الأمان لا الإيمان، ولم يخف عليها الكفر والشرك فيدعوها إلى الإسلام، دعته الحميّة إلى ذلك، ولكنّها لم تكن حميّة للإسلام بل لعلها حميّة جاهلية.

وحميّة جاهلية:

وصدّق إبليس ظنّه على رجل من مُزينة كان مع رُماة المسلمين، ورُئي له

---

(١) ابن إسحاق وابن هشام في السيرة ٤: ١٢٦.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٢١.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٢٦، وفقئت عينه (أبي سفيان) في حصار الطائف فصار أعور، كما في سفينة البحار ٤: ١٩٦.

الدب في عينه فقال لصاحبه : إن افتتحنا الطائف فعليك بنساء بني قارب بن الأسود ـ ومنهن الفرسيّة بنت سويد بن عمرو امرأة قارب ، و بني سفّع لها المغيرة بن شعبة فلم تجبه ـ فإنهنّ أجمل إن أمسكتَ وأكثر فداءً إن فاديت ! وسمعه المغيرة بن شعبة فغارها لأنها من نساء ثقيف ! وكان أبو محجن الثقفي من رُماتهم على رأس الحصن يرمي بنصال طوال عريضة يقال لها المعابل لا يسقط منه سهم دون غرضه . فأراد المغيرة أن يثير المُزني على أبي محجن ، ليرميه أبو محجن فيقتله ، غيرة من المُغيرة على نساء ثقيف . فنادى المُزنيّ : يا أخا مُزينة ! قد رأيتك ! قال : رم ذلك الرجل ـ يعني أبا محجن ـ فرماه المُزنيّ فلم يُصبه . وفوّق له أبو محجن معبلةً فرمى المُزنيّ في نحره فقتله .

فقال عبد الله بن عمرو المزنيّ للمغيرة : قاتلك الله يا مغيرة ، أنت عرّضته لهذا فأنت ـ والله ـ قتلته ، والله لولا الإسلام ما تركتك حتى أغتالك ! إني معك داهية ، وما تشعر ! وأخذ المغيرة يطلب من هذا أن يكتم ذلك عنه ، والمزنيّ يقول : لا والله أبداً ![1].

---

(١) فلما ولّاه عمر الكوفة بلغه ذلك فقال : والله ما دين المغيرة بأهل أن يُولّى ، وهذا فعله . وكأن المشكلة في فعله فقط وليس كاشفاً عن بعدِه ! مغازي الواقدي ٣ : ٩٣٠ وهذا مما يسوء بعض الناس ذكره ، فلم يذكره ابن هشام .

والمزنيّ لذي أقسم أن لا يكتم هذا على المغيرة فأفشاه حتى بلغ عمر على عهده . هل أفشى ذلك لدى النبيّ ﷺ أم لا ؟ لا ندري ، ولكن إن علم ذلك فلعلّه لم يقتصّ للمقتول لمباشرة الكافر لقتله وعدم مباشرة المُغيرة . ومن أولئك المقتول لم يطالبوا بشيء ، لأنه كان قد هاجر إلى امرأة يصيبها رمتي الرجال بها ، مما يحملهم على التحيّة من ذلك فالسكوت والكتمان . ومع كلّ هذا زعموا عدالتهم جميعاً !

ومن النفاق المفضوح :

ولم يكشف النبيّ ﷺ عن نفاق لثقفيّ أو لمزنيّ فيفضحهما، ولكن اختلف الحال مع عُيينة بن حصن الفزاري. وكأنّ عُيينة لما رأى أنّ رؤوساً مثله كالثقفي وأبي سفيان يطلبون من ثقيف الأمان فيكلّمونهم، أراد أن يجعل له يداً عندهم، فتقدّم إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، ائذن لي أن أذهب إلى حصن الطائف فأكلّمهم. فأذن له. فجاءهم إلى الحصن وقال لهم: أدنو منكم وأنا آمن؟ فعرفه أبو محجن المذكور فقال: نعم، ادنُ. فادخل فدنا ودخل عليهم الحصن فقال لهم: فداكم أبي وأمّي! والله لقد سرّني ما رأيت منكم، والله لو أنّ في العرب أحداً غيركم! والله ما لاقى محمد مثلكم قطّ، ولقد ملّ المقام، فاثبتوا في حصنكم، فإنّ حصنكم حصين وسلاحكم كثير، وماءكم واتن: لا تخافون قطعه!

قال الراوي من جانب ثقيف: إنه لما خرج قال جمع منهم لأبي محجن: إنّا كرهنا دخوله إذ خشينا أنه إن رأى فينا أو في حصننا خللاً أن يخبر محمداً! فقال لهم أبو محجن: بل ليس منا أحد أشدّ على محمد منه، وإن كان معه! فلما رجع إلى النبيّ ﷺ قال له: ما قلتَ لهم؟ قال: خذّلتهم ما استطعتُ وقلت لهم: إنّ محمداً (كذا) قد نزل بساحة أهل الحصون قبلكم: قينقاع والنضير وقريظة وخيبر، أهل الحلقة والعُدّة والآطام (الحصون) والله لا يبرح محمد عن داركم حتى تنزلوا! فادخلوا في الإسلام! أو خذوا لأنفسكم أماناً، وخذّلتهم ما استطعت!

فلما فرغ من حديثه، قال له رسول الله: كذبت! قلت كذا وكذا فأخبره بالذي قال لهم[1] فقال له أبو بكر: ويحك يا عُيينة! إنما أنت تُوضِع في الباطل أبداً، كم لنا منك من يوم بني النضير وقريظة وخيبر، تُجلب علينا وتقاتلنا بسيفك، ثم

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١١٨، الحديث ١٩٥، ومغازي الواقدي ٢: ٩٣٢.

أسلمت ـ كما زعمت ـ فحرّض عدوّنا علينا! فقال له عُيينة: يا أبا بكر، لا أعود أبداً، أستغفر الله وأتوب إليه. فقال عمر لرسول الله: يا رسولَ الله، دعني أُقدّمه فأضرب عنقه! فقال رسول الله: لا، يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي [1]

وإغراء بالنساء:

أمّ النبيّ ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، المنسوب إليه بنو زهرة، منهم أمّه ﷺ، وليست من بني مخزوم ولا أختٌ لفاختة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. ومع ذلك وصفهم الواقدي بأنهما خالاه ﷺ، وقد كان لها موليان مخنّثان: هيت وماتع. وأنهما انتهيا إليه ﷺ، فكان يراهما من غير أولي الإربة الحاجة في النساء، وأنهما لا يفطنان لشيء مما يفطن إليه الرجال من أمر النساء، فكان ماتع بذلك يدخل في بيوته على نسائه، وكأنّه كان من قبل في الطائف فكان يعرف امرأة جميلة منهم تُدعى بادية بنت غيلان.

فسمعه النبيّ ﷺ في حصار الطائف يقول لعبد الله بن أبي أميّة أو خالد بن الوليد المخزوميّين: إن افتتح رسول الله الطائف غداً فلا تُفلتنّ منك بادية بنت غيلان، فإنّها إذا جلست تثنّت وإذا تكلّمت تغنّت، وإذا اضطجعت تمنّت، مع ثغر كالأُقحوان، وبين ... مثل الإناء المكفوء! فلما سمع النبيّ ﷺ هذا قال: ألا أرى هذا الخبيث يفطن للجمال! لا يدخلن على أحد من نسائكم! ثم غرّبه وصاحبه إلى حِمى الإبل [2]

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٢ ـ ٩٢٣ ويلاحظ حسب هذا الخبر أنه ﷺ أطلق (أصحابي) حتى على مثل هذا المنافق أيضاً! ومع ذلك زعموا عدالتهم جميعاً! فهل أن استغفاره لساناً ملأ ضميره إيماناً من حينه؟! ليت شعري!

(2) فشكت الحاجة فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة بالسؤال ثم يرجعان إلى مكانهما، إلى أن ←

تحرير العبيد:

ونادى منادي رسول الله ﷺ: أيّما عبد خرج من الحصن إلينا فهو حُرّ فخرج بضعة عشر عبداً منهم: إبراهيم بن جابر عبد خَرَشة الثقفي، والأزرق بن عُقبة عبد كَلَدة الثقفي، والمضطجع عبد عثمان بن مُعتّب، وغيّر النبيّ اسم مضطجع إلى المُنبعث، ونافع عبد غيلان بن سلمة، ونُفيع بن مسروح عبد الحارث بن كلدة، وهذا نزل من الحصن على بكرة، فكُنّي أبا بكرة[1] ووردان عبد عبد الله بن ربيعة الثقفي، ويوحنّس النبّال عبد يسار بن مالك، ويسار عبد عثمان بن عبد الله، ومرزوق عبد عثمان لم يعرف عثمان بن عبد الله أو عثمان بن معتّب أو غيرهما، وشقّ ذلك على أهل الطائف مشقّة شديدة.

ودفع النبيّ كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويكفل مؤونته: إبراهيم بن جابر إلى أُسيد بن الحُضير، والأزرق إلى خالد بن سعيد بن العاص، ونُفيعاً أبا بكرة إلى أخيه عمرو بن سعيد، ووردان إلى أخيهم أبان بن سعيد، ويسار بن مالك إلى سعد بن عُبادة، ويُحنّس النبّال إلى عثمان بن عفّان.

وأمرهم أن يقرئوهم القرآن، ويعلّموهم السُّنن[2].

---

* توفي رسول الله ﷺ فدخلا مع الناس، فلما وَلِي أبو بكر أخرجهما إلى موضعهما، فلما مات أبو بكر دخلا مع الناس، فلما ولّي عمر أخرجهما إلى موضعهما، فلما قُتل عمر دخلا مع الناس. مغازي الواقدي ٢: ٩٣٣ ـ ٩٣٤.

(١) البكرة: خشبة مستديرة في وسطها محور يدور عليه، وفي وسط جرفها حُزّة مستديرة لاستدارة الحبل عليها، بها يُستقى الماء بالدلو من البئر. لسان العرب ٥: ١٤٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٣١، ٩٣٢ وفي سيرة ابن اسحاق ٤: ١٢٧ ـ ١٢٨ واختصر خبر ابن هشام فلم يذكر سوى العتق مصرّحاً بذلك، وقريب منه في إعلام الورى ١: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

علي عليه السلام إلى خَثْعَم:

روى المفيد في «الإرشاد» قال: أنفذ رسول الله ﷺ عند محاصرة الطائف عليًّا عليه السلام في خيل، فيهم صهره أبو العاص ابن الربيع، إلى خثعم حول الطائف، وأمره أن يكسر كل صنم يجده فخرج، حتى لقيه جمع كثير من خيل خثعم وبعد صلاة الفجر وهم في غبش الصبح، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب، وقال: هل من مُبارز؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من له؟ فلم يقم له أحد منهم!

فتصدّى له أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه، وحينئذٍ وثب عليه أبو العاص بن الربيع وقال له: بل تُكفاه أيها الأمير. فقال عليه السلام: لا، ولكن أنت على الناس إن قُتلت. ثم برز للرجل وهو يقول:

إنّ على كل رئيس حقًّا ... أن يُروِيَ الصَّعْدةَ أو تُدَقّا

ثم ضرب الرجل فقتله.

ومضى في تلك الخيل حتى كسّر الأصنام، وعاد إلى الطائف. وخرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن معتّب في خيل من ثقيف ببطن وَجّ، فلقيه أمير المؤمنين فقتله، ولحق القوم الرعب فانهزموا.

وعاد علي عليه السلام إلى رسول الله وهو بعد مُحاصر للطائف، فلما رآه النبي ﷺ كبّر للفتح، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً، فواجهه عمر بن الخطاب بالعتاب: أتخلو به وتناجيه دوننا؟! فقال له النبي ﷺ: يا عمر، ما أنا انتجيتُه بل الله انتجاه! فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلتَ لنا قبل الحُديبية ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ فصُددنا عنه ولم ندخله! فناداه النبي ﷺ: لم أقل لكم إنكم تدخلونه في ذلك العام[1].

(١) الإرشاد ١: ١٥٢، ١٥٣ وبهامشه تخريج مصادر عديدة.

تريدون غرض الدنيا.

نرى في أسماء العبيد تابعاً عبداً لغيلان بن سلمة الثقفي، والنساة التي أغرى بها ماتعٌ خالد بن الوليد هي بادية بنت غيلان بن سلمة هذه، ويبدو أنها كما كانت معروفة بجمالها كذلك كانت معروفة بما كان عليها من حُليّها

فقد روى ابن إسحاق قال: إنّ امرأة عثمان (بن مظعون): خَوْلة أو خُويلة بنت حكيم السُلمية أتت رسول الله فقالت له: يا رسولَ الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غَيلان، أو الفارعة بنت عقيل. فقال لها رسول الله: وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت خُويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب. فدخل عمر على رسول الله فقال له: يا رسولَ الله، ما حديث حدّثتنيه خُويلة، زعمت أنك قلته؟ قال: قد قلتُه. قال: أوما أُذِن لك فيهم؟ قال: لا. قال: أفلا أؤذن فيهم بالرحيل؟ قال: بلى. فأذّن عمر بالرحيل[1]

اختلاف المسلمين:

قال الواقدي: فجعل المسلمون يمشي بعضهم إلى بعض يقولون لهم: أنصرف ولم نفتح الطائف؟! بل لا نبرح حتى يفتح الله علينا، والله إنهم لأذلّ وأقلّ من لاقينا، قد لقينا جمعَ مكة وجمعَ هوازن ففرّق الله تلك الجموع! وما هؤلاء ثعلب في جُحر لو حصرناهم لماتوا في حصنهم هذا!

وكلّموا عمر بن الخطّاب في ذلك فقال: لقد دخلني في الحديبية من الشك (كذا) ما لا يعلمه إلّا الله، وراجعت رسولَ الله يومئذٍ بكلام ليت أنّي لم أفعل وأنّ أهلي ومالي ذَهبا، ثم كانت الخِيَرة لنا من الله فما صنع، فلم يكن فتح خيراً للناس

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٢٧.

من صنع الحديبية بلا سيف دخل منه في أهل الإسلام مثل من كان دخل من يوم بُعث رسول الله إلى يوم كتب الكتاب. فاتّهموا الرأي والخيرةُ في ما صنع رسولُ الله، ولن أراجعه في شيء أبداً! والأمر أمر الله وهو يوحي إلى نبيّه ما يشاء!»[1] قال: فجعل الناس يضحّون من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: فاغدوا على القتال! فغدَوا على القتال، فأصابتهم جراحات. فقال رسول الله: فإنا قافلون إن شاء الله! فأذعنوا لذلك[2].

وقُتل في حصار الطائف رجل من بني ليث، وأربعة من الأنصار، وخمسة من قريش، ورُمي عبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة المخزومي بسهم فمات منه بعد بعد، ورُمي عبد الله بن أبي بكر التيمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله[3].

وفي مدة الحصار قال الطبرسي: فحاصرهم بضعة عشر يوماً[4] والواقدي: قال قائل: خمسة عشر يوماً، وقائل: ثمانية عشر يوماً، وقائل: تسعة عشر يوماً، وكل ذلك وهو يصلي ركعتين ركعتين بين قبّتيه المضروبتين لزوجتيه[5] وذكر ابن هشام: سبع عشرة ليلة، وابن اسحاق: بضعاً وعشرين ليلة[6].

وعند ارتحالهم:

قال الطبرسي: وكأنّما كان رسول الله ينتظر عليّاً عليه السلام فلما قدم علي ارتحل

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٣٦ عليه فلترم بعد فال في أمر الإمامة والخلافة!

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٣٧

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٢٩ ومغازي الواقدي ٢: ٩٣٨

(٤) إعلام الورى ١: ٢٣٣

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٤: ١٢٥

فنادى سعد بن عبيد بن علاج الثقفي: ألا إن الحيّ مقيم! فقال ﷺ: لا أمنت ولا ظعنت، فسقط فانكسر فخذه! ومع ذلك قال عيينة بن حصن: أجل والله مجدةٌ كرام! فسمعه عمرو بن العاص فقال له: قاتلك الله! تمدح قوماً مشركين بالامتناع من رسول الله وقد جئت تنصره! فقال عيينة: إنّي والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأُصيب جارية من ثقيف! فإنّهم قوم مباركون! وأُخبر النبيّ ﷺ بمقالته، فتبسم وقال: هذا الحُمق المطاع!

وحين أرادوا أن يرحلوا قال رسول الله لأصحابه: قولوا: لا إله إلّا الله وحده وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده! فلما ارتحلوا واستقلّوا قال لهم: قولوا: آيبون تائبون عابدون لربّنا حامدون إن شاء الله. فقيل له: يا رسولَ الله ادع الله على ثقيف، فقال: اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم[2]

وروى الطوسي في أماليه بسنده عن الصادق ﷺ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: حاصر رسول الله أهل وجّ أيّاماً فسأله القوم أن يبرح عنهم ليقدم عليه وفدهم فيشترطون لأنفسهم ويشترط هو لنفسه، فسار ﷺ[3] وليس ذلك بعيداً عن أسرار الغزوات.

إلى الجعرانة:

ولما انصرف رسول الله ﷺ من حصار الطائف فأخذ على دحنا ثم على قرن المنازل (ميقات أهل نجد)،

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٣٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٣٧.

(٣) أمالي الطوسي: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ الحديث ٦ ـ ١١ وسيأتي تمامه بعد رجوعه ﷺ.

فروى الواقدي عن أبي زُرعة الجهني قال: كان زمام ناقة النبيّ القصواء مطويّ بيدي، وأراد ﷺ أن يركب راحلته من قرن المنازل فوطئت له على يديها فركب (على رحلي) فركب وناولته الزمام ودُرت من خلفه، وأشار إلى خلف الناقة بالسوط فأصابني، فالتفت إليّ فقال: أصابك السوط؟ قلت: نعم بأبي وأمّي!

وروى عن أبي رُهْم الغفاري قال: كنت أسير إلى جنب رسول الله على ناقتي، وفي رجليّ نعلان غليظتان، إذ زحمت ناقتي ناقته ﷺ فوقع طرف نعلي على ساقه فأوجعه، فقرع رجلي بسوطه وقال: أوجعتني أخّر رجلك.

وروى عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت أُحدث النبيّ ﷺ في مسيره وهو يحدثني، وكانت ناقتي هوجاء عندنا شَهْمة فجعلت تلصق بناقته، وأريد أن أُنحّيها فلا تطاوعني حتى لصقت ساقته وأصابت رجله، فرفع رجله من غرز الركاب كأنها جُمارة النخل بياضاً وقال: أخ! أوجعتني، ورفع المخصرة (العصا المعقوفة) بيده فدفع به رجلي، وسكت لا يكلمني.

قال أبو رُهْم الغفاري: فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الرواحل وأنا أخشى أن ينزل في القرآن لعظيم ما صنعتُ، فلما روّحت الركاب قالوا لي: طلبك رسول الله! فذهبت إليه وأنا أترقّب فقال لي: إنك أوجعتني برجلك، فقرعتك بالسوط، فخذ هذه الغنم عوضاً من ضربتي.

وقال ابن أبي حدرد الأسلمي: فلما نزل الجعرانة وأنا أخاف أن ينزل فيّ عذاب، قلت لأصحابي: أنا أرعى لكم، ولم تكن ذلك يوم رعيتي، فلما روّحت الركاب قالوا لي: جاء رسول الله يطلبك، ثم جاء رجل من قريش يسعى بي، فخرجت خائفاً حتى واجهتُ رسول الله، فجعل يبتسم في وجهي وقال: أوجعتك بمخصرتي البارحة! فخذ هذه القطعة من الغنم. فوجدتها ثمانين شاة.

وقال أبو زُرعة: فلما نزل الجعرانة إذا ربضة من غنم الغنائم في ناحيته،

فسأل عنها صاحب الغنم فأخبره عنها شيء، فصاح رسول الله: من أبو زُرعة؟ فقلت: ها أنا ذا. قال: خذ هذه الغنم بما أصبتك من السوط أمس. فوجدتها مئة وعشرين رأساً.

وفي طريقه بعد قرن المنازل مرّ على نخلة، وفيها اعترض طريقه رجل مسلم من أسلم مع غنم، فأخذ يعدو في عرض ناقة رسول الله وقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا في معطن الإبل (مباركها) أفأصلي فيه؟ قال: لا. قال: فتدركني الصلاة وأنا في مُراح الغنم، أفأصلّي فيه؟ قال: نعم. قال: يا رسولَ الله، وتكون فينا الحائض! قال: تتيمّم. قال: وربّما تباعد منّا الماء ومع الرجل زوجته فيدنو منها! قال: نعم، ويتيمّم.

ثم قال له رسول الله: وتقدم علينا الجعرّانة فنعطيك غنماً إن شاء الله! فلحق النبيّ ﷺ بالجعرانة فأعطاه مئة شاة[1].

وكان يحيط به ﷺ في انحداره إلى الجعرّانة مقنب من خيل الأنصار (الثلاثون إلى الأربعين) وليس يمشون أمامه وخلفه أفواجاً يتبع بعضهم بعضاً. فروى الواقدي عن سُراقة بن جُعشم قال: أنكرني هؤلاء الأنصار فجعلوا يقرعوني بالرماح ويقولون: ما أنت؟ إليك إليك. فناديت: أنا سُراقة بن جُعشم. فقال لهم رسول الله: أدنوه. فأدنوني منه فلما انتهيت إليه سلّمت عليه، وقدّمت إليه ما جمعت له من الصدقة (الزكاة)[2] ثم قلت: يا رسولَ الله، أرأيتَ الضالّة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي، فهل لي من أجر إن أنا سقيتُها؟ فقال ﷺ: نعم، في كل ذات كبدٍ حرّى أجر[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٣٩ ـ ٩٤٢.

(٢) كذا، وسيأتي أن جمع الصدقة كان بعد رجوعه من فتح مكة.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٤١، وقال: انتهى رسول الله إلى الجعرّانة ليلة الخميس لخمس ←

غنائمهم، والمؤلّفة قلوبهم :

قال الواقدي : وكان السبي ستة آلاف . ولما قدم رسول الله الجعرّانة أمر بُسر بن سفيان الخزاعي أن يذهب إلى مكة فيشتري للسبي من ثياب المُعقَّد (من برود هجر في اليمن) فيكسوهم ، فلا يخرج منهم أحد إلّا كاسياً ، فاشترى بُسر كسوة لهم فكساهم كلّهم.

قال : وكان رسول الله قد غنم أربعة آلاف أوقيّةً من فضة ، وجُمعت الغنائم بين يديه ، فجاءه أبو سفيان بن حرب والفضة بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أصبحت أكثر قريش مالاً ! أعطني من هذا المال يا رسول الله ! فتبسّم رسول الله وقال لبلال : يا بلال ، زِن لأبي سفيان أربعين أوقيّة ، وأعطوه مئة من الإبل ! فقال أبو سفيان : ولابني يزيد ! فقال رسول الله : زِنوا ليزيد أربعين أوقيّة ، وأعطوه مئة من الإبل . فقال أبو سفيان : ولابني معاوية يا رسول الله . فقال ﷺ : زِن له ـ يا بلال ـ أربعين أوقيّة ، وأعطوه مئة من الإبل . فقال أبو سفيان : إنّك كريم فداك أبي وأمّي ! ولقد حاربتك فنعم المُحارِب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالَم أنت ! جزاك الله خيراً[1].

→ بين حلول من ذي القعدة ٣ : ٩٥٨ وقال الطبرسي في مجمع البيان ٥ : ٣ : وبعد دخول ذو القعدة انصرف من الطائف وأتى الجعرّانة فلعله لدخول الشهر الحرام أوقف الحرب ، ولم يذكر.

وفيه ٢ : ٩٤٢ قالوا : وعلقت الأعراب في طريقه يسألونه وكثروا عليه حتى اضطرّوه إلى شجرة سَمُرة فخطفت الأعراب رداءه وهو يقول لهم : أعطوني ردائي ! أعطوني ردائي ! ولكن فيه : « لو كان عدد هذه العضاه (نبات الصحراء) نَعَماً لقسمته بينكم » وهذا يناسب تقسيم الغنائم بين المقاتلين لا الأعراب ، وسيأتي على الخبر مرة أخرى فيما يلي.

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٩٤٤

وأشار إلى هذا ابن إسحاق بعد أن قال: وأعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم ـ وكانوا من أشراف الناس ـ يتألّفهم ويتألّف بهم قومهم[1].

وروى الكليني في «الكافي» بسنده عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ يوم حنين تألّف رؤوساً من رؤوس العرب من قريش وسائر مُضر، منهم أبو سفيان بن حرب، وعُيينة بن حصن الفزاري، وأشباههم من الناس [وهم] المؤلّفة قلوبهم [و] هم قوم وحّدوا الله ـ عزّ وجلّ ـ وخلعوا عبادة ما يُعبد من دون الله وشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ، وهم مع ذلك شكّاك في بعض ما جاء به محمد ﷺ، فأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ نبيّه ﷺ أن يتألّفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقرّوا به[2].

وروى الواقدي عن الزُهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيّب، عن حكيم بن حزام بن الأسدي قال: سألت رسول الله مئة من إبل حنين فأعطانيها، فسألته مئة أُخرى فأعطانيها، فسألته مئة ثالثة فأعطانيها ثم قال لي: يا حكيمَ بن حزام، إنّ هذا المال حُلوة خضرة، فمن أخذه بإشراف نفسٍ لم يُبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، ومن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه؛ واليد العليا خيرٌ من السُفلى وابدأ بمن تعول! فقال حكيم بن حزام: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا آخذ من أحد شيئاً بعدك[3].

وطاف ﷺ يتصفّح الغنائم ومعه صفوان بن أُميّة الجُمحي، إذ مرّ بشعب مملوء ممّا أفاء الله عليه من إبل وأغنام، فجعل صفوان ينظر إليه معجباً بها،

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٥، وحكى عنه الطبرسي في إعلام الورى ١: ٢٣٦.

(٢) أصول الكافي ٢: ٤١١ وتفسير العياشي ٢: ٩١.

(٣) مغازي الواقدي ٣: ٩٤٥.

فقال له رسول الله: يا أبا وهب، هل أعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم، قال: هو لك بما فيه! فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلّا نبي، وأشهد أنّك رسول الله[1].

وأعطى صاحبه عمير بن وهب الجُمحي خمسين من الإبل[2].

وأعطى سُهيل بن عمرو العامري (خطيب قريش) مئة من الإبل، ومعه من بني عامر حُويطب بن عبد العُزّى مئة من الإبل، وهشام بن عمرو خمسين من الإبل.

وأعطى الحارث بن هشام المخزومي مئة من الإبل، ومعه من بني مخزوم سعيد بن يربوع خمسين من الإبل.

وأعطى النُضير بن الحارث بن كلْدة أخا النضر من بني عبد الدار مئة من الإبل.

وفي حلفاء بني زهرة أعطى أُسيد بن حارثة مئة من الإبل، والعلاء الثقفي مئة ـ عند ابن إسحاق ـ وخمسين في الواقدي، وخمسين في مخرمة بن نوفل الزهري.

ومن بني سهم أعطى عديّ بن قيس أو قيس بن عديّ السهمي مئة أو خمسين[3].

وأعطى حكيم بن حزام الأسدي مئة بعير، وجُبير بن مطعم العدوي مئة بعير[4]. وزاد في الإرشاد: عكرمة بن أبي جهل، وزهير بن أبي أُمية، وأخاه

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٦.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٦ وفي الواقدي: عثمان بن وهب، مصحّفاً.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٦، ومغازي الواقدي ٢: ٩٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ١٣٧ ـ ١٣٩ وفي مغازي الواقدي ٢: ٩٤٨ أنّ القائل سعد بن أبي وقاص.

عبد الله ابن أبي اُمية، وهشام بن (الوليد بن) المغيرة من بني مخزوم بل هي رواية ابن هشام عن الزهري عن ابن عباس، وفيها من بني مخزوم أيضاً، الحارث بن هشام بن المغيرة وأخوه خالد، وسفيان بن عبد الأسد، والسائب بن عائذ

وزاد في بني أُمية: طليق بن سفيان، وخالد بن اُسيد

ومن بني عبد الدار، شيبة بن عثمان، وعكرمة بن عامر، وأما السنابل بن بعكك.

ومن بني عديّ: أبا جهم بن حُذيفة، ومطيع بن الأسود

ومن بني جُمح: أخا صفوان، أحيحة بن أمية بن خلف

ومن سائر القبائل: نوفل بن معاوية الدّيلي، وعلقمة بن عُلاثة العامري الكلابي، وحرملة بن هَوذة العامري وأخوه خالد وعُيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي المجاشعي.

فقال قائل لرسول الله: يا رسولَ الله، أعطيتَ عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس مئة مئة، وتركت جُعيل بن سُراقة الغفاري الضمري؟! فقال رسول الله: أما والذي نفس محمد بيده لجُعيل بن سراقة خيرٌ من طِلاع الأرض (ما طلع عليها) كلهم مثل عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ولكنّي تألّفتهما ليُسلما، ووكلتُ جُعيل بن سُراقة إلى إسلامه[1] ولم يُعطِ العباس بن مرداس السُّلميّ سوى أربعة من الأباعر فأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العُبيـ ـد بين عُيينة والأقرع[2]

فما كان حِصنٌ ولا حابس يفوقان شيخيَّ في مجمع

وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تضع اليومَ لا يُرفَع

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٣٧ ـ ١٣٩ وفي مغازي الواقدي ٢: ٩٤٨ أن القائل سعد بن أبي وقاص.

(٢) نهب: ما يُنهب. العُبيد: اسم فرسه. فقال: سهمه سهمي لأقرع وعُيينة

فبلغ النبيّ ﷺ قوله، فاستحضره وقال له: أنت القائل:

أتجعل نَهبي ونَهبَ العبيـ ـد بين الأقرع وعُيينة؟!

فقال له أبو بكر: بأبي أنت وأمّي لست بشاعر! قال: وكيف قال؟ فقال أبو بكر بين عُيينة والأقرع. فقال رسول الله لأمير المؤمنين: قم يا عليّ إليه فاقطع لسانه!

فروي عن العباس بن مرداس قال: أخذ بيدي عليّ بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أرى أنّ أحداً يخلّصني منه لدعوته، فقلت: يا علي، إنّك لقاطع لساني؟! قال: إنّي لممضٍ فيك ما أُمِرت! ومضى بي! فقلت: يا علي، إنّك لقاطع لساني؟! قال: إنّي ممضٍ فيك ما أُمرت! وما زال بي حتى أدخلني حظائر الإبل فقال لي: اعتدّ ما بين أربع إلى مئة، إنّ رسول الله ﷺ جعلك مع المهاجرين [إذ] أعطاك أربعاً، فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المئة وكن مع أهل المئة (المؤلفة قلوبهم) فقلت: بأبي أنت وأمّي، ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم! أشِر عليّ. فقال: فإنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى. ففعلتُ.

قال المفيد: فهولّي من أمر العباس بن مرداس ما كان سبب استقرار الإيمان في قلبه وزوال الريب في الدين من نفسه، والانقياد إلى رسول الله والطاعة لأمره والرضا بحكمه ﷺ[1].

تنبؤ النبيّ ﷺ بأمر الخوارج:

قال: ولمّا قسّم رسول الله ﷺ غنائم حُنين، أقبل رجل أحدب طويل آدم، بين عينيه أثر السجود، فسلّم ـ ولم يخصّ النبيّ ﷺ بالسلام ـ ثم قال: قد رأيتك وما صنعتَ في هذه الغنائم! فقال ﷺ: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت!

---

(١) الإرشاد ١: ١٤٧ و ١٥٠.

فغضب رسولُ الله ﷺ وقال: وَيلك! إذا لم يكن العدلُ عندي فعند مَن يكون؟!

فقال المسلمون: ألا نقتله؟ فقال: دعوه، سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية، يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي[1].

وروى ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، وعن محمد بن عمّار بن ياسر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي: أن الرجل من بني تميم يقال له ذو الخُوَيصِرة، وأنّ عمر بن الخطّاب قال: يا رسول الله ألا أقتلُه؟! فقال: لا، دعه، فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه، كما يخرج السهم من الرَّميّة، يُنظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفُوق (أسفل السهم) فلا يوجد شيء، سبق الفرث والدم!»[2] ولم يرو الذيل.

وروى الواقدي عن أبي سعيد (غميصاً أو الخدري)، عن علي عليه السلام قال: جلس رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وفي ثوب بلال فضة يقبضها للناس على ما يراه، فأتاه ذو الخُوَيصرة التميمي فقال: اعدل يا رسولَ الله! فقال رسول الله: ويلك! فمَن يعدلُ إذا لم أعدل؟! فقال عمر: يا رسولَ الله، ائذن لي أن أضرب عنقه! فقال ﷺ: دَعْه، فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية، ينظر الرامي في قُذَذه (ريشه) فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في نصله فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في رصافه (عقب النصل) فلا يرى شيئاً، قد سبق

---

(١) الإرشاد ١: ١٤٨، ١٤٩.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٩.

الفرث والدم! يخرجون على فُرقة من المسلمين (كذا)، فيهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو كبضعة تدَرْدَر (أي تتحرّك) ولم يرو لذيل نقضاً.

ثم روى عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت يومئذٍ رجلاً من المنافقين (معتّب بن قُشير العَمْري) يقول: إنها (العطايا) ما يُراد بها وجه الله! فقلت له: أما والله لأُبلغنّ رسولَ الله ما قلتَ! وذهبت إليه فأخبرته خبره، فتمعّر لونه! ثم قال: يرحم الله أخي موسى! (فإنّه) قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر![2]

قسم سهام الخمس:

قال الواقدي: واختُلف فيما أعطى يومئذٍ النبيّ ﷺ هؤلاء الناس من الغنائم: هل كانت من الخمس أم كانت فارغة من أصلها قبل أن تُخمّس؟! ثم قال: وأثبت القولين أنها كانت من الخُمس[3].

وقال: ثم أمر رسولُ الله زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضّها على الناس، فكانت سهامهم: لكل رجل أربعون شاةً أو أربع من الإبل، ولكل فارس اثنا عشر بعيراً أو مئة وعشرون شاة[4] وهذا يؤيد أن العطايا كانت قبل التخميس.

---

(١) رواه القُشيري في الصحيح ٢: ٧٤٤ ونقله الطبرسي في إعلام الورى عن صحيح البخاري عن الزهري عن أبي سعيد الخُدري، وفيه: يخرجون على خير فرقة من المسلمين وله تتمة. إعلام الورى ١: ٢٤١.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٩ وروى مثله العياشي في تفسيره ٢: ٩١، ٩٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٨.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٤٩.

حيرة الأنصار ثم خيرتهم:

روى الكليني في «الكافي» بسنده عن زرارة عن الباقر عليه‌السلام قال: غضبت الأنصار (لتوزيع الأموال) فاجتمعوا إلى سعد بن عُبادة فانطلق بهم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. قال: إن كان هذا الأمر في هذه الأموال التي قسّمت بين قومك شيئاً أنزله الله وأمرك به رضينا، وإن كان غير ذلك لم نرضَ! فقال لهم رسول الله: يا معشر الأنصار، أكلّكم على مثل قول سيّدكم سعد؟! فقالوا: سيّدنا الله ورسوله. فأعادها عليهم ثلاث مرّات كل ذلك يقولون: سيّدنا الله ورسوله، ثم قالوا: (نعم) نحن على مثل قوله ورأيه.(١)

فقال لهم: اجلسوا، ولا يقعد معكم أحد من غيركم. فتنادوا فيما بينهم، فلما قعدوا جاءهم النبيّ ومعه علي عليه‌السلام حتى جلس وسطهم فقال لهم: إنّي سائلكم عن أمر فأجيبوني عنه. فقالوا: قل يا رسولَ الله. فقال لهم: ألستم كنتم ضلّالاً فهداكم الله بي؟! قالوا: بلى، فلله المنّة ولرسوله. فقال: ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟! قالوا: بلى، فلله المنّة ولرسوله. قال: ألم تكونوا قليلاً فكثّركم الله بي؟! قالوا: بلى، فلله المنّة ولرسوله. قال: ألم تكونوا أعداءً فألّف بين قلوبكم بي؟! قالوا: بلى، فلله المنّة ولرسوله.

ثم سكت النبيّ ﷺ هُنيهة ثم قال لهم: ألا تجيبوني بما عندكم؟. قالوا: قد أجبناك بأنّ لك الفضل والمنّ والطَّوْل علينا، فبم نجيبك فداك آباؤنا وأُمّهاتنا! فقال: أما لو شئتم لقلتم: وأنت قد كنت جئتنا طريداً فآويناك! وجئتنا خائفاً فآمنّاك! وجئتنا مكذَّباً فصدّقناك!

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٤١١ وتفسير العياشي ٢: ٩١، ٩٢.

فقام إليه ساداتهم وشيوخهم فقبّلوا يديه ورجليه ثم قالوا: رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئت فاقسمها على قومك. وإنّما قال من قال منّا على غير وَغْر صدر وغِلٍّ في قلب (ضغن وعداوة) ولكنّهم ظنّوا سخطاً عليهم وتقصيراً بهم. وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله. فقال النبيّ ﷺ: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. ثم قال لهم: يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنَّعَم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسولُ الله؟! قالوا: بلى رضينا.

فقال النبي ﷺ: الأنصار كَرِشي وعَيبتي (بطانتي وموضع سرّي) لو سلك الناس وادياً وسلكتِ الأنصار شِعباً لسلكت شعب الأنصار. ثم قال: اللهم اغفر للأنصار[1].

وروى ابن إسحاق الخبر بسنده عن أبي سعيد الخُدري، عنه ﷺ قال في آخره للأنصار: أوَجَدْتم ـ يا معشر الأنصار ـ في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا[2] تألّفتُ بها قوماً ليُسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟! ألا ترضون ـ يا معشر الأنصار ـ أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟! فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكت شعب الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم (بدموعهم)، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظّاً[3].

---

(١) الإرشاد ١: ١٤٥، ١٤٦.

(٢) لُعاعة: من البقول الناعمة، شبّه بها خضرة الحياة الدنيا.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٤١ ـ ١٤٣ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٥: ٣٠ ـ ٣١ رفعه عن أبي سعيد الخُدري.

وروى الواقدي قال: بلغ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مقالة الأنصار، ودخل عليه سعد بن عُبادة، فقال له رسول الله: ما يقول فيّ قومك؟ قال: وما يقولون يا رسول الله؟ قال: يقولون: أما حين القتال فنحن أصحابه، وأما حين القَسْم فقومه وعشيرته، ووددنا أنا نعلم من أين هذا؟ إن كان من قِبل الله صبرنا، وإن كان من رأي رسول الله استعتبناه! فأين أنت من ذلك يا سعدُ؟ فقال سعد: يا رسول الله، ما أنا إلّا كأحدهم، وإنّا لنحبّ أن نعلم من أين هذا؟ فقال له رسولُ الله: فاجمع من كان هنا من الأنصار في هذه الحظيرة.

فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فلما اجتمعوا له جاءه سعد بن عُبادة فقال: يا رسولَ الله، قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار. فأتاهم رسولُ الله والغضب يُعرف في وجهه، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار (ما) مقالة بلغتني عنكم وجِدة وجدتموها في أنفسكم (؟!) ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله؟! وعالةً فأغناكم الله؟! وأعداءً فألّف بين قلوبكم؟!»

إلى أن قال: أمّا لا، فسترون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسولَه، فإن موعدكم الحوض، وهو كما بين صنعاء وعُمان، وآنيتُه أكثر من عدد النجوم.

وانصرف عنهم رسولُ الله، وتفرّقوا[1].

وفد هوازن:

مرّ في خبر النقاء الشيماء بنت حليمة السعدية به ﷺ حين أُسرت في حُنين قبل أن يمضي إلى الطائف، أنه قال لها: ارجعي إلى الجعرّانة تكونين مع قومك، فإني أمضي إلى الطائف. فرجعتْ إلى الجِعرّانة. ورجع ﷺ من الطائف إلى الجعرّانة فالتق

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٧ و ٩٥٨

بها وأعطاها نَعَماً وشاءً لها ولمن بقي من أهل بيتها[1] ثم قال لها: إن أحببت فأقيمي عندنا مُحَبَّةً مكرَّمةً، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك. فقالت: أرجع إلى قومي. وأسلمت، فأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية[2].

هذا، وهو ﷺ لما انتهى إلى الجعرانة كانت الغنائم محبوسة بها، والسبي في حظائر يستظلّون بها من الشمس، فلما نظر ﷺ إليها سأل عنها فقالوا له: هذا سبي هوازن استظلوا من الشمس، وهنّ ستة آلاف.

وكان قد وهب منها في حُنين عشرة جواري لعشرة ممن كان معه من المسلمين وغيرهم، وأرسلهنّ إلى الجعرانة، فلما قدمها من الطائف بعث بُسر بن سفيان الخزاعي إلى مكة ليشتري لهنّ ثياباً فكَسَوْهنّ، فكسا السبي كلّه[3] كما مرّ.

وبدأ بالأموال فقسمها، وأقام يتربّص أن يقدم عليه وفدهم[4] ثم أمر رسول الله زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضّها على الناس، فقدم وفد هوازن[5] وقد قُسم السبي وجرت فيهم السهام.

فقدم عليه أربعة عشر رجلاً منهم مسلمين، وجاؤوا بإسلام مَن وراءهم من قومهم، فكان رأس القوم والمتكلم زُهير أبو صُرَد، فقال: يا رسول الله إنا أصلك وعشيرتك، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك يا رسول الله، إنما في هذه

(١) مغازي الواقدي ٣: ٩١٤

(٢) مغازي الواقدي ٣: ٩٤٣

(٣) مغازي الواقدي ٣: ٩١٤

(٤) مغازي الواقدي ٣: ٩٤٤

(٥) مغازي الواقدي ٣: ٩٤٩

الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك، وخالاتك وبنات خالاتك، وأبعدهن قريب منك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إنهنّ حضنّك في حجورهنّ وأرضعنك بثديهنّ. ولو أنا ملحنا[1] للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزلا منّا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفهما وعائدتهما، وأنت خير المكفولين:

امنُن علينا رسولَ الله في كرمٍ ... فإنك المرء نرجوه وندّخر
امنُن على نسوةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... ممزّقٍ شملها، في دهرها غِيَرُ
امنُن على نسوةٍ قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدِّرَرُ
الله إذ كنت طفلاً كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تتركنها سعاء تنشرها ... يا أرجحَ الناس حلماً حين يُختبر
لا تجعلنّا كمن شالت نعامته ... واستبقِ منّا فإنا معشرٌ زُهُرُ
إنّا لنشكر آلاءً وإن كُفِرَت ... وعندنا بعد هذا اليومِ مدّخَرُ[2]
أبقت لنا الدهر هُتّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبهم الغمّاءُ والغمر
فألبس العفو من قد كنتَ ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كُمتُ الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمّل عفواً منك تُلبسه ... هذي البريّة إذ تعفو وتنتصر
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر[3]

---

(١) ملّحنا: كناية عن الطعام، وهنا عن الرضاع. النهاية ٤: ١٠٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٠، ٩٥١ وكتبت: نسوة، ويرسمه وخطأ من نسخ أخرى.

(٣) روى الأبيات الاثني عشرة الصدوق في أماليه: ٤٠٥، ٤٠٦ بسنده عن زياد بن طارق الجشمي عن جدّه زهير أبي صُرد. ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ١٨٤، ١٨٥ عن خط الشهيد عن تاريخ ابن عساكر.

وكان في الوفد عمّ النبيّ ﷺ من الرضاعة، فقال له يومئذٍ: يا رسول الله، إنّما في هذه الحظائر مَن كان يكفلك من عمّاتك وخالاتك وحواضنك، حضنّاك في حجورنا وأرضعناك بثُدينا، ولقد رأيتُك مُرضَعاً فما رأيت مُرضَعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شابّاً فما رأيت شابّاً خيراً منك، وقد تكملت فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتك، فامنُن علينا منّ الله عليك! فقال لهم رسول الله: قد استأنيت بكم حتى ظننت أنّكم لا تقدمون، وقد قُسم السبي وجرت فيه السهمان[1] وإنّ أحسن الحديث أصدقه، فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟[2] أو قال: أيّ الأمرين أحبّ إليكم: السبي أو الأموال؟ فقالوا: يا رسول الله، خيّرتنا بين الحسب وبين الأموال، والحسب أحبّ إلينا. فقال رسول الله: أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلّم لكم المسلمين وأشفع لكم، فكلّموهم وأظهروا إسلامكم. فلما صلى ﷺ الظهر قاموا فتكلّموا[3].

وذهبت رواية الطبرسي في «إعلام الورى» إلى أنّ أخته الشيماء بنت حليمة كانت راجعة إليه مع الوفد، وأنّها كلّمته معهم في ذلك، فقال لها: أمّا نصيبي ونصيب بني عبد المطّلب فهو لك، وأمّا ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم. فلما صلّوا الظهر قامت فتكلّمت، وتكلّموا، فوهب لها الناس ذلك.

وقد كان رسول الله قسم منهنّ ما شاء الله، فوقعن في أنصباء الناس، فلم يأخذهنّ منهم إلّا بطيبة نفس. ولولا أنّ النساء وقعن في القسمة لوهبهنّ كما وهب ما لم يقع في القسمة منهنّ[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٩٥٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ٩٥١.

(٣) مجمع البيان ٥ : ٣١ عن أهل السير، وفقاً لما في السيرة والمغازي.

(٤) إعلام الورى ١ : ٢٤٠، والأخير في السيرة ٤ : ١٣٢.

ثم قدم رسول الله ﷺ فقال للناس: إنّ هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم، فخيّرتهم بين النساء والأبناء والأموال فلم يعدلوا بالنساء والأبناء (شيئاً)، فمن كان عنده منهنّ فطابت نفسه أن يردّ فليُرسل. ومن أبى منكم وتمسّك بحقّه فليردّه عليهم وليكن قرضاً علينا ستّ فرائض (إبل) من أوّل ما يُفيء الله به علينا. فقال الناس: يا رسول الله رضينا وسلّمنا. فقال: فمُروا عُرفاءكم أن يدفعوا ذلك إلينا حتى نعلم.

فكان عمر بن الخطّاب يطوف على المهاجرين يسألهم عن ذلك فلم يتخلّف منهم أحد. وكان زيد بن ثابت يطوف على الأنصار يسألهم، فأخبروه أنّهم سلّموا ورضوا. وكان أبو رُهْم الغفاري يطوف على قبائل العرب يسألهم؛ فقال عباس بن مرداس السُلَمي: أما أنا وبنو سليم فلا! فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله! فردّوا عليه.

وقال الأقرع بن حابس التميمي المُجاشعي: أما أنا وبنو تميمٍ فلا! وسكتت بنو تميم!

وقال عُيينة بن حصن الفَزاري: أما أنا وبنو فَزارة فلا! وسكتت بنو فَزارة!

وإنما اختارت التي كانت لسعد بن أبي وقاص أن تقيم عنده، واختار سائرهنّ أن يرجعن إلى قومهن. اللواتي كنّ عند علي ﷺ وعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وابن عمر[1].

وقال الأقرع وعُيينة: يا رسول الله، إنّ هؤلاء قد أصابوا من نسائنا، فنحن نحبّ أن نصيب من نسائهم مثل ما أصابوا من نسائنا (!)

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٢.

فقرع رسول الله بينهم وقال: ليهم نوبة سهمها! فأصاب أحدهما خادمةً لبني عقيل، وأصاب الآخر خادمةً لبني نُمير[1].

نية عُيينة والعجوز:

والتي أصاب سهم عُيينة بن حصن كانت عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً أحسب لها في الحيّ نسباً فعسى أن يعظم فداؤها! فقال له أبو صُرد زهير: خذها، فوالله لا زوجها بواجد (غنيّ)، ولا بطنها بوالد، ولا ثديها بناهد، ولا درّها بماكد (غزير) ولا فوها ببارد (طيّب)[2].

فجاء ابنها إلى عُيينة وقال له: هل لك في مئة من الإبل؟ قال: لا. وقالت العجوز لابنها: ما أربك في بعد مئة ناقة! اتركه، فما أسرع ما يتركني بغير فداء! فرجع الولد عنه وتركه ساعته. ثم مرّ بها على عُيينة وهو ساكت لا يقول، فقال له عُيينة: هل لك في العجوز فيما دعوتني إليه؟! فقال له ابنها: فلا أزيدك على خمسين ناقة! فأبى عُيينة! فلبث الولد ساعة ثم مرّ به مرة أخرى وهو مُعرض عنه، فقال له عُيينة: هل لك في العجوز بما بذلت لي؟! فقال الفتى: فلا أزيدك على خمس وعشرين فريضة (إبل). فأبى عُيينة، فلما أراد الناس الرحيل جاء عُيينة إلى الفتى وقال له: هل لك إلى ما دعوتني إليه؟ فقال الفتى: هل لك إلى عشر فرائض؟! فأبى عُيينة. فلما ارتحل الناس وخاف أن يتفرقوا، نادى عُيينة الفتى يقول: هل لك إلى ما دعوتني إليه؟! فقال الفتى: أرسلها وأنا أحملك! أي على بعير واحد! فقال

---

(١) إعلام الورى ١: ٢٤٠ واللفظ: خادماً، ولكنه للذكر والأنثى ويقال للصبي من الصبيان والأبناء، وآثرنا تأنيث اللفظة تصحيحاً.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٣٢.

عُيَينة: لا والله ما لي حاجة بحملك! فقال له الفتى: أنت صنعت هذا بنفسك! عمدت إلى عجوز كبيرة ـ والله ـ ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد (عليها) فأخذتها من بين من ترى. فقال له عُيينة: فلا حاجة لي فيها خذها لا بارك الله لك فيها! فقال الفتى: يا عُيينة، إنّ رسولَ الله قد كسا السبي فأخطأها بكسوة من بينهم، أفما أنت كاسيها ثوباً؟! فأبى، فما فارقه حتى أخذ منه شَمَل ثوب، ثم ولّى الفتى بأمّه وهو يقول لعُيينة: إنّك غير بصير بالفُرص.

وروى الواقدي عن مُعاذ بن جبل عنه ﷺ قال يومئذٍ: لو كان ثابتاً على أحد من العرب وَلاء أو رِقّ لثبت اليوم، ولكن إنّما هو إسار وفدية. وجعل رسول الله الفداء يومئذٍ: ستّ فرائض: ثلاث حقاق وثلاث جذاع[1].

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٣، ٩٥٤ والحقاق: جمع حقّة: الناقة في الرابعة. والجذاع: جمع جذعة: الناقة في الخامسة.

وقال ابن إسحاق: لما فرغ رسول الله من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ركب واتّبعه الناس يقولون: يا رسولَ الله اقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم حتى ألجؤوه إلى شجرة (سمرة)، فاختطفت (الشجرة) عنه رداءه، فقال لهم: ردّوا إليّ ردائي أيها الناس (كذا) فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذّاباً ٤: ١٣٤، ١٣٥

بينما مرّ عن مغازي الواقدي ٢: ٩٤٢ أن ذلك كان من الأعراب في طريقه

وعلّقت عليه: أن ذلك لا يناسب قوله: لقسمته بينكم، فالقسمة يناسب الغنيمة

ومرّ عن الواقدي أيضاً أنه ﷺ بدأ بالأموال فقسمها ثم أقام يتربّص أن يقدم عليه وفدهم ٢: ٩٤٤ ثم قسم السبي فجاءه وفدهم فقال لهم: قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون ٢: ٩٥٠ وهذا هو الأنسب به ﷺ لا العكس. وبذا كيف يمكن أن يكون ما في خبر ـ تكشف ألجؤوه إلى شجرة فخطفت الشجرة (كذا) رداءه فطلب رداءه منهم؟! اللهم إلّا أن يقال: إنّ ذلك كان في بداية وصوله إلى الجعرانة قبل أن يبدأ بتقسيم الأموال، ولم يعرفوا عزمه على ذلك. ←

وأمّا مصير النَّصْري المهزوم:

وكان مالك بن عوف النصري ـ قائد هوازن المهزوم في حُنين ـ صهر أبي أُمية المخزومي، فلما هُزم مالك أُسرت أُسرته ضمن السبايا بأيدي المسلمين وعُزلوا، ورسول الله ﷺ يقول: «أكرموا كريم كل قوم ذلّ، وإنّما يكرم المرء في ولده وأهله»، لذلك أمر بإرسالهم إلى مكة عند عمتهم أُمّ عبد الله بنت أبي أُميّة، وأوقف ماله ولم يُسهم فيه[1].

فلما جاءه وفد هوازن سألهم عن مالك فقالوا: يا رسولَ الله، هرب فلحق بالطائف مع ثقيف. فقال لهم رسول الله: أخبروه أنه إن كان يأتي مسلماً رددتُ عليه أهله وماله، وأعطيتُه مئة من الإبل!

فلما رجع الوفد وبلغ مالكاً خبرهم، وأنّ أهله وماله موقوفون غير مقسومين، وما وعده رسول الله، خاف مالك أن تعلم ثقيف بذلك فيحبسوه عندهم، فأمر رجاله برحاله إلى دحنا في حومة الطائف، وأمر أن يأتوا بفرسه ليلاً إلى حد الحصن، فخرج من الحصن ليلاً وجلس على فرسه حتى أتى دحنا فركب بعيره حتى أدركه ﷺ محرماً بالعمرة من الجِعرّانة يريد الركوب إلى مكة، فأسلم لديه، وأعطاه مئة من الإبل، وأمر له بأهله وماله ثم عقد له لواءً واستعمله على من أسلم من قومه من نصر وفهم وثُمالة وسلمة والطوائف حول الطائف[2].

← وقد استبطؤوه أكثر من شهر في ذلك! ولم يكن ذلك وهو راكب، وإنّهم هم رعوه ردءاً ولذلك طلبه منهم، وليس ذلك من الجاهلي ببعيد، ولا ضرورة لورود ذلك إلى أعراب الطريق كما في مغازي الواقدي. إلّا بعداً لذلك عن نزاهة الصحابة كلهم! ولا ضرورة لذلك.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٤.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٣٣، ١٣٤ ومغازي الواقدي ٢: ٩٥٥ وفيه فرجع حين ←

ثم مضى إلى الجعرّانة.

بقي من الفيء بها، فأمر ﷺ بإرسالها إلى ناحية مَرّ الظَّهران في طريقه من مكة إلى المدينة. ومضى هو إلى الجعرّانة فوصلها ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً إلى ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة. وفي هذه الفترة كان يصلي في موضع المسجد الذي بالعُدوة القصوى تحت الوادي[٢].

كتابه إلى بكر بن وائل:

وكان في من شهد معه حُنيناً خمسة رجال من بكر بن وائل: أبو الخمخام وبشير بن الخصاصية وعبد الله بن الأسود وفرات بن حيّان ومرثد أو يزيد بن ظبيان. وكانت دارهم من اليمامة إلى البحرين، وبعد حنين ـ ولعلّه هنا ـ أرادوا الرجوع إلى قومهم، فكتب إليهم كتاباً قال فيه: «من محمد رسول الله إلى بكر بن وائل. أسلموا تسلموا» وسلّمه لمرثد أو يزيد بن ظبيان، فرووا عنه قال: ما جاءت

رجع وفد من الناس حيث انصرف عنهم النبيّ ﷺ وقد سرح الناس سوى ثقيف وانضم إليه مسلمون من قومه، فأغار بهم على سرح لأهل الطائف فساق منهم ألف شاة في غداة واحدة. وكان يبعث إليه ﷺ بخمس ما يجيء عليه مرة ألف شاة ومرة مئة بعير! لا يخرج لثقيف سرح إلّا أغار عليه، ولا يقدر على سرح إلّا أخذه، ويقاتل بمن معه من بقي على الشرك، ويغير بهم على ثقيف يقاتلهم بهم، ولا يقدر على رجل منهم مشرك لا يسلم إلّا قتله، حتى ضيّق عليهم!

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٤٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٩.

من يقرأ الكتاب حتى قرأه رجل من بني ضُبيعة من بكر بن وائل يسمونهم بني الكاتب[1] فأسلم قسم منهم.

كتابه إلى أمير البحرين:

وسلك في أثناء هذا، بعث بأول كتاب له إلى أمير البحرين وهجر المنذر بن ساوى من وُلد عبد الله بن دارم من بني تميم، وكان هو المقدَّم من تميم البحرين، وفي البحرين من العرب بنو تميم وبنو بكر بن وائل وبنو عبد القيس، والنسبة إليهم العبدي، وكذلك النسبة إلى بني عبد الله بن دارم من تميم أيضاً العبدي، وحيث نصّوا على أنه كان من تميم نعلم أن من نسبه إلى العبدي أراد ذلك وليس عبد القيس. وحيث كانت البحرين تابعة لحكم الأكاسرة الساسانيين في إيران، فهم نصبوه أميراً على البحرين. وكانت البحرين يومئذٍ ممتدة إلى هجر، بل كانت هجر قاعدة ملكه فهو الذي نشّر سوقها في الجاهلية. فكتب إليه النبيّ ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، وأشهد أن لا إله إلّا هو. أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم، وأسلِمْ يجعل لك الله ما تحت يديك. واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر. محمد رسول الله»

ثم دعا العلاء بن الحضرمي فبعثه إليه بالكتاب.

فلما قدم عليه وقرأه الكتاب قال له: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغُرنّ عن الآخرة. إنّ هذه المجوسية شرّ دين: تنكح فيها ما يُستحيا من نكاحه! وتأكلون ما يُتكرّه من أكله! وتعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيامة! ولست

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٨١، وانظر مكاتيب الرسول ١: ١٦٦، ١٦٧.

بقديم العقل والرأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا تصدّقه؟ ولمن لا يخون أن لا تأمنه؟ ولمن لا يخلف أن لا تثق به؟! فإن كان هكذا فهذا هو النبيّ الأُمّي الذي ـ والله ـ لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به.

وفي يوم الجواب قال له أسبخت: قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أُمنية الحياة وراحة الموت؟! ولقد عجبت أمس ممّن يقبله، وعجبت اليوم ممّن يردّه! وإنّ من إعظام ما جاء به أن يعظّم رسوله، ثم أسلم[1].

وكان النظام الساساني الإيراني الفارسي قد استعمل معه على البحرين مندوباً سامياً عليهم ناظراً على الأمير المنذر يسمّى بالفارسية: سيبخت (= حظّ النّفّاح) ولأنّ البحرين كانت تعتبر يومئذٍ ثغر الحدود الإيرانية لذلك كان يقال له (مَرْزبان = حامي ثغر البحرين) وكأنّه ﷺ كان قد كتب مع العلاء بن الحضرمي إليه كتاباً آخر كذلك يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم هو أيضاً، إلاّ أنّه لم يصلنا نصّ كتابه[2].

ولمّا اتّفق هذا الأمير العربي مع المندوب الفارسي على الإسلام، اتّفقا على أن يجمعوا أهل البحرين فيقرؤوا لهم كتاب رسول الله إليهم، ففعلوا، فمنهم من أعجبه الإسلام وأحبّه ودخل فيه، ومنهم من لم يدخل.

فكتب المنذر جواب كتاب النبيّ إليه قال: «يا رسول الله، أمّا بعد، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه،

(١) انظر مكاتيب الرسول ١: ١٤١ ـ ١٤٣.

(٢) مكاتيب الرسول ١: ١٤٠ عن فتوح البلدان: ٨٩ ومعجم البلدان، مادة البحرين.

ومنهم من كرهه فلم ندخل فيه. وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إليّ أمرك في ذلك»[1]

وأمان لبني ثعلبة

ولعلّه في هذه العمرة كان وفود صيفي بن عامر من بني ثعلبة مع ثلاثة آخرين من قومه عليه ﷺ، كما روى ابن سعد عن رجل منهم قال: قدمنا عليه رابعة نفر لما قدم (من) الجعرّانة، فقلنا: نحن رُسل من خلفنا من قومنا، ونحن وهم مقرّون بالاسلام. فأقمنا أياماً في ضيافته، ثم جئنا لنودّعه، فقال لبلال: أجزهم كما تجيز الوفد. فجاء بلال بفضة وقال: ليس عندنا دراهم. فأعطى كل رجل منّا خمسة أواق[2]. وكتب لصيفي بن عامر منهم: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول اللّه لصيفي بن عامر على بني ثعلبة بن عامر، من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة[3] وأعطى خمس الغنم وسهم النبيّ والصفيّ، فهو آمن بأمان اللّه»[4].

عمرته ﷺ من الجعرّانة

مر أنّه ﷺ كان في الجعرّانة يصلّي في موضع المسجد الذي بالعدوة القصوى عن الوادي، فمنه أحرم ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، للعمرة، فلم يجز الوادي إلّا مُحرماً ملبّياً، ولم يقطع التلبية حتى رأى البيت يوم

---

(١) مكاتيب الرسول ١: ١٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٢٩٨.

(٣) كذا، ويبدو أنه ﷺ بدأ بأخذ الزكاة من أول محرّم للسنة التاسعة. فهذا يوهم الخبر، إلّا أن يكون ذلك تمهيداً لما سيأتي.

(٤) الإصابة ٢: ٢، برقم ٤١١٦، وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٧٤.

الأربعاء فأناخ راحلته على باب بني شيبة (حيث دفن هُبل) فدخل واتّجه إلى الركن (الحجر الأسود) فاستلمه، ثم أرمل (مشى مُسرعاً) منه إلى حجر إسماعيل، وهكذا حتى أتمّ طوافه، ثم خرج فركب راحلته واتّجه إلى الصفا فسعى على راحلته منه إلى المروة حتى أتمّ الشوط السابع عند المروة فنزل وحلق رأسه عندها خراش بن أُمية أو أبو هند عبد بني بياضة، ولم يكن له هدي.

وخلّف أبا موسى الأشعري ومُعاذ بن جبل، يعلّمان الناس القرآن وفقه الدين. واستعمل عتّاب بن أَسيد الأُموي أميراً على مكة والحجّ، على أن يكون رزقه كل يوم درهماً، فقال: رزقني رسول الله كلّ يوم درهماً فليست بي حاجة إلى أحد[2].

وفي «المسترشد»: كان ﷺ يومئذٍ مقيماً بالأبطح، فأمر عتّاباً أن يصلّي بالناس بمكة الظهر والعصر والعشاء الآخرة، وأمّا الفجر والمغرب فكان يصلّيهما هو[3].

وفد الطائف الأول:

وروى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الصادق عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما نزل رسول الله ﷺ مكة (في عمرة الجعرانة) قدم عليه نفر من

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٩. وعتّاب من بني أُمية ولكنّه أسلم وحسن إسلامه، وله يومئذٍ عشرون سنة كما في المواهب ومثله في الطبري ٣: ٧٣ وفي الإكمال ٢: ٤٢ وقال: إنّ النبي ﷺ فتح مكة واستعمل عليها عتّاباً ثم اجتمعت هوازن لحربه ﷺ، فخرج المسلمون وعليهم عتّاب وتقدّم المشركين أبو سيّارة العدواني على أتان أعور، ورسنها ليف!

(2) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٤٣.

(3) المسترشد في الإمامة للطبري الإمامي: ١٢٩، ط. قم.

أهل وَجّ من الطائف فعرضوا عليه إسلامهم وإسلام قومهم، ولكنّهم لم يقرّوا بالصلاة والزكاة[1].

فقال ﷺ: لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود! أما والذي نفسي بيده ليقيمنّ الصلاة وليؤتينّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضربنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم! وأخذ بيد علي عليه السلام وشاله وقال: هو هذا[2].

ثم انصرف ﷺ تلك الليلة (ليلة الخميس) من مكة إلى الجعرانة فكأنّه بات بها. وفي يوم الخميس سلك وادي الجعرانة وإلى جانبه حتى خرج منه على سرف (على عشرة أميال = ٢٥ كم من مكة إلى المدينة)، ثم أخذ الطريق حتى انتهى إلى مَرّ الظّهران[3] وكان قد أمر بسوق الفيء إلى هناك، فتُبع بها إلى المدينة حتى قدمها يوم الجمعة لستّ ليال أو ثلاث ليال بقين من ذي القعدة[4].

رسل الإسلام إلى البحرين وهجر

أطلق البلاذري: في سنة ثمان[5] ـ ووافقه ابن سعد ـ منصرفه من الجعرانة ـ[6] أمر ﷺ كتّابه أن يكتبوا إلى المنذر بن ساوى التميمي الدارمي العبدي أمير الفرس

---

(١) كذا في هذا الخبر، وسيأتي أنّ فرض الزكاة كان في أوّل التاسعة.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٠٤، ٥٠٥، الحديث ١١٠١ وسيأتي خبر وفدهم إلى المدينة في شهر رمضان من التاسعة أي بعد عشرة أشهر من هذا.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٥٩.

(٤) لستّ ليال في سيرة ابن هشام ٤: ١٤٣ و ١٤٤ ولثلاث ليال في مغازي الواقدي ٢: ٩٦٠ و ٩٧٣ ولعلّ هذا الإسراع والتعجيل كان لإبعاد جوّ الحرب عن موسم الحج، من عامه ذلك.

(٥) فتوح البلدان: ٨٩، وط ٢: ١٠٧.

(٦) الطبقات الكبرى ١ (القسم الثاني): ١٩ و ٤ (القسم الثاني): ٧٦.

الساسانيين على البحرين كتاباً أسنده الزيلعي الى الواقدي في «كتاب الردّة» أسنده عن عكرمة مولى ابن عباس قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فإذا فيه: بعث رسول الله العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى، وكتب اليه كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك الى الإسلام، فأسلم، تسلم، أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخفّ والحافر» وختم رسول الله الكتاب: محمد رسول الله [1].

وكان المنذر المقدم في عيّم البحرين تابعاً لكسرى ملك فارس مجوسياً، وكان قاعدة ملكه هجر، وهو الذي يعشّر سوقها [2] ومعه سيبخت الفارسي فلما وصل العلاء الكتاب الى المنذر وقرأه قال له: يا منذر، انك عظيم العقل في الدنيا، فلا تقصرنّ عن الآخرة. إنّ هذه المجوسية شرّ دين، تنكح فيها ما يُستحى من نكاحه، ويأكلون ما يتكرّه من أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيامة. ولست بعديم العقل والرأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذّب في الدنيا أن لا تصدّقه؟! ولمن لا يخون أن لا تأمنه؟! ولمن لا يُخلف أن لا تثق به؟! فإن كان أحد هكذا فهذا هو النبيّ الأُمّي الذي ـ والله ـ لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به [3].

---

(١) نصب الراية للزيلعي ٤: ٤٢٠ عن كتاب الردّة للواقدي، وليس في النص الحربة، فلا يصح ما في فتوح البلدان. وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٥٤، وقارن: ٣٧٩، ٣٨٢ و١: ٢٠٩.

(٢) انظر فتوح البلدان: ١٠٧ ومعجم البلدان ١: ٣٤٦ ـ ٣٤٩ ونهاية الارب: ٤٣٥ والمفصّل ٤: ٢٠٣ و٢١٠ وجمهرة النسب: ٢٠١، ومكاتيب الرسول ٢: ٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) الروض الأنف ٣: ٢٥٠.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت. ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يردّه[1] فأسلم.

ثم قرأ كتابه على أهل هجر والبحرين فأسلم جمع من العرب والعجم. فكتب المنذر إليه ﷺ: «أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه فدخل فيه، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إليّ أمرك في ذلك»[2].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٨٤.

(٢) الطبقات الكبرى ١ (القسم الثاني): ١٩ وهي من الكتب والرسائل المروية متبادلة بين المنذر والنبيّ ﷺ مما يصحح جواباً لهذا الكتاب من المنذر ما رواه البلاذري والطبري وقبلهم أبو عبيد في الأموال وأبو يوسف في الخراج. ونصّه في البلاذري: «من محمد النبيّ إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو. أما بعد فإنّ كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، ومن أبى فعليه الجزية». راجع مكاتيب الرسول ٢: ٦٥٨ و ٦٦ ولم يُذكر للكتاب تاريخ ولعله بعد فرض الجزية في التاسعة.

أما سيبخت الفارسي مرزبان هجر فقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان: ١٠٧ أنّه أسلم بكتاب النبي ﷺ إليه مع العلاء الحضرمي، بينما روى الصدوق في «التوحيد»: أنّه قدم إلى المدينة وتكلّم مع النبيّ ﷺ وطلب منه المعجزة البيّنة ثم أسلم.

عن علي ﷺ: جاءه سيبخت من ملوك فارس وكان رجلاً ذرباً فقال له: يا محمد إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله. فقال سيبخت: يا محمد وأين الله؟ قال: هو موجود في كل مكان بآياته. قال: فكيف هو؟ فقال: لا كيف له ولا أين لأنّه عزّ وجلّ كيّف الكيف وأيّن الأين. قال: فمن أين جاء؟ قال: لا ←

وماذا عن القرآن في هذه الحوادث؟

لم يرو في أخبار أسباب النزول للآيات وشؤونها ما يرتبط بالحوادث بعد فتح مكة، من حرب حنين وهوازن والثقيف والطائف، إلّا هاتين الآيتين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾ وذلك في سورة براءة أو التوبة التي نزلت بعد رجوعه ﷺ من حرب تبوك في أواخر التاسعة للهجرة أي بعد عام تقريباً. اللهم إلّا ما يأتي من آيات في سورة النور.

إسلام عروة بن مسعود وشهادته:

مرّ أنّ عروة بن مسعود كان قد ذهب إلى جُرَش في حدود اليمن ليتعلم منهم عمل الدبّابات والمنجنيق استعداداً لحرب الإسلام، وعاجلهم الرسول ﷺ فحاصرهم قبل أن يرجع إليهم عروة بما تعلّم، فلم يرجع إليهم إلّا بعد رجوع الرسول عنهم.

= يقال له حدّ، وإنّما يقال: جاء وانتقل من مكان إلى مكان، وربّنا لا يوصف بمكان ولا بزوال، بل لم يزل بلا مكان ولا يزال. فقال: يا محمد، إنك لتصف ربّاً عظيماً بلا كيف، فكيف لي أن أعلم أنه أرسلك؟ فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولا مدر ولا جبل ولا شجر ولا حيوان إلّا قال مكانه: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله. وأنا قلت أيضاً [illegible] فقال الرجل: فأسلم. ثم [قال]: ومن هذا؟ فقال: هذا خير أهلي وأقرب الخلق منّي، لحمه لحمي ودمه دمي وروحه روحي، وهو الوزير منّي في حياتي والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي. فاسمع له وأطع فإنّه على الحق. ثم سمّاه عبد الله. وفيه رواه عن الصادق عليه السلام بسند آخر مختصراً بدون النص في علي عليه السلام مع ذكر أنّ الرجل كان يهودياً فارسياً: ٢١٠، ٢١١ [illegible] عبد الله، فسمّته: ... بن عبد الله، أنظر: مكاتيب الرسول ٢: ٢٧٩.

ولعلّه سمع بوعيد النبيّ وتهديده فلم يتأثّر به، فخرج إليه ليسلم. قال الواقدي: يقال: إنّه لحق به بين مكة والمدينة فأسلم، والأثبت أنّه قدم المدينة فأسلم. (فلعلّه كان في شهر ذي الحجة أواخر السنة الثامنة للهجرة)

وكان رجلاً يرى نفسه مهيباً عندهم يقول: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. ومحبوباً جداً يقول: يا رسولَ الله لأنا أحبّ إليهم من أبكار أولادهم. وكان سبّاقاً إلى كل شيء، فأراد أن يسبقهم إلى الإسلام، ويدعوهم إليه، فقال للنبيّ: يا رسولَ الله، ائذن لي أن أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، فوالله ما رأيت مثل هذا الدين ذهب عنه ذاهب، فأقدم على أصحابي وقومي بخيرِ قادم، وما قدم وافد قطُّ على قومه بمثل ما قدمت به، وقد سبقت في مواطن كثيرة يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: إنهم إذاً قاتلوك! قال: يا رسول الله، لأنا أحبُّ إليهم من أبكار أولادهم! فلم يأذن له.

ثم استأذنه ثانية، فأعاد عليه كلامه الأول فقال: يا رسول الله، لو وجدوني نائماً ما أيقظوني! فلم يأذن له.

ثم استأذنه ثالثة، فقال ﷺ: إن شئت فاخرج. فطار إلى الطائف مُسرعاً في خمسة أيام، فقدمها عشاءً.

وكانوا إذا قدموا من السفر بدؤوا بآلهتهم اللات وحلقوا رؤوسهم عندها، فلم يفعل.

فجاؤوه وحيّوه بتحيتهم: أنعم مساءً! فلم يرد عليهم بمثلها ولم يقل: عليكم السلام، ولكنّه قال: عليكم تحية أهل الجنة! ثم قال لهم: يا قوم، أتتّهمونني؟ ألستم تعلمون أني أوسطكم (أشرفكم) نسباً! وأكثركم مالاً! وأعزّكم نفراً! فما حملني على الإسلام إلّا أني رأيت أمراً لا يذهب عنه ذاهب! فاقبلوا نُصحي ولا تستعصوني! فوالله ما قدم وافد على قوم بأفضل مما قدمت به عليكم! فقالوا: إنّك حيث لم تقرب

الربّة اللات ولم تحلق رأسك عندها، قد وقع في أنفسنا أنك قد صبوت (صبأت إلى الإسلام) فنالوا منه وآذوه، فحلم عنهم.

وطلع الفجر، فصعد على غرفة له فأذّن بالصلاة، فرماه أوس بن عوف من بني مالك، أو وهب بن جابر من الأحلاف، فأصاب أكحله (عرق يده)، فلم ينقطع دمه، ورأى قومه أعدوا أسلحتهم ليقتلوا به فيأخذوا بثأره، فقال لهم: لا تقتتلوا فيّ، فإني قد تصدّقت بدمي على صاحبه ليصلح بذلك بينكم، فهي كرامة الله أكرمني الله بها، الشهادة ساقها الله إليّ، وأشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله فإنّه أخبرني بهذا عنكم أنكم تقتلوني! وادفنوني مع الشهداء الذين قُتلوا معه قبل أن يرتحل عنكم. ثم مات رحمه الله.

فقال لهم ابنه أبو مليح بن عروة: لا أُجامعكم على شيء أبداً وقد قتلتم عروة! وتابعه ابن عمّه قارب بن الأسود بن مسعود (وهو قائد الأحلاف من ثقيف في يوم حنين)، وعملا بوصيّة عروة فدفنوه مع الشهداء، ثم لحقا بالمدينة فأسلما لدى رسول الله ﷺ، فلما علم النبيّ بمقتل عروة قال: مَثَل عروة مثل صاحب ياسين (في سورة يس)، دعا قومه إلى الله فقتلوه! ثم نزلا على المغيرة بن شعبة الثقفي[1].

ووفاة ابنته زينب:

وهي زوجة ابن خالتها أبي العاص بن الربيع الأُموي، ولها منه عليّ وأُمامة[2] وكانت حاملاً وهاجرت فطعن جملها هبار بن الأسود فطرحت، وأسلم زوجها

(١) حتى أسلم أهلهم في الطائف فرجعوا معهم. مغازي الواقدي ٢: ٩٦٠ ـ ٩٦٢.

(٢) فأمّا عليّ فمات في ولاية عمر، وأمّا أمامة فهي التي أوصت فاطمة عليّاً ﷺ أن يتزوّجها بعدها، فتزوّجها بعدها بخمسين يوماً، وماتت سنة خمسين. بحار الأنوار ٢١: ١٨٣، ١٨٤ عن لباب الأنساب من المنتقى للكازروني.

أبو العاص فذهبت إليه، ولم تحمل منه علّتها بعد إسقاطها، وخرج زوجها معه ﷺ إلى مكة ثم حنين، وكان مع علي عليه السلام في سريّته إلى خثعم في نواحي الطائف كما مرّ، فما مرّ على عودته معه ﷺ إلى المدينة إلّا أياماً حتى توفيت زوجته زينب فلم يبق للنبيّ من كلّ أولاده سوى ابنته فاطمة عليها السلام.

وماذا نزل من القرآن؟:

مرّ في مقدّمات أخبار فتح مكة نزول سورة النصر تبشّر بالنصر في فتح مكة، وفي الوقت نفسه تنذره بدنوّ أجله وتنعى إليه نفسه، وكأنّه لا ينبغي أن يكون له في هذه الدنيا الفرح إلّا مخالطاً بالحزن والترح، بل كأنها بشارة أُخرى باقتراب انتهاء أتعابه وراحته!

سورة النور:

والسورة التالية في النزول سورة النور ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ثم بيّنت حدّ الزنا في قوله سبحانه: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾

ونجد بشأنها في تفسير القمي: هي ناسخة لقوله سبحانه: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾[1].

ويبدو أنّه يعني بالنسخ ما جاء في «الكافي» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: وسورة النور أُنزلت بعد سورة النساء، وفيها: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾ إلى

---

(١) النساء: ١٥ والخبر في تفسير القمي ٢: ٩٥.

قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قال: فالسبيل هو الذي قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾[1].

وخلاف ما يتوقّع لا نجد فيما بأيدينا أيّ خبر عن سبب نزول السورة أو الآية أو شأنها، اللهم إلّا ما نجده بشأن الآية التالية: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

فقد قال القمي في تفسيره: نزلت هذه الآية في نساء في مكة كنّ مستعلنات بالزنا: سارة، وحنتمه، والرّباب، فحرّم الله نكاحهنّ[3].

وروى الطوسي في «التبيان» عن الباقر عليه السلام: أنّ الآية نزلت في أصحاب الرايات، فأمّا غيرهنّ فإنه يجوز أن يتزوّجها وإن كان الأفضل غيرها[4].

وقال: وروى ذلك عن عبد الله بن عباس وابن عمر: أنّ رجلاً من المسلمين استأذنه صلى الله عليه وآله أن يتزوّج امرأة من أصحاب الرايات للسفاح، فأنزل الله الآية. وبه قال مجاهد والشعبي والزهري، وأنّ التي استؤذن لها: أمّ مهزول[5].

ونقل الطبْرسي في «مجمع البيان» ما ذكره الطوسي ورد عن الباقر والصادق عليهما السلام قال: هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورين بالزنا، فنهى الله عن أولئك الرجال والنساء على تلك المنزلة[6].

---

(١) عن الكافي في الميزان ١٥: ٨٣.

(٢) النور: ٤.

(٣) تفسير القمي ٢: ٩٥، ٩٦.

(٤) التبيان ٧: ٤٠٨ وعليه يحمل قوله سبحانه في الآية: ٢٦ من سورة نفسها أي بعد ٢٣ آية: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ كما في مجمع البيان ٧: ٢١٣.

(٥) التبيان ٧: ٤٠٧.

(٦) مجمع البيان ٧: ١٩٧، ١٩٨ والخبر عنهما هو ما رواه الكليني عن محمد بن مسلم ←

والخبر الفمي صريح في نساء مكة، وكذلك ظاهر ما بعده، مما يقتضي نزول الآية بعد فتح مكة، ولم يُذكر. ولا ينافي ذلك مع مدنية السورة على المصطلح المعروف. وعدم ذكر سبب خاص لنزول السورة أو هذه الآيات منها، ومناسبة أجواء مكة الجاهلية وأصحاب الرايات فيها، وتأكيده ﷺ في بيعة النساء بعد فتح مكة على اجتناب الزنا، وورود نزول سورة النور بعد النصر وقبل الحجرات في أوّل التاسعة. كل ذلك مما يقرّب احتمال نزول السورة بعد الفتح، وإن كان لم يُذكر.

وفي «أسباب النزول» للواحدي النيشابوري خبر عن عكرمة (عن ابن عباس رضي الله عنه) فيه تفصيل عن بغايا مكة قال: نزلت الآية ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾ في نساء بغايا مكة[1] وكنّ كثيرات، تسع منهن صواحب رايات، لهنّ رايات كرايات البيطار يعرفونها: أم مهزول (= أُم مهزول) جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأمّ عليط جارية صفوان بن أُمية المخزومي، ومريمة (= مرية) جارية هشام بن ربيعة المخزومي، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وحنة القبطية جارية العاص بن وائل السهمي، وجلالة جارية سُهيل بن عمرو العامري، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، ومرية جارية ابن مالك بن السباق[2].

أزواجه ﷺ ومارية في غيبته وبعد عودته:

في يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان بعد صلاة العصر خرج ﷺ من المدينة[3]

← عن الباقر، وعن زرارة عن الصادق عليه السلام، كما في الميزان ١٥: ٨٣، ٨٤.

(١) في خبر زرارة: المدينة، ثم لم يذكر إلّا بغايا مكة، والقرب لأنّه كان في حدثه وهي مكة.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٦١.

(٣) إعلام الورى ١: ٢٦٥.

لفتح مكة، ولم يعد إليها إلّا بعد ثلاثة أشهر لثلاث بقين من ذي القعدة يوم الجمعة نصفاً[1] وإنّما أخرج معه من أزواجه زينب وأمّ سلمة[2] وخلّف سائر نسائه ومنهنّ مارية القبطية أمّ إبراهيم في مشربتها في العالية[3]، ومعها مولاها أو ابن عمّها مأبور أو جريج القبطي الذي بعثه معها أبوها أو المقوقس الإسكندرية، خادماً خصيّاً بل مجبوب الذكر[4] وذلك ليؤمن منه عليها.

وأما سبب إفرادها في مشربتها في العالية فقد ورد على لسان ضرّتها عائشة:

فقد روى ابن سعد بسنده عنها قالت: أنّها (مارية) كانت جعدة جميلة، فأعجب بها رسول الله، فما غرت على امرأة إلّا دون ما غرت عليها، وفرّغنا لها (لإثارتها ونسائها وإزعاجها) فجزعت، فحوّلها رسول الله إلى العالية

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٠ و ٩٧٣.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٢٦.

(3) قال عبد الرحمن خويلد في كتابه المساجد والأماكن الأثرية المجهولة: كان موقع مشربة أمّ إبراهيم يسمّى قديماً بالدشت ويسمّى بالمُشيب، وكان بستاناً فيه قبر اليهودي مخيريق بن النضير الذي قاتل مع النبي ﷺ يوم أحد وقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما يشاء، وقُتل. وفي وسطه ربوة مرتفعة وكان عليها غرفة من الحجر. ولما ولّي عمر بن عبد العزيز ابن مروان المدينة بنى عليها مسجداً غرفة من الحجر كذلك وأزالها الوهابيون أخيراً (من ست سنين تقريباً) وكان للمشربة باب خشبي قديم أخضر اللون فأبدلوه بباب حديدي، وجُعلت مقبرة لدفن موتى المحلّ وصعب الدخول إليها إلّا لدفن! وهي على امتداد شارع العوالي بعد مستشفى الزهراء باتجاه مستشفى المدينة الوطني تقابله من الغرب مقابر النتاج اليمني لطوب الأحمر. كما عنه في مجلة ميقات الحج ٧: ٢٧٣، ٢٧٤.

(4) تفسير القمي ٢: ٣١٨ وأمالي المرتضى ٧٧ وصحيح مسلم ٨: ١١٩ ط مشكول. والطبقات الكبرى ٨: ١٥٤ و ١٥٥، ومستدرك الحاكم ٤: ٣٩، ٤٠.

يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ عليهن، ثم رزقها الله الولد وحرمنه[1]. وربما كان ذلك منذ ظهور حملها:

فقد روى أيضاً بسنده عن أنس بن مالك عن عائشة قالت: فلما استبان حملُها جزعتُ من ذلك![2] ومعها سائر نسائه:

فقد روى أيضاً بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: وثقلت (مارية) على نساء النبيّ وغِرن عليها، و(لكن) لا مثل عائشة[3].

فكان من جرّاء هذا وذاك: ما رواه ابن سعد أيضاً بسنده عن أنس بن مالك قال: كان القبطيّ يأوي إلى أمّ إبراهيم في مشربتها يأتيها بالماء والحطب، فقال الناس: عِلْجٌ يدخل على عِلْجة![4].

بل روى الحاكم في مستدركه بسنده عن عائشة نفسها قالت: كان معها ابن عمّها، فقال أهل (الإفك) والزور، من حاجته (محمد) إلى الولد ادّعى ولد غيره[5] حملاً!

واستبانة حملها وإن كان ـ طبيعياً ـ في أوائل شهرها الخامس شهر رجب من الثامنة، أي قبل بدء سفره ﷺ لفتح مكة في أوائل شهر رمضان بشهرين[6]، ولكن تصاعد آثاره ونطاقها كأنّه كان في فترة غيبته عنها وعنهنّ وعن المدينة ـ وفيها

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ١٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى ١ (القسم الأول): ٨٨.

(٣) الطبقات الكبرى ١ (القسم الأول): ٨٢.

(٤) الطبقات الكبرى ٨: ١٥٤ والعلج: العجمي وهو غير العربي ولو كان قبطياً مثلاً.

(٥) مستدرك الحاكم ٤: ٣٩.

(٦) ذلك أن ولادتها لإبراهيم كانت ـ كما يأتي ـ في أوائل شهر ذي الحجة.

النفاق و تصفيته بسفرته التي طالت ثلاثة أشهر وهي مدة كافية لأيّ إرجاف وإشاعة مُغرضة. فهو ﷺ إذ عاد من سفرته تلك إلى مدينته، عاد إليها وهي كأنّها تغلي كالمرجل بهذه الإشاعة القبيحة. ولا نعرف وصف حاله ﷺ لما بلغت إلى مسامعه ؟ ! ولا نعلم مدى وقعها في نفسه الشريفة ؟ !

حديث الإفك :

مرّ علينا آنفاً الخبر عن ابن سعد بسنده عن أنس بن مالك : أن الناس قالوا في القبطيّ الذي كان يأوي إلى أمّ إبراهيم في مشربتها يأتيها بالماء والحطب : علجٌ يدخل على علجة[1].

وكذلك خبر الحاكم في مستدركه عن عائشة قالت : كان معها ابن عمّها فقال أهل الإفك والزور : من حاجته إلى الولد ادّعى ولد غيره[2].

ولا ريب أنّ هذا الإفك والزور من رمي المحصنة المؤمنة مارية المطلقة من مصاديق قوله سبحانه في الآية الرابعة من سورة النور النازلة في هذه الفترة ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ إلّا أنّا لا نرى أيّ خبر عن شأن نزولها وتطبيقها بشأن مارية

حكم اللعان :

ولعلّ من حِكَم الله في تلك الفترة ما جاء في الآيات التاليات من السادسة إلى العاشرة من السورة في حكم من يرمي زوجته ولا شاهد له، وفي سبب نزولها :

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ : ١٥٤ والملح ... الحمصي

(٢) مستدرك الحاكم ٤ : ٣٩

روى القمي في تفسيره: أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك (في التاسعة، كذا) جاء إليه عُوَيمر بن ساعدة العجلاني الأنصاري فقال: يا رسول الله، إنّ امرأتي زنى بها شريك بن السمحاء وهي منه حامل! فأعرض عنه رسول الله، فأعاد عليه القول، فأعرض عنه، حتى فعل ذلك أربع مرات. فقام رسول الله ﷺ ودخل منزله، فنزلت عليه آيات اللعان.

فخرج رسول الله ﷺ وصلى بالناس العصر، ثم طلب عويمر فقال له: ائتني بأهلك! فقد أنزل الله فيكما قرآناً! فذهب إليها وقال لها: إنّ رسول الله يدعوك!

وكانت شريفة في قومها، فجاءت وجاء معها جماعة منهم. فلما دخلوا عليه المسجد قال رسول الله لعويمر: تقدّما إلى المنبر والتعنا. قال عويمر: كيف أصنع؟ قال: تقدّم وقل: أشهد بالله أنّي لمن الصادقين فيما رميتها به. فتقدّم وقالها، فقال له رسول الله: أعدها، حتى فعل ذلك أربع مرّات، ثم قال له في الخامسة: (وقل:) عليك لعنة الله إن كنتَ من الكاذبين فيما رميتَها به. فقال ذلك، فقال له رسول الله: إنّ اللعنة لموجبة إن كنتَ كاذباً! ثم قال له: تنحَّ. فتنحّى.

ثم قال لزوجته: تشهدين كما شهد، وإلّا أقمت عليك حدّ الله! فنظرت في وجوه قومها فقالت: لا أسوّد هذه الوجوه في هذه العشية! ثم تقدّمت إلى المنبر وقالت: أشهد بالله أنّ عويمر بن ساعدة من الكاذبين فيما رماني به! فقال لها رسول الله: أعيديها، فأعادتها أربع مرّات، ثم قال لها رسول الله في الخامسة: العني نفسك إن كان من الصادقين فيما رماك به! فقالت ذلك، فقال لها: ويلك! إنّها موجبة إن كنتِ كاذبة!

ثم قال رسول الله لزوجها: اذهب، فلا تحلّ لك أبداً! فقال: يا رسول الله، فما لي الذي أعطيتُها؟! فقال: إن كنتَ كاذباً فهو أبعد لك منه، وإن كنت صادقاً فهو لها بما استحللت من فرجها. ثم قال: إن جاءت بالولد أحمش قطِطٍ أخفش العينين

(صعيقها، أحمش الساقين (دقيقهما، وهي أوصاف شريك الأعرابي الذي رماها به زوجها) فهو للأمر السيّئ. وإن جاءت به أصهب (الشعر = شقره، أشهل (العين = سواد بزرقة وهي أوصاف عويمر، فهو لأبيه[1].

وروى الطوسي في «التبيان» عن ابن عباس: أنّ الآية نزلت في هلال بن أميّة وزوجته. وهو ما رواه الطبْرسي في «مجمع البيان» عن عكرمة عن ابن عباس قال: (لما نزلت الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾) قال سعد بن عبادة: لو أتيتُ لكاع وقد تفخّذها رجلٌ لم يكن لي أن اُهيّجه حتى آتي بأربعة شهداء؟ ! فوالله ما كنتُ لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب. فإن قلتُ ما رأيت إنّ في ظهري لثمانين جلدة!

فقال النبيّ للأنصار: يا معشر الأنصار، ما تسمعون إلى ما قال سيّدكم؟ فقالوا: لا تلُمْه فانه رجل غَيور، ما تزوّج امرأة قط إلّا بكراً! ولا طلّق امرأة له فاجترى منّا رجل أن يتزوّجها. فقال سعد بن عبادة: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمّي، والله اني لأعرف أنها من الله، وأنها حق ولكن عجبتُ من ذلك، لما أخبرتك.

فقال: فانّ الله يأبى إلّا ذلك. فقال: صدق الله ورسوله.

وعن الحسن أنّه قال: أرأيت إن رأى رجلٌ مع امرأته رجلاً فقتله، تقتلونه؟! وإن أخبر بما رأى جُلد ثمانين؟! فلا نضربه بالسيف؟! فقال رسول الله: كفى بالسيف شاهداً ـ أراد أن يقول شاهداً ـ ثم أمسك وقال: لولا أن تتابع فيه السكران والغيران.

وعن الضحاك عن ابن عباس قال: وقال عاصم بن عديّ: يا رسول الله،

(1) تفسير القمي ٢: ٩٨، ٩٩ والاستدلال بالأوصاف قصة في واقعة ولا صحيحة فيها فلا يقاس عليها.

إنْ رأى رجلٌ منّا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلد ثمانين وإن التمس أربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى. قال: كذلك نزلت الآية يا عاصم.

فخرج إلى منزله، فاستقبله هلال بن أمية يسترجع! فقال له عاصم: ما وراءك؟ قال: شرّ، وجدت شريك بن سمحا على بطن امرأتي خولة! فرجعا إلى النبيّ ﷺ فأخبره هلال بالذي كان [1].

فقال: إنّي جئت أهلي عشاءً فوجدت معها رجلاً رأيته بعيني وسمعته بأُذني! فكره ذلك رسول الله حتى رأى ذلك هلال فقال: إنّي لأرى الكراهة في وجهك، والله يعلم أنّي لصادق، وأنّي لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً من ذلك. وهمّ رسولُ الله بضربه ولكن أخذته حالة الوحي فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ﴾ فقال ﷺ لهلال: يا هلال، أبشر، فإنّ الله تعالى قد جعل ذلك فرجاً! فقال: قد كنتُ أرجو ذلك من الله تعالى. فقال: أرسلوا إليها [2].

فقال لها: ما يقول زوجك؟ فقالت: يا رسولَ الله، إنّ ابن سمحا كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن، فربما تركه زوجي عندي وخرج، فلا أدري أدركته الغيرة؟ أم بَخِل عليّ بالطعام؟! [3].

فلاعن بينهما، فلما انقضى اللعان فرّق بينهما وقضى أنّ الولد لها، ولا يُدعى لأب، ولا يُرمى ولَدُها. ثم قال: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها، وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه [4].

---

(١) مجمع البيان ٧: ٢٠١.

(٢) مجمع البيان ٧: ٢٠٢.

(٣) مجمع البيان ٧: ٢٠١.

(٤) مجمع البيان ٧: ٢٠٢.

وهذه الأخبار كما ترى ليس فيها ما كان في خبر القمي بعد غزوة تبوك، بل فيه أن ذلك كان بعد نزول آيتي القذف، وظاهرها الاتصال أو قريب منه. وكما مرّ فلعلّه كان من حكم الله ما جرى لهذين الزوجين لتكون عبرة للآخرين في تلك الفترة.

آيات الإفك

ثم تبدأ آيات الإفك من أوّل الآية الحادية عشرة إلى آخر الآية السادسة والعشرين، وقال الطباطبائي: روت الشيعة أن المقذوفة في قصة الإفك هي مارية القبطية أمّ ابراهيم التي أهداها المقوقس ملك الاسكندرية إلى النبي[1].

ومن قبلُ قال القمي في تفسيره: وروت الخاصة أنّها نزلت في مارية القبطية وما رُميت به[2].

ولعلّ هذه الآيات هي بشارة جبرئيل عليه‌السلام له صلى‌الله‌عليه‌وآله بأنّ الله قد برّأ مارية، وأن الذي في بطنها هو غلام منه وأشبه الخلق به.

فيما رواه المتقي الهندي في «كنز العمال» عن معجم الطبراني أنّه قال لعمر بن الخطّاب: ألا أُخبرك يا عمر؟! إنّ جبرئيل أتاني فأخبرني أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد برّأ مارية وقريبها مما وقع في نفسي، وبشّرني أنّ في بطنها غلاماً منّي، وأنّه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أُسمّيه ابراهيم[3].

---

(١) الميزان ١٥: ٨٩.

(٢) تفسير القمي ٢: ٩٩.

(٣) كنز العمال ٦: ١١٨ في دلائل الصدق ٣ القسم الثاني: ٢٦.

مولد إبراهيم ابن النبيّ ﷺ :

وذات ليلة في ذي الحجة أواخر السنة الثامنة للهجرة، أخذ مارية المخاض؛ داء الطلق، فأسعفتها مولاته سلمى زوجة مولاه أبي رافع القبطي.

ففي تلك الليلة كان أن هبط عليه جبرئيل عليه السلام فسلّم عليه بما أوحى إليه بميلاد ولده وتسميته إذ قال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فسرّه بذلك بولده، فبشّر هو ﷺ من بحضرته فقال: وُلد لي الليلة غلام فسمّيته باسم أبي إبراهيم عليه السلام.

وخرجتْ سلمى إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنّها (مارية) قد ولدت غلاماً. وجاء أبو رافع إليه ﷺ فبشّره بأنّها قد ولدت غلاماً، فسمّاه إبراهيم ووهب لأبي رافع عبداً!

وفي اليوم السابع عقّ عنه، وحلق رأسه فتصدّق بزنة شعره فضّة على المساكين، وأمر بشعره فدُفن. ودفعه رسول الله للرضاع إلى أمّ بردة بنت المنذر زوجة البُراء بن أوس الأنصاري الخزرجي، فكان يذهب إليها فيزور ابنه ويقيل هناك.

ثم دفعه للحضانة إلى أمّ سيف امرأة أبي سيف من موالي المدينة(1).

فلو حزن ﷺ لفقد ابنته المظلومة المقتولة زينب، فقد سرّه الله بمولد ولده إبراهيم، وإن كان مرجأً بألم لا ينفك من أهل الإيمان والزور كما قال هو: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»(2) وكأنه لذلك سلّاه الله ومن معه بقوله سبحانه

---

(1) بحار الأنوار 21: 183 عن المنتقى للكازروني، ومثل ذكره اليعقوبي 2: 87 والطبري 3: 95 عن الواقدي في غير المغازي.

(2) أصول الكافي 2: 252 ح 1 و2 و4 و29.

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [1] «وخاصة في مجتمع ديني متصل بالوحي ينزل عليهم الوحي عند وقوع أمثال هذه الوقائع، فعظهم ويذكّرهم بما هم في غفلة منه أو مساهلة، حتى يحتاطوا لدينهم ويتفطّنوا لما يهمّهم. فإنّ المجتمع الصالح من سعادته أن يتميّز فيه أهل الزيغ والفساد، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وينهضوا لإصلاح ما فسد من أعضائهم» [2].

آيات الاستئذان:

ومن الآية ٢٧ حتى ٢٩ ثلاث آيات في الاستئذان لدخول البيوت، ولا نجد في أخبار أسباب النزول سبباً خاصاً لنزولها.

ومرّ علينا ما رواه ابن سعد بسنده عن أنس بن مالك قال: كان النبيّ يأوي إلى أمّ إبراهيم في مشربتها بأنيابها بالماء والحطب، فقال الناس: علج يدخل على عِلْجة [3].

فيرجح في النظر أن تكون آيات الاستئذان لدخول البيوت مرتبطة بما قبلها بهذه المناسبة اتّقاءً لموارد الشبهات ودرءاً وتحديداً لها.

آيتا إيجاب الحجاب:

والآيتان ٣٠ و ٣١ آيتا إيجاب الحجاب: على الرجال أن يحفظوا فروجهم ولا ينظروا إلى سوى محارمهم، وعلى المؤمنات أن لا ينظرن إلى سوى محارمهم وما يجوز لهم، وأن يضربن على رؤوسهنّ وجيوبهنّ بخمرهنّ لتحمين زينتهنّ إلّا ما ظهر منها

---

(1) النور: ١١.

(2) الميزان ١٥: ٩٠.

(3) الطبقات الكبرى ٨: ١٥٤.

وفي شأن نزول الآيتين روى الكليني في «الكافي» عن الباقر عليه السلام قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ـ وكان النساء يتقنّعن خلف آذانهنّ ـ فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق بني (فلان، سمّاه الإمام ونسيه الراوي سعد الإسكاف) وجعل ينظر خلفها، فاعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال: والله لآتينّ رسولَ الله ولأُخبرنّه. فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: ما هذا؟ فأخبره فهبط جبرئيل بهذه الآية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

ولو أنّ الجمع مهما أمكن أولى من الطرح فليس من ممتنع الجمع أن نجمع في سبب نزول آيتي الحجاب بين ما جاء في هذا الخبر عن الباقر عليه السلام وبين أن يكون ذلك أيضاً بمناسبة قضيّة مارية القبطيّة.

ولعلّه يصلح شاهداً لهذا الجمع ما جاء في تعداد المحارم في الآية: ﴿... أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ...﴾ وقد روى الطوسي عن الشعبي وعكرمة في قوله: ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ قالا: هو العنّين الذي لا حاجة له في النساء لعجزه[2] وروى الطبرسي عن الشافعي: أنه المجبوب أو الخُصيّ الذي لا رغبة له فيهن[3] وقد رووا أنّ خادم مارية الذي كان يدخل إليها كان خَصياً أو مجبوباً أو ممسوحاً أو له هُنَيّة في لحمة صغيرة أو لم يكن له ما للرجال، على اختلاف ألفاظ الأخبار فيه.

---

(١) عن الكافي في الميزان ١٥: ١١٦

(٢) التبيان ٧: ٤٣٠

(٣) مجمع البيان ٧: ٢١٨

والمفروض أنّ هاتين الآيتين هما آيتا حجاب الحجاب كما مرّ، فقبلهما لم يكن واجباً ولا حاجة إلى تطبيق هذه الاستثناءات، والمفروض أن الخادم كان يدخل إلى مارية من قبل إيجاب الحجاب. ولكن الآية استثنته حتى لما بعد نزولها. ولم يُرْوَ عنه ﷺ أنّه منعه بعدها.

مكاتبة العبيد، وتحصين الإماء:

ولعلّه لرجال والنساء انتقلت الآيات التاليتان ٣٢ و ٣٣ إلى الترغيب في النكاح، ونكاح العبيد ومكاتبتهم، والإماء وتحصينهنّ.

وفي مكاتبة العبيد روى الواحدي: أنّ غلاماً لحويطب بن عبد العزّى (في مكة) سأل مولاه أن يكاتبه ليتحرّر، فأبى عليه (وكانا قد أسلما بعد فتح مكة) فأنزل الله هذه الآية. فكاتبه حويطب على مئة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً، فأدّاها، وقُتل في الحرب يوم حُنين[1] وهذا يعني نزول السورة إلى هنا بعد فتح مكة وقبل حرب حُنين ؟! فكيف الإفك ؟ واللعان في المدينة ؟!

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جاء في تفسير القمي: كانت العرب وقريش يشترون الإماء ويجعلون عليهن الضريبة الثقيلة ويقولون لهن: اذهبن وازنين واكتسبن! فنهاهم الله - عزّ وجلّ - عن ذلك[2] وهذا لا يقتضي نزولها في مكة قبل الهجرة وإنما بعد فتحها. وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إعفاء لمن عمّا سبق من حدّ الجَلْد للزنا.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٧٠.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٠٢.

وروى الطوسي عن جابر الأنصاري قال: نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول حين أكره أمته مُسَيكة على الزنا[1].

وقال الطبْرسي: إنّ عبد الله بن أُبَيّ كانت له ست جوارٍ يُكرههنّ على الكسب بالزنا، فلما نزل تحريم الزنا (كذا) أتين رسول الله فشكون إليه ذلك، فنزلت الآية[2]. ونقل عن مقاتل قال: نزلت في ست جوار لعبد الله بن أُبَيّ كان يُكرههن على الزنا ويأخذ أجورهن وهنّ: مُعاذة ومُسيكة وأُميمة وعَمْرة وقتيلة وأروى، فجاءت إحداهن ذات يوم بدينار، وجاءت الأخرى بدونه، فقال لهما: ارجعا فازنيا، فقالتا: لا والله لا نفعل، قد جاءنا الله بالإسلام وحرّم الزنا! وأتتا رسولَ الله وشكتا إليه، فأنزل الله الآية[3] وظاهر قولهما: قد جاءنا الله بالإسلام وحرّم الزنا: أنّ ذلك كان في أوائل الهجرة وليس اليوم في أواخر السنة الثامنة.

ونقل الطباطبائي هذا فقال: وتضعّفه: أنّ الزنا لم يحرّم في المدينة. وتقدم في سورة الأنعام: أن حرمة الفواحش ـ ومنها الزنا ـ كانت من الأحكام العامة التي لا تختص بشريعة دون شريعة[4].

وبعيد جداً أن يدوم هذا الوضع لابن أُبَيّ بعد الهجرة بكثير، كما يبعد جداً أن تكون الآية من الأوائل ثم حُشرت هنا ضمن الآية ٣٣ فالأولى ما مرّ عن تفسير القمي.

---

(١) التبيان ٧: ٤٣٤.

(٢) مجمع البيان ٧: ٢٢١.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٧١.

(٤) الميزان ١٥: ١١٨.

تزكية بيت النبي ﷺ:

في الآية ٣٦ إلى آخر الآية ٣٨ أرى عوداً على تزكية بيته ﷺ بقوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كما روى القمي في تفسيره بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: هي بيوت الأنبياء[1]. وعن ابن عمر: الشجرة المباركة (في الآية السابقة) إبراهيم عليه السلام، والزجاجة التي كأنها كوكب دري: محمد ﷺ. وعن كعب الأحبار: المشكاة محمد والمصباح قلبه، وشبّه صدر النبي بالكوكب الدري[2].

وروى الطبرسي مرفوعاً: أنه ﷺ لما قرأ هذه الآية سُئل: أيّ بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر وأشار إلى بيت علي وفاطمة وقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ قال: نعم، من أفاضلها[3].

وهذا المعنى لقوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ بعد تقوّل المنافقين هنا، يعيد إلى الذهن نزول قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ من سورة الأحزاب، بعد زواجه بزينب بنت جحش وتقوّل المنافقين في ذلك. ففي كلا الموردين تقوّل المنافقون بما يفيد وَهْنَ ذلك البيت الرفيع، ويَرِدُ الوحيُ الوارد على ذلك بتعظيم شأن ذلك البيت وتطهيره عمّا يقول المنافقون، فأعداء هذا البيت يكونون السبب في بيان رفعة شأنه.

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٠٤ وتمامه: ومنها بيت علي عليه السلام.

(٢) التبيان ٧: ٤٣٧ و ٤٣٨.

(٣) مجمع البيان ٧: ٢٢٧ وفي الميزان ١٥: ١٤٣ عن الدر المنثور.

وارتابوا في حكمه[1]

ومن الآية ٤٧ حتى آخر الآية ٥٢ خمس آيات، هي في شأن مشابه لما في آيات الإفك من الريب فيما يرتبط به ﷺ، قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * ... * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين وفلان، وذلك أنه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين: نرضى برسول الله ﷺ.

فقال عبد الرحمن بن عوف لفلان: لا تحاكمه إلى رسول الله ﷺ فإنه يحكم له عليك! ولكن حاكمه إلى ابن أبي شيبة اليهودي! فقال فلان لأمير المؤمنين: لا أرضى إلّا بابن شيبة اليهودي! (ومعه اليهودي) فقال له: تأتمنون محمداً على وحي السماء وتتهمونه في الأحكام! فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ...﴾ ثم ذكر أمير المؤمنين فقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وحكى الطوسي في «التبيان» عن البلخي: أن عثمان بن عفان اشترى من علي عليه السلام أرضاً (وقعها من سهمه بخيبر) فخرجت فيها أحجار، فأراد عثمان ردّها

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٠٧.

بالنصب، فلم يأخذها علي عليه السلام وهاب به «بيني وبينك رسول الله» فقال له الحكم بن أبي العاص: لا نحاكمه إليه، بل نحاكمه إلى ابن عثمة حكم له! فنزلت[1]

وكأنّ القمي اتّقى التصريح باسم عثمان فيما حكاه البلخيّ، والكلمة بابن أبي العاص أشبه منها بابن عوف.

وتسلية له ﷺ:

وكأنّ الله تعالى أراد أن يسلّي النبيّ ﷺ عن سوء سلوك أهل الإفك والنفاق معه، فقال في الآية ٥٥: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وروى العياشيّ: أنّ علي بن الحسين عليه السلام قرأ الآية فقال: والله هم شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا هو مهديّ هذه الأمّة، وهو الذي قال (فيه) رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

رواه الطبْرسيّ ثم قال: وعن أبي جعفر وأبي عبد الله مثل ذلك. بل على هذه (قيام المهدي) إجماع العترة الطاهرة وإجماعهم حجة لقوله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[2].

---

(١) التبيان ٧: ٤٥٠ وعنه في مجمع البيان ٧: ٢٣٦.

(٢) مجمع البيان ٧: ٢٣٩، ٢٤٠.

أمّا الطوسيّ فقد اكتفى بقوله: قال أهل البيت عليهم السلام: إنّ المراد بذلك المهديّ عليه السلام؛ لأنّه يظهر بعد الخوف ويتمكّن بعد أن كان مغلوباً[1].

عود على الاستئذان

مرّ في الآية ٣١ في المحارم: ﴿... أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ وهنا الآية ٥٨ تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ثَلَاثُ مَرَّاتٍ... لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ وكأنّ الآية ترفع الحرج عنهم في دخول مالكيهم ومالكيهنّ عليهم وعليهنّ. فلا ينبغي أن تكون لذلك صلة بالإفك. ولم يُذكر سبب خاص لنزول الآية، ولا أستبعد استمرار مناسبة قصة الإفك على مارية، بجهة دخول المملوك عليها.

ثم استطردت الآية وتواليها في أحكام الاستئذان، واستثناءات للأصحاب، ومعاشرة العميان والعرجى والمرضى، خلافاً لما كانوا عليه من قبل.

وصدر الآية ٦٣ قبل الأخيرة، وبالمناسبة السابقة أيضاً يعود لتعظيم الرسول الكريم: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...﴾ وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال في تفسير الآية: يقول لا تقولوا: يا محمد ولا يا أبا القاسم، لكن قولوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله. فعنه القمي في تفسيره وقال: لا تدعوا رسول الله كما يدعو بعضكم بعضاً[2].

هذا، وإن اشتهر في العامل أخيراً ذكر خبر الحلبي في «مناقب آل أبي طالب» عن القاضي أبي محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام عن جدّته فاطمة عليها السلام قالت: لمّا نزلت ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ...﴾ هِبْتُ رسول الله أن أقول له: يا أبه،

(١) التبيان ٧: ٤٥٧.

(٢) تفسير القمي ٢: ١١٠.

فكنت أقول: يا رسول الله، مرة واثنتين أو ثلاثاً فأعرض ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة، إنها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر. قولي: يا أبه، فإنها أحيا للقلب وأرضى للربّ[1] وهو كما ترى من حيث الاسناد.

وعن مجاهد وقتادة: لا تقولوا: يا محمد، كما يقول بعضكم لبعض، بل قولوا له: يا رسولَ الله، ويا نبيّ الله، بالخضوع والتعظيم. وعن ابن عباس: احذروا فيما بينكم إذا أسخطتموه دعاءه عليكم فإنه مستجاب لا كدعاء غيره[2].

وحكاهما الطبرسي في «مجمع البيان» وزاد معنى ثالثاً لا يبعد عن سابقيه أيضاً: أن لا تجعلوا دعوة الرسول لكم إلى شيء أو أمر كدعوة بعضكم لبعض، فليس الذي يدعوكم إليه كما يدعو بعضكم بعضاً، إذ إنّ في القعود عن أمره قعوداً عن أمر الله تعالى[3] وهذا أوفق بسياق الآية كما قال الطباطبائي[4].

امتحان الإيمان

والسورة التالية في النزول سورة الحج[5]، والآية الثالثة فيها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ والثامنة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

---

(1) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٢٠ وعنه في بحار الأنوار ٤٣: ٣٧.

(2) التبيان ٧: ٤٥٧.

(3) مجمع البيان ٧: ٢٤٨، ٢٤٩.

(4) الميزان ١٥: ١٦٦، ١٦٧، ١٧١.

(5) التمهيد ١: ١٠٧ ومجمع البيان ١٠: ٦١٢، ٦١٣ وهنا في ٧: ١١٢ روى خبراً عن أبي سعيد الخدري وعمران بن الحصين أن الآيتين ١ و٢ نزلتا في غزوة بني المصطلق وفيه غرائب، وينافي ما رواه في ترتيب النزول، فلا عبرة به.

يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ والطوسي في «التبيان» بشأن الأخيرة، والطبرسي في «مجمع البيان» بشأن الأولى رووا عن ابن عباس: أنّهما نزلتا في النضر بن الحارث بن كلدة[1] وهو من أسرى بدر وقتله علي عليه السلام بأمره صلى الله عليه وآله في منزل الأثيل[2] أي قبل نزولها بخمس سنين![3]

وفي الآية ١١ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾
روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في قوم وحّدوا الله وخلعوا عبادة ما دون الله وخرجوا من الشرك (ولكنّهم) لم يعرفوا أنّ محمداً رسول الله، فهم يعبدون الله على شك في محمد وما جاء به، فأتوه وهم يقولون: ننظر فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنّه صادق وأنّه رسول الله وإن كان غير ذلك نظرنا. فأنزل الله: ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾[4].

والطوسي في «التبيان» رواه عن ابن عباس قال: كانوا إذا قدموا المدينة فإن صحّ جسم أحدهم ونتجت فرسه مُهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأنّ إليه، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وتأخّرت عنه الصدقة قال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلّا شرّاً[5] ونقله الطبرسي في «مجمع البيان»[6].

---

(١) التبيان ٧: ٢٩٤ ومجمع البيان ٧: ١١٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٣٦٧ ومغازي الواقدي ١: ١٤٩.

(٣) وقال الطباطبائي: الظاهر أنّه من التطبيق. الميزان ١٤: ٣٥٣.

(٤) تفسير القمي ٢: ٧٩ ورواه الكليني في الكافي كما عنه في الميزان ١٤: ٣٥٦.

(٥) التبيان ٧: ٢٩٦.

(٦) مجمع البيان ٧: ١١٩.

وكأنّ الآية ١٥ تعود إليه: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..﴾.

وروى الطوسي عن قتادة عن ابن عباس: أنّ الضمير: ﴿لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ عائد إلى النبيّ ﷺ، يعني: مَن كان يظنّ أنّ الله لا ينصر نبيّه ولا يعينه على عدوّه ويظهر دينه، فليمت غيظاً ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بحبل إلى سماء بيته ثم ليقطع حياته به فيذهب ويذهب غيظه معه. وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين يخشون أن لا يتمّ له أمره[1].

وقالوا: إنّ الضمير يرجع للنبيّ ﷺ. وذلك أنّ مشركي مكة كانوا يظنون أنّ الذي جاء به النبيّ من الدين أُحدوثة كاذبة لا تبتني على أصل عريق، فلا يرتفع ذكره ولا ينتشر خبره، ولا معزّ له عند ربّه حتى إذا هاجر إلى المدينة فنصره الله وبسط دينه ورفع ذكره غاظهم ذلك غيظاً شديداً فقرعهم الله بهذه الآية أشار بها إلى أنّ الله ناصره، ولن يذهب غيظهم ولو خنقوا أنفسهم[2].

وكل هذا يؤيّد نزول السورة بعد فتح مكة وحُنين، وخضوع عاصمة المشركين للمسلمين. وإليه يعود ما في الآية ١٩: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

وفي تفسير القمي: نحن وبنو أُميّة قلنا: صدق الله ورسوله، وقالت بنو أُميّة: كذب الله ورسوله ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم بنو أُميّة[3].

وروى الواحدي بسنده عن علي (عليه السلام) قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا

---

(١) التبيان ٧: ٢٩٨ و ٢٩٩.

(٢) الميزان ١٤: ٣٥٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ٨٠ ومثله مسنداً عن الحسين (عليه السلام) في الخصال ١: ٤٢، ٤٣.

يوم بدر وما رواه البخاري وعنه الطبرسي والواحدي عن أبي ذر بمعناه[1] وعنه مسلم والترمذي وابن ماجة وعنهم السيوطي وعنه في «الميزان»[2] فيبدو أنّه من التطبيق وذكر المصاديق وليس سبب النزول[3]، بل المناسبة خاصة أبي سفيان للنبي ﷺ وانكساره في فتح مكة وتأنيبه بتأمين داره وترتيبه على المؤلفة قلوبهم يوم الفتح، باعتبار فترة نزول السورة.

ولذلك تعود عليهم الآية ٢٥: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ وقال القمي في تفسيره: نزلت في قريش حين صدّوا رسول الله عن مكة[4] ونقل الطوسي والطبرسي: أنّ الآية نزلت في أبي سفيان وأصحابه حين صدّوا رسول الله عن مكة عام الحديبية[5] لا في حينه بل تذكراً به. وتستمر الآيات التاليات في أحكام الحج بالمناسبة حتى آخر الآية ٣٧، ولعل نزولها كان في أيام الموسم أو قبيل بعد رجوعه ﷺ من مكة في آخر شهر ذي القعدة وقبل ذي الحجة. وتبدأ الآية ٢٦ بذكر إبراهيم عليه السلام وتوحيده وتطهيره للبيت، وكأنّه تقرير تطهيره بيد رسول الله ﷺ في فتح مكة.

آية الإذن في القتال:

ثم تعود الآيات التاليات على دفاع الله عن المؤمنين وإذنه لهم بالقتال

---

(١) أسباب النزول: ٢٥٥ والتبيان ٧: ٣٠٢ ومجمع البيان ٧: ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) الميزان ١٤: ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) وانظر التمهيد ١: ٢٠٠.

(٤) تفسير القمي ٢: ٨٣.

(٥) التبيان ٧: ٣٠٨ ومجمع البيان ٧: ١٢٨.

ونصره إياهم، فإن مكّنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[1] إلى آيات أخرى في عواقب الكفّار والمؤمنين دنيا وآخرة، منسجمة مع الفترة المذكورة.

وفي آية الإذن في القتال روى الواحدي عن ابن عباس عن أبي بكر قال: لمّا أُخرج رسول الله من مكة قلت: إنا لله، لنهلكنّ! فأنزل الله الآية، فعرفت أنّه سيكون قتال! وقال: قال المفسّرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج فيشكونهم إلى رسول الله فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أُومر بالقتال، حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية[2] وفي «التبيان» قيل: نزلت في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قَوَوا أذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم وأمرهم بجهادهم[3]

وهذا كله مبنيّ على أن يكون المراد بقوله ﴿ أُذن ﴾ إنشاء الإذن دون الإخبار عن إذن سابق[4] وأنّها أول آية نزلت في الأمر بالقتال[5] وأنّها نزلت ما بين هجرته ﷺ وغزوة بدر[6] بل بعد الهجرة بقليل[7] خلافاً للأخبار[8] بل الأوفق أن

---

(١) النور: ٤١ فكأنّها تصف تمكينه في فتح مكة.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٥٥ ونحوه في مجمع البيان ٧: ١٣٨.

(٣) التبيان ٧: ٣٢٠.

(٤) الميزان ١٤: ٣٨٤.

(٥) التبيان ٧: ٣٢١ ومجمع البيان ٧: ١٣٨ والميزان ١٤: ٣٨٣.

(٦) الميزان ١٤: ٣٣٨.

(٧) الميزان ١٤: ٣٥٢.

(٨) تفسير القمي ٢: ٨٤ قال: إنّ هذه الآية نزلت في رسول الله لما أخرجته قريش من مكة.

أوّل ما نزل في القتال قوله سبحانه في سورة البقرة الأولى أو الثانية في المدينة: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾[1] وآية الإذن في سورة الحج إنّما هي إخبار عن ذلك الإذن السابق، أو هي إخبار وتأكيد على ما قاله ﷺ في خطبته بعد فتح مكة: إنّها حرام حرام في حرام إلّا أنّها أُحلّت لي ساعة من نهار[2] وإن كان هو بدوره عملاً بقوله سبحانه من قبل في سورة البقرة بعد الآية السابقة: ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[3]. ولعله لهذا عقّب الآية: ﴿ أذن للذين يقاتلون ﴾ بفتح التاء، إشارة إلى أنّهم قوتلوا فقاتلوا، ولو لم يقاتلوا لم يقاتلوا، بل لم يؤذن لهم أن يقاتلوا.

إلقاء الشيطان في أماني أنبياء الإيمان[4]

وإذا بنينا على نزول السورة في هذه الفترة بالمدينة، بلا برهان قاطع على استثناء آيات منها، فلا نسلّم باستثناء الآية ٥٢: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، بل الأوفق بالسياق: أنّ رسول الله يتمنّى ـ طبعاً ـ أن يتوفّق لأداء رسالته وتبليغها ونشرها واستمرارها ودوامها ورفع بل دفع الموانع عنها. وطبعيّ أنّ الشيطان من شياطين الجن والإنس كانوا يلقون في هذه الأُمنية الرسالية ما يلائمهم ويضادّ مفاد الرسالة، ولا أقل من الترديد والتشكيك في تحقيق

---

(١) البقرة: ١٩٠. الميزان ١٤: ٣٨٣ ومجمع البيان ١: ٥١٠ والتبيان ٢: ١٤٣.

(٢) فروع الكافي ١: ٢٢٨.

(٣) البقرة: ١٩١.

(٤) الحج: ٥٢ وانظر التمهيد ١: ٢٠١.

أمانيها، كما مرّت الإشارة إلى ذلك في بعض الآيات الأخرى لنكر: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ وكما بدر من بعض أصحابه من الاعتراض على معاهدة صلح الحديبية والتشكك في رسالته وصدق وعده لذلك، كما مرّ كذلك. فنسخ الله بفتح مكة ما ألقاه الشيطان من الوساوس، وأحكم آياته بوعده بنصره لرسوله، وقال في الآية التالية ٥٣: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال قبلها: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال بعده: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً... الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ فشكّكهم في صدق الرسول لا يزول، ولذلك الله يقول لهم: إنّ هذه المرية والريب منهم لا يزال حتى يصبح الملك لله يوم الساعة (١).

وفي الآية ٣٤ من آيات مناسك الحج ٢٥ ـ ٣٧ قال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾ وكرّره في الآية ٦٧ فقال: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ * وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

وروى الطبرسي في «جوامع الجامع» أنّ جمعاً من كفّار خزاعة المحالفين للمسلمين وفيهم بُديل بن ورقاء الخزاعي قالوا لهم: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟! يعنون الميتة (٢). ولعله كان ذلك بعد فتح مكة ومعاشرتهم

---

(١) ويحتمل هذا قال الطباطبائي في الميزان ١٤: ٣٩١ وهو أفضل ما قيل في هذا المجال ويغني عن القيل والقال.

(٢) جوامع الجامع للطبرسي ٢: ١٠٨ وأشار إليه في مجمع البيان ٧: ١٥٠ وفي التبيان ٧: ٣٢٨.

معهم فيها ، وعليه فالآية نزلت بعد ذلك الحدث ردّ عليه ، وتثبيت المؤمنين على ما هم عليه ، والسياق المكرّر مساعد مؤيّد[1].

* * *

والسورة التالية الخامسة بعد المئة في ترتيب النزول ، والتاسعة عشر في النزول بعد الهجرة هي سورة المنافقون[2] ، وقد مرّت أخبارها في نهاية غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة وهناك قلنا : إنّ حوادثها لا تحتمل التأخير تاريخياً ، وأنّها لا تحتمل التأخير نزولاً حتى هذه الفترة ، ومع ذلك يفيد الخبر المعتمد في ترتيب النزول نزولها هنا ، فهذه نقطة مبهمة تاريخياً وتفسيرياً ، والعلم عند الله.

والسورة التالية السادسة بعد المئة في ترتيب النزول والعشرون بعد الهجرة هي سورة المجادلة قوله سبحانه : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

كان الرجل في الجاهلية إذا قال لأهله : أنت عليّ كظهر أمّي حرمت عليه إلى الأبد[3] وكان أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي أخو عبادة بن الصامت متزوجاً بابنة عمه خولة بنت ثعلبة[4] وكان امرأً فيه سُرعة ولمم[5].

فروى الواحدي بسنده عن خولة قالت : دخل عليّ ذات يوم هو كالضجر ، فكلّمني بشيء فرددته فغضب فقال لي : أنت عليّ كظهر أمّي . وخرج إلى نادي

---

(١) وانظر الميزان ١٤ : ٤٠٦ و ٤١٣

(٢) التمهيد ١ : ١٠٧

(٣) تفسير القمي ٢ : ٣٥٣

(٤) أسباب النزول للواحدي : ٣٤٥

(٥) مجمع البيان ٩ : ٣٧١

قومه ثم رجع الي(١) فراها زوجها وهي ساجدة في صلاتها، وكانت حسنة الجسم، فلما انصرفت أرادها(٢) فقالت: فراودني عن نفسي فامتنعت منه فشادّني فشاددته، وكان رجلاً ضعيفاً فغلبته وقلت: كلّا لا تصل اليّ حتى يحكم الله تعالى فيّ وفيك بحكمه! ثم أتيت النبي ﷺ(٣)

فروى القمي بسنده عن الباقر عليه السلام قال: فقالت: يا رسول الله، إنّ زوجي (فلاناً) قد نثرت له بطني وأعنته على دنياه وآخرته، ولم ير منّي مكروهاً. فقال ﷺ: فيمَ تشكينه؟ قالت: أنه أخرجني من منزلي وقال لي: أنت عليّ حرام كظهر أمّي! فانظر في أمري.

فقال لها رسول الله: ما أنزل الله تبارك وتعالى عليّ كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلّفين.

فانصرفت وهي تبكي وتشتكي ما بها الى الله عزّ وجلّ. ثم أنزل الله تعالى في ذلك قرآناً ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ فبعث رسول الله الى المرأة، فأتته، فقال لها: جيئيني بزوجك. فأتت به.

فقال له: أقلت لامرأتك هذه: أنت عليّ حرام كظهر أمّي؟ قال: قد قلت لها ذلك. فقال له رسول الله: قد أنزل الله فيك وفي امرأتك قرآناً، وقرأ الآية، وقال له: فضمّ اليك امرأتك فإنّك قد قلت منكراً من القول وزوراً، وقد عفا الله عنك وغفر لك، ولا تعد(٤).

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٤٥

(٢) مجمع البيان ٩: ٢٧٦

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٤٥.

(٤) تفسير القمي ٢: ٣٥٣، ٣٥٤.

وفي خبر الطبرسي في «مجمع البيان» قال: فلما تلا عليه هذه الآيات قال له: فهل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: الرقبة غالية وأنا قليل المال فيذهب مالي كله! قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: يا رسول الله، والله إنّي إذا لم آكل ثلاث مرّات في اليوم، كلَّ بصري وخشيت أن تعشى عيني! قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا والله إلّا أن تعينني على ذلك، يا رسول الله. فقال: إنّي معينك بخمسة عشر صاعاً، وأنا داعٍ لك بالبركة.

فأعانه رسول الله بخمسة عشر صاعاً ودعا له بالبركة، فاجتمع أمرهما[1].

* * *

وإذا كان هذا الصحابيّ الأنصاري الخزرجي عاد إلى طلاق أهل الجاهلية بصيغة الظهار بعد أكثر من ثمان سنين من الهجرة، فاقتضى نزول مفتتح هذه السورة إلى أربع آيات منها، فالآية الثامنة منها تشير إلى مخالفة جمع منهم في تحيّته ﷺ بغير تحية الله والإسلام بقولهم إذا أتوه: أنعم صباحاً، وأنعم مساءً، وهي تحية أهل الجاهلية! فأنزل الله: ﴿... وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2] فالآية نهتهم عن تحية الجاهلية. والآية التالية نهتهم عن النجوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وأردف حكمة هذا النهي فقال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولقد أشار في صدر الآية السابقة الثامنة إلى أنّ هذا النهي عن النجوى

(١) مجمع البيان ٩: ٣٧١.

(٢) المجادلة: ٨ والخبر في تفسير القمي ٢: ٣٥٥.

كان سابقاً بنهي النبيّ وأنّهم عادوا لما نهوا عنه. ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾

مجالس النبي وأصحابه:

وفي الآية الحادية عشرة دلالتان متعاكستان، فهي من ناحية تدلّ على وجود مؤمنين في أصحابه ﷺ وذوي العلم فيهم وأنّهم ذوو فضل في الإسلام، وأنّه ﷺ كان يحاول تفضيلهم في المجالس فيفسح لهم. ولكن الآية من ناحية ثانية تشير إلى أنّ جمعاً منهم كان إذا قيل لهم انشزوا أو تفسّحوا يتضايقون من ذلك، فاقتضى الأمر نزول وحي الله يؤيّد نبي الله في ذلك، فنزلت الآية.

وقال المعتزلة بشأن نزولها: إنّه ﷺ كان بعد أن بنى الصُفّة في مسجده (في السابعة) يخرج أيام الجمعة قبل الصلاة فيجلس فيهم، وفي المكان ضيق. وكان يكرم أهل بدر من الأنصار والمهاجرين، فبينا هم كذلك والمجلس غاصّ بأهله إذ أقبل عليهم جمع من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فسلّموا عليه ﷺ ثم سلّموا على القوم فردّوا عليهم ولم يفسحوا لهم، فقال للنفر منهم بقدر البدريّين: يا فلان ويا فلان قوموا! فأقامهم ليجلس البدريّون، فبدت الكراهة على وجوههم!

وحاول المنافقون إثارتهم فقالوا لهم: إنّ قوماً أحبّوا القرب من نبيّهم وأخذوا مجالسهم بقربه فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم. فوالله ما عدل على هؤلاء! وأنتم تزعمون أنّ صاحبكم يعدل بين الناس! فنزل قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ... ﴾[1].

---

(1) المجادلة: ١١ والخبر في مجمع البيان ٩: ٣٧٨ وأسباب النزول للواحدي ٣٤٧

النجوى مع نبيّ الله

كما كان ﷺ يكرم الفقهاء ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ومنهم البدريّون السابقون إلى الإيمان والجهاد، فهم أفهم لأحكام الإسلام وعقائده ومعارفه من اللاحقين منهم من بعدهم، كذلك كان يكرم الفقراء منهم، ذلك أنّهم أقرب للتقوى والإيمان من المستغنين على مزلّة الطغيان. ولكنّهم كانوا يأتونه ويحبسون الفقراء عن مجالسه ومناجاته طويلاً، حتى كره رسول الله ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فأمرهم الله بأن يقدّموا بين يدي نجواه صدقة وتعبّدهم بأن لا يناجي أحد رسول الله إلّا بعد أن يتصدّق بشيء ما قلّ أو كثر، وعفا عنه وأعفى عنها من لم يجدها منهم، إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وكان لعليّ عليه السلام دينار فصرفه بعشرة دراهم، فكان يقدّم بين يدي نجواه للنبيّ صدقة بدرهم عشر مرّات حتى أنهاها، وبخل الموسرون منهم فانتهوا عن مناجاته فلم يعمل بذلك أحد منهم سوى عليّ عليه السلام حتى نزلت الآية التالية: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾ أي كفى منهم عن هذه الصدقة بالصدقات المفروضة في الزكوات. ونُسخ العمل بالآية إذ به أُجري الفضل خاصّاً بعليّ عليه السلام[2].

---

(١) المجادلة: ١٢ والخبر في التبيان ٩: ٥٥١ عن الزجاج ومجمع البيان ٩: ٣٧٩ عن مقاتل ابن حيّان، وكذلك في أسباب النزول للواحدي: ٣٤٨.

(٢) المجادلة: ١٣ والخبر في المصادر السابقة، وما نزل من القرآن للحبري الكوفي عن مجاهد: ٨٤ وكذلك في تفسير فرات: ٤٦٩، ٤٧٠ وفيه عن ابن عمر أنّه دفع بدينار إليه ﷺ. وفي تفسير القمي ٢: ٣٥٧ عن مجاهد كذلك، وعن الصادق عليه السلام أيضاً. وفي هامش تفسير فرات مصادر عديدة أخرى. وفي المجمع عن مقاتل أن الفصل كان عشر ليالٍ ٩: ٣٨

حزب الشيطان وحزب الرحمن :

إذاً كان في أصحابه ﷺ من ما زال يحبّه محبّة الحفيّة، ومن نهاه عن النجوى فعاد لذلك، ومن بخل عن الصدقة للنجوى فأمسك عنها بعد أن كان يطيلها معه فيحرم الآخرين منه، ومن بدت الكراهة على وجهه لمّا أقامه ليجلس مكانه الصحابيّ البدري. فلقد كان عبد الله بن نبتل ممن كان يجالسه ثمّ يرفع حديثه إلى اليهود، بل كان إذا خلا إلى أصحابه يشتمونه ﷺ!

فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينا رسول الله في ظلّ حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين وقد كاد الظلّ يقلّص عنهم، إذ قال لهم: سيأتيكم الآن إنسان ينظر إليكم بعين شيطان! فإذا أتاكم فلا تكلّموه! فجاء رجل أزرق؟!

وعن مقاتل والسدّي: جاء عبد الله بن نبتل وكان أزرق العين، فقال له رسول الله: علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟! فحلف بالله ما فعل ذلك! فقال ﷺ: علامَ تشتمني أنت وفلان وفلان، وذكر أسماءهم. فحلف بالله ما فعل ذلك! فقال ﷺ: بل فعلت!

فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه! فنزل الوحي بقوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ويعلم من الآية التالية أنّهم كانوا من الأثرياء الأغنياء الموسرين ذوي أموال وأولاد، إذ قال تعالى: ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ والآية التالية أمضت وصف النبيّ له بالشيطان: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

أجل، هؤلاء حزب الشيطان، فمن حزب الله؟: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

وفي الآيات من الاتصال الظاهر[2] ما لا يلائمه أن يكون بعضها لمناسبات أخرى.

* * *

(1) المجادلة: ١٤ ـ ٢٢ والأخبار في أسباب النزول للواحدي عن صحيح الحاكم وغيره: ٣٤٨ أمّا الطوسي في التبيان ٩: ٥٥٢ والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٣٨٠ فاكتفيا بالنقل عن ابن زيد وقتادة: أنّها في المنافقين.

(2) الميزان ١٩: ١٩٨.



أهم حوادث

السنة التاسعة للهجرة



روى الواقدي بسنده عن الزهري، أنه ﷺ لما رجع من فتح مكة وحنين وعمرته في ذي القعدة إلى المدينة، أقام فيها بقية ذي القعدة وذي الحجة، فلما رأى هلال المحرّم

بعث بُريدة بن الحُصَيب - أو كعب بن مالك - إلى أسلم وغفار لجباية صدقاتهم

وبعث عبّاد بن بشر الأشهليّ إلى سُلَيْم ومُزينة

وبعث رافع بن مكيث إلى جُهينة

وبعث الضحّاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

وبعث ابن اللُّتبية الأزديّ إلى بني ذُبيان

وبعث عمرو بن العاص إلى فَزارة.

وبعث بُسر بن سفيان الكعبي - أو نُعيم بن عبد الله العدوي - إلى بني كعب الخزاعيين، فوجدهم على عُسفان أو على غدير بذات الأشطاط (قرب الحديبية)، وقد حلّ معهم على الماء بنو جُهَيم من بني تميم وبنو عمرو من بني تميم. فأمر بجمع مواشي خُزاعة ليأخذ منهم الصدقة، فجمعت خزاعة الصدقة من كل ناحية، فقال لهم بنو تميم: تؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟! فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين

الإسلام، وهذا من ذلك. وقال التميميون: والله لا يصل إلى بعير منها أبداً، واجتمعوا وتقلدوا قِسيّهم وشهروا سيوفهم! فلما رآهم المصدّق خافهم فانطلق مولّياً وهرب منهم[1].

فقدم المصدّق على النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّما كنت في ثلاثة نفر فوثبت خُزاعة على التميميين فأخرجوهم من محالّهم وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، ليدخلنّ علينا بلاء من عداوة محمد وعلى أنفسكم حيث تعرضون لرُسل رسول الله تردّونهم عن صدقات أموالنا. فخرجوا إلى بلادهم.

غزو الفزاري لبني تميم في المحرم[2]:

فقال رسول الله ﷺ: من لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟ فانتدب أوّل الناس عُيينة بن حِصن الفزاري فقال: أنا والله لهم، أتبع آثارهم ولو بلغوا يَبرين في ديار بني سعد، حتى آتيك بهم إن شاء الله، فترى فيهم رأيك.

فبعثه رسول الله ﷺ في خمسين فارساً من العرب من غير المهاجرين والأنصار، فكان يسير بالليل ويكمن لهم بالنهار، فخرج على ثنية ركوبة حتى انتهى إلى موضع العرج فوجدهم قد رحلوا إلى أرض بني سُليم، فخرج في أثرهم فوجدهم بعد ما انشقّا في صحراء قد حلّوا وسرّحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع ولّوا، فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، فجلبهم إلى المدينة، فحُبسوا في دار رملة بنت الحارث.

فقدم عشرة من رؤسائهم منهم: الأقرع بن حابس التميمي، والزّبرقان بن

---

(١) هذا سوى خبر الوليد بن عقبة مع بني وليعة أو بني المصطلق من خزاعة وسيأتي.

(٢) ذلك أنّه إنّما كان تمرّداً داخل الدولة الإسلامية لا غزواً.

بدر[١]، وعُطارد بن حاجب، وقيس بن الحارث وربيع بن الحارث بن مجاشع، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم، ونُعيم بن سعد، فدخلوا المسجد قبل الظهر وسألوا عن سبيهم فأخبروا بهم أنهم في دار رملة بنت الحارث، فأتوهم فبكى النساء والأولاد، فرجعوا إلى المسجد وقد أذّن بلال بأذان الظهر الأول، ورسول الله يومئذٍ في بيت عائشة والناس ينتظرون خروج رسول الله، فتعجّلوا خروجه فنادوا: يا محمد! اخرج إلينا! فقام إليهم بلال وقال: إنّ رسول الله يخرج الآن! فخرج رسول الله، وأقام بلال للصلاة وهم تعلّقوا به يقولون: أتيناك بخطيب وشاعرنا فاسمع منّا! فتبسّم النبي[٢] ثم مضى فصلّى بالناس الظهر، ثم انصرف إلى بيته ثم خرج فجلس في صحن المسجد، فأقبلوا عليه وقدّموا عُطارد بن حاجب خطيبهم فقام فقال:

الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثرهم مالاً وعدداً، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن يفاخر فليعدّد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا من الكلام ولكنّا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول قولي هذا لأن تؤتى بقول هو أفضل من قولنا. وجلس. فالتفت رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس ـ وكان من أجهر الناس صوتاً ـ فقال له: قم فأجب خطيبهم

فقام ثابت فقال مرتجلاً: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيها أمره، ووسع كلَّ شيء علمُه، فلم يك شيء إلا من فضله، ثم كان من قدرة الله أن

---

(١) اسمه الحُصين بن بدر والزِّبْرِقان لقبه بمعنى القمر لجماله.

(٢) أو قال لهم: ما بالشعر بُعثت، ولا بالفخار أُمرت، ولكن هاتوا. كما في أسباب النزول للواحدي: ٣٢٥ عن جابر الأنصاري.

جعلنا ملوكاً، واصطفى لنا من خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأحسنهم زيّاً، وأصدقهم حديثاً، أنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه، وكان خيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان، فآمن المهاجرون من قومه وذوي رحمه أصبح الناس وجهاً، وأفضل الناس فعالاً، ثم كنّا أوّلَ الناس إجابة حين دعا رسول الله، فنحن أنصار الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه، ومَن كفر بالله جاهدناه في ذلك وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. ثم جلس.

فقالوا: يا رسولَ الله ائذن لشاعرنا. فأذن له. فأقاموا الزِبْرِقان فقال:

نحن الملوك فلا حيٌّ يقاربنا ... فينا الملوك، وفينا تُنصَب البيَع

وكم قسَرنا من الأحياء كلّهمُ ... عند النِّهاب وفضل الخير يُتّبع

ونحن نُطعم عند القحط ما أكلوا ... من السديف إذا لم يؤنس القزعُ (1)

وننحرُ الكوم عبطاً في أرومتنا (2) ... للنازلين، إذا ما أُنزلوا شبعوا

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بوضع منبر في المسجد (منذ عام)، فالتفت إلى حسّان بن ثابت وقال له: أجبهم، فقال:

إنّ الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بيّنوا سنّةً للناس تُتّبع

يرضى بها كلّ من كانت سريرته ... تقوى الإله، وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك منهم غير مُحدَثةٍ ... إنّ الخلائق ـ فاعلم ـ شرّها البدع

إن كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكلّ سبق لأدنى سبقهم تبع

---

(1) القزع: سحاب الخريف.

(2) الكوم: جمع الكوماء: الناقة عظيمة السنام. عبطاً: عباطاً بلا احتساب. الأرومة: الأصل.

لا يرقع الناسُ ما أوهتْ أكفُّهم ... عند الدفاع، ولا يوهون ما رقعوا

إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقُهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى رفعوا

أعفّةٌ ذُكرت في الوحي عفّتُهم ... لا يطبعون ولا يُرديهم طمعُ

إلى عشرة أبيات أُخرى.

وسُرّ رسول الله والمسلمون بخطاب ثابت وشعر حسّان، وقال ﷺ لحسّان: إنّ الله ليؤيّد حسّان بروح القدُس ما دافع عن نبيّه[2].

وفي خبر جابر الأنصاري قال: قال حسّان:

نصرنا رسولَ الله والدين عنوةً ... على رغم سارٍ من معدٍّ وحاضرِ

ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكرِ

ونضرب هام الدارعين، وننتمي ... إلى حسبٍ من جِذم غسّان قاهرِ

فلولا حياء الله قلنا تكرّماً ... على الناس بالخيفَين هل من منافرِ؟

فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابرِ

فقام الأقرع بن حابس فقال للنبيّ: إنّي والله لقد جئت لأمرٍ ما جاء له هؤلاء وقد قلت شعراً فاسمعه. فقال له: هات. فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... إذا فاخرونا عند ذكر المكارمِ

وأنّا رؤوس الناس في كلّ معشرٍ ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارمِ

وأنّ لنا المرباع في كلّ غارةٍ ... تكون بنجدٍ أو بأرض التهائمِ

---

(١) المطبوع هنا: الدين.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٧٣ - ٩٧٩ وفي روضة الكافي: ٨٨ ح ٧٥، ورجال الكشي: ٥٧ ح ٣٦٥ بإسنادهما عن الباقر ﷺ قال: قال رسول الله لحسّان بن ثابت: لا يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا. ولعلّها إشارة غيبيّة إلى سوء عاقبته كما في الإرشاد ١: ١٧٧ وسفينة البحار ٢: ٢٥٢.

فقال رسول الله لحسّان: قم يا حسّان فأجب. فقام وقال:

بني دارمٍ لا تفخروا إنّ فخركم	يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم، علينا تفخرون وأنتمُ	لنا خَوَلٌ من بين ظِئرٍ وخادم[1]
وأفضلُ ما نلتم من المجد والعلى	ردافتنا من بعد ذكر الأكارم
فإن كنتمُ جئتم لحَقن دمائكم	وأموالكم أن تُقسموا في المقاسمِ
فلا تجعلوا لله ندّاً وأسلموا	ولا تفخروا عند النبيّ بدارمِ
وإلّا وربِّ البيت مالت أكفُّنا	على هامكم بالمُرهَفات الصوارمِ

فقام الأقرع بن حابس فقال: إنّ محمّداً لمؤتى له، والله ما أدري ما هذا الأمر! تكلّم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلّم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر! ثمّ دنا منه ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله. فقال له النبيّ: ما يضرّك ما قبل هذا. ثمّ أعطاهم رسول الله وكساهم[2].

وأورد الواقدي تفصيل عطائه قال: كان ﷺ إذا قدم عليه وفد يجيزهم بعطاء ويفضّل بينهم في ذلك على ما يرى. وردّ على وفد بني دارم من تميم سبيهم وأساراهم، وأمر لهم بجوائز، فكانت جوائزهم لكلّ واحدٍ منهم اثنا عشر أوقية فضّة ونصف الأوقية! فلمّا أعطاهم قال لهم: هل بقي منكم من لم نُجزه؟ قالوا: غلامٌ في الرحل. فقال: أرسلوه نُجزه. فقال قيس بن عاصم: إنّه غلامٌ لا شرف له (أي لا فضل له) فقال: وإن كان، فإنّه وافدٌ وله حقّ! فأرسلوه، وهو عمرو بن الأهتم، فأعطاه خمس أواقٍ[3].

---

(١) هبلتم: ثكلتم. خَوَل: خدم. ظِئر: مرضعة أو مربّية.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٧٩ ـ ٩٨٠، والأوقية ٢١٣ غراماً، وابن إسحاق في السيرة ←

نزول سورة الحجرات:

وروى البخاري بسنده عن ابن جريج عن ابن الزبير: أنّه ﷺ أراد أن يؤمّر عليهم أحداً منهم، فقال له أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلّا خلافي، وقال عمر: ما أردتُ خلافك. فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]

والآية التالية في وفد بني دارم من تميم ونداؤهم له من وراء حجراته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

المصدّق الفاسق:

مرّ في أخبار بدر أنّ من أسرائها كان عقبة بن أبي معيط الأموي، وكان من

= ٤: ٢٠٥ ـ ٢١٢ ذكر خبر بني تميم بعنوان الوفد بدون خبر الصدقة و[illegible] على أحدها من خزاعة وغزوهم وسباياهم.

(١) الحجرات: ١ ـ ٣، والخبر في أسباب النزول للواحدي: ٣٢٣ و٣٢٤.

(٢) الحجرات: ٤ و٥، والخبر في تفسير القمي ٢: ٣١٨ مختصراً لخبر وفد بني تميم، وأشار إليه الطوسي في التبيان ٩: ٣٤٤ عن مجاهد وقتادة، وروى الطبرسي مختصر الخبر عن ابن إسحاق، في مجمع البيان ٩: ١٩٤، ١٩٥ والخبر في السيرة ٤: ٢٠٦ ـ ٢١٣، ومغازي الواقدي ٢: ٩٧٣ ـ ٩٨٠.

المستهزئين بالنبيّ ﷺ فأمر بضرب عنقه صبراً، فقال: يا محمّد، فمن للصبية؟ قال: النار! ثمّ لم نجد فيما بأيدينا متى وأنّى لحق به الوليد بالدين الجديد؟ إلّا أنّا نراه فيمن بعثه ﷺ في أوائل السنة التاسعة لجباية الزكاة من بني المصطلق من خزاعة[1] ونعلم أنّ خزاعة كانوا حلفاء بني هاشم منذ الجاهليّة، وصديق عدوّك عدوّك، فهم في التصنيف أعداء بني أميّة. ولا نعلم أكثر من هذا

وفي «تفسير فرات الكوفي» بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه ﷺ بعثه إلى بني وليعة، وكانت بينه وبينهم شحناء في الجاهليّة فلمّا بلغ إليهم استقبلوه لينظروا ما عنده، فخشيهم فرجع إليه ﷺ وقال له: إنّ بني وليعة منعوني الصدقة وارتدّوا عنّي! وبلغ إليهم الذي قاله فيهم عند رسول الله ﷺ، فأتوه وقالوا له: يا رسول الله، لقد كذب الوليد، ولكن كان بيننا وبينه شحناء في الجاهليّة فخشينا أن يعاقبنا بالذي بيننا وبينه. فقال ﷺ: لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً عندي كنفسي، يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم (وأشار بيده وقال:) هو هذا حيث ترون. وضرب بيده على كتف عليّ عليه السلام.

وأنزل الله في الوليد آية: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبيَّنوا أنْ تُصيبوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ وَاعْلَموا أنَّ فيكُمْ رَسولَ اللهِ لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قُلوبِكُمْ وَكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسوقَ وَالعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرّاشِدونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾[2].

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٣: ٣٠٨ و ٣٠٩، ومغازي الواقدي ٢: ٩٨٠، والتبيان ٩: ٣٤٣، وعنه في مجمع البيان ٩: ١٩٨ عن قتادة ومجاهد ومقاتل عن ابن عبّاس.

(2) تفسير فرات الكوفي: ٤٢٦، ٤٢٧، الحديث ٥٦٣، وبهامشه عن الطبراني وابن مردويه. والآيات من الحجرات: ٦ ـ ٨.

وروى الواقدي الخبر عن بعضهم قال: كنّا عنده ﷺ يكلّمه ونظر إليه، إذ أخذه بُرحاء الوحي، فلمّا سُرّي عنه أخبر بغدرنا وما نزل في صاحبنا، والذي نزل عليه قوله سبحانه: ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنوا ... ﴾ ثمّ قال لنا: مَن تحبّون أبعث إليكم؟ فقلنا: تبعث علينا عبّاد بن بشر. وكان حاضراً، فقال له: يا عبّاد سِر معهم فخذ صدقات أموالهم، وتوقَّ كرائم أموالهم. وأمره أن يقيم عندنا عشرة أيّام.

قال: فخرجنا مع عبّاد يُقرئنا القرآن، ويعلّمنا شرائع الإسلام حتّى أنزلناه في وسط بيوتنا، فلم يضيّع حقّاً ولم يعدُ بنا الحقّ، ثمّ انصرف إلى النبيّ راضياً [1].

❁ ❁ ❁

وكان أنس بن مالك الخزرجي يخدمه ﷺ، فروى الواحدي بسنده عنه قال: قلت له يوماً: يا نبيّ الله، لو أتيت عبد الله بن أُبيّ؟ فقبل وأتيناه، وركب ﷺ إليه حماراً، وانطلق معه المسلمون يمشون [2] وهم من الأوس رهط عبد الله بن رواحة، فمضى ﷺ حتّى وقف على عبد الله بن أُبيّ فراث حمار رسول الله، فقال له عبد الله: إليك عنّي! وأمسك أنفه. فقال له عبد الله بن رواحة الأوسي: لَحمارُ رسول الله أطيب ريحاً منك ومن أبيك! فغضب الخزرج قوم ابن أُبيّ بن سلول، ومدّوا أيديهم إلى ابن رواحة، فأعانه قومه فتناوشوا بأيديهم ثمّ بنعالهم ثمّ تجرّدوا بسعف النخيل، ثمّ افترقوا، ففيهم نزل قوله سبحانه: ﴿ وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنينَ اقْتَتَلوا فَأصْلِحوا بَيْنَهُما فَإنْ بَغَتْ إحْداهُما عَلى الأُخْرى فَقاتِلوا الّتي تَبْغي حَتّى تَفيءَ إلى أمْرِ

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٠، ٩٨١.

(٢) أسباب النزول: ٣٢٩، ٣٣٠. وفي الميزان ١٨: ٣٢٠ عن الدرّ المنثور عن البخاري ومسلم وغيرهما.

اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

* * *

كان النبيّ ﷺ إذا فرغ من صلاة الفجر يستقبل الناس ويجلس بينهم. فروى الطبرسي عن ابن عبّاس: أنّ ثابت بن قيس ثقيل السمع ولذلك كان يقعد عند النبيّ ليسمع ما يقول، فدخل المسجد يوماً وقد فرغوا من صلاة الصبح وأخذوا أماكنهم، فمضى يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: تفسّحوا تفسّحوا، حتّى انتهى إلى رجلٍ فقال له: قد أصبت مجلساً فاجلس. فجلس خلفه مغضباً، فلمّا انجلت ظلمة الفجر قال له: مَن هذا؟ فذكر الرجل اسمه، وكان ثابت يعرف أُمّه وأنّه كان يُعيَّر بها، فقال: ابن فلانة؟! وذكر أُمّه، فنكس الرجل رأسه حياءً[2].

وجاءت صفيّة بنت حُييّ بن أخطب اليهودي زوج النبيّ إليه تبكي، فقال لها: ما وراءك؟ فقالت: إنّ عائشة تعيّرني وتقول لي: يهوديّة بنت يهوديّين! فقال لها: هلّا قلتِ: أبي هارون، وعمّي موسى، وزوجي محمّد[3].

وكانت مع حفصة فمرّت أُمّ سلمة وكانت قصيرة فعيّرتها بالقصر وأشارت بيدها[4]! وكانت أُمّ سلمة قد ربطت حقويها بسبيبة (قماش أبيض كالحزام) وسدلت طرفها خلفها فهي تجرّه، فقالت لحفصة: انظري ما تجرّ خلفها كأنّه لسان كلب[5]! فنزل قوله سبحانه: ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أنْ

---

(١) مجمع البيان ٩: ١٩٩، عن سعيد بن جبير وغيره، وفي التبيان ٩: ٣٤٦ عن الطبري. والآيتان من الحجرات: ٩ و١٠.

(٢) و(٣) مجمع البيان ٩: ٢٠٢، وأسباب النزول للواحدي: ٣٣٠.

(٤) مجمع البيان ٩: ٢٠٣، وانظر أسباب النزول للواحدي: ٣٣٠.

(٥) مجمع البيان ٩: ٢٠٢، وأسباب النزول للواحدي: ٣٣٠.

يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾[1]

وكان و لذاهب في سفرة مع النبيّ ومعهما سلمان، فبعثاه إليه ﷺ يأتي لهما بطعام، وكان خازنه على رحله أسامة بن زيد فبعث النبيّ سلمان إلى أسامة، فقال له: ما عندي شيء، فعاد سلمان إليهما صفر اليدين، فقالا فيه: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها! وقالا: عن أسامة. ثمّ انطلقا يتجسّسان عمّا أمر به لهما رسول الله عند أسامة، فرآهما النبيّ ﷺ فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟! فقالا: يا رسول الله ما تناولنا لحماً يومنا هذا! قال: ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة! ونزل قوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إنّ الله توّاب رحيم ﴾[2]

ومرّ ﷺ ذات يوم في سوق المدينة وإذا برجل قائم على غلام أسود ينادي عليه بالبيع لمن يريد (بالمزاد)، والغلام يشترط على من يشتريه أن لا يمنعه من الصلوات الخمس خلف رسول الله، فاشتراه رجل على شرطه، فكان ﷺ يراه في الصلوات حتّى افتقده، فسأل صاحبه عنه فقال: هو محموم (مصاب بالحمّى) فعاده ﷺ مع جمع من أصحابه، وبعد أيام سأل عنه صاحبه

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) مجمع البيان ٩: ٢٠٣، وكنى فيه عنهما برجلين من أصحابه، ورواه باسمهما في جوامع الجامع، وعنه في الميزان ١٨: ٣٢٣ ونقل مثله عن الدرّ المنثور عن المقدسي عن أنس بن مالك ولم يسمّ سلمان، ونقل مثله عنه عن السدّي وسمّى سلمان ولم يسمّهما، واستظهر العلامة أنّ القصّة واحدة والآية من الحجرات: ١٢.

فقال: يا رسول الله لقد قرب به أو دنا أجله، فقام ليعوده فأدركه في نزعاته حتّى قبض، فتولّى غسله وتكفينه ودفنه.

فقال الأنصار: نحن آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا فآثر علينا عبداً حبشيّاً!

وقال المهاجرون: هاجرنا ديارنا وأموالنا وأهلينا فلم يرَ أحد منّا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام!

فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴾[1]

وكان من آثار انتشار أخبار جباة الزكوات أن قدم المدينة قوم من أعراب بني أسد، لم يكونوا مؤمنين في السرّ، إنّما كانوا يطلبون الصدقة فأظهروا الإسلام وقالوا له ﷺ: إنّا لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، وأتيناك بالعيال والأثقال، فأعطنا من الصدقة. فكأنّما كانوا يمنّون عليه. وقد أغلوا أسعار المدينة وأفسدوا طرقها بالعذرات، فنزل قوله سبحانه: ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إنّ الله غفورٌ رحيمٌ إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السّماوات وما في الأرض والله بكلّ شيءٍ عليمٌ يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إنّ الله يعلم غيب السّماوات والأرض والله بصيرٌ بما تعملون ﴾[2]

والسورة التالية في النزول: التحريم

---

(1) الحجرات: ١٣، والخبر في أسباب النزول للواحدي: ٣٣٢.

(2) الحجرات: ١٤ - ١٨، والخبر في مجمع البيان ٩: ٢٠٧، وأسباب النزول للواحدي: ٣٣٢.

تحريم الرسول الحلال على نفسه:

مرّ الحديث عن ابن سعد بسنده عن عائشة قالت عن مارية القبطية: إنّها كانت جعدة جميلة، فأُعجب بها رسول الله ... فما غرت على امرأة إلّا دون ما غرتُ عليها، وفرغنا لها (للأذى وإيذائها وإزعاجها)، ثمّ رزقها الله الولد وحرمناه. وحوّلها رسول الله إلى العالية فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ علينا[1].

فهي كانت في مشربتها في عوالي المدينة ولا بيت لها من بيوت النبيّ حول مسجده، وكأنّ عائشة زارت أباها، وزارت مارية بعد أن كانت أمّ إبراهيم للنبيّ ﷺ، فخلا بها في بيت عائشة «وكانت حفصة وعائشة متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه»[2] واطّلعت حفصة على ذلك، وعلم النبيّ بذلك.

فروى الطبرسي عن الزجّاج: أنّه ﷺ دعا حفصة وقال لها: لا تُعلمي عائشة بذلك، وأنّه حرّم مارية على نفسه، وأخبرها بأنّ أبا بكر سيملك الأمر من بعده وبعده أبوها عمر بن الخطّاب واستكتمها إيّاه، فأعلمت حفصة الخبر عائشة.

ثمّ قال الطبرسي: وقريب من ذلك ما رواه العيّاشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكّي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام بزيادة: أنّ كلّ واحدة منهما حدّثت أباها بذلك، فعاتبهما رسول الله في أمر مارية وما أفشتا عليه منه، وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر: أنّ أبا بكر وعمر يملكان بعده.

ففي الطبرسي: قال الزجّاج: فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك، وهو قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ يعني حفصة. فعرّفها بعض ما أفشت من الخبر وأعرض عن بعض: أنّ أبا بكر وعمر يملكان بعده[3].

---

(1) الطبقات الكبرى ٨: ١٥٣.

(2) مجمع البيان ١٠: ٤٧٢.

(3) مجمع البيان ١٠: ٤٧٢، والآية من التحريم: ٣.

وعلى ما رواه عن تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام فهو أكثر ما روي عنهم عليهم السلام هنا تفصيلاً.

وروى الكليني في «الكافي» بإسناده عن زرارة عنه عليه السلام أيضاً: أنّه صلى الله عليه وآله حرّم عليه جاريته مارية القبطيّة وحلف أن لا يقربها، فجعل الله عليه الكفّارة لحلفه وليس على تحريمه[1] وذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام مختصر إشارة إلى ذلك في قوله سبحانه في مفتتح السورة: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال: اطّلعت حفصة وعائشة على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو مع مارية، فقال النبيّ: والله ما أقربها، فأمره الله أن يكفّر عن يمينه[3].

أمّا الطوسي في «التبيان» فنقل الطبرسي فقد حكى عن الفرّاء والزجّاج قوله: أسرّ إليهما أنّه سيلي الأمر بعده أبو بكر وعمر وعثمان، فباشروا بذلك فانتشر الخبر. وحكى عن أخبارهم عليهم السلام قوله: وروى أصحابنا: أنّه أسرّ إلى عائشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالأمر ودفع عليّ عليه السلام عن مقامه، فبشّرت بذلك أباها، فعاتبهما الله على ذلك[4]. وهذا من بعد ما نقل عن زيد بن أسلم وابن زيد والشعبي وقتادة ومسروق والضحّاك والحسن بن أبي الحسن البصري قال: كانت حفصة بنت عمر زارت عائشة، فخلا بيتها، فوجّه رسول الله إلى مارية القبطيّة، فكانت معه، وجاءت حفصة ... فغضبت عليه من أجلها. فحرّم رسول الله أُمّ ولده إبراهيم

---

(1) و(2) فروع الكافي، كما في الميزان ١٩: ٣٣٧.

(3) تفسير القمّي ٢: ٣٧٥ وعليه فهو تاريخ تشريع كفّارة اليمين في الإسلام.

(4) التبيان ١٠: ٤٦، ٤٧.

مارية القبطيّة على نفسه بيمين أن لا يقربها، طلباً لمرضاة زوجته حفصة، وأسرّ بذلك إليها فأفشت بذلك إلى عائشة[1].

وفي قوله سبحانه في الآية الرابعة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ حكى الطوسي قوله عن جميع أهل التأويل وعن عمر بن الخطّاب قال: إنّه سبحانه عنى حفصة وعائشة[2].

وعن الطبرسي قال: أورده البخاري في الصحيح عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطّاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: حفصة وعائشة[3].

ومرّ الحديث حول آية التخيير في سورة الأحزاب وكان مشتملاً على أسماء نسائه أزواجه فيما بعد خيبر إلى عمرة القضاء في السنة الثامنة للهجرة، وبذلك علمنا تأخّر هذا الحديث، ومنه اعتزاله إيّاهنّ شهراً في مشربة أمّ إبراهيم.

وتفصيل خبر البخاري عنه عن عمر يشتمل على التصريح باعتزاله إيّاهنّ شهراً في مشربة أمّ إبراهيم، وأنّه كان وهم يتحدّثون عن غزو غسّان والروم لهم بعد بعث عن غزوة تبوك في التاسعة. قال: إنّا معشر قريش كنّا غالبين على نسائنا، فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم! فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم، حتّى أنّي غضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني! فأنكرت عليها ذلك فقالت: وما تنكر من ذلك؟ فوالله إنّ أزواج النبيّ ليراجعنه، وإنّ إحداهنّ تهجره النهار إلى الليل! فقلت لها: قد خابت وخسرت من فعلت منهنّ ذلك!

---

(١) التبيان ١٠: ٤٥ و ٤٤.

(٢) التبيان ١٠: ٤٧.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٤٧٤.

ثمّ دخلت على حفصة فسألتها : أتراجع إحداكنّ رسول الله وتهجره النهار إلى الليل ؟ ! قالت : نعم ، فعلتُ ذا . قد خابت وخسرت من فعلت منكنّ ذلك ؟ أتأمنُ إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله فإذا هي قد هلكت ! ثمّ قلت لحفصة : لا تراجعي أنت رسول الله ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك ، ولا تغرّنّك أن كانت جارتك [مارية] أوسم منك وأحبّ إلى رسول الله .

قال : وكان منزلي بالعوالي ، وكان لي جار من الأنصار كنّا نتناوب النزول إلى رسول الله ، فينزل يوماً فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وأنزل يوماً فآتيه بمثل ذلك وكنّا نتحدّث : أنّ غسّان تنعل الخيل لتغزونا (ممّا بعث على غزوة تبوك) فجاء يوماً (ولعلّه كان بعد العصر) فضرب عليّ الباب فخرجت إليه فقال : حدث أمرٌ عظيم فقلت : أجاءت غسّان ؟ قال : أعظم من ذلك ، طلّق رسول الله نساءه ! فقلت في نفسي : قد خابت حفصة وخسرت ! (فبتّ تلك الليلة حتّى أصبحنا ، فلمّا أصبح وصلّينا الصبح شددت ثيابي على نفسي و) انطلقت حتّى دخلت على حفصة فإذا هي تبكي ! فقلت لها : أطلّقكنّ رسول الله ؟ قالت : لا أدري ، هو ذا معتزل في مشربته .

فانطلقت (إلى مشربة أمّ إبراهيم ، وإذا غلام أسود هناك ، فقلت له : استأذن لعمر فدخل ثمّ خرج فقال : قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً ! فانطلقت إلى المسجد فجلست إلى نفر حول المسجد ، ثمّ غلبني ما أجد (في نفسي) فانطلقت حتّى أتيت الغلام فقلت له : استأذن لعمر ، فدخل ثمّ خرج فقال : قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً . فولّيت منطلقاً ، فإذا الغلام يدعوني ، فرجعت إليه فقال لي : ادخل فقد أذن لك ! فدخلت ، فإذا النبيّ متّكئ على حصير ورأيت أثره في جنبه ، فقلت : يا رسول الله ، أطلّقت نساءك ؟ قال : لا ، ولكن كان قد أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً فعاتبه الله في ذلك ، وجعل له كفّارة اليمين[1]

---

(١) القسم على الاعتزال من النساء هو ما يُسمّى في الفقه بالإيلاء ، وسيأتي بلفظه في ←

ونقل هذه الرواية الطباطبائي في «الميزان» ورأى أنه يرد عليها إشكالان:

الأولى: أنّها ظاهرة في أنّ المراد بالتحريم في الآية تحريم عامّة أزواجه، وهذا لا ينطبق على الآية وفيها قوله تعالى: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾.

والثانية: أنّها لا تبيّن وجه التخصيص في قوله: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[1]

ولعلّنا نجد بعض الجواب عنها في الخبرين التاليين:

روى الواحدي بسنده عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله بأمّ ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها، فقالت له: لم تُدخلها بيتي وما صنعت بي هذا من بين نسائك إلّا من هواني عليك! فقال لها: لا تذكري هذا لعائشة، وهي حرامٌ عليّ إن قربتها! فقالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها أن لا يقربها، وقال لها: لا تذكريه لأحد. فذكرته لعائشة فأبى أن يدخل على نسائه واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2]

وروى فيه بسنده عنه قال: وجدت حفصة رسول الله مع أمّ إبراهيم في يوم عائشة، فقالت له: لأخبرنّها؟ فقال رسول الله: هي حرام عليّ إن قربتها. فأخبرت حفصة عائشة بذلك، فأعلم الله رسوله بذلك، فعرّف حفصة بعض ما قالت، فقالت

← الأخبار السابقة، فالكفّارة هي كفّارة الإيلاء، وعليه فهو تأريخ تشريع كفّارة الإيلاء في الإسلام بفعله ﷺ.

(1) الميزان ١٩ : ٣٣٩، ٣٤٠.

(2) أسباب النزول للواحدي : ٣٦٧.

له: من أخبرك؟ قال: نبّأني العليم الخبير. ثمّ آلى رسول الله من نسائه شهراً. فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ [1].

وعن ابن عباس أيضاً عن «الدرّ المنثور» عن ابن سعد في «الطبقات» قال: كانت حفصة وعائشة متحابّتين، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تحدّث عنده، فأرسل النبيّ إلى جاريته (مارية) فظلّت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة. ورجعت حفصة فوجدتهما في بيتها فغارت غيرة شديدة! وجلست تنتظر خروجها، وأخرجها النبيّ، فدخلت عليه حفصة فقالت له: قد أريت من كان عندك! والله لقد سؤتني. فقال لها النبيّ: والله لأرضينّك! وإنّي مسرّ إليك سرّاً فاحفظيه! قالت: ما هو؟ قال: إنّي أشهدك أنّ سرّيّتي هذه حرام عليّ رضاً لك!

فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرّت إليها: أن أبشري! فإنّ النبيّ قد حرّم عليه فتاته! فلمّا أخبرت بسرّ النبيّ أظهره الله عليه، فأنزل عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾.

وإذ كانت هذه الأخبار عن ابن عباس تكتفي من الحديث الذي أسرّ النبيّ به إلى بعض أزواجه بتحريم مارية القبطية فقط، فقد روى في «الدرّ المنثور» أيضاً عن «معجم الطبراني» عنه قال: دخلت حفصة على النبيّ في بيتها وهو يطأ مارية، فقال لها رسول الله: لا تخبري عائشة حتّى أبشّرك ببشارة، فإنّ أباك يلي الأمر بعد أبي بكر إذا أنا متّ! فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فجاءت عائشة وقالت للنبيّ: من أنبأك هذا؟ قال: نبّأني العليم الخبير. فقالت عائشة: إنّي لا أنظر إليك حتّى تحرّم مارية! فحرّمها. فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ [2].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٦٩.

(٢) الدرّ المنثور، كما في الميزان ١٩: ٣٣٨.

وزاد القمي في تفسيره قال : كان سبب نزولها أنّ مارية القبطيّة كانت مع رسول الله ﷺ تخدمه وكان ذات يوم في بيت حفصة ، فذهبت في حاجة لها ، فتناول النبيّ مارية ، وعادت حفصة فعلمت بذلك فغضبت ، وأقبلت على رسول الله وقالت له : يا رسول الله ، هذا في يومي وفي داري وعلى فراشي ؟!

فاستحيا رسول الله منها وقال لها : كفّي فقد حرّمت مارية على نفسي ، فلا أطأها بعد هذا أبداً ! وأنا أُفضي إليكِ سرّاً ! فقالت : نعم ، ما هو ؟ فقال : إنّ أبا بكر يلي الخلافة بعدي ، ثمّ من بعده أبوك ! فقالت : من أخبرك بهذا ؟ فقال : الله أخبرني !

فذهبت حفصة من يومها ذلك إلى عائشة فأخبرتها بذلك ! وذهبت عائشة إلى أبيها فأخبرته بذلك ! فذهب أبو بكر إلى عمر فقال له : إنّ عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ، ولا أثق بقولها ، فسأل أنت حفصة عنه ، وأخبره بالخبر .

فجاء عمر إلى ابنته حفصة وقال لها : ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة ؟! فقالت حفصة : ما قلت لها من ذلك شيئاً ! فقال لها عمر : إن كان هذا حقاً فأخبرينا حتّى نتقدّم فيه ! فقالت : نعم ، قد قال رسول الله ذلك ! فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بهذه السورة[1].

ومن صالح المؤمنين ؟

وفي الآية الرابعة من السورة قوله سبحانه : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ .

---

(١) تفسير القمي ٢ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

ونقل الطبرسي عن تفسير أبي مسلم محمّد بن بحر الإصفهاني قال: «صالح المؤمنين» كان «صالحو المؤمنين» على الجمع، وسقطت الواو في المصحف لسقوطها في اللفظ[1].

وروى الحبري في تفسيره بسنده عن أسماء بنت عُميس قالت: سمعت رسول الله يقول: ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب.

وروى فيه بسنده عن ابن عباس قال: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ نزلت في عائشة وحفصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي مولى رسول الله ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في عليّ عليه السلام[2].

ورواهما فرات الكوفي في تفسيره وأسند عنه ﷺ أنّه حين نزلت الآية أخذ رسول الله بيد عليّ عليه السلام فقال: أيّها الناس هذا صالح المؤمنين[3].

وروى فيه بسنده عن رشيد الهجري قال: كنت أسير مع مولاي عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ظهر الكوفة فالتفت إليّ فقال: يا رشيد، أنا والله صالح المؤمنين.

وروى فيه بسنده عن الباقر عليه السلام قال: لمّا نزلت ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبيّ لعليّ ﷺ: يا عليّ أنت صالح المؤمنين.

وروى فيه بسنده عن سالم عن خيثمة قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: لمّا نزلت الآية: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ

---

(١) مجمع البيان ١٠: ٤٧٤، وراجع وقارن التبيان ١٠: ٤٨.

(٢) ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام: ٨٦، ٨٧ ورواهما فرات الكوفي في تفسيره: ٤٩١، وانظر بحار الأنوار ٣٦: ٢٩ وهامش تفسير فرات للمحقّق المحمودي ونقل خبر أسماء الحسكاني في شواهد التنزيل وعنه الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٤٧٥.

(٣) رواه الحسكاني في شواهد التنزيل وعنه في مجمع البيان ١٠: ٤٧٤، ٤٧٥.

﴿المؤمنين﴾ قال النبيّ لعليّ ﷺ: يا عليّ أنت صالح المؤمنين. قال سلام: فحججت فلقيت أبا جعفر عليه السلام فذكرت له قول خيثمة فقال: صدق خيثمة، أنا حدّثته بذلك[1].

وروى القمي في تفسيره بسنده عنه عليه السلام قال: ﴿صالح المؤمنين﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

ونقل هذا الخبر البحراني في تفسيره «البرهان في تفسير القرآن» ثمّ ذكر أنّ محمّد بن العباس أورد في هذا المعنى اثنين وخمسين حديثاً من طرق الخاصة والعامة، ثمّ أورد ستة منها، وكذلك معاصره المجلسي في «بحار الأنوار»[3].

وقال الطوسي في «التبيان»: روت الخاصة والعامة أنّ المراد بصالح المؤمنين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك يدل على أنّه أفضلهم، لأنّ القائل إذا قال: فلان فارس قومه، أو شجاع قبيلته، أو صالحهم، فإنه يفهم من جميع ذلك أنّه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم[4]. واكتفى الطبرسي من هذا بقوله: وردت الرواية من طريق الخاص والعام أنّ المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين علي عليه السلام[5].

ولم أعلم من بيّن ما بين الموضوعين من رابطة ومناسبة في سياق الكلام في الآيات، بين إسرار النبي حديثاً إلى بعض أزواجه وكون اثنتين منهن قد صغت قلوبهما فأفشت إحداهما إلى الأخرى بالحديث الذي أسرّه النبي إليها، وكان

---

(1) تفسير فرات الكوفي: 489 و 491.

(2) تفسير القمي 2: 377.

(3) بحار الأنوار 36: 27، الباب 29، وكذلك في شواهد التنزيل.

(4) التبيان 10: 48.

(5) مجمع البيان 10: 474.

قلوبهما الى التظاهر عليه؟ هذا من جهة، ومن أن يكون الله والملائكة ـ ومنهم جبرئيل وكذلك صالح المؤمنين أولاً، متظاهرين له ﷺ؟

وبالنظر الى ما مرّ من الأخبار المعتمدة بأن الحديث السرّ كان فيمن سيتولّى الامر بعده، وليس تحريم مارية على نفسه فحسب، نرى كأن الآية من قبيل دفع الدخل المقدّر أو الوهم المتوهم بأن المتولّين بعده أصلح المؤمنين، فلأنه يردّ على هذا الوهم بأن صالح المؤمنين ـ بتفسير رسول الله ﷺ ـ بمعنى أصلح المؤمنين كما عن الشيخ الطوسي، انما هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وليس كل من تولّى الأمر بعده ﷺ.

والآيات الثلاث الأواخر في السورة من العاشرة حتى الثانية عشرة في ضرب المثل بامرأتين كافرتين فهما في الحقيقة زوجان لعبدين صالحين هما نوح ولوط، خانتاهما ـ في غير أمر الفراش ـ «فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل: ادخلا النار مع الداخلين» ثم ضرب مثل بامرأتين مؤمنتين احداهما صدّيقة: «صدّقت بكلمات ربّها وكتبه، وكانت من القانتين» وهي مريم ابنة عمران، والأخرى امرأة فرعون والتي آمنت بنبيّه وبربّها وجنّته، ودعا اعتنت ايمانها في أواخر أيام حياتها داعية ربّها أن ينجّيها من فرعون ومن سائر الظالمين.

ونقل الطبرسي عن مقاتل قوله: يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية، وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم[1].

وقبله نقل الطوسي عن الفرّاء قال: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة، وبيّن أنه لا يغنيهما ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله إن لم يطيعا الله ورسوله، ويمتثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط كونهما تحت نبيّين، وفي

(١) مجمع البيان ١٠: ٤٧٩

هذا زجر لهما عن المعاصي وأمر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران في طاعتهما لله تعالى وامتثال أمره ونهيه[1].

وكأن النبي هنا زاد على هذين المثالين مثلين آخرين للمؤمنات فقال: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد» هذا ما رواه الطوسي في «التبيان»[2].

أما الطبرسي فروى عن أبي موسى الأشعري، عنه ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[3].

وفي ذكره ﷺ خديجة بنت خويلد تخليداً لذكرها وكيانها، ما فيه من الدلالة الكافية مثلاً منه لأم المؤمنين المثالية في الإسلام، من يغض عن مثل ذلك [illegible] حفصة وصاحبتها عائشة وقد صغت قلوبهما كما قال الله سبحانه. وكأنه ﷺ بذكره لابنته فاطمة وأنها أكمل النساء الأحياء يذكّر بكفاءتها لصالح المؤمنين علي عليه السلام. فمن أراد المثل الصالح للمؤمنين فعليه بعلي عليه السلام، ومن أراد المثل الكامل للمرأة المؤمنة فعليه بفاطمة عليها السلام، ومن أعرض عنهما أعرض عن الصلاح والكمال.

سورة الصف:

روى خبر المعتمد عن ابن عباس في سبب نزول السورة الحاكم الحسكاني، وعنه الطبرسي في «مجمع البيان»[4] ورواه الكشي في

---

(١) التبيان ١٠: ٥٢.

(٢) التبيان ١٠: ٥٥.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٤٨٠، وهذا يصلح تاريخاً لإعلان هذا البيان النبوي.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٦١٢، ٦١٣.

«البرهان». فالطبرسي قدّم الجمعة بعد التحريم وأخّر الصف بعد الجمعة والتغابن، بينما قدّم الزركشي الصف عليهما، ولاحظت أن أغراض الآيات في الصف تناسب ما بعد التحريم أكثر مما بعد التغابن، فقدّمتها.

فالسورة بعد البسملة والتسبيح لله، تذكّر المؤمنين بالمعنى العام بأنهم أدعنوا للإسلام بعد شهادة التوحيد بالإقرار برسالة رسول الله ﷺ، فيعظهم عما قد يفعلونه بعد ذلك، وتذكّرهم بأنّ الذين أدعنوا برسالة موسى عليه السلام ثم زاغوا عنه فعلاً وعملاً أزاغ الله قلوبهم بفسقهم فيحذروا أن يشابهوهم، وأنّ هذا الرسول هو أحمد الذي بشّر به عيسى عليه السلام وهو الذي أرسله رسوله بالهدى ودين الحق، فهو متمّم لنوره هذا ومظهر لدينه على الدين كلّه ولو كره المشركون والكافرون، فيحذرون أن يحاولوا إطفاء هذا النور بأفواههم وبتوهّماتهم، وعليهم أن يؤمنوا بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيله، وأن يكونوا أنصار الله ورسوله[٢].

فكأنّ المؤمنين بالمعنى العام لم يلتزموا فعلاً بمقتضى إيمانهم برسالته ﷺ، فاقتضى هذا التذكير بمقتضى الإيمان به وبعموم النبوّة والرسالة. وهذا يناسب الحوادث التي أُشير إليها في آيات سورة التحريم السابقة.

سورة الجمعة:

والسورة التالية في النزول حسب الخبر المعتمد[٣] سورة الجمعة. وقد مرّ الخبر عن بداية صلاة الجمعة من الأنصار الأوائل في المدينة قبل الهجرة بإذن منه ﷺ

(١) البرهان ١: ١٩٣، ١٩٤.

(٢) وانظر الميزان ١٩: ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٣) التمهيد ١: ١٠٧.

وكذلك عن أول صلاة جمعة صلّاها هو بعد هجرته إليها وخطبته لها[1] فالفاصل الزمني بين ذلك وبين نزول السورة اليوم أكثر من ثماني سنين، وعليه فآية النداء لصلاة الجمعة فيها التاسعة منها ليست من آيات الأحكام بمعنى التشريع التأسيسي، وإنّما التأكيدي[2] فهي من التشريعات المؤسسة السابقة للكتاب.

والآيات السوابق في السورة ليست في صلاة الجمعة، بل الثلاث الأُوَل في بعثته ﷺ، ومن الخامسة حتى الثامنة في محاجّة اليهود ولا سيّما أحبارهم حملة التوراة. ممّا يرجّح في الظنّ أن تكون نزولها إلى ما قبل الإجلاء منهم في الحروب معهم: بني قريظة والنضير وقينقاع وأخيرهم قلاع خيبر السبعة وفدك ووادي القرى وتيماء في أوائل السابعة، فبين أخيرها وبين نزول السورة في أواخر الثامنة سنتان، فهل تناسب نزولها اليوم؟! وهل تناسب الآيات الثلاث الأواخر شأن صلاة الجمعة؟

أجل، حاول توجيه ارتباطها بما قبلها الآلوسي في «روح المعاني» ونقله الطباطبائي في «الميزان» وقال: وأنت خبير بأنّه تحكّم لا دليل عليه من جهة السياق[3] وقبل ذلك ذكر هو وجهاً لاتّصال الآية بما قبلها. كذلك لم نجد من سياق دليلاً عليه.

وفي الآية الأخيرة الحادية عشرة والخاتمة للسورة قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ روى الطوسي عن الحسن ومجاهد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: بعد ما أصابت المدينة مجاعة، قدم دحية بن خليفة الكلبي

---

(١) مجمع البيان ١٠ : ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) انظر التعبير بالتأكيد في الميزان ١٩ : ٢٧٣.

(٣) الميزان ١٩ : ٢٦٦ و٢٦٧.

الأنصاري لنها بقافلة التجارة وفيها طعام، وكانوا مع النبي ﷺ في صلاة الجمعة، واستقبلت القافلة بالطبول والمزامير فلما سمع المصلون أصوات الطبول والمزامير تركوا النبي قائماً خطيباً وتفرّقوا إلى القافلة، فنزلت الآيات.

أمّا الطبرسي فقد روى عن الحسن قال: أصاب أهل المدينة غلاء سعر وجوع، وقدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة زيت، والنبي ﷺ في خطبة الجمعة، فتسابقوا إليه خشية السبقة حتى لم يبق معه ﷺ سوى رهط منهم، فنزلت الآية.

وفي رواية عن جابر ذكر عددهم فقال: كنا نصلي مع رسول الله الجمعة إذ أقبلت قافلة تجارية، فانفضّ الناس إليها حتى ما بقي سوى اثني عشر رجلاً أنا أحدهم، فنزلت الآية.

ثم نقل مفصلاً عن مقاتل وقتادة قالا: كان دحية بن خليفة بن فروة الكلبي الخزرجي إذا قدم بتجارته من الشام قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو برّ أو غيره، فينزل بمكان من سوق المدينة عند أحجار الزيت ثم يضرب طبلاً ليعلم الناس بقدومه فيخرج إليه الناس حتى لا يبقى بالمدينة عاتق (جارية مدركة) إلّا أتته. فقدم ذات جمعة ورسول الله ﷺ على المنبر يخطب، فخرج الناس إليه حتى لم يبق في المسجد إلّا اثنا عشر رجلاً وامرأة. وفعلوا ذلك ثلاث مرات كل ذلك يوافق يوم الجمعة بقوافل تقدم من الشام... فأنزل الله هذه الآية[2].

ونقل الطباطبائي هذا الخبر عن «عوالي اللآلي» عن مقاتل بن سليمان وقال: القصة مروية بطرق كثيرة من الشيعة وأهل السنة، مختلفة في عدد من بقي منهم بين سبعة إلى أربعين[3].

---

(١) التبيان ١٠: ٩.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٤٣٢.

(٣) الميزان ١٩: ٢٧٧ ونقل بعض المكثرين عن جداول حفظ ماء وجه الصحابة العدول... ←

وروى خبر جابر الأنصاري الواحدي وقال: رواه مسلم والبخاري في كتاب الجمعة (١).

ولعلّ هذه القوافل التجارية كانت تحمل معها من الشام شائعات الأخبار عن استحضار الروم وغسان لغزو المسلمين كما مرّ في خبر عمر، مما أثار غزوة تبوك.

سورة التغابن:

والسورة الثالثة في النزول حسب الخبر المعتمد (٢) سورة التغابن.

والآية الرابعة عشرة منها قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: ذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة إلى رسول الله ﷺ تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا: ننشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذّرهم الله أبناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم. ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي ثم يجمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبداً. فلما جمع الله بينه وبينهم أمره الله أن يوفي ويحسن ويصلهم فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)

← منهم إلى رجلين رجلاً من تعريب في الخبر عن دحية أن دحية كان منه قبل أن يُسلم فيما كان دحية من المسلمين الأوائل من الخزرج، أفهل كان كافراً إلى ما بعد أوائل السنة التاسعة للهجرة؟! ولم يعلّق عليه الطبرسي ولا الطباطبائي.

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) التمهيد ١: ١٠٧.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٧٢ ورواه السيوطي في الدر المنثور بعدة طرق عن ابن عباس.

وقال الطبرسي: ذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر وقد سبقه الناس بالهجرة وفقهوا في الدين، هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبّطوه عن الهجرة فلا ينفق عليهم إذا لحقوا به بدار الهجرة، فأمرهم الله سبحانه بالعفو والصفح[1].

والآية التالية الخامسة عشرة فيها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ قال الطبرسي: هو الجنة، يعني: فلا تعصوه بسبب الأموال والأولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر والذخر[2].

وليست كل فتنة مضلّة لكل أحد، فقد روى الرضي في «نهج البلاغة» عن علي عليه السلام قال: لا يقولنّ أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فمن استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن[3].

إذن فالولد فتنة وليست كل فتنة مضلة لكل أحد، ومن هذا ما رواه الطبرسي هنا عن بريدة الأسلمي قال: كان رسول الله يخطب فجاء الحسنان عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله إليهما وأخذهما إلى المنبر فوضعهما في حجره وقال: صدق الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. ثم أخذ في خطبته[4]. فالحديث بعد نزول السورة والآية في التاسعة للهجرة

---

(1) مجمع البيان ١٠: ٤٥٢.

(2) مجمع البيان ١٠: ٤٥٢.

(3) نهج البلاغة: الحكمة ٩٣ وروى الطبرسي مثله عن ابن مسعود، مجمع البيان ١٠: ٤٥٢.

(4) مجمع البيان ١٠: ٤٥٣ ورواه الحلبي في مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٨٥ عن جامع الترمذي وفضائل ابن حنبل وفضائل السمعاني والواحدي في الوسيط والثعلبي في ـــــ

والحسنان عليهما السلام خماسيّان تقريباً

والسورة الثالثة حسب الخبر المعتمد سورة الفتح[1] وقد مرّت الأخبار عن تفسير القمي[2] و«التبيان»[3] و«مجمع البيان»[4] أنها نزلت في منصرفه من صلح الحديبية، وآياتها أيضاً ظاهرة الانطباق على ذلك كما في «الميزان»[5] وعليه فالراجح استثناء هذه السورة من ترتيب الخبر المعتمد تبعاً لتلك الدلائل، كما مرّ ابهام كهذا في ترتيب نزول سورة: المنافقون

واختلفت نسخة الزركشي[6] مرة أخرى لرواية الخبر عن ابن عباس عن نسخة الطبرسي عن الحسكاني[7] بأن قدم الزركشي البراءة على المائدة فيما عكس الآخرون ومنهم الطبرسي، هذا وقد روى في مفتتح تفسيره لسورة المائدة عن «تفسير العياشي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت المائدة كُملاً، وروى عنه

= الكشف والخركوشي في شرف النبي والثعلبي والحارثي في شواهد التنزيل ورواه السيوطي في الدر المنثور عن الترمذي والنسائي وابن ماجه وابي داود وابن حنبل وابن أبي شيبة وابن مردويه والحاكم الحسكاني كما في الميزان ١٩: ٣١٠ ولكنه ردّه متمسّكاً بعصمته وتأييده بروح القدس، وبعض الروايات لفظها أفصح، فقال: فوجه طرح هذه الروايات، إلّا أن تؤوّل. وأنا لا أرى طرحها ولا تأويلها مع ما ذكر في معنى الفتنة

(١) التمهيد ١: ١٠٧

(٢) تفسير القمي ٢: ٣١٤

(٣) التبيان ٩: ٣١٣

(٤) مجمع البيان ٩: ١٦٦.

(٥) الميزان ١٨: ٢٥١

(٦) البرهان ١: ١٩٤

(٧) مجمع البيان ١٠: ٦١٣

بسنده عن علي عليه السلام قال: كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة[1] ورواه الطوسي عن الشعبي وابن مسعود وابن عمر[2] حتى قال الطباطبائي: لم يختلف أهل النقل في أنها آخر سورة نزلت على رسول الله في أواخر أيام حياته[3] وفي «تفسير القمي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت آية البراءة على رسول الله ﷺ بعدما رجع من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة[4].

وقد بقيت هنا حوادث قبل غزوة تبوك، نعرضها فيما يلي:

تناول أطراف الطائف: خثعم وإسلامهم:

مرّ أنّه ﷺ لما عاد مرتحلاً عن محاصرة الطائف إلى مكة ثم منها إلى المدينة، وأقام أهل الطائف على كفرهم، وفي أثناء حصارهم غزا بعض نواحيهم. ونقول: إنه عاد إلى ذلك في شهر صفر سنة تسع للهجرة، فبعث قطبة بن عامر إلى حيّ من خثعم ناحية تبالة من أطراف الطائف، في عشرين رجلاً يعتقبون على عشرة إبل، وأمرهم أن يغذّوا السير ليلاً ويكمنوا نهاراً ولا يغفلوا سلاحاً. فخرجوا ليلاً يغذّون السير على ناحية تبالة (من نواحي الطائف)، حتى انتهوا إلى بطن مسحاء (من نواحي الطائف إلى السرف بين المدينة إلى مكة) فلقوا رجلاً فسألوه عن الحيّ فأخذ يصيح بقومه فقتلوه، وكمنوا النهار حتى صار الليل، فخرج رجل منهم طليعة فوجد أحشام القوم فرجع إليهم فأخبرهم

---

(١) مجمع البيان ٣: ٢٣٦

(٢) التبيان ٣: ٤١٣

(٣) الميزان ٥: ١٥٧

(٤) تفسير القمي ١: ٢٨١

فقتلوا حتى انتهوا إلى حيّهم وهم نيام، فكبّروا وشنّوا عليهم الغارة، فخرج إليهم رجالهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرح في الفريقين، وأصبح الصبح وجاء عدد كثير منهم مدداً لهم ولكن أتى سيل فحال بينهم فما استطاعوا أن يصلوا إليهم، وحتى نجوا منهم، وأقبلوا بشائهم ونَعَمهم إلى المدينة، فأخرجوا الخمس مما غنموا، فكان سهم كل رجل منهم أربعة أنعام

وكانت كعبتهم كعبة اليمانية لهم فيها صنم يسمّى ذا الخَلَصة، وهي تسمية عيّنة إذ هم يمنيّون من كَهْلان، ويبدو أنهم بعد هذه الغزوة تقدّم منهم عُمس بن عمرو فوفد إلى المدينة فأسلموا، واستكتبوا رسول الله ﷺ فأمر به فكتب لهم. وكأنه يبدو من الكتاب أنّ سبب غزوهم أنهم كانوا ذوي إغارة وقتل وحيث قد بدأ للنبي بأخذ الزكاة شرح لهم في كتابه زكاة زروعهم. قال ﷺ: «هذا كتاب من محمّد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها[1] أنّ كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو موضوع عنكم، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث، من خبار أو عزاز[2] تسقيه السماء أو يرويه الثرى[3] فزكا عمارة[4] في غير أزمة ولا حطمة[5] فله نشره وأكله[6]

---

(١) كانت خثعم يومئذ ما بين بيشة وتربة وظهر تبالة على طريق الحج من اليمن إلى الطائف ومكة. وبعد فتح مكة انتشرت في الآفاق ولم يبق منهم في مواطنهم إلا قليل. وترى بيشة في خريطة السعودية من توابع مكة قرب وادي تبالة، وفيها قرية تبالة ومنازل خثعم حواليها إلى شيمران إلى الأصفر.

(٢) الخبار: الأرض اللينة، والعزاز بالعكس.

(٣) الثرى: الندى.

(٤) أي عمر وطاب.

(٥) الأزمة: المشكلة، والحطمة: السنة المجدبة.

(٦) نشره: حصاده ودَوْسه وتصفيته وتفريقه.

وعليهم في كل سيح العُشر، وفي كل غرب[1] نصف العشر. شهد جرير بن عبد الله ومن حضر[2].

وفد الأزد وإسلامهم:

في حين هؤلاء الخثعميين اليمنيين كانت تسكن طائفة من أزد اليمن أزد شنوءة، وقد كانت منازلهم في بيشة وتربة والسَّراة، فكأن بشارة عن الخثعميين ووفودهم إلى المدينة وإسلامهم بعث هؤلاء الأزديين على مثل ذلك فوفدوا وقدّموا أصغرهم للكلام.

روى ابن عساكر بسنده عن عبد الرحمن بن عُبيد الأزدي قال: قدمنا في مئة رجل من قومي على النبي ﷺ، فلما دنونا منه وقفنا وكنت أصغرهم فتقدمت وقلت: أنعم صباحاً يا محمّد! فقال النبي: ليس هذا سلام المسلمين بعضهم على بعض، إذا لقيت مسلماً فقل: السلام عليكم ورحمة الله. فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله. فقال: وعليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته.

ثم قال لي: ما اسمك ومن أنت؟ قلت: أنا أبو معاوية (كذا)، عبد العزّى! فقال: بل أنت أبو راشد عبد الرحمن، وأجلسني، فأسلمنا وكتب لهم: «هذا من محمّد رسول الله لمن يقرأ كتابي هذا: من شهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، وأقام الصلاة فله أمان الله وأمان رسوله، وكتب هذا الكتاب العباس بن عبد المطلب»[3].

---

(1) غَرْب: الدلو.

(2) الطبقات الكبرى ١: ٢٨٦ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٤١٤ ـ ٤١٦.

(3) مكاتيب الرسول ٢: ٣٧٠، ٣٧٢ عن كنز العمال ٧: ١٧ برقم ١٣٦ عن ابن عساكر وكذّب روايته المصري بسنده، ومع ذلك ذكر ابن الأثير قدومه وتسميته في أسد الغابة ـــــ

كتابه الى بني عُذرة في اليمن:

في السيرة النبوية سُميت سنة التاسعة بسنة الوفود، وأرّخوا لبعضها انها كانت في العاشرة، ومن ذكروا في التاسعة تاريخاً معيناً، الّا لوفود خثعم انها كانت في صفر من التاسعة، ثم كذلك هذا الوفد. ولم يذكروا باعثهم على ذلك. لعلهم الّا أن يكون الاسلام أثناء الفرس في صنعاء اليمن وانتشار الاسلام بينهم هناك كافٍ لذلك.

قالوا: وفد زمل بن عمرو العُذري من بني عذرة اليمنيين ومعه احد عشر رجلاً منهم، في صفر سنة تسع، الى المدينة فاسلموا وأقاموا حتى تفقّهوا واستكتب زمل من النبي ﷺ له على قومه فكتب له:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لزمل بن عمرو ومن أسلم معه خاصة، واني بعثته الى قومه عامة، فمن اسلم ففي حزب الله، ومن أبى فله أمان شهرين. شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الانصاري»[1]

ودعوة لبني حارثة

واستهل ﷺ شهر ربيع الأول بكتاب الى بني حارثة بن عمرو يدعوهم فيه الى الاسلام، بعث به اليهم مع عبد الله بن عوسجة البجلي العُرني، فأبوا، وأخذوا كتابه وكان في اديم فغسلوه ورقّعوا به أسفل دلوهم! فلما سمع النبي بذلك قال: ما لهم؟ أذهب الله بعقولهم! فسفهوا، وأصبحوا يستعجمون في كلامهم فيخلطون ويرعدون ويهيمون[2].

← ٣: ٢٩١ و٥: ٢٩٩ والاصابة ٢ برقم ٥٠٥٤، وبعباس قدم بعروة بسبوة بعد هذا، ولم يُعهد منه كتاب، وليس في الكتاب زكاة وقد شُرّع، والله أعلم

(١) مكاتيب الرسول ١: ٢٤٠

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٢، ٩٨٣ وانظر مكاتيب الرسول ١: ٢٦٣ برقم ٦ ومثله في ٣٧ ... ←

سرية بني كلاب الى بني بكر:

وكان ممن أسلم وأبوه على شركه الأصيد بن سلمة بن قُرط فقد أسلم وأبوه سلمة على شركه وفي شهر ربيع الأول سنة تسع بعث رسول الله سرية الى (بني بكر) بالقرطاء، عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي ومعه الأصيد بن سلمة، وأبوه سلمة في بني بكر، فلقوهم في موضع يُدعى الزُجّ لاوة (بنجد ناحية ضرية) فدعوهم الى الاسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم.

ولحق الأصيد أباه سلمة على فرس له عند غدير بالزُجّ، فدعا أباه الى الأمان والاسلام، فسبّه وسبّ دينه وكان سلمة قد دخل الغدير على فرسه، فضرب الابن على عرقوبي فرس أبيه فوقع على عرقوبيه في الماء، وأمسك الابن أباه حتى يقتله غيره ولا يقتل هو أباه، فقتلوه

لا طاعة في معصية:

روى ابن اسحاق خبر سرية علقمة المُدلجيّ عن أبي سعيد الخُدري الى موضع ذي قرد[2] ورواه الواقدي ـ في شهر ربيع الآخر سنة تسع ـ الى ساحل الشُعيبة من سواحل مكة على خبر حبشة، في ثلاثمئة رجل، فيهم أبو سعيد الخُدري وعبد الله بن حُذافة السهمي، ولم يلق كيداً فرجع فاستأذنه بعضهم للانصراف فأذن لهم وفيهم عبد الله بن حذافة السهمي فأمّره عليهم، وكانت فيه دعابة فكان من دعابته أنهم لما نزلوا في منزل ببعض الطريق وأوقدوا ناراً ليصطلوا ويصنعوا عليه طعاماً لهم، قال لهم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟

← برقم ١٧ عن الاصابة برقم ٤٨٧٠ وأسد الغابة ٣: ٢٣٩ ومعجم قبائل العرب: ٨٣١.

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٢.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٨٩.

قالوا: بلى، قال: أفما أمركم بشيء إلاّ فعلتموه؟! قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقّي وطاعتي إلاّ تواثبتم في هذه النار! فقام بعضهم يشدّ حجزه على حجزه يستعدّ للوثوب على النار! فقال لهم: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم!

فلما قدموا عليه ﷺ ذكروا ذلك فقال: «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه»![1].

سرية علي عليه السلام الى بني طيء:

وفي ربيع الآخر سنة تسع أيضاً كانت سرية علي عليه السلام إلى بني طيء، آل حاتم الطائي واسمه عديّ وكان لهم صنم تسمّى الفلس، وهو في بيت وقد ألبسوه ثياباً وثلاثة دروع وجعلوا معه سيوفاً ثلاثة تسمّى: الرسوب والمخذم واليماني[2].

روى الواقدي خبرها بسنده عن محمّد بن عمر بن علي عليه السلام قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام الى الفلس ليهدمه ويشنّ عليهم الغارات، في مئة وخمسين من الأنصار ليس فيهم مهاجر واحد، معهم خمسون من الابل وخمسون فرساً، وناوله لواءً أبيض وراية سوداء.

فدفع لواءه الى جبّار بن صخر السلمي ورايته الى سهل بن حُنيف، وخرج بدليل من بني أسد يقال له حُريث[3] وكان زعيمهم عدي بن حاتم الطائي عيناً بالمدينة فلما علم بخبر السرية أخذ عدته فهرب إلى الشام[4].

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٨٩ ومغازي الواقدي ٢: ٩٨٣، ٩٨٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٤، ٩٨٥.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٨.

وقال ابن إسحاق: بلغني عن عدي بن حاتم أنه كان يقول: كنت ركوسياً من النصارى[1] فكنت في نفسي على دين! وكنت امرأً شريفاً وملكاً في قومي يعطونني المرباع[2] فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته فما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله مني!.

وكان لي غلام عربي يرعى ابلي، فقلت له: أعدد لي من ابلي أجمالاً ذُللاً سماناً فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني، ففعل.

وأتاني ذات غداة فقال: إذا غشيتك خيل محمد ما كنت صانعاً فاصنعه الآن؟ فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. فقلت له: فقرّب جمالي، فقرّبها.

فاحتملت بأهلي وولدي، وخلّفت بنتي [سفانة] في الحيّ، وسلكت طريق الشام لألحق بأهل ديني من النصارى[3].

وسلك بهم دليلهم حُريث على طريق فيد، الى جبال طيّء: أجا وسلمى، حتى انتهى بهم الى موضع منه وبينهم مسيرة يوم، فقال لهم: نعم يومنا هذا في موضعنا هذا حتى نمسي، وانّا إن سرينا بالنهار لقينا رعاءهم وأطرافهم فينذرون فيتفرقون، بل نسري ليلتنا على متون الخيل حتى نصبّحهم في غماية الصبح فنحملها عليهم غارة فقبلوا منه الرأي فعسكروا وسرّحوا الابل.

وكان عدي بن حاتم قبل أن يهرب قد حذّر بعضهم أو أنذره، فعمد رجل منهم من بني نبهان الى عبد له أسود يُسمى أسلم فأمره أن يصعد الى ذلك الموضع فإن رأى خيل محمد ﷺ طار اليهم يخبرهم ليحذروا.

---

(1) كان يقال لقوم بين النصارى والصابئين: الركوسيين، كما في هامش السيرة.

(2) كان للقائد للقوم قبل الاسلام ربع الغنائم ويقال له المرباع.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٢٥.

وبعث علي عليه السلام نفراً منهم أبو نائلة وأبو قتادة والحُباب بن المنذر ليتفقّدوا ما حولهم، فأصابوا الغلام الأسود، فقالوا له: من أنت؟ قال: أطلب بُغيتي! فكتّفوه وأتوا به علياً عليه السلام فقال له: ما أنت؟ قال: بدع! فشدّوا عليه فقال: أنا غلام لرجل من طيّء من بني نبهان أمروني بهذا، فلما رأيتكم أردت الذهاب إليهم ولكني قلت في نفسي: لا أعجل حتى آتي أصحابي بخبر بيّن من عددكم وعدد خيلكم وركابكم، فكأني كنت مُقيداً حتى أخذتني طلائعكم

فقال له علي عليه السلام: اصدقنا ما وراءك؟ قال: أوائل الحيّ على مسيرة ليلة طويلة، تُصبحهم الخيل بالغارة غدوة. فقال علي عليه السلام لأصحابه: ما ترون؟ فقال له صاحب لوائه جبّار بن صخر: نرى أن ننطلق على متون الخيل ليلتنا هذه حتى نُصبّح القوم وهم غادّون فنغير عليهم، ونخلّف حُريثاً الدليل مع العسكر ليلحقنا بهم، إن شاء الله

فركب فرسانهم الأفراس وأردفوا معهم العبد الأسود أسلم مكتوفاً. فلما أوغلوا في الطريق ادّعى أنه قد أخطأ الطريق وتركه وراءه. فقال علي عليه السلام: فارجع إلى حيث أخطأت. فرجع ميلاً أو أكثر فقال: أنا على خطأ! فقال له علي عليه السلام: إنا منك على خُدعة، ما تريد إلا أن تثنينا عن الحيّ، لتصدقنا أو لنضربنّ عنقك. وسُلّ السيف على رأسه. فلما رأى الشرّ قال: أرأيت إن صدقتكم ينفعني ذلك؟! قالوا: نعم فقال: فأنا أدلّكم على الطريق، والحيّ قريب منكم.

فخرج معهم حتى انتهى بهم إلى أدنى الحيّ، فقال لهم: هذه الأصرام، أي الجموع، وهم على فرسخ (٥ كم)، فقالوا: فأين آل حاتم؟ قال: هم متوسطو الأصرام

فقال بعضهم لبعض: إن أفزعنا الحيّ تصايحوا وأفزع بعضهم بعضاً فتغيب عنا أحزابهم في سواد الليل، ولكن نُمهل القوم حتى يطلع الفجر قريباً فنُغير عليهم، فإن أنذر بعضهم بعضاً لم يخف علينا أين يأخذون، ونحن على متون الخيل ولا خيل لهم يهربون عليها.

فلما طلع الفجر أغاروا عليهم فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا واستاقوا الذرية والنساء، وجمعوا النعم والشاء، ولم يخف عليهم أحد تغيّب، ومنهم أُخت عدي.

ورأت جارية منهم عندهم أسلم وهو موثق، فقالت: هذا عمل رسولكم أسلم فهو جلبهم عليكم ودلّهم على عورتكم! فقال لها الأسود: اقصري يا بنة الأكارم، فما دللتهم حتى قدمت لتضرب عنقي! ثم التفت الى علي عليه‌السلام وقال له: ما تنتظر لإطلاقي؟ قال عليه‌السلام: تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله. فقال: أنا على دين قومي وهؤلاء الأسرى، أصنع ما صنعوا. قال عليه‌السلام: ألا تراهم موثّقين؟ أفنجعلك معهم في رباطك؟ قال: نعم، أنا مع هؤلاء موثقاً أحبّ إليّ من أن أكون مع غيرهم مطلقاً! فأنا معهم حتى يرون فيهم ما ترون! فطُرح معهم.

ولحق بهم العسكر الذي خلّف مع الدليل حُريث الأسدي، فاجتمع جمعهم.

وجمعوا الأسرى فعرضوا عليهم الإسلام، فمن أسلم تُرك، ومن أبى ضربت عنقه، حتى أتوا على الأسود فعرضوا عليه الإسلام فاستسلم للموت وقال: والله إن الجزع من السيف لَلؤم! فقال له رجل ممن أسلم منهم: ألا كان هذا حيث أُخذت! فلما قُتل من قُتل منّا وسبي من سبي، وأسلم من أسلم تقول ما تقول! ويحك أسلم واتّبع دين محمّد! قال: أسلم. فإني أسلم وأتّبع دين محمّد، فأسلم فسلم وتُرك.

وسار علي عليه‌السلام الى بيت صنمهم الفُلْس، وعليه ثياب ألبسوه ودروع ثلاثة وثلاثة أسياف، فهدمه وخرّب بيته.

وجعل علي عليه‌السلام على السبي أبا قتادة، وعلى الأثاث والماشية عبد الله بن عتيك السُّلمي، ثم ساروا حتى نزلوا محلة من مجال جبل سلمى تسمى ركك، فعزل سيوف الفلس صفيّا للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله مع خمس الغنائم، وعزل من السبي أخت عدي بن

حاتم ونساءً معها من آل حاتم، ثم اقتسموا الغنائم والسبي، ثم قدموا بهم إلى المدينة فأُنزلت أُخت عدي دار رملة بنت الحارث (١).

حديث سفانة الطائية:

وروى ابن إسحاق عن عديّ عن أخته قالت: كان بباب المسجد حظيرة تُحبس السبايا فيها، فكنت فيها، فمرّ بي رسول الله فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُن عليّ منّ الله عليك! قال: من وافدك؟ قلت: عديّ بن حاتم. قال: الفارّ من الله ورسوله؟! ثم تركني ومضى. فلما كان الغد مرّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس!

حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي، ولكني يئست منه فلم أقم، وكان خلفه رجل أشار إليّ أن قومي فكلّميه. فقمت إليه فقلت ما قلت فقال: قد فعلت، ثم قال: فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلّميه، فقيل لي: هو علي بن أبي طالب.

وأقمت حتى قدم ركب من بليّ أو قضاعة فجئت إلى رسول الله فقلت له: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. فكساني رسول الله وأعطاني ناقة ونفقة، فخرجت معهم إلى الشام.

قال عديّ: فبينا أنا في أهلي وإذا بظعينة تؤمّ صوبنا حتى وقفت عليّ فإذا هي ابنة حاتم أختي [سفانة] فجعلت تقول لي: أيها الظالم القاطع! احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك. فقلت لها: أي أُخية لا تقولي إلّا خيراً فوالله ما لي من عذر! لقد صنعت ما قلت. ثم سألتها عن رسول الله فقلت لها: ما ترين في أمر

---

(١) مغازي الواقدي ٣: ٩٨٥ ـ ٩٨٨.

هذا الرجل ؟ ! قالت : والله أرى أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عز اليمن وأنت أنت . فقبلت قولها

إسلام عدي الطائي :

ثم خرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله في مسجده فسلّمت عليه ثم قال لي : من الرجل ؟ فقلت : عديّ بن حاتم . فانطلق بي إلى بيته .. إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته لحاجتها ، وأخذت تكلّمه في حاجتها طويلاً وهو واقف لها ! فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك !

ولما دخل بي بيته [وأنا كافر] تناول وسادة من أدَم محشوة ليفاً فقدفها اليّ وقال لي : اجلس على هذه . فقلت : بل اجلس عليها أنت . فقال : بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله بالأرض ! فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال لي : إيه يا عديّ بن حاتم ، ألم تكن رَكوسياً ؟ ! قلت : بلى . قال : أولم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قلت : بلى . قال : فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك ! قلت : أجل والله . وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل !

ثم قال : يا عدي ، لعلك إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ؟ ! فوالله ليوشكنّ أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه !

ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من قلّة عددهم وكثرة عدوّهم ؟ ! فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ! ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ، أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ؟! وايم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم !

قال عدي : فأسلمت [1] .

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤ : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ واختصر خبره الطبرسي في إعلام الورى ١ : ٢٥٢ .

وفاة النجاشي وصلاة النبي ﷺ :

قال الكازروني في سياق حوادث السنة التاسعة: وفي شهر رجب من هذه السنة توفي النجاشي أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون، وكان قد أسلم فنعاه رسول الله إلى المسلمين[1].

ويبدو أن ذلك كان في أوائل شهر رجب، حيث سنستظهر أن خروجه ﷺ إلى تبوك كان في أواخر شهر رجب، وسيأتي أن الذي أثار الخروج إلى تبوك إشاعة نقلها تجار الميرة الشامية أن الروم يتجهّزون لغزو المدينة. فلعلّ ذلك كان بعد انتشار أخبار وفاة حامية النجاشي أصحمة، حيث رأوا أن الوقت مؤاتٍ لإشاعة مثل تلك الشائعات. وفي المقابل رأى النبي ﷺ أن الوقت مؤاتٍ لإعداد القوة ليرهب بها أعداء الإسلام في مسير المدينة إلى الشام.

ولعلّه يشهد لذلك ما رواه الحلبي عن قتادة عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما مات النجاشي نعاه جبرئيل للنبي ﷺ فجمع الناس في البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي (جنازته)، فصلى عليه. وما علم هرقل بموته إلّا من تجار رأوا المدينة. وقال: وجاءت الأخبار من كل جانب أنّه مات في تلك الساعة من ذلك اليوم[2].

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن العسكري عليه السلام قال: لما أتى جبرئيل رسول الله ينعى النجاشي بكى عليه وقال: مات أخوكم أصحمة، وهو اسم النجاشي، ثم خرج إلى الجبّانة (المقبرة) فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته بالحبشة فصلّى عليه وكبّر سبعاً[3].

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٦٨ عن المنتقى في أحوال المصطفى للكازروني.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧.

(٣) الخصال ٢: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ مع اختلاف يسير.

ذكر ابن اسحاق في الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الأمراء والملوك: المهاجر بن أبي أُمية المخزومي أخا أم المؤمنين أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، قال: بعثه إلى الحارث بن عبد كُلال الحميري ملك اليمن[1] ثم ذكر وصول جوابه وجواب أخويه النعمان ونُعيم عند رجوعه ﷺ من تبوك[2] مما يعني أن إرسال الرسول والكتاب كان قبل رحيله الى تبوك.

ويلاحظ أنّ الكتاب الذي يذكره ابن اسحاق ليس إلّا للحارث بن عبد كُلال، ولكنّه يذكر الجواب عنه وعن أخويه ويصفهم أنهم ملوك ذي رُعين ومعافر وهمدان بينما الخبر المعتبر في إسلام همدان ليس هكذا، بل سيأتي أنّه كان على يد علي عليه‌السلام، ثم في هذا الخبر عن ابن اسحاق ذكر الزكاة والجزية وقتالهم المشركين لديهم مما لا ذكر له ولا أثر في سائر الأخبار، مما يُستبعد جدّاً.

إسلام الزبيدي وارتداده وتوبته.

مرّ في شهر صفر للسنة التاسعة للهجرة وفود جمع من خثعم بناحية تبالة من أطراف الطائف، وإسلامهم. وكان رجل من خثعم يُدعى أُبي بن عثعث الخثعمي قد قتل أبا عمرو معد يكرب الزُبيدي.

وانتهى الى بني زُبيد وبني مراد في بلاد اليمن أمر رسول الله، فدخل عمرو بن معد يكرب على قيس بن مكشوح المرادي سيد مراد وقال له: يا قيس، قد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز يقول إنّه نبيّ، وإنّك سيد قومك فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيّاً كما يقول فإنه لا يخفى عليك، وإذا لقيناه تبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٢٥٥ واليعقوبي ٢ : ٧٨.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٢٣٥، واليعقوبي ٢ : ٨٠.

ولكنّ قيساً سفّه رأي الزبيدي وبقي عنده ذلك فركب عمرو ومعه جمع من قومه حتى قدموا على رسول الله[١] لما عاد من تبوك فقال له النبي ﷺ: يا عمرو أسلم يؤمنك الله من الفزع الأكبر! فقال: يا محمد، وما الفزع الأكبر، فإني لا أفزع؟! فقال له: يا عمرو، إنه ليس مما تحسب وتظن، إنّ الناس يُصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلّا نُشر، ولا حيّ إلّا مات، إلّا ما شاء الله، ثم يُصاح بهم صيحة أُخرى، فيُنشر من مات ويُصَفّون جميعاً، وتنشق السماء وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال، وتزفر النيران وترمي بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشُغل بنفسه إلّا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟! فقال: ألا إنّي أسمع أمراً عظيماً! ثم آمن وآمن من معه من قومه ورجعوا إلى قومهم.

وأبصر عمرو قاتل أبيه أُبيّ بن خثعم الخثعمي فأخذه وجاء به إلى النبي ﷺ وقال له: أعدني، أشكني: اقتل شكوتي، على هذا العاجر[٢] الذي قتل والدي.

فقال ﷺ: يا عمرو، هدر الإسلام ما كان في الجاهلية. فانصرف عمرو، ولكنّه ارتدّ عن الإسلام وأغار على قوم ومضى إلى قومه.

البعثة الأُولى لعلي ﷺ إلى اليمن:

فلما بلغ ذلك النبي استدعى عليّاً ﷺ فأمّره على جمع من المهاجرين فيهم خالد بن سعيد بن العاص الأُموي وأنفذهم إلى بني زبيد.

وكان بنو زبيد قد تحالفوا مع بني جُعفي ولذلك أرسل النبي خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب ـ ومعه بُريدة وعمرو بن شأس الأسلميان وأبو موسى

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٣٠.

(٢) عاجرٌ: مرّ مرّاً سريعاً من خوف ونحوه (لسان العرب).

الأشعري ـ وأمره أن يقصد بني جُعفي، فإذا التقوا بعليّ عليه السلام فأمير الناس علي بن أبي طالب. فاستعمل خالد على مقدّمته أبا موسى الأشعري، واستعمل عليّ عليه السلام على مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص الأُموي.

فلما سمع بنو جعفي بالجيش ذهبت فرقة منهم فانضمّت الى بني زبيد، وذهبت فرقة أُخرى الى تخوم اليمن. وخاف عليّ عليه السلام أن يثنيهم خالد بن الوليد فكتب اليه أن: قف حيث أدركك رسولي، وأرسله اليه مع رسوله ثم بعثه أنّه لم يقف. فكتب الى خالد بن سعيد: تعرّض له حتى تحبسه أي توقفه. فاعترض له خالد بن سعيد حتى حبسه. ثم سار الى بني زبيد فلقيهم في وادي كُثَر (من نواحي صنعاء اليمن) فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: يا أبا ثور، كيف أنت إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة (الزكاة)؟! قال: سيعلم إن لقيني.

مبارزة عمرو لعليّ عليه السلام:

وخرج عمرو وقال: هل من مبارز؟ وكان معه أخوه وابن أخيه. وكان معه سيفه المعروف بالصمصامة. فقام خالد بن سعيد وقال: يا أبا الحسن بأبي أنت وأُمي دعني أُبارزه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترى أنّ لي عليك طاعة فقف مكانك.

ثم برز اليه أمير المؤمنين عليه السلام وصاح به صيحة. وقتل أخاه وابن أخيه وانهزم عمرو وبنو زبيد، وسبي منهم نساء ومنهم امرأة عمرو وكانت بنت سلامة وولدها. وخلّف عليّ عليه السلام على بني زبيد خالد بن سعيد ليؤمّن من عاد اليه من هُرّابهم مسلماً، ويقبض صدقاتهم.

فرجع عمرو بن معديكرب فاستأذن على خالد بن سعيد فأذن له، فلما وقف بباب خالد بن سعيد رأى ناقة منحورة، فجمع قوائمها وضربها بسيفه

الصمصامة ضربة واحدة فقطعها. ثم دخل على خالد بن سعيد فعاد إلى الإسلام وطلب منه أن يهب له أهله وولده فوهبهم له، فوهب له عمرو سيفه الصمصامة.

خبر بريدة الأسلمي

مرّ أنّ بُريدة الأسلمي الأنصاري كان مع خالد بن الوليد في هذه السريّة، فروى عنه قال: لقد كنت أُبغض عليّاً بغضاً لم أُبغض مثله أحداً قط، حتى أني كنت أحببت رجلاً آخر من قريش (خالد بن الوليد) لم أحبه إلّا لبغضه عليّاً. فلما بُعث ذلك الرجل (خالد) على خيل (إلى اليمن) صحبته لأنّه كان يبغض عليّاً؟!

وممّا يروى عن بريدة: أنّ النبي ﷺ ابتعث عليّاً ليخمّس الغنائم والسبايا، قال: وكان في السبي وصيفة هي أفضل السبايا، فخمّس السبي وأخذ خمسه وقسّم الباقي، ثم خرج علينا ورأسه يقطر ماءً! فقلنا: ما هذا يا أبا الحسن؟! فقال: إنّ تلك الوصيفة التي كانت في السبي صارت في الخمس وصارت لآل بيت النبي! فكتب الرجل (خالد) بذلك إلى رسول الله، فقلت له: ابعثني بكتابك مصدّقاً، فبعثني.

فلما قدمت على رسول الله جعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق يا رسول الله! فأمسك رسول الله يدي والكتاب وقال لي: أتبغض عليّاً؟! قلت: نعم، فقال: فلا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدد له حبّاً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أكثر وأفضل من الوصيفة[2].

وروى المفيد الخبر في «الإرشاد» وزاد: سار بُريدة حتى انتهى إلى باب رسول الله فلقيه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه،

---

(١) الإرشاد ١: ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٢) عن البداية والنهاية لابن كثير، في سيرة المصطفى: ٦٨٠، ٦٨١ ولكن المؤلف المعروف شكّك في صحة مفاد الخبر، وهو في غير محله.

فأخبره أنّه إنّما جاء ليقع في علي عليه السلام، وذكر له اصطفاءه من الخمس الجارية لنفسه، فقال له عمر: امض لما جئت له فإنّه سيغضب لابنته ممّا صنع علي.

فدخل بُريدة على النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب خالد بما أُرسل به بُريدة فقرأه وتغيّر وجه النبي ومع ذلك قال بُريدة: يا رسول الله، إنّك إن رخّصت للناس في مثل هذا ذهب فيئهم!

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا بُريدة! ويحك أحدثت نفاقاً! إنّ علي بن أبي طالب يحلّ له من الفيء ما يحلّ لي. إنّ علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أُخلّف من بعدي لكافة أُمتي. واحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله. فقال بُريدة: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله! يا رسول الله، استغفر لي فلن أُبغض علياً أبداً، ولا أقول فيه إلّا خيراً. فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله[1].

وروى الطبرسي عن الحسكاني النيسابوري عن عمرو بن شاس الأسلمي قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله (إلى اليمن) فجفاني بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي، فلمّا قدمت المدينة شكوته عند من لقيته. ودخلت المسجد ورسول الله فيه فنظر إليّ حتى جلست إليه فقال: يا عمرو بن شاس لقد آذيتني! فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أعوذ بالله والإسلام أن أوذي رسول الله! فقال: من آذى علياً فقد آذاني[2].

وتاريخ هذه السرية يعيّنه لنا أنّ إرسال رسول الله لعلي عليه السلام هذه المرة بهذه السرية إلى بني زبيد باليمن هي التي عناها ابن سعد كما نقلناه عنه قال: إنّ النبي

---

(1) الإرشاد 1: 160 مرسلاً، وروى منه الطوسي في الأمالي مسنداً: 249 ح 443.

(2) إعلام الورى 1: 257 عن مستدرك الحاكم الحسكاني 3: 122، وفيه في الطبري 3: 122.

أرسل علياً إلى اليمن مرّتين: المرة الأُولى في السنة الثامنة، والثانية كانت في شهر رمضان من السنة العاشرة في ثلاثمئة إلى مذحج اليمن[1].

ويبدو أنّ خالد بن الوليد أيضاً عاد من اليمن، ثمّ بعثه النبيّ إليهم في أوائل جمادى الأُولى للتاسعة، كما يأتي.

غزوة تبوك[2]

لما رجع رسول الله ﷺ من فتح مكة والحنين وحصار الطائف وعمرته في مكة، إلى المدينة، لستّ ليال بقين من ذي القعدة[3] سنة ثمان، فأقام بالمدينة ما بين ذي القعدة إلى شهر رجب[4] للسنة التاسعة.

وقد مرّ في خبر عمر عن اعتزال الرسول أزواجه في مشربة أُم إبراهيم قوله: وكنّا تحدّثنا أنّ غسّان تنعل الخيل لتغزونا[5]، وكان ذلك سبب نزول سورة التحريم، ثمّ نزلت سورة الصفّ، ثمّ نزلت سورة الجمعة، ومرّ فيها خبر وصول قوافل دحية بن خليفة الكلبي الخزرجي للتجارة من الشام إلى المدينة، ثلاث قوافل في ثلاث جُمع متتاليات[6].

---

(1) الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٧، والصحيح أنّ الأُولى كانت قبل تبوك في التاسعة.

(2) كانت قلعة قوية، وهي اليوم من مدن شمال الحجاز تبعد عن المدينة ٧٧٨ كم وعنها إلى معان بعد الحدود الأردنية ٢٣٨كم، وفي طريقها خيبر وتيماء، وطريقها اليوم معبّد.

(3) ابن هشام في السيرة ٤: ١٤٤.

(4) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٥٩، ويظهر من المعلومات الآتية أنّ ذلك كان في أواخر شهر رجب والراجح في الخامس والعشرين منه.

(5) الدر المنثور ٦: ٢٤٢ والميزان ١٩: ٣٣٩.

(6) مجمع البيان ١٠: ٤٣٢.

وقال القمي في تفسيره: إن الأنباط الشاميين كانوا يقدمون المدينة معهم الطعام والثياب والنبط، فأشاعوا بالمدينة: أن هرقل الروم قد سار في جنود جمعوا في عسكر عظيم يريدون غزو رسول الله ﷺ، وجلب معهم من عرب الشام غسان وجذام وبهراء وعاملة، وقد نزل هرقل في حمص وقدم عسكره الى بلاد البلقاء ونصب قلعة تبوك (1).

وقال الواقدي: ولم يكن ذلك إلا شيئاً قالوه من دون أن يكون شيء منه. وكان ﷺ إذا أراد غزوة قبل هذه يورّي بغيرها حتى لا يبلغ الخبر المقصد حتى يفاجئه بغير استعداد منهم، حتى كانت هذه الغزوة فما ورّى لها، بل كاشف الناس بها لبعد البلدة، وأخبرهم بالوجه الذي يريد، ليتأهّبوا لها أُهبتهم.

وبعث الى مكة والى القبائل يستنفرهم:

فبعث بُريدة بن الحصيب الى قبائل أسلم حتى موضع الفُرع.

وأمر أبا رُهم الغفاري أن يطلب قومه الى بلادهم فيلقاهم.

وبعث أبا واقد الليثي الى قومه بني ليث.

وبعث أبا الجعد الضمري الى قومه بني ضمرة بالساحل.

---

(1) تفسير القمي 1: 290. وأعرض عنه المفيد في الإرشاد 1: 154 عن هذا، وقال: إن الله هو أوحى الى نبيه ﷺ أن يستنفر الناس للخروج الى تبوك، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها الى حرب ولا يُمنى بقتال عدوّ فيه، بل إن الأمور تنقاد له بغير سيف، وأقام دليله على قوله هذا بقوله: ولو علم الله تعالى أن بنبيه ﷺ في هذه الغزاة حاجةً الى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين ﷺ عنه 1: 158 وعن الغاية من هذا الخروج قال: تعبّده الله بامتحان أصحابه واختبارهم بالخروج معه لتظهر سرائرهم فيتميزوا بذلك 1: 154. ولا منافاة بين الطريقين للعادي والغيبي، والجمع أولى.

وبعث الأخوين رافعاً وجندباً ابني مكيث الجهني الى قومهم بني جهينة.

وبعث نعيم بن مسعود الأشجعي الى بني أشجع.

وبعث بُديل بن ورقاء الخزاعي الكعبي الى بني كعب بن عمرو من خزاعة في مكة وضواحيها، ومعه من قومه بُسر بن سفيان وعمرو بن سالم.

وبعث العباس بن مرداس السلمي الى قومه بني سُليم، ومعه آخرون[1].

وقد مرّ الخبر في تفسير الآية الحادية عشرة من سورة الجمعة قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ عن جابر الأنصاري قال: قدمت قافلة دحية الكلبي التجارية من الشام الى المدينة بعد ما أصابتهم مجاعة[2].

وعندما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم روى ابن اسحاق: أن ذلك كان عند جدب من البلاد وعُسرة الناس وشدة الحرّ، فالناس يحبّون المقام في ظلالهم منتظرين طيبة ثمرهم الصيفية ويكرهون السفر على تلك الحال وفي ذلك الزمان لشدته، والى ذلك المكان لبعد الشقة وبلاده، وكثرة العدو الذي يصمد له ويقصده[3] ولا سيما بعد وقائع مؤتة.

«وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم»[4]:

قال الواقدي: حضّ رسول الله المسلمين على الجهاد ورغّبهم فيه والصدقة له، فتصدق كثير منهم بكثير من أموالهم. فتصدّق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٨٩، ٩٩٠.

(٢) التبيان ١٠: ١٠.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٥٩.

(٤) التوبة: ٤١.

تمراً، وحمل عبد الرحمن بن عوف إليه مئتي أوقية (فضة)[1] وحمل العباس بن عبد المطلب[2] وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة أموالاً، وقوّى أناس دون هؤلاء من هو أضعف منهم، حتى أن الرجل كان يأتي ببعيره إلى الرجلين ويقول لهما: تعاقبا عليه.

وروى عن أم سنان الأسلمية قالت في إنفاق النساء: رأيت بين يدي رسول الله في بيت عائشة ثوباً مبسوطاً وفيه مما بعث به النساء يُعنّ به المسلمين في جهازهم: من أقرطة وأسورة ومعاضد وخواتيم وخلاخل[3].

قال القمي في تفسيره: وأمر رسول الله ﷺ بعسكره فضرب في ثنية الوداع[4] وخطبهم فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

«أيها الناس، إنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأولى القول كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنن سنة محمّد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب،

---

(1) كذا في مغازي الواقدي، وابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦١ ذكر لعاصم بن عدي مئة وسق ولعبد الرحمن أربعة آلاف درهم، وهو أولى، ولم يذكر غيرهما إلّا أبا عقيل.

(2) كان قدومه المدينة يومئذ استصحبه لاستنفاره ﷺ أهل مكة، وبحضوره كان سدّ الأبواب، وسنذكره.

(3) مغازي الواقدي ٢: ٩٩١، ٩٩٢.

(4) الثنية: المرتفع من الأرض، وسميت بثنية الوداع عند وداع الأنصار بعوثهم وأهليهم عند خروجهم لغزوة خيبر، كما مرّ. فهي على شمال المدينة على طريق الشام، واليوم أرادوا تلك الجهة أيضاً، وليست على جهة الجنوب إلى مكة.

واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والسكر جمر النار، والشعر من إبليس، والخمر جُماع الإثم، والنساء حبائل إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشرّ المكاسب كسب الربا، وشر المأكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتيمه، وشرّ الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن توكل على الله كفاه، ومن صبر ظفر، ومن يعف يعف الله عنه، ومن كظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله، ومن يتبع السمعة يسمّع الله به، ومن يصم يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذّبه.

«اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي، أستغفر الله لي ولكم».

فلما سمع الناس هذا من رسول الله ﷺ رغبوا في الجهاد.

ومنهم من يقول ائذن لي

قال: ولقي رسول الله ﷺ الجدّ بن قيس السَّلمي الخزرجي، فقال له:

---

(١) رواها الواقدي في المغازي ٣/ ١٠١٥ - ١٠١٧ عن عقبة بن عامر في تبوك وليس في المدينة.

يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه الغزاة؟ فقال: يا رسول الله، والله إن قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنساء منّي، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر (يعني الروم)! فلا تفتنّي! وائذن لي أن أقيم.

وكان يقول لجماعة من قومه (بني سلمة): لا تخرجوا في الحرّ! أيطمع محمد أنّ حرب الروم مثل حرب غيرهم، لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً!

(وكان متزوجاً بأم معاذ بن جبل، وكان له منها عبد الله، وكان مؤمناً بدرياً)[1] فقال لأبيه: تردّ على رسول الله وتقول له ما تقول! ثم تقول لقومك: لا تنفروا في الحرّ! والله لينزلنّ في هذا قرآناً تقرؤه الناس إلى يوم القيامة[2]! فوالله ما في بني سلمة أكثر منك مالاً ولا تخرج ولا تحمل أحداً؟! فقال: يا بني، ما لي وللخروج في الريح والحر والعسرة إلى بني الأصفر؟! والله ما آمن خوفاً من بني الأصفر وأنا في منزلي في خُربى، فإني والله يا بني عالم بالدوائر! فأذهب إليهم فأغزوهم! فقال ابنه: لا والله ولكنه النفاق والله!

فرفع الجدّ نعله فضرب بها وجه ابنه عبدالله، فلم يكلّمه، وانصرف[3].

والذين أتوه ليحملهم معه:

روى الطبرسي عن أبي حمزة الثمالي قال: جاء سبعة نفر إلى النبي ﷺ

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٢.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٩٣ فهو الذي نزل فيه في سورة التوبة عند رجوع النبي من تبوك قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ التوبة: ٤٩ وفي التبيان ٥: ٢٣٢ عن مجاهد وابن زيد عن ابن عباس، وفي مجمع البيان ٥: ٥٦.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٢، ٩٩٣.

منهم من بني النجار: عبد الرحمن بن كعب، وعلبة بن زيد، وعمرو بن عنمة، ومن مُزينة: سالم بن عمير، وعبد الله بن مغفل، وعبد الله بن عمرو بن عوف، وهرم بن عبد الله، قالوا: يا رسول الله احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه.

فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه.

وزاد الواقدي: أنهم كانوا من فقراء الأنصار، فلما بكوا، حمل العباس بن عبد المطّلب منهم رجلين وعثمان بن عفان رجلين، ويامين بن كعب النضري من بني النضير ثلاثة منهم[1].

وروى العياشي في تفسيره بسنده عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم الثقفي عن الباقر والصادق عليهما السلام: أن أحدهم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[2].

وقال القمي في تفسيره: هم سبعة من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير العمري البدري ممن شهد بدراً بلا خلاف، ومن بني واقف: هرمي بن عمرو، ومن بني حارثة: عُلبة بن زيد، ومن بني مازن بن النجار: أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، ومن بني سلمة: عمرو بن عتبة، ومن بني زُرَيق: سلمة بن صخر، ومن بني سُليم العرباض بن سارية السلمي[3].

وأتاه عبد الله المزني ذو البجادين وسأله أن يسأل الله له الشهادة؛ فقال

---

(١) البيان ٥: ٢٨٠ ومجمع البيان ٥: ٩١ ومغازي الواقدي ٢: ٩٩٣ ولذلك سمّوا بالبكّائين.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٠٤، ١٠٥.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٩٣ واللفظ للواقدي في المغازي ٢: ٩٩٤ وكرّره مختصراً: ٢٤ ١، وهم الذين نزلت فيهم في سورة التوبة: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ... وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً ﴾ التوبة: ٩١، ٩٢ ولذلك سمّوا البكائين.

أعطني لحاء (قشر) شجرة سمرة! فجاءه بها فربطها على عضد عبد الله وقال: اللهم إني أُحرّم دمه على الكفار! فقال: ما أردت هذا! فقال: إنك إذا خرجت غازياً في سبيل الله فلا تُبالِ بأيّة كان[1].

إحراق دار النفاق:

روى ابن هشام في السيرة بسنده عن عبد الله بن حارثة قال: سمع رسول الله أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي في موضع جاسوم يثبّطون الناس عن غزوة تبوك، فأرسل النبي ﷺ طلحة بن عُبيد الله وأمره ومعه نفر من أصحابه أن يحرّقوا بيت سويلم عليهم.

وكان من المنافقين في الدار الضحّاك بن خليفة، فلما أُحرق طلحة عليهم الدار أراد الضحّاك أن يفرّ من ظهر الدار فانكسرت رجله، وأُفلت أصحابه[2].

وجاء ناس منهم يستأذنون رسول الله أن يتخلّفوا عنه بلا علة، ومع ذلك أذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً! منهم رجال من الأعراب من بني غفار، منهم خُفاف بن إيماء الغفاري[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٤ وتمامه: فإن وقصتك دابتك فمتّ فأنت شهيد، أو أخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد. أصابته الحمى في تبوك وسيمرّ خبره. وروى خبره المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ٢٥٠ عن المنتقى للكازروني.

(٢) ابن هشام في السيرة ٤: ١٦٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٥ وأشار إليه في التبيان ٥: ٢٧٨ ومجمع البيان ٥: ٩٠ وهم الذين نزل فيهم في سورة التوبة: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾: ٩٠.

وبناء مسجد النفاق[1]

كان يسكن في قباء أبناء عوف: بنو عمرو بن عوف، وسالم بن عوف، وغنم بن عوف. وبادر بنو عمرو بن عوف لاستقبال الإسلام والمسلمين المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وتبرّعوا بقطعة من أرضهم لبناء المسجد، فعرف بمسجد بني عمرو بن عوف، وهو مسجد قباء.

وأسلم أبناء عمومتهم بنو سالم وبنو غنم على غير تمكّن وإخلاص من شيء من شوب ريب النفاق، فحسدوا بني عمّهم عمرو بن عوف على مسجدهم مسجد قباء[2].

وأشار الطوسي في «التبيان»[3] إلى ابن إسحاق[4] والواقدي: أنهم كانوا خمسة عشر رجلاً: أبو حبيبة ابن الأزعر، وعبّاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، وخذام بن خالد، وعبّاد بن حنيف من بني عمرو بن عوف، أخو عثمان وسهل ابني حنيف، ومُعتّب بن قُشير، ووديعة بن ثابت، وجارية بن عامر ـ وكان يُعرف بحمار الدار ـ وابناه زيد ويزيد ومجمّع ـ وهذا أصبح من أئمتهم فيما بعد[5] ـ وعبد الله بن نبتل وكان هذا يأتي رسول الله فيسمع حديثه فيأتي به أصحابه المنافقين، فقال جبرئيل ﷺ: يا محمّد، إنّ رجلاً من المنافقين يأتيك فيسمع حديثك ثم يذهب به إلى المنافقين! فقال رسول الله: أيّهم هو؟ فقال: الرجل

(١) تفسير القمي ١: ٣٠٥.

(٢) مجمع البيان ٥: ١٠٩.

(٣) التبيان ٥: ٢٩٧.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٤.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٢: ١٦٩ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٤٧.

الأسود ذو الشعر الكثير، كبده كبد حمار، وينظر بعيني شيطان، الأحمر العينين كأنهما قِدران من صُفر وينطق بلسان شيطان(١).

وكانوا يجتمعون مع بني عمومتهم بني عمرو بن عوف في مسجدهم فيتحدث بعضهم الى بعض ويتناجون فيما بينهم فيلحظهم المسلمون بأبصارهم، فشقّ ذلك عليهم وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلّا من يريدون ممّن هو على مثل رأيهم(٢).

فبنوا المسجد من دار وديعة بن ثابت جار أبي عامر الراهب الفاسق، وأعانهم أبو لبابة بن عبد المنذر بخشب من دون أن يكون منهم(٣).

ثم جاء خمسة نفر منهم: أبو حبيبة بن الأزعر، وثعلبة بن حاطب، وخذام بن خالد، وعبد اللّه بن نبتل، ومعتّب بن قشير ورسول اللّه يتجهز الى تبوك، فقالوا: يا رسول اللّه إنّا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة والليلة الشاتية، ونحن نحبّ أن تأتينا فتصلّي فيه. فقال رسول اللّه: إنّي على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء اللّه أتيناكم فصلّينا لكم فيه(٤).

ويظهر من خبر عاصم بن عدي أنّهم راجعوا رسول اللّه في ذلك وهم

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٠٠ وفيه: عبد اللّه بن نبيل مصحفاً.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٤٧ - ١٠٤٩ وقال: كان أبو عامر الراهب الفاسق يقول لهم: لا أستطيع أن آتي مسجد بني عمرو بن عوف فإنّ فيه أصحاب رسول اللّه يلحظونني بأبصارهم، وابنوا مسجداً يأتينا أبو عامر فيتحدّث عندنا فيه ٢: ١٠٤٦ هذا وقد قالوا: إنّه لحق بمكة حتى فتحت فهرب الى الطائف فكان بها حتى أسلموا، كما في التبيان ٥: ٢٩٨ وعنه في مجمع البيان ٥: ١١٠.

(٣) و (٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٤٥، ١٠٤٦.

مشتغلون ببنائه، فقد روى عنه الواقدي قال: كنّا نحن نتجهّز مع النبي إلى تبوك، إذ رأيت ثعلبة بن حاطب وعبد الله بن نبتل قد فرغا من صلاح ميزاب مسجد الضرار، فلما نظرا إليّ قالا لي: يا عاصم، إنّ رسول الله قد وعدنا أن يصلي فيه إذا رجع. وأنا أعلم في نفسي أنه أسّسه أبو حبيبة بن الأزعر وأُخرج من دار خدام بن خالد، ووديعة بن ثابت منافقون معروفون بالنفاق[1].

وتواضعوا على إمامة مجمّع بن جارية بن عامر المعروف بحمار الدار، فكان إمامهم يومئذ[2].

معسكران للمدينة؟!

قال الطبرسي: وضرب رسول الله ﷺ عسكره فوق ثنيّة الوداع[3] بمن تبعه من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب من بني كنانة وأهل تهامة ومُزينة وجُهينة وطيء وتميم[4]. وقال الواقدي: وأقبل عبد الله بن أُبي بعسكره[5]، فضربه على ثنيّة الوداع بحذاء ذُباب، معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين ممّن اجتمع إليه، فكان يقال: ليس عسكر ابن أُبي بأقل العسكرين، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً[6].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٤٨.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢: ١٦٩ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٤٦ و١٠٤٧.

(٣) إلى جهة الشام في شمال المدينة لا جهة مكة وقباء في جنوبها.

(٤) أعلام الورى ١: ٢٤٣.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٥، وابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٢ أما المتخلفون الثمانون فكانت هم من بني غفار من الأعراب وليسوا من أهل المدينة.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٦ و١٠٠٢ و١٠٤١ وفي تفسير القمي ١: ٢٩٦ خمسة وعشرون ألفاً غير العبيد.

وكانت حركته الى تبوك في شهر رجب[1]. فلما سار تخلّف عنه ابن أُبيّ فيمن تخلّف معه من المنافقين وقال: يغزو محمّد (كذا) بني الأصفر مع جهد الحال والحرّ والبلد البعيد إلى ما لا قِبَل له به، يحسب محمّد (كذا) أنّ قتال بني الأصفر لعب! والله لكأنّي أنظر إلى أصحابه غداً مقرّنين في الحبال! ونافق معه من هو على مثل رأيه[2] أما رسول الله ﷺ فلما سمع ذلك قال: حسبي الله! هو الذي أيّدني بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم[3].

استخلاف عليّ على المدينة:

قال القمي: فلما اجتمع لرسول الله ﷺ الخيول، خلّف أمير المؤمنين عليّاً على المدينة ورحل من ثنيّة الوداع فأرجف المنافقون بعليّ وقالوا: ما خلّفه إلّا تشاؤماً به. فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فأخذ سيفه وسلاحه ولحق برسول الله بالجُرف[4] فقال له رسول الله: يا عليّ، ألم أُخلّفك على المدينة؟ قال عليه السلام: نعم ولكنّ المنافقين زعموا أنّك خلّفتني تشاؤماً بي!

فقال ﷺ: كذب المنافقون يا عليّ، أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك، بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت خليفتي في أُمّتي، وأنت وزيري، وأخي في الدنيا والآخرة. فرجع عليّ عليه السلام إلى المدينة[5].

---

(1) مغازي الواقدي 1: 7 ويظهر من المحاسبة الآتية أنّ ذلك كان في أواخره وبعده في ٢٥ منه وليس كما ذكر اليعقوبي في غرة رجب ٢: ٦٧، ٦٨ وهو المعتمد لدينا.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٥.

(3) إعلام الورى ١: ٢٤٤.

(4) الجُرف: على ثلاثة أميال (٥ كم) من المدينة.

(5) تفسير القمي ١: ٢٩٢، ٢٩٣ ورواه ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٣ بسنده عن ←

وذلك أنه ﷺ علم خُبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند خروجه نحو بلاد الروم، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يأمن من معرّتهم وفسادهم في دار هجرته، وعلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحفظ من فيها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه عليها.

وتظافرت الروايات بأن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله ﷺ علياً عليه السلام على المدينة علموا أنه لا يكون للعدو فيها مطمع، وهم كانوا يؤثرون خروجه معه لما كانوا يرجونه عند بُعد النبي عن المدينة من الاختلاط ووقوع الفساد، فساءهم ذلك، وعظم عليهم مُقامه فيها بعد خروجه، فحسدوه لذلك، وغبطوه عمامة في أمنه بالدعة والرفاهية، وتكلّف من خرج منهم السفر والخطر، فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراماً وإجلالاً ومودّة، وإنما خلّفه استثقالاً له. فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق به ﷺ وأسمعه مقال المنافقين، وأجابه ﷺ بحديث المنزلة.

فقال علي عليه السلام: قد رضيت، قد رضيت. ثم رجع إلى المدينة (١).

---

* إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد، ولم يسنده الواقدي.

(١) الإرشاد ١: ١٥٥، ١٥٦ بتصرف.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٤٤ وأكثر من ذكر حديث المنزلة هنا اكتفى به ولم يذكر أنه ﷺ استخلف مع علي عليه السلام أحداً سواه، وكذلك فعل ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٣ لكن من قسم فيه ٤: ١٦٢ تقدم ذكر استخلافه عليها محمد بن مسلمة الأنصاري، وروى في خبر آخر سباع بن عُرفُطة الغفاري. وأغرب الواقدي فلم يرو حديث المنزلة لعلي عليه السلام أصلاً، واكتفى بذكر استخلاف الغفاري وقال: وقيل محمد بن مسلمة ٣: ٩٩٥ وجاء في الديوان المنسوب إلى علي عليه السلام أنه قال في ذلك شعراً ←

عقد الألوية والرايات:

قال الواقدي: ولما رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع الى تبوك عقد الألوية والرايات، فدفع رايته العظمى الى الزبير، ولواءه الأعظم الى أبي بكر، وراية الأوس الى أُسيد بن الحُضير، والخزرج الى أبي دُجانة والحباب بن المنذر بن الجموح[1] وأمر رسول الله كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواءً وراية، وأمر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً (حفظاً) للقرآن، فكانت راية بني عمرو بن عوف مع أبي زيد قيس بن السكن الأوسي، وراية بني سلمة مع معاذ بن جبل. وكان رسول الله قد دفع راية بني مالك بن النجار الى عُمارة بن حزم قبل أن يدركه زيد بن ثابت، فلما أدركه زيد أعطاه الراية، فقال عُمارة: يا رسول الله لعلك وجدت (غضبت) عليّ؟! قال: لا والله ولكن كان أكثر أخذاً للقرآن منك، والقرآن مقدّم، وقدّموا القرآن وإن كان عبداً أسود مجدعاً (مقطوع الأنف)[2]

ألا يبعد الله أهل الشمال ... وأهل الأراجيف والباطل

يقولون لي قد قلاك الرسول ... فخلاك في الخالف الخاذل

وما ذاك إلا لأن النبي ... [illegible] وما كان بالفاعل

فسرت وسيفي على عاتقي ... الى الحاكم الفاصل العادل

فلما رآني هفا قلبه ... وقال مقال الأخ السائل

أمم بن عمي؟! فأنبأته ... بإرجاف ذي الحسد الداغل

فقال أخي أنت من دونهم ... كهارون موسى، ولم يأتل

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٦

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٢ و١٠٠٣

خروجه وجمعه بين الظهرين قصراً:

وخرج ﷺ إلى تبوك صباح يوم الخميس[1] ومعه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أُمية المخزومي[2] إلى ذي خُشُب، ودليله علقمة بن الفغواء الخزاعي، وكان في حرٍّ شديد فأخّر صلاة الظهر حتى أبرد فصلّاها وعجّل بالعصر فجمع بينهما[3] قصراً[4] وهكذا فعل في كل سفره إلى تبوك حتى رجع منها. وبني مسجد على مصلاه تحت الدومة بذي خُشُب[5].

ممّن تعوّق ثم لحق:

قال الواقدي: وتخلّف نفر من المسلمين من غير شكٍّ ولا ريب، وبما أبطأت بهم النية حتى تخلّفوا عنه صلى الله عليه [وآله] وسلّم:

منهم مُرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة الواقفي، قال: والله ما تخلّفت شكاً ولا ارتياباً ولكني قلت: أشتري بعيراً وألحق بهم، ولقيت مُرارة بن الربيع فقال مثل

---

(1) و(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٧

(3) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩

(4) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥

(5) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩ وروى الترمذي وأبو داود في سننهما بإسنادهما عن معاذ بن جبل قال: كان النبي في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزول الشمس أخّر الظهر حتى يجمعها إلى العصر، وإذا زالت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر، وكذلك كان يفعل في المغرب والعشاء. وقال الترمذي: حديث حسن. وفي قصر الصلاة روى ابن حنبل وابن حبّان وابن خزيمة والبيهقي برجال موثقين عن عائشة أم المؤمنين قالت: كانت الصلاة الأولى بمكة ركعتين، ثم زيدت بعد الهجرة ركعتين، وكان رسول الله إذا سافر صلى الصلاة الأولى: ركعتين. التمهيد القطري: ١٧٥

قولي، فقلت: نعدو فنشتري ونعدو فنلحق بهم ولا يفوت ذلك، نحن قوم مُخفّون على صدر راحلتين. فبدأ أتيسّر، فلم نزل ندفع ذلك وتؤخّر الأيام... وكنت لا أرى إلا منافقاً معلناً أو معذوراً، فأرجع مغتمّاً بما أنا فيه...

ومنهم كعب بن مالك الأنصاري، شاعر النبي وقد لم يتخلّف ليشتري بعيراً، بل قال: تجهّز رسول الله وتجهّز معه المسلمون، وجعلت أغدو لأتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض لنفسي حاجة، فلم أزل كذلك حتى خرج رسول الله يوم الخميس، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهّز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم، فغدوت لأتجهّز فلم أفعل شيئاً! ثم غدوت فلم أفعل شيئاً، وقد اجتمعت لي راحلتان يومئذ فقلت: أرتحل فأدركهم، فلم أفعل! وكان يحزنني أني إذا خرجت وطفت في الناس لا أرى إلّا رجلاً ممن عذره الله أو رجلاً مغموصاً (مطعوناً عليه في دينه) بالنفاق[1].

ومنهم أبو ذر الغفاري، وكان يقول: كان بعيري نضواً (هزيلاً، أعجف)، فقلت: أعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله صلى الله عليه [وآله] فعلفته أياماً ثلاثة ـ [illegible] ثم خرجت، فلما كنت بذي المروة (إحدى المنازل) عجز بي، فتلوّمت (تمهّلت) عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعي فحملته على ظهري، ثم خرجت أتبع رسول الله ماشياً في حرّ شديد فلا أرى أحداً، حتى إذا كان نصف النهار وقد بلغ بي العطش، فنظر ناظر في الطريق فرآني فقال: يا رسول الله، إن هذا

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٦ ـ ٩٩٨ باختصار، وفي السيرة ٤: ١٧٦ دون ذكر يوم الخميس. وأُشير إليهم في تفسير العياشي ٢: ١١٥ ح ١٥١ عن الصادق ﷺ وفي تفسير القمي ١: ٢٩٦ بلا إسناد. وفي التبيان ٥: ٢٩٦ و٦: ٢ عن مجاهد وقتادة عن ابن عباس وجابر ومجمع البيان ٥: ١٠٤ و١٢٠ عنهم.

الرجل يمشي على الطريق وحده! فقال رسول الله: كن أبا ذر! فلما تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو أبو ذر، فلما دنوت منه قام رسول الله وقال: مرحباً بأبي ذر! يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده! ثم قال: ما خلّفك يا أبا ذر؟ فأخبره خبر بعيري فقال: إن كنت لمن أعزّ أهلي عليّ تخلّفاً، لقد غفر الله لك يا أبا ذر بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني. ثم وضع متاعي عن ظهري، ثم استسقى فأُتي بإناء من ماء[1].

---

(١) مغازي الواقدي ٣: ١٠٠٠ ورواه عنه ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٧ بمعناه. ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة (ولم يبق معه إلا غلامه وامرأته (أو ابنته - القمي -)) أقبلت في رهط من أهل العراق (الكوفة) معتمرين، وإذا بجنازة على ظهر طريق (الربذة) كادت تطؤها الإبل، وقام إلينا غلامه فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله، فأعينونا على دفنه! فانكبّ عليه وقال له: صدق رسول الله إذ قال: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك! ثم نزل هو وأصحابه فواريناه، ثم حدّثهم بحديثه مع النبي في مسيره إلى تبوك. ورواه الواقدي بلا إسناد. ورواه القمي في تفسيره كذلك وقال: وكانت معه إداوة فيها ماء! فقال له رسول الله: يا أبا ذر! معك ماء وعطشت؟! فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نعم، انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته فإذا هو بارد عذب فقلت: لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله!

فقال رسول الله: يا أبا ذر رحمك الله، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق يتولّون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك.

فلما سيّره عثمان إلى الربذة كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها، فأصابها داء يقال له النقاب فماتت كلّها. ويروي القمي الخبر عن ابنته قالت:

ثم مات ابنه ذر، فوقف على قبره فقال له: رحمك الله يا ذر، لقد كنت كريم الخلق ←

ومنهم عُمير بن وهب الجمحي، وأبو خيثمة عبد الله بن خيثمة

ـ بارّاً بالوالدين، وما عليّ في موتك من غضاضة، وما بي إلى غير الله من حاجة، وقد شغلني الاهتمام لك من الاغتمام بك، ولولا هول المطّلع لأحببت أن أكون مكانك، فليت شعري ما قالوا لك؟ وما قلت لهم؟ ثم رفع يده فقال: اللهم إنّك فرضت لك عليه حقوقاً، وفرضت لي عليه حقوقاً، وإنّي قد وهبت له ما فرضت لي عليه من حقوقي، فهب له ما فرضت عليه من حقوقك، فإنك أولى بالحق وأكرم منّي.

ثم أصابنا الجوع فمات أهله، وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً ولم نجد شيئاً، فجمع أبي رملاً ووضع رأسه عليه، فرأيت عينيه قد انقلبت، فبكيت وقلت له: يا أبة كيف أصنع بك وأنا وحيدة؟! فقال: يا بنيّتي لا تخافي فإنّي إذا متّ جاءك من أهل العراق من يكفيك أمري، فإنّه أخبرني حبيبي رسول الله في غزوة تبوك فقال: «يا أبا ذر، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، ويسعد بك أقوام من أهل العراق يتولّون غسلك وتجهيزك ودفنك» فإذا أنا متّ فمدّي الكساء على وجهي ثم اقعدي على طريق العراق، فإذا أقبل ركب فقومي إليهم وقولي: هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد توفّي.

قالت ابنته: فلما عاين الموت سمعته يقول: مرحباً بحبيب أتى على فاقة، لا أفلح من ندم! اللهم خنّقني خناقك، فوحقّك إنّك لتعلم أنّي أحبّ لقاءك!

قالت ابنته: فلما مات مددت الكساء على وجهه، ثم قعدت على طريق العراق، فجاء نفر، فقلت لهم: يا معشر المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد توفّي، فنزلوا وجاؤوا فغسّلوه وفيهم مالك بن إبراهيم الأشتر النخعي كان معه حلّة قيمتها أربعة آلاف درهم فكفّنه فيها ودفنوه وبكوا عليه.

وكأنّهم باتوا ليلتهم تلك عند قبره، قالت ابنته: فبينا أنا نائمة عند قبره إذ سمعته في نومي يتهجّد بالقرآن كما كان يتهجّد به في حياته، فقلت له: يا أبة ما فعل بك ربّك؟ فقال: يا بنيّة، قدمت على ربّ كريم فرضي عنّي ورضيت عنه، وأكرمني وحبّاني فاعملي ولا تغترّي. القمي ١: ٢٩٤ ـ ٢٩٦

السلمي(1) فضلاً عن هلال بن أمية الواقفي ـ ومرّ ذكره ثالث المتخلفين ـ فقال: كان أبو خيثمة قد تخلّف معنا، وكان لا يتهم في إسلامه ولا يغمص (ينقص) عليه، وتخلّف معنا حتى كان بعد أن خرج رسول الله بعشرة أيام(2).

وقال ابن إسحاق: بعد أن سار رسول الله بأيام رجع إلى أهله في حائط (بستان) له في يوم حار، وكان له امرأتان، وقد أقامت كل واحدة منهما لها عريشاً ورشّته بالماء وبرّدتا ماءً وهيّأتا طعاماً(3).

قال القمي: فلما نظر إليهما قال لهما: والله ما هذا بإنصاف، رسول الله وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قد خرج في الضحّ (الشمس) والريح، وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قوي قاعد في عريشه، وامرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف!

ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله ﷺ، فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله بذلك، فقال رسول الله: كن أبا خيثمة، فأقبل، وأخبر النبي بما كان منه، فجزّاه خيراً ودعا له(4).

أحكام فقهية، ومساجد الطريق:

قالوا: ولقيه ﷺ على ثنية النور ـ بعد ثنية الوداع ـ عبدٌ مسلّح فقال

---

(1) وفي ابن هشام ٤: ١٦٤: مالك بن قيس. وفي تفسير القمي ١: ٢٩٧ عن الصادق ﷺ قال: وهم أبو ذر وأبو خيثمة وعمير بن وهب الذين تخلّفوا ثم لحقوا برسول الله.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٨.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٣.

(4) تفسير القمي ١: ٢٩٤ والتبيان ٥: ٣١٤، ٣١٥ ومجمع البيان ٥: ١٢٠.

رسول الله أفأبايعك يا رسول الله؟ قال: وما أنت؟ قال: مملوك لامرأة من بني ضمرة سبتني. فقال: ارجع إلى سيدتك لا تقتل معي فتدخل النار[1]

وقد مرّ في خبر أبي ذرّ أن جمله وقف عليه في بعض الطريق فتركه، ونحوه تكرّر من غيره، فمرّ به مارّ فعلفه أياماً وقام عليه حتى صلح البعير فركبه، فرآه صاحبه الأول فطلبه فأبى عليه الثاني، فاختصما إليه ﷺ فقال: من أحيا خُفّاً أو كُراعاً (ذا خفٍّ أو ذا كُراع ـ ساق ـ) بمهلكة من الأرض، فهو له[2] فأسقط حقّ المعرض عن ماله، وقال بحقٍّ للمحيي المتمسك.

وكان يعلى بن مُنية قد استأجر معه أجيراً، فنازعه رجل فعضّ يده، فنزع الأجير يده من فم الرجل فسقطت ثنيّتاه، فاختصما إليه ﷺ فقال: يعمد أحدكم فيعضّ أخاه كما يعضّ الفحل (من الإبل)، ثم لم يحكم له بالدية وأبطل حقّه[3]

وكانت عليه ﷺ جُبّة صوف[4] رومية[5] ذلك أن الصوف يصرف البرد والحرّ، فصلى فيها بأصحابه وبيده مقود فرسه، فبال الفرس فأصاب جبّته، وكأنّ أصحابه تساءلوا: ماذا نعمل؟ فقال: لا بأس بعرقها ولعابها وأبوالها. ولم يغسل البول عن الجبّة[6]

وفي المواضع التي صلّى فيها بُنيت فيما بعد مساجد: بالدومة في ذي خُشُب، ثم

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٦.
(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٧.
(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٢.
(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٣.
(٥) مغازي الواقدي ٢: ١٠١١.
(٦) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٣.

في الفيفاء، بذي المروة حيث عجر بعير أبي ذر، ثم بالشقة[1]، ثم بوادي القرى قرب خيبر (ثم بالصعيد)، ثم بالحجر (مدائن صالح)، ثم بذنب الحوصاء (العوض)، ثم بذي الجيفة في صدر الحوصاء، ثم في حوير بشق تارا، (ثم بطرف البتراء من ذنب كوكب، ثم في ألاءة (السمرة)، ثم بذات الخطمي، ثم في سمنة، ثم في الأخضر، ثم بذات الزراب، ثم في ثنية المداران، ثم في تبوك[2].

بعض المنافقين في تبوك:

سويد بن صامت الأوسي من بني عمرو بن عوف في قباء، قال عنه ابن إسحاق: إنه قتل يوم بُعاث بين الأوس والخزرج، كان قد رمى مُعاذ بن عفراء الخزرجي بسهم غيلة فقتله، في غير حرب[3].

وكان اليهود في جوار الخزرج، فقتل حاطب بن الحارث أحدهم، فخرج إليه الأجمع من الخزرج فتقاتلوا، فقتل المجذّر بن ذياد البلوي حليف الخزرج سويد بن صامت الأوسي[4].

وقال الواقدي: رأى سويدَ بن الصامت رجلٌ من الخزرج في أرض الحرة قرب بني عُصبة مشرق بني سالم، وكان سويد أعزل وقد جلس يبول، فأخبر به المجذر بن ذياد فخرج إليه فقتله، وهو الذي هيّج يوم بُعاث[5].

---

(١) في الواقدي: العقبا، وهي أول المنازل من مكة لا الشام. وفي السيرة: الشقة لبني عذرة وهو الصحيح.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩ وعكسها ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٤ بزيادة ثلاثة منازل.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٢: ١٦٧ و٣: ٩٥.

(٤) ابن هشام في السيرة ١: ٣٠٧.

(٥) مغازي الواقدي ١: ٣٠٤.

وجاء الاسلام فأسلم المجذّر بن ذياد والحارث بن سويد، وخرجا يوم احد مع المسلمين، فلما التقى الناس عدى الحارث على المجذّر فقتله بأبيه سويد... ورآه خُبيب بن يساف الخزرجي فأخبر النبي به، فركب حماره اليهم الى قُباء يفحص عن هذا الأمر فبينا هو على حماره في مسيره اليهم إذ نزل عليه جبرئيل فأخبره بذلك وأمره بقتله. وكان ذلك في يوم حار لا يذهب فيه الى قباء. انما كان يذهب اليها يوم السبت ويوم الاثنين، فدخل مسجد قباء وأخذ يصلي فيه، وسمع أهل قباء به فجاؤوا يسلّمون عليه، وجلس رسول الله يتحدث اليهم، وكان معه عُويم بن ساعدة الاوسي، فطلع الحارث بن سويد، فلما رآه رسول الله قال لعويم:

قدّم الحارث بن سويد الى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد، فانه قتله يوم أحد... فقدّمه عويم فقتله[2].

ولم يذكر هنا انّه ﷺ أخذ للحارث بن سويد أو لأخيه الجلاس دية قتل أبيهم سُويد في الجاهلية من المجذّر بن ذياد، إلّا أنّ الواقدي ذكر بشأن الجُلاس بن سويد أنه كان محتاجاً وكانت له دية على بعض قومه (كذا) منذ الجاهلية، فلما قدم رسول الله أخذها له فاستغنى بها[3] وقال في غزوة تبوك: وكان الجلاس فقيراً فأعطاه مالاً من الصدقة لحاجته[4].

ولعله من حاجته كان قد تزوج أرملة سعد أو سعيد وابنها منه عُمير بن سعد فكان في حجر جُلاس بن سويد[5].

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٢: ١٦٧ و٣: ٩٤.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٣٠٥ ومرّ خبره من قبل في أخبار ما بعد أُحد.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٤ و١٠٦٨ وهنا لم يقل على بعض قومه.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٥.

(٥) ابن اسحاق في السيرة ٢: ١٦٦ والواقدي ٢: ١٠٠٥.

وقد مرّ في عقد الألوية والرايات أنه ﷺ أمر أن يحمل رايات الأوس والخزرج أكثرهم أخذاً للقرآن، فكان أبو زيد قيس بن السكن الأوسي يحمل راية بني عمرو بن عوف، فقال وديعة بن ثابت منهم: مالي أرى قرّاءنا هؤلاء أرغبنا بطوناً وأجبننا عند اللقاء وأكذبنا ألسنة؟[1] وقال الجُلاس بن سُويد منهم: هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منّا! والله لئن كان محمّد صادقاً لنحن شرّ من الحُمُر![2].

فقال له ربيبه عُمير بن سعد: يا جُلاس! والله إنك لأحبّ الناس إليّ وأحسنهم عندي يداً، وأعزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنّك! ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ ديني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى! ثم مشى إلى رسول الله فذكر له ما قال الجُلاس[3].

فقال رسول الله لعمّار بن ياسر: الحق القوم فإنهم احترقوا، فقل لهم: ممّ قلتم؟ فقالوا: ما قلنا شيئاً، إنما كنا نقول شيئاً على حدّ اللعب والمزاح[4]. وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا وشكّوا ونافقوا بعد إيمانهم، وهم أربعة نفر أحدهم مخشي بن حُمير الأشجعي، فهذا اعترف وتاب وقال: يا رسول الله أهلكني اسمي! فسمّاه رسول الله عبد الله بن عبد الرحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لا يعلم أحد أين أنا[5].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٢ و١٠٦٦، ١٠٦٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٤.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٢: ١٦٦.

(٤) فأنزل الله (فيهم بعد): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ التوبة: ٦٥.

(٥) فقُتل يوم اليمامة، ولم يعلم أحد أين قتل. تفسير القمي ١: ٣٠١.

وجاء وديعة بن ثابت الأوسي إليه ﷺ يعتذر، وقد ركب النبي ناقته فأخذ بحبل ناقته ويمشي معها ورجلاه تتعثّران بالأحجار وهو يقول: يا رسول الله، إنّما كنا نخوض ونلعب! فلم يلتفت إليه رسول الله(1).

ومنزل الحجر مدائن صالح (عليه السلام)

مرّ في الخبر أنّ دليله ﷺ إلى تبوك كان علقمة بن الفغواء الخزاعي وكان يظهر من الخبر أنّ منزل الحجر مدائن صالح (عليه السلام) كان المنزل السادس بل له بها المسجد السادس من المساجد التي بُنيت على مواضع صلاته في طريقه إلى تبوك، ومرّ فيه أيضاً أنّه ﷺ كان يجمع بين الظهر والعصر في منزله، يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجّل العصر فيجمع بينهما وكان هذا فعله حتى رجع من تبوك. وكان يروح من المنزل بعد العصر ممسياً حيث يبرد، ذلك أنّه كان في حرّ شديد(2).

مع هذا نرى الواقدي يروي عن أبي حميد الساعدي أنّهم أمسوا بالحجر(3).

وروى ابن إسحاق بسنده عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه: أنّهم نزلوا بالحجر واستقوا من بئرها(4). وروى الواقدي عن أبي هريرة: أنّهم استقوا من بئرها وعجنوا، ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: لا تشربوا من مائها ولا تتوضّؤوا منه للصلاة! وروى عن سهل بن سعد: أنّه عجن لأصحابه وذهب ليطلب الحطب فسمع المنادي ينادي: إنّ رسول الله يأمركم أن لا تشربوا

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٤.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩.

(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٦.

(4) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٤.

من ماء بئرهم؟ فقالوا: يا رسول الله قد عجنّا! قال: اعلفوه الإبل. فجعل الناس يهريقون ما في أسقيتهم، ولكنه تحوّل وتحوّلوا إلى بئر النبي صالح عليه السلام، فجعلنا نستقي، ورحلنا نُمسي.

فقال رسول الله: لا تسألوا نبيّكم الآيات! هؤلاء قوم صالح سألوا نبيّهم آية، فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفلج (الفج) تسقيهم من لبنها يوم وردها ما شربت من مائها، فعقروها فأوعدوا ثلاثاً وكان وعد الله غير مكذوب، فأخذتهم الصيحة فلم يبق أحد منهم تحت أديم السماء إلّا هلك. وستهبّ هذه الليلة ريح شديدة، فلا يقومنّ أحد منكم إلّا مع صاحبه، ومن كان له بعير فليوثق عقاله[1].

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله، إلّا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فخُنق على مذهبه، وذهب الآخر لطلب بعيره، واحتجز قرب من جبلي قبيلة طيّ: أجا وسلمى، فدفعته الريح إليها عند طيء[2].

ولم يمنعهم ﷺ عن الدخول في دور ثمود من مدائن صالح عليه السلام إلّا أنه حثّهم أن يدخلوها معتبرين باكين خائفين أن يصيبهم ما أصابهم، فما رواه ابن هشام عن

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٦ و١٠٠٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٦.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٥ بسنده عن عباس بن سهل الساعدي، والواقدي عن أبي حُميد الساعدي، وفيهما أنه ﷺ دعا للأول فشفي، والمفقود الثاني حتى رجع إلى المدينة فحمله جمع من طيء إليه ﷺ. وذكر ابن إسحاق أن الراوي كان يعلم اسمي الرجلين من الأنصار بأسمائهم ولكنه أبى أن يسمّيهم له لخلافهما أمر رسول الله ﷺ! وروى خبرهما المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ٢٤٩ عن المنتقى للكازروني.

الزهري[1] والواقدي عن سهل بن سعد الساعدي وعن أبي سعيد الخدري: أنه ﷺ كره أن يؤخذ شيء من متاعهم وأمرهم بإلقائه[2].

استجابة دعاء أم أنواء؟!

روى الواقدي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: وما أصبح رسول الله ارتحل ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله[3] فقالوا: يا رسول الله، لو دعوت الله فسقانا؟ قال: (نعم) لو دعوت الله لسقيت. فقالوا: فادع الله يا رسول الله ليسقينا[4].

وروي عن عبد الله بن أبي حدرد قال: رأيت رسول الله استقبل القبلة فما برح يدعو حتى رأيت السحاب يأتي من كل ناحية، حتى سكنت عندنا السماء، وكأني (لا أزال) أسمع تكبير رسول الله في المطر، ثم كشف الله السماء عنّا وإن في الأرض غدراً تصبّ بعضها في بعض! فارتوى الناس عن آخرهم! وسمعت رسول الله يقول: أشهد أني رسول الله.

قال: فقلت لرجل من المنافقين (أوس بن قيظي أو زيد بن اللُّصيت القينقاعي): ويحك! أبعد هذا شيء؟! فقال: سحابة مارّة!

ثم روى بسنده عن محمود بن لَبيد عن زيد بن ثابت قال: لما كان من أمر الماء في غزوة تبوك ما كان، دعا رسول الله فأرسل الله سحابة فأمطرت، حتى ارتوى الناس. فقلنا لسعد بن زرارة وقيس بن فهر...: يا ويحك! أبعد هذا شيء؟! فقال: سحابة مارّة[5].

---

(1) ابن هشام في السيرة ٤: ١٦٥.

(2) و(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٨.

(4) الخرائج والجرائح ١: ٩٨ ح ١٦٠.

(5) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٩ ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ٢٥ عن المنتقى للكازروني.

ورواه ابن إسحاق بسنده عنه قال: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين كان يسير مع رسول الله حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ودعا رسول الله فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول له: ويحك! هل بعد هذا شيء؟! فقال: سحابة مارّة! ولم يسمّه!

قال الراوي فقلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون فيهم النفاق؟ فقال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه في أخيه وأبيه وعمّه وعشيرته ثم يلبس بعضهم على بعض[1].

بل قام قوم منهم على شفير الوادي يقول بعضهم لبعض: «مُطرنا بنوء الذراع أو بنوء كذا»[2] حتى سمعهم ﷺ فقال لمن حوله: ألا ترون؟! وكان خالد بن الوليد واقفاً فقال: ألا أضرب أعناقهم؟ فقال ﷺ: لا، هم يقولون هكذا وهم يعلمون أن الله أنزله[3].

ضلال الناقة، والمنافقين:

مرّ في خبر أبي حميد الساعدي قال: أمسينا بالحجر... وفي خبر سهل الساعدي: لم نرجع إلا ممسين... وفي خبر الخدري: لما أصبح ارتحل ولا ماء معهم، بما يفيد أنه ﷺ بات تلك الليلة في منزل الحجر، ولكن كأنه سار ذلك النهار

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٦.

(2) ناء ينوء نوءاً، وباء وآب بمعنى واحد، فناء بمعنى نهض وطلع، ومصدره النوء بمعنى الطلوع كما للنجم، وأطلق عليه وجمعه أنواء. النجوم إذا غابت. والمنسوب إليها الأنواء لأنها إذا سقط الساقط منها بالمغرب طلع نظيره طالع بالمشرق. كما في لسان العرب ١: ١٧٦، وعنه في هامش الخرائج والجرائح ١: ٩٩.

(3) الخرائج والجرائح ١: ٩٨ ح ١٦٠.

ومصادره، ذلك أنّ الواقدي روى بسنده عن محمود بن لبيد قال: ثم رحل حتى أصبح في منزل فضلّت ناقته القصواء.

وكان أحد اليهود من بني قينقاع يسمى زيد بن اللُصيت قد أسلم بما فيه من خُبث اليهود وغشّهم ومظاهرة أهل النفاق، وكان قد حضر غزوة تبوك مع عُمارة بن حزم وكان عقبياً بدرياً، وأخيه عمرو بن حزم وغيرهم. ولما ضلّت ناقته ﷺ كان عمارة عنده، وزيد بن اللُصيت في رحل عُمارة فقال: أليس محمّد (كذا) يزعم أنّه نبيّ ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟!(1).

وروى الراوندي بسنده عن الصادق عليه السلام قال: قال المنافقون: يحدّثنا عن الغيب ولا يعلم مكان ناقته! فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بما قالوا وقال له: إنّ ناقتك في شعب كذا متعلق زمامها بشجرة خرّ (كذا)(2).

فقال ﷺ وعُمارة عنده: إنّ رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنّه نبي ويزعم أنّه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته! وإنّي والله ما أعلم إلّا ما علّمني الله، وقد دلّني عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا. فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا. فقال رجل من أهل رحله (أو أخوه عمرو): والله زيد قال هذه المقالة قبل أن تأتي! فأقبل عُمارة على زيد يطعنه في عنقه ويقول: اخرج أي عدوّ الله من رحلي فلا تصحبني. إليّ عباد الله إنّ في رحلي لداهية وما أشعر(3).

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ١٠٠٩، ١٠١٠.

(2) قصص الأنبياء: ٣٠٨ ح ٣٨٠ وفي إعلام الورى ١: ٨٣ بلا إسناد، وكذلك في الخرائج والجرائح ١: ٣٠ ح ٢٥ و١٠٨ ح ١٧٨ و١٢١ ح ١٩٧ وفي بحار الأنوار ١٨: ١٠٩ عن الثلاثة و٢١: ٢٥ عن المنتقى للكازروني.

(3) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٦٦، ١٦٧ بسنده عن محمود بن لبيد.

ونادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس للصلاة خطبهم فقال في خطبته: أيها الناس، إنّ ناقتي بشعب كذا، فبادروا إليها[1] وكان الذي أتى بها الحارث بن خزمة الأشهلي، وجدها كما قال رسول الله قد تعلق زمامها بشجرة.

فقال زيد بن اللصيت: قد كنت شاكاً في محمد (كذا)، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، لكأني لم أُسلم إلا اليوم، وأشهد أنه رسول الله.

ولكن خارجة بن زيد بن ثابت يقول: لم يزل فسلاً (رذلاً)، حتى مات[2].

وقبل تبوك:

روى الواقدي عن المغيرة بن شعبة قال: لما كنا بين الحجر وقبل تبوك، وقبل الفجر، خرج رسول الله لقضاء الحاجة فتبعته مع النبيّ إداوة فيها ماء، وتبعته بالماء، فأبعد، ثم صببت عليه فغسل وجهه، وكانت عليه جبّة رومية ضيّقة الأكمام، فأراد أن يخرج يديه ليغسلهما فضاق كمّ الجبّة، فأخرج يديه من تحت الجبّة فغسلهما[3] ومسح برأسه، فأهويت لأنزع خفّيه فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين[4]. فرأيته يمسح على ظاهر الخفّين[5].

---

(1) قصص الأنبياء: ٣٠٨ ح ٣٨٠ عن الصادق عليه السلام.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٠ وهنا بمفرده روى الواقدي عن عقبة بن عامر بخبر عن نوم بلال ونوم النبيّ عن صلاة الصبح إلى ما بعد طلوع الشمس، في ممرّ قبل تبوك ٢: ١٠١٥ بينما مرّ خبره بعد خيبر ولدى وصوله إلى تبوك يروي الواقدي خبر خطبته بها ٢: ١٠١٦ [illegible] خبره.

(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠١١.

(4) كما في البخاري ومسلم ومسند أحمد.

(5) كما في سنن أبي داود والترمذي ومسند أحمد، وفي خبر آخر عنهم عن ابن شعبة ←

وانتهى الى تبوك :

وانتهى النبيّ الى تبوك يوم الثلاثاء من شعبان[1] فكان بتبوك عشرين ليلة[2]

(*) زاد التعليق والتحرير: وروى الشيخان وأبو داود والترمذي وأحمد مسحه على الخف عن جرير بن عبد الله البجلي. وروى الترمذي والنسائي وأحمد والشافعي عن صفوان بن عسّال قال: أمرنا رسول الله في الخفين إذا نحن أدخلناهما على طهر أن نمسح عليهما ولا نخلعهما إلّا من جنابة، إذا أقمنا يوماً وليلة وإذا سافرنا ثلاثاً. وروى أبو داود المسح على الخفين عن أنس بن مالك وأبي أمامة وابن عباس، والبراء بن عازب وسهل بن سعد وعبد الله بن مسعود وعمرو بن حريث وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷷ، كما في التمهيد للقطري لعام ١٤١٨هـ: ١٤٨، ١٤٩.

وفي تفسير العياشي عن أبي بكر بن حزم قال: توضّأ رجل وعليّ ﷷ يراه فمسح على خفيه ودخل مسجد النبي ﷺ فدخل في الصلاة، وسجد فجاء علي ﷷ فوطأ على رقبته وقال له: ويلك! تصلي على غير وضوء؟ فقال: أمرني عمر بن الخطاب بهذا (المسح على الخفين)، فأخذ علي بيده حتى انتهى به الى عمر فقال له: انظر ما يروي عنك هذا! ورفع صوته. فقال عمر: نعم أنا أمرته، فإنّ رسول الله قد مسح! قال: قبل نزول المائدة أو بعدها؟ قال: لا أدري. قال: فلِمَ تُفتي وأنت لا تدري؟ سبق الكتاب المسح على الخفين. تفسير العياشي ١: ٢٩٧.

فمسحه ﷺ على خفه في تبوك كان سابقاً على نزول سورة المائدة وآية الوضوء والمسح بالأرجل، وعليه فالمسح على الخفين منسوخ بالقرآن سورة المائدة.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٨ وإعلام الورى ١: ٢٤٤. فلو كان خروجه في ٢٥ رجب و٢٠ ليلة في الطريق يكون وصوله الى تبوك في منتصف شعبان.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٦١.

وأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين، وهرقل يومئذٍ في حمص وكانت اقامته فيه شعبان (نصفها الثاني) وأياماً من شهر رمضان[٢].

قالوا: ولما انتهى رسول الله ﷺ الى تبوك وضع بيده حجراً قبلة واحجاراً تليه، ثم صلى الظهر بالناس[٣] ركعتين[٤] وكان يؤخّر الظهر حتى يبرد ويعجّل العصر فيجمع بينهما، فعل ذلك في تبوك حتى رجع منه[٥].

وكان موعد غدائه وكان مع ستة نفر من أصحابه اذ جاءه رجل من بني سعد بن هُذيم فوقف عليه وقال: يا رسول الله، اشهد أن لا إله إلّا الله وانك رسول الله. فقال له النبيّ: قد أفلح وجهك، اجلس. ثم قال: يا بلال، اطعمنا.

قال الرجل: فبسط بلال اديماً ثم قرّب زُقّاً (قربة صغيرة مدبوغة) فأدخل يده فيها وأخرج منها بيده قبضات من تمر معجون بالسمن والأقط. فقال يا رسول الله: كلوا وإن كنت لآكله وحدي، فأكلنا حتى شبعنا! فقلت: يا رسول الله، إن كنت لآكل هذا وحدي! فقال: الكافر يأكل في سبعة أمعاء! والمؤمن يأكل في معيً واحد!

قال الرجل: ومن الغد جئته حين غدائه لأزداد في الاسلام يقيناً، فاذا حوله عشرة، وقال لبلال: اطعمنا يا بلال. فقرّب جراباً فيه تمر وجعل يخرج منه قبضات،

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥ وقال ابن اسحاق: بضع عشرة ليلة. سيرة ٤: ٧٠ وجمع بينهما المسعودي مع القصر في الصلاة في التنبيه والاشراف: ٢٣٥ وفي بحار الأنوار ٢١: ٢٥١ عن المنتقى للكازروني: أقام بتبوك شهرين! بينما أكثر روايته عن الواقدي.

(٢) اعلام الورى ١: ٢٤٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢١.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩.

فقال له النبي: أخرج، ولا تخف من ذي العرش إقتاراً! فنشر كل الجراب، ولم يكن كثيراً بل مدّين، فوضع النبي يده على التمر ثم قال: كلوا باسم الله. فأكلوا وأنا معهم حتى ما أجد له مسلكاً! ومع ذلك بقي على نطع الأديم مثل ما جاء به بلال كأنّا لم نأكل منه تمرة واحدة!

قال الرجل: ثم عدت من الغد ومعه عشرة نفر أو يزيدون رجلاً أو رجلين، فقال لبلال: يا بلال أطعمنا، فجاء بالجراب فنثره، ووضع النبي يده عليه فقال: كلوا باسم الله، فأكلنا حتى شبعنا ورفع مثل ما صبّ[1].

قال: وكان هرقل قد علم من علائم النبي وصفاته أشياء، فبعث إليه رجلاً من غسّان من عرب الشام ليسأل: هل هو يقبل الصدقة؟ ولينظر هل في عينيه حمرة؟ وهل بين كتفيه خاتم النبوة؟ فجاء الرجل وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة، ونظر إلى حمرة عينيه وخاتم النبوة بين كتفيه، ووعى أشياء من حاله ﷺ.

ثم عاد إلى هرقل (في حمص) فذكر له ذلك، فدعا قومه إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه فامتنع هو أيضاً، ولكنه ظلّ في موضعه في حمص لم يزحف ولم يتحرك. فتبيّن بطلان ما أُخبر به ﷺ عنه من دنوه إلى أدنى الشام إلى الحجاز وبعثه عسكره نحوهم[2].

وكان ﷺ يكثر التهجد في الليل ويصلي بعضه في خيمته، فيقوم أناس من المسلمين يحرسونه، وأقبل ذات ليلة عليهم فقال لهم: أُعطيت خمساً ما أُعطيهنّ أحد قبلي:

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٧ - ١٠١٨ ونقله بعده ما جاء مختصراً في إعلام الورى ١: ٨١ والخرائج والجرائح ١: ٢٨ ح ١٥ وعنهما في بحار الأنوار ١٨: ٢٧ ح ٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٨ - ١٠١٩ ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٢١: ٢٥١ عن المنتقى للكازروني.

١ ـ بُعثت الى الناس كافة، وانما كان النبي يُبعث الى قومه (كذا).

٢ و ٣ ـ وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تيممت وصلّيت، وكان من قبلي لا يصلّون إلّا في كنائسهم وبيعهم (كذا).

٤ ـ واحلّت لي الغنائم آكُلها، وكان من قبلي يُحرّمونها

٥ ـ والخامسة هي ما هي! هي ما هي! قيل لي: سَلْ، فكل نبيّ قد سأل، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلّا الله[1].

وقال: من يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، حرّمه الله على النار[2]

الخير في نواصي الخيل:

وفي تبوك قام الى فرسه الظّرب فطرح عليه شعيراً وجعل يمسح ظهره بردائه. فقيل: يا رسول الله، تمسح ظهره بردائك؟ فقال: نعم، إنّي قد بِتُّ الليلة وإنّ الملائكة لتعاتبني في مسح الخيل، وأخبرني خليلي جبرئيل أنه يُكتب لي بكلّ حسنةٍ أوفيتها حسنة، وأنه يحطّ بها عني سيئة. وما من امرئٍ من المسلمين يربط فرساً في سبيل الله فيوفيه بعليقه يلتمس به قوّته إلّا كتب الله له بكل حبة حسنة، وحطّ عنه بكل حبة سيئة!

فقيل: يا رسول الله، فأيّ الخيل خيرٌ؟ قال: أدهم، أرثم، أقرح، محجّل الثلاث، مطلق اليمين، فإن لم يكن أدهم فكُميت على هذه الصفة[3]

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢١، ١٠٢٢ وإليه يعود ما في الخصال ١: ٢٠١ ح ١٤ و ٢٩٢ ح ٥٦.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥.

(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢٠ والأدهم: الشديد الحمرة الى السواد، والأرثم: في شفته العليا بياض، والأقرح: بياض ما فوق الأنف في وجهه دون الغرّة، والمحجّل الثلاث ←

وقال: إنّ الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة، فخذوا من نسلها وباهوا بصهيلها المشركين، أعرافها دفاؤها، وأذنابها مذابّها. والذي نفسي بيده إنّ الشهداء ليأتون يوم القيامة أسيافهم على عواتقهم لا يمرّون بأحد من الأنبياء إلّا تنحّى عنهم! حتى انهم ليمرّون بابراهيم الخليل خليل الرحمن فيتنحّى لهم! حتى يجلسوا على منابر من نور، ويقول الناس: هؤلاء الذين أريقوا دماءهم لربّ العالمين! فيكونون كذلك حتى يقضي الله عز وجل بين عباده[2].

ولقد فُضّل نساء المجاهدين على القاعدين في الحرمة كأُمّهاتهم فما من أحدٍ من القاعدين يخالف الى امرأة من نساء المجاهدين فيخونه في أهله إلّا أُوقف يوم القيامة فيقال له: إنّ هذا خانك في أهلك! فخذ من عمله ما شئت! فما ظنّكم؟![3].

فقال له رجل: كان لي امرأتان فاقتتلتا، فرميت احداهما فأصبتها (يعني ماتت) فما تقول؟ قال ﷺ: تعقلها ولا ترثها[4].

ومن الحوادث في تبوك بعد أن أقاموا بها أيّاماً: وفاة عبد الله المُزني ذي البجادين، وقد مرّ خبره أنهم لما خرجوا الى تبوك طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بالشهادة فقال: اللهم إنّي أُحرّم دمه على الكفار. فقال: يا رسول الله ليس هذا أردت. فقال: إنك اذا خرجت غازياً في سبيل الله فأخذتك الحمّى فقتلتك فأنت شهيد! فكأنه أشار بهذا الى أنه سيرزق الشهادة بالحمّى وليس بإراقة دمه بيد

← مطلق بيمين في رجله الثلاث دون اليمنى بياض الى موضع القيد كما في النهاية

(١) يقول: دفء الفرس في عُرفه (الشعر الكثير فوق رقبته، وأذنابها يذبّ عنها)

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٩، ١٠٢٠

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢١

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٧ أي تؤدي ديتها لمن يرثها دونك وأنت لا ترثها

الكفار، وكان كذلك، وأُخبر رسول الله بذلك فحضره ليلاً وأمر بحفر قبره، وبلال مؤذن بيده شعلة نار، وقد نزل النبي في قبره ويدلون عبده إليه وهو يقول: اللهم إنّي أمسيت راضياً عنه فارض عنه. وكان عبد الله بن مسعود حاضراً فلما سمع ذلك قال: يا ليتني كنت صاحب الحفرة ـ أو ـ اللّحد[1]

حوادث هذه السفرة، وادي القرى:

ذكر عن الواقدي: أنّ مساجد النبي ﷺ المعروفة في سفره إلى تبوك: بذي خُشُب ثم بالفيفاء ثم بالمروة ثم بالشقة ثم بوادي القُرى قبل الحجر[2].

ووادي القُرى تُسمى اليوم وادي العُلا شمال خيبر بعد تيماء وهي على ١٦٥ كم على طريق الشام من المدينة، وهي ديار بني عُذرة[3].

وكان من بطون بني عُذرة بنو الأحبّ، وكأنهم كانوا يسكنون من وادي القرى موضعاً يقال له القالس. فأقطعه النبي لهم وأمر الأرقم فكتب لهم بذلك كتاباً رواه ابن سعد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمّد رسول الله بني الأحبّ، أعطى قالساً. وكتب الأرقم»[4]

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧١ والواقدي في المغازي ٢: ١٠١٤ ونقله في بحار الأنوار ٢١: ٢٥٠ عن المنتقى للكازروني.

(2) مغازي الواقدي ٢: ٩٩٩

(3) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ١٥٩.

(4) مكاتيب الرسول ٢: ٤٥٠ عن الطبقات ١: ٢٧٣ وإعلام السائلين: ٤٩

أهل تيماء:

كانت تيماء حصناً يُنسب إلى السموأل بن عاديا الأزدي القحطاني، فأهل تيماء من بني عاديا الأزديين ولكنّهم يهود، وفي التاسعة للهجرة لما بلغهم نزول الرسول وادي القرى كأنّهم رهبوه[1] فأرسلوا إليه وصالحوه على أن يقيموا بأرضهم وبلادهم وعليهم الجزية.

وأمر ﷺ خالد بن سعيد فكتب لهم بذلك كتاباً رواه ابن سعد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد رسول الله لبني عاديا: أنّ لهم الذمّة وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء، الليل مدٌّ والنهار شدٌّ. وكتب خالد بن سعيد» أي: لا يعتدون ولا يجلون من ديارهم ما امتدت الليالي واشتدت الأيام[2].

وكان في أراضي تيماء مع بني عاديا ناس كثير من بني جُوين من الطائيين، وكأنّه أسلم قسم منهم وقدموا عليه واستكتبوه فأمر المغيرة أن يكتب لهم فكتب لهم:

«... لبني جُوين الطائيين: من آمن منهم بالله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وفارق المشركين وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغانم خمس الله وسهم النبي، وأشهد على إسلامه، فإنّ له أمان الله ومحمّد بن عبد الله، وأنّ لهم أرضهم ومياههم ما أسلموا عليه ومن ورائه غدوة الغنم مبيتةً. وكتب المغيرة» أي: إنّ لهم ما أسلموا عليه من أرضهم وعلاوة عليها ما تغدو عليه أغنامهم إلى أن تبيت لديها[3].

دومة الجندل:

مرّت بنا: تبعد عن المدينة إلى الشام ١٦٥كم على طريق معتدة بحصن بعده

(1) في مغازي الواقدي ٢: ١٠٣١: كان أهل تيماء قد صالحوا النبي لما رأوا العرب قد أسلموا.

(2) مكاتيب الرسول ٢: ٤٣٤، ٤٣٥ عن الطبقات ١: ٢٧٩ ومع ذلك أجلاهم عمر.

(3) مكاتيب الرسول ٢: ٣٢٩ عن الطبقات ١: ٢٦٩.

شمالاً إلى منطقة الجوف بنحو ٤٥٠كم وبعدها شمالاً بأكثر من ١٥٠ كم تصل إلى تبوك، وبعدها شمالاً أيضاً بنحو ٢٣٨كم تتجاوز الحدود الأردنية لأقرب مدينة إليها معان. وفي الجوف قرية دومة الجندل، والجندل: الحجارة، والدّومة: شجرة برّيّة صحراوية، هذا إذا وصفنا تلفّظ أهلها اليوم بفتح الدال، وإلّا فقد جرى المتقدمون على ضبطها بضم الدّال ونسبوها إلى دوما بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ويشرف عليها حصن مارد، حصن أكيدر الكندي. والجوف منطقة زراعية بها مزارع وقرى ودومة الجندل أشهر مدنها في الجوف، وكانت قاعدة تلك المنطقة حتى عام ١٣٧٠هـ وتجاورها إمارة حائل، وحائل مدينة في شمال تيماء، وتقربها تمرّ رمل عالج في شمال صحراء نجد. وأقرب مدينة من إمارة حائل إلى دومة الجندل مدينة سكاكة تبعد عنها خمسين كم بينهما طريق معبّدة. وفي عام ١٣٧٠هـ كان أمير دومة الجندل تركي ابن أحمد السديري فنقل القاعدة إلى سكاكة[١] والظاهر أنها هي محل تحكيم الحكمين بعد حرب صفين.

وقد مرّ علينا أنه ﷺ لم يمر بتيماء نفسها وإنما قاربها بوادي القرى، فلما بلغهم نزوله بقربهم كأنهم رهبوه فأرسلوا إليه وصالحوه، وهنا أيضاً لم يمرّ ﷺ بدومة الجندل في طريقه إلى تبوك، ولكن كأنه حين قاربها وبعده من قبل حائل أو سكاكة، تشكّك أهل دومة الجندل لعله يريد محاربتهم، وهم من بني غُنم من كلب كندة فأوفدوا إليه حارثة بن قطن وحمل بن سعدانة الكلبيّين فأسلما، فأمر أن يكتب لهم كتاباً رواه ابن سعد جاء فيه:

«هذا كتاب من محمّد رسول الله لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن: لنا الضاحية من البعل، ولكم الضامنة من النخل، على

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ١٢٧، ١٢٨ لعاتق بن غيث البلادي. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ق ٢: ٥٤٣، ٥٤٤ للشيخ حمد الجاسر.

الجارية العشر وعلى العائرة نصف العشر. لا تجمع سارحتكم، ولا تعدّ فاردتكم تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقّها. لا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات. لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النصح والوفاء [بذ]لكم، ذمة الله ورسوله. شهد الله ومن حضر من المسلمين»

الضامنة من النخل: ما تضمنه أمصارهم وحفظتها عمارتهم من الفاعل بمعنى المفعول أي المضمونة. وبعكسها الضاحية أي الظاهرة البادية للسماء. والمعين كذلك ما خرج من النخل عن العمارة. والجارية: ما يُسقى بالمياه الجارية، وبعكسها العائرة: ما يُسقى بالمياه العاثرة في أغوار الآبار. والسارحة: الغنم السارحة للرعي ولا تجمع أي لا تُرد عن سرحها ورعيها. والفاردة: التي لا زكاة فيها، ولا تعد، أي لا تُعدّ مع المزكاة منها. والبتات: البضائع[1].

فلما كأن محمد كان حينما مرّ بقربهم في طريقه الى تبوك قبل أن يصل اليها بأكثر من ١٥٠ كم، وكأنّه ترك ملكهم الأُكيدر الكندي المتنصّر، ويظهر أنه كان متنصراً متأثراً بالروم مرتبطاً بهم. فتركه لينظر ماذا يفعل. حتى نزل تبوك. ولم يظهر من الاكيدر أي أثر حسنٍ.

الأُكيدر الكندي:

روى الواقدي بإسناده عن صحابيّين مباشرين للأحداث: اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعن عكرمة عن ابن عباس قالوا: بعث رسول الله ﷺ من تبوك خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل. فقال خالد: يا رسول الله، كيف لي به وسط

(١) مكاتيب الرسول ٢: ٣٩٢، ٣٩٣ عن الطبقات ١: ٣٣٥

بلاد كلب وإنما أنا في أناس يسير؟! فقال رسول الله: ستجده يصيد البقر فتأخذه! (١) فإن ظفرت به فأْت به إليَّ فإن أبى فاقتلوه (٢).

فخرج خالد إليه، أي يرجع من تبوك إلى دومة الجندل بأكثر من ١٥٠ كم، فوصل إلى حصنه المشرف على دومة الجندل في ليلة مقمرة، وكان الفصل صيفاً حاراً. فكان قد صعد على سطح حصنه ومعه امرأته الرباب بنت أنيف الكندي ومعهما شراب وجارية تغني لهما.

وأقبلت البقر الوحشية تحك بقرونها باب الحصن، فأشرفت امرأته فرأت البقر دون عسكر المسلمين، وكان أكيدر يتصيّد بقر الوحش، فحثّته امرأته على ذلك. فنزل وأبلغ أخاه حسّان بن عبد الملك ومماليكه وأمرهم أن يسرجوا فرسه والخيول، فركبوا وخرجوا من حصنهم وإنما يحملون رماحاً قصيرة للصيد. وقد كمن لهم خيل خالد.

فلما انفصلوا من حصنهم وانفصل منهم أكيدر يطارد دون أبقار الوحش، حاصره جمع من خيل خالد فاستؤسر ولم يقاوم، وامتنع أخوه حسّان وقاتل فقوتل حتى قتل، وهرب من معهم من أهلهم ومماليكهم إلى الحصن فدخلوه وأغلقوه.

وكان على حسان قباء ديباج مخوّص بالذهب، فاستلبه خالد وسلّمه إلى عمرو بن أمية الضمري وبعث به إلى رسول الله ليخبره بأخذهم الأكيدر.

وقال خالد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي بك إلى رسول الله على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم، ذلك لك. فانطلق به خالد في وثاق حتى أدناه من

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢٥ والعرائس والجرائح ١: ١٠١ ح ١٦٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢٦.

باب الحصن، فنادى أكيدر أهله: افتحوا باب الحصن، فأبى عليه أخوه مصاد بن عبد الملك، فقال أكيدر لخالد: والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاق فخلّ عني، فلك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهله. قال خالد: فإني أصالحك. فقال أكيدر: فحكّمني وإلّا حكّمتك. قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت. فأعطى أكيدر من نفسه ألفي بعير وثمانمئة فرس، وأربعمئة درع وأربعمئة رمح، وعلى أن ينطلق به وبأخيه مصاد الى رسول الله فيحكم فيهما حكمه. ثم خلّى خالد سبيله، وتخلّى هو وخيله عنه. ففتحوا له الحصن ففتحه لهم، فدخله خالد وخيله فأوثقوا أخاه مصاداً وأخذوا ما صالحوه عليه من الابل والسلاح.

ثم خرج خالد ومعه أكيدر وأخوه مصاد، فقدم بهما عليه ﷺ(1) وعليه قباء ديباج وصليب من ذهب(2) وكانت معه هدية من كسوة فأهداها إليه(3). فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه. وكتب لهم كتاباً فيه ما صالحهم. وعُزل يومئذٍ للنبي صفي خالص قبل أن يُقسم شيء من الفيء، ثم خمّس الغنائم فعُزل خمسه له ﷺ.

وكان معهم أبو سعيد الخدري فأسهم له خالد عشراً من الابل ودرعاً وبيضة ورمحاً. ولسائرهم لكل رجل خمس من الابل مع السلاح من الرماح والدروع وبدونها ستة من الابل كما كان لكعب بن عُجرة(4).

هذا ما رواه الواقدي مما تقدم من أسناده، وليس فيه سوى الاشارة الى كتاب الصلح والجزية عليه وعلى أهل حصنه بصفتهم نصارى من أهل الكتاب فهم

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢٧.

(٢) و(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٠.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٢٩.

أهل دومة في الإسلام. ولم يرو الواقدي نص الكتاب بإسناده المتقدمة، وقد رواه عن شيخ من أهل دومة الجندل(1) بما يفيد إسلامهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد(2) في دومة الجندل وأكنافها: إن لنا الضاحية من الضحل، والبور، والمعامي وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور (بعد الخمس) لا تُعدل سارحتكم ولا تُعدّ فاردتكم، ولا يُحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات. تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين».

والضاحية: أطراف الأرض، والضحل: الماء القليل، والبور: من الأرض البور، والمعامي: الأراضي المجهولة، والأغفال: الأراضي لا أثر عليها، والفاردة: ما لا زكاة فيه من الغنم حتى الأربعين فلا تعدّ مع الزكاة، والبتات: البضائع.

قال: قالوا: ولم يكن في يد النبي خاتم فختمه بظُفره(3) وكأنه غفل عن نص الكتاب بإسلام أُكيدر، فكرّر القول ووضع عليه الجزية(4).

---

(1) كذلك رواه أبو عبيد السكوني (م ٢٢٤ هـ) في كتاب الأموال: ١٩٤ فقال: أتاني به شيخ من دومة الجندل في صحيفة بيضاء فقرأته ثم نسخته حرفاً بحرف. وهو معاصر للواقدي وعاش بعده عشرين عاماً فلعله عثر على ما عثر عليه قبله الواقدي كذلك.

(2) هنا وصفه له بسيف الله، ولعله من قرائن الاختلاق.

(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٠، و ١٠٢٨ هذا وقد مرّ أنه أمر باتخاذ خاتم له لما أراد أن يكتب إلى الأمراء والملوك لأول السابعة.

(4) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٠. وقال ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في أُسد الغابة ١: ١١٣ أنكر على من عدّه مسلماً في الصحابة، أما سريّة خالد فصحيح، وإنما أهدى أكيدر لرسول الله ←

أهل مَقْنا

مقنا بين تبوك وبين مدينة معان في طريق عمّان الأردن في أوائل حدودها ٢٣٨ كم، هذا في البرّ. والبحر المجاور هو البحر الأحمر ذو الشعبتين شعبة منه عند الأردن وعليها الميناء الأردني الرئيس المنسوب الى مدينة العقبة: ميناء العقبة على خليج العقبة، وهي التي كانت تسمى سابقاً: ميناء أيلة، وكانت بجنوبها عقبة جبلية كأداء فنسبت المدينة الى تلك العقبة. وكان مدخل العقبة يسمى الدرّة وكان باب الأردن من السعودية بجانبه الجنوبي للمخفر السعودي وبجانبه الشمالي المخفر الأردني، ثم توافقوا على تعديل الحدود فدخل الدرّة كله في الأردن عام ١٣٧٩ هـ[1] وعلى شاطئ العقبة بين رأس الشيخ والحقل قرية في أسفل وادي الحمض غربي جبل تيران في الطرف الغربيّ من شعيب، تسمى القرية مقنا كما كانت تسمى قديماً[2].

وكأنّ ما مرّ عن الواقدي: كانت تيماء ودومة الجندل وأيلة قد خافوا النبي لما رأوا أن العرب قد أسلمت[3] شمل أهل مقنا، وكأنّهم كانوا من بني وائل وجذام وسعد الله، فقدم منهم عُبيد بن ياسر من سعد الله فارساً ومعه رجل من جُذام، على النبي ﷺ بتبوك فأسلما[4] ومعهما فرس عتيق يسمّونه المراوح فأهداه عُبيد إليه ﷺ،

ــــ وصالحه ولم يسلم، وهذا لا خلاف فيه بين أهل السير، ومن قال أنّه أسلم فقد أخطأ خطأً ظاهراً. يرد بهذا على البلاذري في فتوح البلدان: ٧٢ وابن منده وأبي نُعيم إذ ذكراه في الصحابة. ثم ردّه أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في الإصابة ١: ٢٤ وأطال بذكر أدلة من قال بإسلامه. وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٨٧ ـ ٣٩٣.

(١) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: ٣٥.

(٢) المصدر نفسه (القسم الثالث): ٥٠٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣١.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٢.

فأجرى الخيل فسبق هذا الفرس فصده منه، ووهبه للمقداد بن عمرو[1] فأعطى رسول الله لفرس عُبيد مئة حُلّة لها كل سنة وكتب لأهل مقنا بهم من ذمة الله وأمان محمد (مما يشعر الى خوفهم أيضاً) وان عليهم ربع ثمارهم وربع غزولهم، وحصنها لها. فلم يزل تجري لها ولآلها ذلك حتى نزعت آخر زمان بني أُمية[2]

وواضح ان هذه الأرباع من الغزول والثمار ليست من الزكوات بل هي من الجزية، فهم اهل ذمّة من أهل الكتاب، وقيل انهم كانوا يهوداً[3]

وكأنّ عُبيداً عرّف النبي ﷺ بما حواليه من ميناء أيلة (ميناء العقبة وقسيسها يوحنّا بن رؤبة. وكانوا ثلاثمئة رجل[4].

واهل أيْلة ميناء العقبة:

فأمر ان يكتبوا اليهم كتاباً وأرسله اليهم مع رسله المذكورين في الكتاب حريث بن زيد الطائي وحرملة وشرحبيل وأُبي. لم يذكروا اكثر من هذا. وأرسلهم اليهم مع هذين الرجلين من أهل مقنا كما هو مذكور في آخر الكتاب برواية ابن سعد: جاء فيه خطاباً ليوحنّا القسيس: «اني لم اكن لأقاتلكم حتى اكتب اليكم فأسلم أو اعط الجزية، وأطع الله ورسوله ورسل رسوله واكرمهم واكسهم كسوة

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٣

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٢، ١٠٣٣ ويبدو ان كان لعُبيد بما هي منه حصته من ريع غزولهم، ويستبعد ان يكون له كل الربع وانظر نص الكتاب وشرحه ومصادره في مكاتيب الرسول ٢: ٢٨٨ ـ ٢٩١

(٣) مكاتيب الرسول ٢: ٢٩١

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣١

حسنة غير كسوة الغزاة، واكس (ابن) زيد (حريث بن زيد الطائي) كسوة حسنة،
فمهما رضيت رُسلي فإني قد رضيت. وقد علم الجزية. فإن أردتم أن يأمن البر
والبحر فأطع الله ورسوله، ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله
وحق رسوله. وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منك شيئاً حتى أقاتلكم فأسبي
الصغير وأقتل الكبير. فإني رسول الله بالحق، أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح
ابن مريم أنه كلمة الله، وإني أؤمن به أنه رسول الله. وائت قبل أن يمسكم الشرّ،
فإني قد أوصيت رسلي بكم. وأن حرملة شفع لكم، وإني لولا الله وذلك لم
أراسلكم شيئاً حتى ترى الجيش. وإنكم إن أطعتم رسلي فإن الله لكم جار ومحمّد
ومن يكون منه. وإن رسلي شرحبيل وأبي وحرملة وحريث بن زيد الطائي فإنهم
مهما قاضوك عليه فقد رضيته، وإن لكم ذمّة الله وذمّة محمّد رسول الله. والسلام
عليكم إن أطعتم. وجهزوا أهل مقنا إلى أرضهم»

قال ابن سعد: فلما وصل الكتاب إليهم وقرأوه أشفقوا أن يبعث إليهم سرية كما بعث إلى دومة الجندل، فصالحوا إليه[1].

وأهل أذرُح والجرباء:

وهما اليوم قريتان أردنيتان في الشمال الغربي من مدينة معان الأردنية الحدودية بنحو ٢٢ كم على يسار الطريق من معان إلى عمان، وبين أذرح والجرباء ثلاثة أميال، وليس ثلاث ليالي كما قيل[2] فكتب لهما كتاباً

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٨٩.

(٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٨ في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: ٢١، ورجّح أن بينهما كان أمر التحكيم. وفي ذلك شعر عن عليل في معجم البلدان.

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وان عليهم مئة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم» .

وكان أهل أذرح قد دعوا الى ان يكتب لهم كتاب على حدة فكتب لهم

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي لأهل أذرح ، انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مئة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان للمسلمين ، ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة والتعزير . »[١]

وروى الواقدي بسنده عن جابر الأنصاري قال : نظرت الى يوحنّا بن رؤبة الى النبي ﷺ رأيته معقود الناصية وعليه صليب من ذهب ، فلما رأى النبي كفّر (وضع يديه على صدره) وأومأ برأسه أو طأطأ ، فأومأ إليه النبي ان ارفع رأسك[٢] قالوا : وأهدى يوحنّا الى النبي بغلة بيضاء[٣] فكساه النبي برداً يمنياً وأمر له بمنزل عند بلال[٤] .

وكان أهل مقنا أتوه ، مقنا أعطته ثلاثمئة رجل ، فصالحه النبي على ثلاثمئة دينار كل سنة عن رأس كل رجل دينار ، وأمر جُهيم بن الصلت فكتب لهم

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنّة بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسيارتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر[٥] ومن أحدث حدثاً فإنه

---

(١) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٣٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٣١ .

(٣) السيرة الحلبية ٣ : ١٦٠ وبهامشه زيني دحلان ٢ : ٣٧٤ .

(٤) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٣٢ .

(٥) كان يأتيهم أهل اليمن في البحر ، وأهل الشام براً وبحراً .

لا يحول ماله دون نفسه، وأنّه لطيب لمن أحده من الناس. وأنّه لا يحلّ أن يمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يريدونه من برٍّ أو بحر. وهذا كتاب جُهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله»[1].

وسلام قدم من جذام

جذام ولخم ابنا عدي من بطون كهلان وأبوا قبيلتين وعام كنده، ومساكنهم من مدين الى تبوك فاذرح، وكان لهم صنم تُسمّى الأُقيصر في مشارق الشام، فكانوا يحجون إليه فيحلقون رؤوسهم لديه. وفي مواطنهم بعدون المشتري.

ومرّ خبر سرية زيد بن أُسامة اليهم، وحصرو وشاركوا في جيوش الغساسنة والروم في غزوة مؤتة، وسمع الرسول باجتماعهم لحربه في البلقاء من تبوك.

وسمع منهم مالك بن الأحمر بقدومه ﷺ الى تبوك، فوفد إليه واسلم، ثم سأله أن يكتب له كتاباً يدعو به قومه الى الاسلام، فكتب له ﷺ في رقعة أدم بطول شبر وعرض أربعة أصابع: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمّد رسول الله لمالك بن الأحمر ولمن تبعه من المسلمين أماناً لهم ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، واتّبعوا المسلمين وجانبوا المشركين، وأدّوا الخمس من المغنم وسهم الغارمين فهم آمنون بأمان الله عزّ وجل، وأمان محمّد رسول الله»[2].

قال الطبرسي: وبعث رسول الله ﷺ وهو بتبوك بأبي عبيدة بن الجرّاح الى بني جذام فأصاب بعضهم وسبى منهم سبايا. وبعث سعد بن عبادة الى ناس من بني سُليم وبليّ فلما قاربهم هربوا[3].

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣١ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٠٠.

(٢) صبح الاعشى ١٣: ٧٩ ولسان الميزان ٣: ٢٠ والاصابة ٣ برقم ٧٥٩٣ وأُسد الغابة ٤: ٢٧٦ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٤٩.

(٣) اعلام الورى ١: ٢٤٤.

وكان هرقل في موضعه (حمص أو دمشق)[1] لم يزحف ولم يحرك، وكان الذي أُشيع في المدينة أنه بعث أصحابه ودنا إلى أدنى الشام باطلاً[2][3]

الرجوع من تبوك:

مرّ عن اليعقوبي والطبرسي أنه ﷺ انتهى إلى تبوك في شهر شعبان[4] وعن ابن إسحاق: أنه أقام بها بضع عشرة ليلة[5] وعن الواقدي أقام عشرين ليلة[6] فقد أقبل إليهم شهر الله، شهر رمضان المبارك، شهر الصيام.

فأجمع رسول الله على الرجوع من تبوك، وقد أُرمل الناس إرمالاً شديداً، وقد هزلت الإبل. فدخل عمر بن الخطاب على رسول الله فقال: يا رسول الله

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥.

(٢) التنبيه والإشراف: ٢٣٦.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٩ وقد قال المفيد: كان الله قد أوحى إلى نبيّه ﷺ أن مسيره إلى تبوك، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يُمنى بقتال عدو. الإرشاد ١: ١٥٤ وقال الواقدي: شاور رسول الله أصحابه للتقدم من تبوك إلى الشام، فقال عمر: إن كنت أُمرت بالمسير فسر! فقال ﷺ: لو أُمرت به ما استشرتكم فيه ٢: ١٠١٩ مما يؤيد ما أفاده الشيخ المفيد أنه لم يكن مأموراً من ربّه بأكثر مما مرّ إلى هنا في تبوك بلا تقدّم منه إلى الشام، وعليه فلم يرجع عن مشورة. ونقل الواقدي عن عمر قوله: وقد أُمرهم دونك ٢: ١٠١٩ ولا دليل عليه وقد قال الواقدي: إنهم لم يزحفوا ولم يتحركوا! وعليه فلا يصح ما في سيرة المصطفى: ٦٥٠ ـ ٦٥٣ وفي سيد المرسلين ٢: ٥٦٨، ٥٦٩.

(٤) اليعقوبي ٢: ٦٨ وإعلام الورى ١: ٢٤٤.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٠.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ١٠١٥ و ١٠٦٩.

ادع بفضل زادهم ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة ـ كما صنعت حيث أرملنا في الحديبية ـ فإن الله عزّ وجل مستجيب لك. فأمر أن ينادوا الناس بذلك فنادى منادي رسول الله: مَن كان عنده فضلٌ من زاد فليأت به!

وأمر رسول الله فبسطت الأنطاع (الجلود المدبوغة) بساطة، فجعل الرجل يأتي بالمُدّ من الدقيق والتمر والسويق، والقبضة منها، وكِسَر الخبز، فيوضع كل صنف من ذلك على حدة، وكل ذلك ثلاثة أفراق (تسعة أصواع = ٢٦ كغم) ثم قام النبي فتوضّأ وصلّى ركعتين، ثم دعا الله عزّ وجل أن يبارك فيه.

ثم نادى مناديه: هلمّوا إلى الطعام فخذوا منه حاجتكم! فأقبل الناس وجعلوا يتزوّدون الزاد، وكل من جاء بوعاء او جُراب ملأه دقيقاً وسويقاً وخبزاً! وكانت الأنطاع يفيض بما عليها حتى انتهوا، ورسول الله واقف عليهم يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي عبده ورسوله، وأشهد أنّه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه إلّا وقاه الله حرّ النار[1].

ورواه الراوندي فقال: شكوا إليه نفاد زادهم فقال: مَن كان عنده شيء من تمر أو دقيق او سويق فليأتني به. فجاء أحدهم بدقيق والآخر بكفّ سويق، فبسط رداءه فجعلا ذلك عليه، فوضع احدى يديه على احداهما والاخرى على الاخرى، ثم قال: نادوا في الناس: من أراد الزاد فليأت! فأقبل الناس يأخذون حتى ملؤوا جميع ما كان معهم من الأوعية وذلك الدقيق والسويق على حاله ما زاد ولا نقص من واحد منهما شيء على ما كان عليه[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٣٧ ـ ١٠٣٩ عن جمعة من الصحابة: أبي هريرة وأبي زرعة الجُهني وأبي حُميد الساعدي وسهل بن سعد الساعدي.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٦٩ ح ٦٠.

وكرامة في وادي الناقة

وأقبل رسول الله من تبوك حتى كان ببعض وادي الناقة[1]، وكان فيه حجر من جبل يرشح من أسفله ماء بقدر ما يروي الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله: من سبقنا إلى ذلك الوشل (الحجر) يرشح في الجبل، فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي!

فسبق إليه أربعة ممن كان مع النبي من المنافقين: الحارث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف الأوسيين، وزيد بن اللُّصيت، ومعتِّب بن قُشير ووديعة بن ثابت[2] فاستقوا ما فيه. فلما أتاه رسول الله لم ير فيه شيئاً فسأل: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان. فقال: ألم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه؟! ثم لعنهم ودعا عليهم! ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ماء فجعل يصبّ في يده فرشّه به ومسحه بيده ودعا[3]. وروى الواقدي عن مُعاذ بن جبل كان يقول: فوالذي نفسي بيده لخرق الماء وإن له حساً كحسّ الصواعق، فشرب الناس واستقوا ما شاؤوا[4].

وروى عن سلمة بن سلامة قال: فقلت لوديعة بن ثابت: ويلك! أبعد ما ترى شيء؟! أما تعتبر؟! فقال: لقد كان يفعل مثل هذا من قبل![5]

وروى بسنده عن أبي قتادة قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ نسير في الجيش ليلاً ... ومعي ماء في إداوة وركوة (قربة صغيرة)، فتوضأ النبي من ماء الإداوة معي

---

(١) وفي السيرة ٤: ١٧١: وادي المشقّق.

(٢) مغازي الواقدي ٣: ١٠٣٩.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧١ ومغازي الواقدي ٣: ١٠٣٩ وفيه: ألم أنهكم؟.

(٤) مغازي الواقدي ٣: ١٠٣٩ وابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧١ بلا ذكر اسم معاذ.

(٥) مغازي الواقدي ٣: ١٠٣٩.

وفضل منه شيء فقال لي: يا أبا قتادة احفظ ما في الاداوة والركوة فان لها شأناً!
ثم لحقنا الجيش بعد أن بعد زوال الشمس وقد كادت أن تنقطع أعناقهم وخيلهم من
العطش! فدعا رسول الله بالركوة وأفرغ فيها ما في الاداوة ثم وضع أصابعه عليها
فنبع الماء من بين أصابعه وفاض حتى روى الناس وارووا خيلهم وركابهم!
وذلك قوله لي: احفظ ما في الاداوة والركوة[1] وهو يقول: أشهد أني رسول الله
حقاً[2] أو: اشهدوا اني رسول الله حقاً[3].

وقبل منزل الحجر:

وقيل أن يصل منزل الحجر عطش العسكر بعد المرتين الاوليين عطشاً شديداً
حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير. فشكوا ذلك الى رسول الله. فدعا أسيد بن
حُضير فجاء وهو متلثّم، فقال له رسول الله: عسى أن تجد لنا ماءً. فخرج يضرب
في كل وجه، فوجد امرأة معها قربة ماء فأخبرها بخبر رسول الله فقالت: فانطلق
بهذا الماء الى رسول الله. فلما جاء به أسيد دعا فيه رسول الله بالبركة ثم قال:
هلمّوا أسقيتكم! فلم يبق معهم سقاء إلّا ملؤوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقوها
حتى نهلت... ثم راحوا العصر مُبردين متروّين من الماء[4].

مؤامرة العقبة:

روى الراوندي عن الصادق عليه‌السلام قال: كان القرآن ينزل بكلام المنافقين

---

(١) و(٢) مغازي الواقدي ٣: ١٠٤٠، ١٠٤١.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ٢٨ ح ١٧ و١٢٤ ح ٢٠٥.

(٤) مغازي الواقدي ٣: ١٠٤١، ١٠٤٢.

حتّى قال بعضهم لبعض: ما تأمنون أن تُسمَّوا في القرآن فتفتضحوا أنتم وعقبكم، هذه عقبة بين أيدينا ـ عقبة فيق[1] ـ فلو رمينا به منها يتقطّع!

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: هذا فلان وفلان ـ حتى عدّهم ـ قد قعدوا ينفرون بك[2].

وكان من مسلمة الفتح أبو مروان الحكم بن أبي العاص بن أُميّة وكان من أشد جيران رسول الله أذىً له في الإسلام، وبعد فتح مكة هاجر إلى المدينة[3] فكان مع المسلمين في غزوة تبوك.

فروى الطوسي عن الصادق بسنده عن ابن عمر: أنه ﷺ لما انتهى إلى العقبة قال: لا يجاوزها أحد، فعوّج الحكم بن أبي العاص فمه مستهزئاً به[4].

وروى الطبرسي عن الزجاج والكلبي: أنّه ﷺ أمر الناس كلهم بسلوك بطن

---

(1) عقبة فيق مشرفة على بحيرة طبرية وينحدر منها إلى غور الأردن، كما في معجم البلدان ٤: ٢٨٦ ومراصد الاطلاع ١: ١٦٣ و٣: ١٠٥٢ هذا والمعروض أنها بعد تبوك إلى المدينة وقد مرّ أن تبوك تبعد عن الأردن بأكثر من ٢٠٠ كم فأين هو من غور الأردن وبحيرة طبرية؟ هذا غريب.

وفي الخبر: عقبة ذي فيق. ومثله غرابة ما جاء في خبر آخر أنها في طريق اليمن ٢: ٤٩٢ ومثلها غرابة ما في مراصد الاطلاع ٢: ٩٤٨ أنها ماء لبني عكرمة في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. وفيه: أنها ليست العقبة [illegible] ثم هي المنزل العاشر من مكة إلى العراق قبل العراق بمرحلتين أو مرحلتين! انظر ومعة الطف: ١٥٧ ـ ١٧٧.

(2) الخرائج والجرائح ١: ١٠٠ ح ١٦٢ والاحتمال معقول أن يكون سبب ذلك حديث المنزلة منه لعلي عليه السلام.

(3) أنساب الأشراف ٥: ٢٧.

(4) أمالي الطوسي: ١٧٥ ح ٢٩٥.

الوادي، وسار رسول الله في العقبة، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان معه أحدهما يقود ناقته والآخر يسوقها، وكان الذين همّوا بقتله اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً. فروى عن الباقر عليه‌السلام: كان ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب (١).

وعنه عليه‌السلام قال: إنهم ائتمروا بينهم ليقتلوه، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنا كنا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن نقتله. وكان حذيفة يسوق دابته، فلما أمر جبرئيل رسول الله أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم، قال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم. فضربهم حتى نحّاهم.

فلما نزل (من الجبل) قال لحذيفة: مَن عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً. فقال رسول الله: إنهم فلان وفلان، حتى عدّهم كلّهم.

فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟

فقال ﷺ: أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم (٢). وعن

(١) مجمع البيان ٥: ٧٩، عن التبيان ٥: ٢٦ عن الزجاج والواقدي.

(٢) مجمع البيان ٥: ٧٠ والخبر عن الباقر عليه‌السلام في تفسير العياشي ٢: ٩٥ ح ٨٤: أنهم اجتمعوا اثنا عشر: التيمي والعدوي والعشرة معهما، فكمنوا لرسول الله في العقبة وائتمروا بينهم ليقتلوه.. وفي تفسير القمي ١: ٣٠١ بسنده عنه عليه‌السلام قال: قعدوا لرسول الله في العقبة وهمّوا بقتله. فقط، مختصراً.

وذيل خبر مجمع البيان في الخصال للصدوق بسنده عن الصادق عليه‌السلام أنه ﷺ ناداهم يا أعداء الله يا فلان ويا فلان حتى سمّاهم كلهم بأسمائهم. وفي حديث الخبر عن حذيفة: أنه ﷺ كان إذا نام على ناقته فقطرت في سيره، وفي تلك الليلة قلت في نفسي: لا أفارق هذه الليلة رسول الله، وحبست ناقتي معه.. فلما نادى المنافقين نظر فإذا بي ورائي فقال لي: عرفتهم؟ قلت: نعم فداك، لا غرّ بهم أحد. فقلت: يا رسول الله ألا تقتلهم؟ قال: إني أكره أن يقول الناس: قاتل بهم حتى ظفر قتلهم. الخرائج والجرائح للراوندي ١: ١٠٠ ح ١٦٢. ←

⟵ وفي كتابه قصص الأنبياء ٣٠٩ روى عن الصدوق بسنده عنه ﷺ قال: لما انتهى إلى العقبة وقد جلس عليها أربعة عشر رجلاً ثمانية من قريش كما في خبر الباقر ﷺ، وستة من أفناء الناس، فناداهم رسول الله: يا فلان ويا فلان... أتتم تعوذون نبي؟! وكان حذيفة خلفه يلحق به فقال له: يا حذيفة سمعت؟ قال: نعم، قال: فاكتم.

وبناءً على هذين الخبرين: فهل يفترض أنه ﷺ لم يأمر الناس أن يتبعهم حذيفة وعمار يسوقانه ويقودانه ولم يمنعهم من سلوك العقبة؟! أو كان ذلك ومع ذلك قال لحذيفة: لا والله لا أخبرني رسول الله كما في الخبر الأول عن الخرائج؟ ثم ماذا عن عمار؟ ثم في الخبر الثاني عن القصص أن يأمر حذيفة سمعت؟ ولكن في الأول قال: عرفتهم؟ قال: نعم عرفتهم وهم متلثمون! وكيف يمكن ذلك؟! ثم أليس من دأبه ﷺ أن لا يخبر بهم أحداً وأمره بالكتمان؟ فهل كتم؟

وقد نقل الصدوق في الخصال ٢: ٤٩٩ بسنده عن زياد بن المنذر بن الجارود العبدي المنسوب إليه فرقة الجارودية من الزيدية عن مشيخته عن حذيفة بن اليمان قال: الذين نفروا برسول الله ناقته (كذا) في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف.

فهو إن كنّى عن أربعة فقد باح بعشرة!

ولهذا علّق محقق بحار الأنوار ٢١: ١٣٨ لسبح البهبودي يقول: إن النبي ﷺ لم يسمِّ عليهم لئلا يبتلي المسلمين ويجري لقضاء الله بالفتن أمامه، وعليه فأمره ﷺ لحذيفة بالكتمان لم يكن مولوياً وإنما كان ارشادياً (كذا) ولذلك نرى حذيفة اكتتم ذلك طول حياته وبعد وفاته ﷺ ولكنه في أواخر عمره حين تم الافتتان كان يعرّض أحياناً ويصرّح أخرى بأسماء بعضهم كأبي موسى الأشعري.

فقد روى أبن شاذان (م ٢٦٠هـ) في الإيضاح: ٦١ والطبري الإمامي (ق ٤) في المسترشد: ١٣ ط. النجف و١٥٨هـ، قم بسند واحد عن حذيفة قال: إنه من أصحاب ⟵

الامام العسكري عليه السلام قال: ان رسول الله ﷺ أمر في منصرفه من تبوك بالرحيل وأمر مناديه فنادى: الا لا يسبقن رسول الله أحد الى العقبة ولا يطؤها حتى يجاوزها رسول الله. ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمرّ بها فيخبر رسول الله!

فقال حذيفة: يا رسول الله اني أتبيّن الشرّ في وجوه رؤساء عسكرك، واني أخاف ان قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدّمك الى هناك للتدبير عليك، يحسّ بي فيكشف عني فيعرفني ويعرف موضعي فيقتلني!

فقال رسول الله: انك اذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك الى جانب أصل العقبة ... وجاؤوا على جمالهم يقول بعضهم لبعض: من رأيتموه هاهنا كائناً من كان فاقتلوه لئلا يخبروا محمداً انهم قد رأوه هنا فينكص محمد ولا يصعد هذه العقبة الا نهاراً، فيبطل تدبيرنا عليه ... ثم تفرقوا فبعضهم عدل عن الطريق المسلوك وصعد الجبل، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال وهم يقولون: ألا ترون أحال محمد كيف أغراه بمنع الناس من صعود العقبة حتى يقطعها هو لنخلوا به هاهنا فنمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل؟!

فلما تمكّن القوم على الجبل حيث أرادوا ... أقبل حذيفة فأخبر رسول الله بما رأى وسمع. فقال رسول الله: أو عرفتهم بوجوههم؟ قال: يا رسول الله كانوا متلثّمين، ولكني عرفت أكثرهم بجمالهم، ولما فتّشوا الموضع ولم يجدوا أحداً أحدروا اللثام فرأيت وجوههم فعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم: فلان فلان...

فقال رسول الله: يا حذيفة اذا كان الله يثبّت محمداً لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه، ان الله تعالى بالغ أمره ولو كره الكافرون

—— رسول الله أحد أعرف المنافقين منّي ... شهد ... ابا موسى الأشعري منافق. وانظر الاستيعاب بهامش الاصابة ٢٧٣. وسيأتي مثل ذلك في منصرف النبيّ من غدير خم

ثم قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وعمار وسلمان (كذا) وتوكلوا على الله،
فإذا جُزنا الثنية الصعبة فأذنوا للناس أن يتّبعونا. فصعد رسول الله وهو على ناقته
وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها، والآخر خلفها يسوقها، وعمار
إلى جانبها، والقوم على جمالهم ورجالتهم منبثّون حوالي الثنية على تلك العقبات،
وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب (كذا) فدحرجوها من فوق
لينفروا الناقة برسول الله لتقع في المهوى الذي يهوّل الناظر النظر إليه من بُعده،
ولكنّها لما قربت من ناقة رسول الله ارتفعت ارتفاعاً عظيماً فجاوزت ناقة رسول
الله فسقطت في جانب المهوى، ولم يبق منها شيء إلا صار كذلك، وناقة رسول الله
كأنّها لا تُحسّ بشيء من تلك القعقعات التي كانت للدباب.

ثم قال رسول الله لعمّار: اصعد الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم
فارم بها، ففعل عمّار ذلك، فنفرت بهم فبعضهم سقط فانكسرت عضده، ومنهم من
انكسرت رجله، ومنهم من انكسر جنبه[1].

---

(١) تفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه‌السلام وعنه في الاحتجاج للطبرسي ١: ٦٤ ـ ٦٦ وعنهما في بحار الأنوار ٢١: ٢٢٩ ـ ٢٣١.

وقال الواقدي: وكان رسول الله ببعض الطريق وأمامه عقبة، فمكر به أناس من
المنافقين وائتمروا أن يطرحوه من تلك العقبة، وأُخبر رسول الله خبرهم. فلما بلغ رسول الله
تلك العقبة قال للناس: اسلكوا بطن الوادي فإنه أوسع لكم وأسهل. فسلك الناس بطن
الوادي وسلك رسول الله العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر
حذيفة بن اليمان يسوق من خلفه.

فبينا رسول الله يسير في العقبة إذ سمع حسّ القوم قد غشوه، فأمر حذيفة أن يردّهم
فرجع حذيفة إليهم وجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده، فانحطوا من العقبة مسرعين
حتى خالطوا الناس. ورجع حذيفة حتى أتى رسول الله فساق به، فقال له النبي ... ←

—— يا حذيفة هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ قال : يا رسول الله كان القوم متلثّمين ومن ظلمة الليل عشم أبصارهم وعرفت راحلة فلان وفلان.

فروى بسنده عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله سمّى لحذيفة وعمّار أهل العقبة الذين أرادوا به ليلتئذ وهم ثلاثة عشر رجلاً.

وروى بسنده عن نافع بن جُبير قال : لم يخبر رسول الله أحداً إلّا حذيفة ، وهم اثنا عشر رجلاً ، ثم ادّعى : ليس فيهم قرشيّ. ودعمه أبو عدي ، بما روى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عمار قال : أشهد أن الخمسة عشر رجلاً اثنا عشر رجلاً منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

قال : ولما خرج رسول الله من العقبة نزل الناس ، فلما أصبح تقدم إليه اُسيد بن حُضير الأوسي فقال له : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من العقبة ؟ فقال : يا أبا يحيى ، أتدري ما أراد المنافقون البارحة وما همّوا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع (حبال) ناقتي ونخسوها حتى يطرحوني من راحلتي ! فقال أسيد : يا رسول الله ، فقد نزل الناس واجتمعوا ، فإن أحببت فنبّئني بهم فلا نبرح حتى نأتيك برؤوسهم ! وإن أحببت سمّهم للخزرج (سعد بن عبادة) فكفوك من في ناحيتهم ، ومر كل بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله ... مثل هؤلاء يتركون يا رسول الله ؟ ! حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضرب الإسلام بجرانه (برقبته = استقر) فما يُستبقى من هؤلاء ؟ !

فقال رسول الله لأسيد : إنّي أكره أن يقول الناس : إنّ محمّداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال رسول الله : أليس يُظهرون شهادة أن لا إله إلّا الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة لهم. قال : أليس يُظهرون أني رسول الله ؟ قال : بلى ولا شهادة لهم. قال : فقد نُهيت عن قتل أولئك —— مغازي الواقدي ٢ : ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥.

إحراق مسجد النفاق .

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار[1] فقال: خرج إليه المنافقون المخلّفون يستقبلونه، فقال رسول الله: لا تكلّموا أحداً منهم تخلّف عنا ولا تجالسوه حتى آذن لكم[2].

وأتاه خبر مسجد الضرار وأهله من السماء[3] قال القمي: فبعث رسول الله ﷺ عاصم بن عدي من بني عمرو بن عوف الأوسي ومالك بن الدُّخشم الخزاعي على أن يحرقوه ويهدموه، فبادلهم إلى قُبَاء، فذهب مالك إلى أهله فجاء بنار، وأشعل به سعف النخل ثم أشعله في المسجد، وكانوا فيه يتفرقون، فلما احترق البناء هدّموا حيطانه[4].

ـــ وذكر طرفاً منه مسلم في صحيح كتاب المنافقين برقم ١، وأشار إليه في ٨: ٢٣ وأحمد في المسند ٥: ٣٩٠، ٣٩١ و٤٥٣ وعنه الطبراني ام ٣٦٠ هـ في المعجم الكبير ٦: ١٩٥ وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ١١٠ والبيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة بن الزبير ٥: ٢٥٦ وعنه في إعلام الورى ١: ٢٤٥، ٢٤٦ وعنه في بحار الأنوار ٢: ٢٤٧ ح ٢٥ وكذلك ابن الأثير في الجامع ١٢: ١٩٩ وابن المعتزلي في شرح النهج ٢: ١٠٣ عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار عن الحسن بن علي ﷺ في مجلس معاوية قال: يوم أوقفوا الرسول في العقبة ليستفزوا دابته كانوا اثنا عشر رجلاً منهم أبو سفيان. وعن المحلّى لابن حزم ام ٤٥٦ هـ ١١: ٢٥٥ نقل حديث حذيفة وأن فيهم أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص ثم شكك في صحته

[1] ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٤ (٢) مغازي الواقدي ٣: ١٠٤٩

[3] لم يذكر ابن إسحاق من أسمائهم ولم يذكر الواقدي في القرآن، وإذا القمي ٢: ٣٠٥ والطبرسي ٥: ١٠٩ نزلت عنه الآية بشأن المسجد ثم يصرح هو بأن سورة التوبة وآيات مسجد الضرار نزلت بعد رجوعه بأكثر من خمسين يوماً ٥: ١٠٥ و١٢٠.

[4] تفسير القمي ١: ٣٠٥

ويبدو أنّ الطوسي في «التبيان» نقل عن قتادة ومجاهد عن ابن عباس قال: دعا رسول الله عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وهو من بني عمرو بن عوف وقال لهما: انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم حرّقاه! فخرجا يمشيان على أقدامهما! ففعلوا ما أمروا به[1].

وزاد الطبرسي في «مجمع البيان» قال: وروي أنّه ﷺ بعث عمار بن ياسر ومعه وحشي ـ قاتل حمزة ـ ليحرّقوه، وأمر أن يتّخذ موضعه كناسة تُلقى فيها القمامات[2].

والى المدينة:

وصبّح النبي المدينة[3] في شهر رمضان[4]، وروي أنّه ﷺ لما أشرف على

---

(1) التبيان ٥: ٢٩٨

(2) مجمع البيان ٥: ١١٠. هذا والمعروف أنّ النبي قال لوحشي يوم اسلامه بعد فتح مكة: اغرُب وجهك عنّي. وزاد الواقدي: أنهما انتهيا إليه بين المغرب والعشاء وهم فيه، وإمامهم مجمّع بن جارية بن عامر، فأحرقوه، وثبت فيه من بينهم زيد بن جارية بن عامر فاحترقت إليته. مغازي الواقدي ٢: ١٠٤٦ والأشبه اسم الرجل يزيد بن جارية فجاء هكذا في تفسير القمي والتبيان مع أنّه سمّاه ابن عامر وليس زيد بن جارية بن عامر! وتركه الطبرسي.

وأما عن أمره ﷺ أن يتّخذ موضعه كناسة، فقد روى الواقدي: أنّه ﷺ بعد نزول سورة التوبة والآيات بشأن المسجد عرض على عدي بن عاصم أن يتخذه داراً فأبى واقترح أن يعطيه لثابت بن أقرم فإنه لا منزل له فأعطاه إياه. وهذا أولى وأقرب وأنسب، وهو يفيد مصادرته لموضع المسجد، كأنه غنيمة حرب محاربين للإسلام.

(3) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٧٧ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٤٩

(4) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٢ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٥٦ عن عائشة

المدينة قال: هذه طابة، وهذا أُحد جبل يحبّنا ونحبّه! ثم قال: إنّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلّا كانوا معكم فيه! فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟! قال: نعم، وهُم بالمدينة، حبسهم العُذر[1]

وعن كتاب أبان بن عثمان البجلي الأحمر الكوفي عن الأعمش الكوفي قال: وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فاستقبل بالحسن والحسين عليهما السلام، فأخذهما إليه ودخل على امهما بنته فاطمة وعلي عليهما السلام، وانتظره المسلمون على الباب، حتى إذا خرج حفّوا به حتى دخل منزله، ثم تفرّقوا عنه[2]

ثم بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين (تحية المسجد) ثم جلس للناس، وهكذا كان يفعل إذا قدم من السفر. وكان قد عَلّف عنه بضعة وثمانون رجلاً[3]، فأخذ هؤلاء يأتون إليه فيعتذرون إليه ويحلفون له فيكل سرائرهم الى الله ويقبل منهم ايمانهم وعلانيتهم فيستغفر لهم[4].

الثلاثة المتخلّفون:

وقد مرّ ذكر نفر ممّن تخلّف عن اللحاق به ﷺ بلا شك ونفاق، منهم كعب بن

-

(1) مغازي الواقدي ٢: ١٠٥٦ ولو كان خروجه في ٢٥ رجب ووصوله الى تبوك في ١٥ شعبان وعودته منها في ٥ رمضان فوصوله في ٢٥ رمضان.

(2) اعلام الورى ١: ٢٤٧ عن كتاب أبان.

(3) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٧٧ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٤١ و ٩٩٥ وقال أيضاً: عسكر رسول الله على ثنيّة الوداع، وعسكر عبد الله بن أبي بحذائه فكان يقال: ليس عسكره بأقل العسكرين. وكذلك في السيرة ٤: ١٦٢ ثم لم يبين لنا النسبة بين هذا القول وبين كون المتخلفين ثمانين رجلاً؟!

(4) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٧٧ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٤٩.

مالك شاعره، وقد مرّ صدر خبره عن تفسير القمي، ولكنّه هنا بعينه، يقول عن نفسه وصاحبيه مُرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي:

لما بلغنا إقبال رسول الله ﷺ قدمنا، فلما وافى رسول الله استقبلناه نهنّئه بالسلامة، فسلّمنا عليه، فأعرض عنّا ولم يردّ علينا السلام[2] وسلّمنا على إخواننا فلم يردّوا علينا السلام. وبلغ ذلك أهلنا فقطعوا كلامنا! وكنّا نحضر المسجد فلا يسلّم علينا أحد ولا يكلّمنا[1] وجاءت نساؤنا إلى رسول الله فقلن له: قد بلغنا سخطك على أزواجنا، أفنعتزلهم؟

فقال رسول الله: لا تعتزلنهم ولكن لا يقربوكن!

فلما رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم قالوا: ما يُقعدنا في المدينة ولا يكلّمنا رسول الله ولا إخواننا ولا أهلونا؟! فهلمّوا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت! فخرجوا إلى جبل ذباب[3] بالمدينة فكانوا يصومون، وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولّون عنهم فلا يكلّمونهم

---

(١) كذا رواه القمي مرسلاً، ورواه الواقدي في المغازي ٢: ١٠٤٩ ـ ١٠٥٦ وابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٥ ـ ١٨٠ مسنداً وفيه: وصبّح رسول الله المدينة وبدأ بالمسجد فصلّى ركعتين ثم جلس للناس فجئت فسلّمت عليه فتبسّم تبسّم المغضب ثم قال: تعال.

(٢) كذا، ولا يقول به الفقهاء حتى في الإنكار على أصحاب المنكرات.

(٣) وروى الواقدي في المغازي ٢: ١٠٥٦ عن أيوب عن أبيه النعمان عن أمه عبد الله عن أمه كعب بن مالك (وكان مالك يكنّى أبا نقيل) أن كعب بن مالك بنى خيمة (كذا) على جبل سلع وقال في شعر له:

أبعد دور بني القين الكرام وما ... شادوا عليّ، بنيت البيت من سعف

ونقله الطوسي في التبيان ٥: ٢٦٧ عن مجاهد وقتادة، وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٥

فبقوا على هذه أياماً كثيرة يبكون بالليل والنهار ويدعون الله أن يغفر لهم فلما طال عليهم الأمر قال لهم كعب: يا قوم، قد سخط الله علينا ورسوله وأهلونا وإخواننا فلا يكلمنا أحد، فلم لا يسخط بعضنا على بعض؟ فتحالفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت وتفرّقوا في الليل وبقوا على هذه ثلاثة أيام، كل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلّمه. وفي الليلة الثالثة كان رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، إذ نزلت توبتهم على رسول الله قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ...﴾ (٢).

ونقل الطوسي في «التبيان» عن مجاهد وقتادة عن ابن عباس وعن جابر

---

(١) وفي خبر كعب في السيرة ٤: ١٧٨ و١٧٩ و١٨٠ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٥١ و١٠٥٢ و١٠٥٣ وفي التبيان ٥: ٢٩٦ عن مجاهد وقتادة وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٥ [illegible].

(٢) ونقله الواقدي عن أم سلمة قالت: قال لي رسول الله ليلاً: يا أم سلمة قد نزلت توبة كعب بن مالك وصاحبيه. فقلت: يا رسول الله، ألا أرسل إليهم فأبشّرهم؟ فقال: لا، لا يرون حتى يصبحوا.

فلمّا صلّى رسول الله الصبح أخبر الناس بتوبة الله على هؤلاء النفر: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية من بني عبد الأشهل، وكان قد ولي الصلاة الصبح من بني عبد الأشهل الأعوان أبو نائلة سلكان وسلمة ابنا سلامة بن وقش، فبعثه إلى مرارة فخبراه، وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد إلى هلال بني واقف، فلمّا بشّره سجد وبكى وكان بكاؤه بالسرور أكثر منه بالحزن! ثم قام فما استطاع المشي لما فيه من الضعف فركب حماراً.

وخرج الزبير على فرسه إلى بطن الوادي! على الواقدي! وسعى ساعٍ من بني أسلم حتى أوفى على جبل سلع فبلغني صوته قبل الراكب، فلما جاءني لم أكن أملك يومئذٍ سوى ثوبين عليّ نزعتهما وكسوتهما إياه بشارة، واستعرت ثوبين لنفسي وانطلقت إلى رسول الله! السيرة وعن الواقدي: أن الذي أوفى كعباً على سلع هو أبو بكر، ولم يرو قصة الثوبين! ٢: ١٠٥٣.

الأنصاري: أنه ﷺ بعدما عذر المنافقين وجميع المخلّفين وكانوا نيّفاً وثمانين، نهى عن الكلام مع هؤلاء الثلاثة[1] وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلّمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان.

وجاءت نساؤهم إلى رسول الله فقلن له: يا رسول الله نعتزلهم؟ فقال: لا، ولكن لا يقربوكن[2].

---

(1) التبيان ٥: ٢٩٦ وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٤.

(2) التبيان ٥: ٣٠٦ وعنه في مجمع البيان ٥: ١٢ وفصّله ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٧٨ عن الزهري عن عبد الرحمن عن أبيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك، قال: فاجتنبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكّرت لي الأرض فما هي التي كنت أعرف، حتى مضت أربعون ليلة إذ أتاني رسول من قبل رسول الله -خزيمة بن ثابت- الواقدي- فقال: إنّ رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك! فقلت: أطلّقها؟ قال: لا ولكن اعتزلها ولا تقربها. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. هذا وأنا شاب.

وكان هلال بن أمية شيخاً كبيراً لا خادم له، فذهبت امرأته إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله، إنّ هلال بن أمية شيخ كبير لا خادم له أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربك. قالت: يا رسول الله والله ما به حركة لي، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا حتى تخوّفت على بصره!

فلما أذن لامرأة هلال أن تخدمه قال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله لامرأتك أن تخدمك، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه. فقلت: لا أستأذنه فإني لا أدري ما يقول في ذلك وأنا شاب.

ودخلت يوماً السوق فبينا أنا فيه إذ نبطيّ من أهل الشام كان قد قدم بطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلّني على كعب بن مالك؟ فأشار إليه الناس فجاءني وإذا به يحمل إليّ رسالة في شقة من حرير من ملك بني غسّان، فقرأتها فإذا فيها: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. فقلت في نفسي ←

فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك، وأقام كعب لنفسه على جبل سلع كوخاً من سعف النخل وقال في ذلك شعراً:

أبعد دور بني القين الكرام وما
شادوا عليّ، بنيت البيت من سعف؟!(1)

وخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلّمونهم. فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلّمنا أحد، فهلّا نتهاجر نحن أيضاً؟! فتفرّقوا ولم يجتمعوا، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً(2) أو خمسين ليلة.

ثم نزلت الآيات بتوبتهم ليلاً، فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبشّرونهم. قال كعب: وكان رسول الله إذا سُرَّ يستبشر كأنّ وجهه فلقة قمر، فجئته وإذا وجهه يبرق

— قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك! فهذا من البلاء أيضاً. وذكره الواقدي في المغازي 2: 1051 وزاد: اسم الملك فيه جبلة بن الأيهم، واسم الحارث بن أبي شمر.

(1) التبيان 5: 296، 297 وعنه في مجمع البيان 5: 104، 105 وقالوا: بنو القين بطن من خيثمة. والقين اسم جدّه كما في الاستيعاب 3: 323 وكما في مغازي الواقدي 2: 1056 وروى الخبر عن أيوب بن النعمان بن عبد الله بن كعب.

(2) التبيان 5: 296 وعنه في مجمع البيان 5: 100 وفيه: قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة وأوس بن حذام تخلّفوا عن رسول الله ﷺ عند مخرجه إلى تبوك، فلما بلغهم ما نزل من الله فيمن تخلّف عن نبيّه أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله (كذا) فنزل قوله ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فعمد النبيّ إليهم فحلّهم. فهو يفترض نزول الآيات فيمن تخلّف قبل قدومه ﷺ من تبوك ثم نزول قبول توبتهم بعد ذلك وهم في هذه المدة موثقين بسواري المسجد!

من السرور فلمّا رآني قال لي: أبشر بخير يوم طلع عليك منذ ولدتك أمك! فقلت: يا رسول الله من عندك أو من الله؟ فقال: من عند الله. فتصدّق كعب بثلث ماله شكراً لله على قبول توبته[1].

إسلام كعب بن زهير الشاعر[2]

كان لكعب أخ يدعى بُجير بن زهير كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان كعب ممن يؤذي النبي ويهجوه، فلما أسلم أخوه بُجير وهاجر هجاه بقوله:

فمن مبلغ عني بُجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

شربت مع المأمون كأساً رويّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلّكا[3]

وخالفت أسباب الهدى واتّبعته ... على أيّ شيء ويب غيرك دلّكا[4]

على خُلُقٍ لم تُلفِ أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا[5]

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائل إمّا عثرتَ: لعاً لكا[6]

---

(1) التبيان ٥: ١٩٧ وعنه في مجمع البيان [illegible]، وبتفصيل في السيرة ٤: ١٨٠ وفيه: قلت: يا رسول الله إن من توبتي إلى الله وإلى رسوله أن أنخلع من مالي إلى الله ورسوله! فقال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، فقلت: إني ممسك سهمي الذي بخيبر. وزاد الواقدي: قال: لا. قلت: فنصفه؟ قال: لا. قلت: فثلثه؟ قال: نعم. مغازي الواقدي ٢: ١٠٥٥.

(2) قال القمي في سفينة البحار ٦: ١٨٣ إن قدوم كعب كان في شهر شعبان سنة تسع، بينما كان في شعبان في تبوك، ولذلك أخّرناه إلى هنا.

(3) يقول له: شربت مع النبي الأمين شراب الإسلام فسقاك النهل وهو الشربة الأولى وسقاك العلَل وهي الشربة الثانية.

(4) ويب غيرك: هلاك غيرك. (5) كقولهم: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين.

(6) يقول له: وإن ما عثرت في دهرك لا أقول لك: لعاً لك، وهي كلمة كانت تقال للعاثر.

وبعث بها إلى بُجير

قال ابن إسحاق: وإنما قال كعب: «مع المأمون» لما كانت تقوله قريش لرسول الله «الأمين». ولما أنشدها بُجير له ﷺ وسمع منها: سقاك بها المأمون، قال: صدق، أنا المأمون، وإنه لكذوب. ولما سمع: على خُلُق لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه قال: أجل، لم يُلفِ عليه أباه ولا أُمّه. ومن لي بسكم كعب بن زهير فلمعنته(1)

ولما فتح النبيّ مكة وقتل رجالاً منهم ممن كان يهجوه ويؤذيه وهرب هُبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى من شعراء قريش، وعفا عمن جاءه تائباً منهم، كان كعب بن زهير ممن هرب على وجهه، فكتب إليه أخوه بُجير بن زهير: إنّ رسول الله قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وإن من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهُبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِر إلى رسول الله، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض. وكتب إليه شعراً:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلاً وهي أحزم؟

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير ـ وهو لا شيء ـ دينه ... ودين أبي سُلمى عليّ محرّم(2)

فلما بلغ الكتاب إلى كعب وعلم به الناس في حيّه الذي هو فيه قالوا فيه: إنّه

---

(1) نقله الزرقاني في المواهب اللدنية في شرح السيرة النبوية عن ابن الأنباري، ونقله عن ابن هشام في السيرة ٤: ١٤٥

(2) التي تلوم عليها: الإسلام. أبو سُلمى: أبوهما. وقوله: ودين أبي سلمى عليّ محرّم جواب لقول أخيه: على خلق لم تلف أمّاً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

مقتول، فضاقت به الأرض وخاف على نفسه ولم يجد بدّاً من أن يستجيب لأخيه ويُسلم ويكفّر عن هجوه النبيّ بمدحه بقصيدة، فنظم قصيدته اللامية نحو ستين بيتاً، وحملها وخرج نحو المدينة

ولم يستجر بأخيه بُجير لأمرٍ ما، ولما كان يعرف رجلاً من جُهينة فنزل عليه ليلاً وعرّفه أمره.

فلما أذّن بلال لصلاة الفجر خرج الجُهني بكعب وصليا مع رسول الله ﷺ ثم أشار إليه وقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه

فقام إلى رسول الله حتى جلس إليه، ورسول الله لا يعرفه، فوضع يده في يده وقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فإن أنا جئتك به فهل أنت قابل منه؟ قال: نعم. فقال: يا رسول الله فأنا كعب بن زهير. فوثب رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدوّ الله أضرب عنقه. فقال ﷺ: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه[1] فأسلم[2]

وقال ابن هشام: مما قال كعب قصيدته في المدينة بعد قدومه إليها[3]

ويؤيّده ما رواه ابن إسحاق عن عاصم بن قتادة الأنصاري: أن كعباً في قصيدته لم يخصّ المهاجرين بمدحته، بل عرّض بهم بقوله فيها عنهم: «السود التنابيل» ـ أي السود القصار ـ[4] فروى ابن هشام أنه ﷺ حين أنشده كعب قصيدته قال له: لو لا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٤٦، ١٤٧.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٥٧.

(٣) ابن هشام في السيرة ٤: ١٥٧.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٥٧.

أهل(١) فقال قصيدة رائية يمدح بها الأنصار ويذكر موضعهم في النبي وبلاءهم مع رسول الله ﷺ.

وأنشد قصيدته بين يديه ﷺ في مسجده(٢) فقال فيها:

إنّ الرسول لسيفٌ يستضاء به — مهنّد من سيوف الله مسلول(٣)

في فتية من قريش قال قائلهم — ببطن مكة لمّا أسلموا زولوا(٤)

شمّ العرانين أبطال لبوسهم — من نسج داود في الهيجا سرابيل(٥)

أُنبئت أن رسول الله أوعدني — والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً، هداك الذي أعطاك نافلة الـ — قرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم — أذنب، ولو كثرت فيّ الأقاويل(٦)

فروى ابن الأثير الجزري: أنه ﷺ حين أنشد كعب القصيدة كانت عليه بردة، فكساه بها(٧).

---

(١) ابن هشام في السيرة ٤: ١٥٧

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٥٨

(٣) مهند: السيف الهندي، كان يؤتى به من الهند، وكان مستحسناً، وكان من عادة العرب أن يعلقوا السيف في الشمس فيبرق فينبههم الناس بلمعان بريقه

(٤) يمدح المهاجرين من قريش إذا أسلموا قالوا لهم: هاجروا عنا

(٥) العرانين: الأنوف. شمّ: عال مرتفع. نسج داود: دروع داودية

(٦) الوشاة: السعاة بالكذب. وهذه الأبيات من (مناقب آل أبي طالب) ١: ١٦٨، ١٦٩

(٧) قال: فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم فلبسها بنو أمية ثم بنو العباس وكانت على المستعصم العباسي لما خرج إلى هولاكو ←

وفد ثَقيف وإسلامهم

مرّ الخبر عن «الأمالي» للطوسي بسنده عن الصادق عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري في وفد ثقيف الأول بعد عودة النبي ﷺ من حصار الطائف إلى مكة، ورجوعهم بلا نتيجة. وكذلك مرّ الخبر عن لحوق عروة بن مسعود الثقفي بالنبي ﷺ قبل وصوله إلى المدينة وإسلامه وعودته لقومه في الطائف ودعوتهم إلى الإسلام وقتلهم إيّاه ولحوق ابنه أبي مليح وابن عمّه قارب به بالمدينة وإسلامهما وبقائهما فيها حتى إسلام قومهم ثقيف. وأيضاً مرّ الخبر عن إسلام القبائل حول الطائف وإغرائهم بهم وغارتهم على مواشيهم ومضايقتهم لهم.

وهنا يقول ابن إسحاق: أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، فرأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا.

فروى بسنده عن المُغيرة بن الأخنس الثقفي قال: كان عمرو بن أُمية من بني علاج من أدهى العرب، وكان قد وقع بينه وبين عبد يا ليل سوء، فكان مهاجراً له، ولكنّه مشى إليه يوماً حتى دخل داره. فلما أُخبروا عبد يا ليل بذلك قال: إن عمراً كان أمنع في نفسه من هذا، فهذا شيء ما كنت أظنّه. ثم خرج إليه ورحّب به، فلما جلسا قال عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة. إنه قد

ـــــ نقله زعيم الشرذمة، وذكرها في ذيلها الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ وفي كتابه النبي ﷺ لكعب أشعار الحسين عليه السلام قال: وقد أدّب رسول الله كعب بن زهير، كما في مناقب آل أبي طالب ٤: ٦٥ عن أنس المجالس ومن شعر كعب في علي عليه السلام قال:

صهر النبي وخير الناس كلّهم ... وكلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاة مع الأُمّي أوّلهم ... قبل العباد وربّ الناس مكفور

كما في الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٦٨ ط قم.

كان من أمر هذا الرجل (محمّد) ما قد رأيت، فقد أسلمت العرب كلها، فما لكم بحربهم طاقة! فائتمروا لذلك بينكم.

فأتمروا وقالوا: ألا ترون أنّه لا يأمن لكم سرب (ماشية)، ولا يخرج منكم أحد إلّا اقتطع! فعرضوا على عبد ياليل أن يرسلوه إلى رسول الله فخشي إن رجع أن يُصنع به كما صنع بعروة فيُقتل كما قُتل! فقال: لا، أن ترسلوا معي رجالاً فوافقوا واختاروا أوس بن عوف من بني سالم، وعثمان بن أبي العاص من بني يسار وهو أصغرهم، ونمير بن خرشة من بني الحارث، وهؤلاء كلهم من بني مالك والحكم بن عمرو، وشرحبيل بن غيلان كلاهما من بني معتب من الأحلاف، فهؤلاء خمسة خرج بهم عبد ياليل وهو صاحب أمرهم[1].

وكانت نوب أصحاب رسول الله ترعى رحالهم نوباً، وكانت النوبة يوم وصول وفد ثقيف على المغيرة بن شعبة منهم، يرعاها في وادي حُرُض من وديان قناة من أودية حوالي المدينة، بعد أن رجع من تبوك.

فلما وصل وفد ثقيف إلى وادي حرض من وديان قناة وجدوا بها المغيرة فقالوا: لو سألنا عنها وعن خبر محمّد؟ فبعثوا أصغرهم عثمان بن أبي العاص من بني يسار، فلما التقى بالمغيرة عاد فجاءهم المغيرة وترك الإبل عندهم ليرجع إلى المدينة فيبشّر النبي بقدومهم، وكان في شهر رمضان بعد تبوك.

فلما نهى إلى المسجد لقي أبا بكر فأخبره خبرهم فقال له أبو بكر: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدّثه! فتوقّف المغيرة على باب المسجد حتى دخل أبو بكر على النبي فأخبره خبرهم ثم خرج، فدخل المغيرة مسروراً على النبي فقال: يا رسول الله، قد قدم قومي يريدون الدخول في الإسلام على أن تكتب لهم كتاباً من رسول الله في قومهم وبلادهم وأموالهم.

---

(1) ابن إسحاق في السيرة ٤: ١٨٣.

فقال رسول الله ﷺ: لا يسألون شرطاً، ولا كتاباً أعطيته حداً من الناس الا أعطيتهم، فبشّرهم فخرج المغيرة ورجع اليهم فبشرهم بذلك، فروّح يظهر معهم وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله بتحية الاسلام: السلام.

فلما قدموا على رسول الله المسجد لم يعملوا ما أمرهم المغيرة من تحية الاسلام بل قالوا: انعم صباحاً! فقال ناس: يا رسول الله يدخلون المسجد وهم مشركون؟! فقال رسول الله: ان الأرض لا ينجّسها شيء!

وكان رسول الله قد خطّ خطّة للمغيرة بن شعبة من البقيع داره فقال: يا رسول الله، انزل قومي عليّ وأكرمهم، فرجعوا الى منزل المغيرة مطهاره والطعام ويكونون فيه ما أرادوا، ورسول الله يجري لهم الضيافة في دار المغيرة، ويختلفون الى المسجد. وأمر النبي فضربت لهم ثلاث خيام من جريد النخل في ناحية المسجد، فكانوا ينظرون الى صفوفهم في صلاتهم، وكان شهر رمضان (في العشر الأواخر) فكانوا يرون تهجّد الصحابة ويسمعون قراءتهم القرآن، وخطبة النبي ﷺ فمكثوا على ذلك أياماً، يختلفون كل يوم على رحالهم أصغرهم عثمان بن أبي العاص ويغدون على النبي، فكانوا إذا رجعوا في هاجرة الظهر وناموا يخرج عثمان الى النبيّ فيسأله عن الدين ويستقرئه القرآن، وأسلم، وحفظ سوراً من القرآن. وكان إذا عند رسول الله نائماً يذهب الى أُبيّ بن كعب فيستقرئه القرآن، وفقه الأحكام، فأحبّه رسول الله وأعجب به

وتقاضى عبد ياليل من النبي الكتاب بالصلح بينه وبينهم، فقال ﷺ: ان أنتم أقررتم بالاسلام، وإلّا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم!

وكان من أعضاء الوفد من بني الحرث من بني مالك: نمير بن خرشة، وسمّاه

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٦

ابن الأثير: تميم بن حرشة وروى عنه قال: إنه ﷺ قال لنا: اكتبوا ما بدا لكم ثم ائتوني به [فكتب لنا علي بن أبي طالب] فسألناه في كتابه أن يحلّ لنا الربا والزنا! فأبى علي عليه السلام أن يكتب لنا ذلك! فسألنا خالد بن سعيد بن العاص [فقبل ذلك] فقال له علي عليه السلام: تدري ما تكتب؟! قال: اكتب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره. [فكتب لنا] فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله، فقال للقارئ: اقرأ. فقرأ، فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب. فوضع يده عليها فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾[1] ثم محاها، وما رحمناه. فلما بلغ القارئ إلى الزنا قال: ضع يدي عليها. فوضع يده عليها، فقال: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[2] ثم محاها، وأمر بنسخ الكتاب[3] فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ رسول الله لثقيف، كتب: أنّ لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبيّ على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة: أنّ واديهم حرام محرّم كله: عضاهه[4] وصيده، وظلم فيه وسرق فيه أو إساءة. وثقيف أحق الناس بوجّ[5] ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاؤوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو

---

(١) البقرة: ٢٧٨.

(٢) الإسراء: ٣٢.

(٣) أسد الغابة، ترجمة تميم بن جراشة. وفي مغازي الواقدي: أن عبد ياليل قال له: إنه لا بدّ لنا من الخمر، فإنها عصير أعنابنا! فقال: فإن الله قد حرّمها ثم تلا: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾ من سورة المائدة ٢: ٩٦٧ هذا ولم تنزل المائدة بعد.

(٤) شجر ذات شوك.

(٥) الاسم القديم للطائف قبل أن يبنوا حوله حصنهم الطائف بهم فسمّي الطائف.

سواء بواديهم، لا يُحشرون ولا يُعشَّرون[1] ولا يستكرهون بمال ولا نفس، وهم أمة من المسلمين، يتولّجون من المسلمين حيث شاؤوا وأين تولّجوا ولجوا.

وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به حتى يفعلوا به ما شاؤوا.

وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أجله فإنه لِواطٌ (ربا) مبرّأ من الله، وما كان من دين في رهن وراء عُكاظ (بعقد سوقهم في شهر شوال) فإنه يقضى إلى عكاظ برأسه، ومن كان لثقيف من دين في صحفهم فإنه لهم. وما كان لثقيف من وديعة في الناس أو مال أو نفس غنمها مودعها أو أضاعها فإنها مؤدّاة، وما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال فإن له من الأمن ما لشاهدهم، وما كان لهم من مال في لِيّة (موضع) فإن له من الأمن ما لهم في وجّ (الطائف). وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسلم فإنّ له مثل قضية ثقيف.

وإن طعن طاعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم فإنه لا يُطاع فيهم في مال ولا نفس، وإن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنين، ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم. وإن السوق والبيع بأفنية البيوت، وإنه لا يُؤمَّر عليهم إلّا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم.

وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطره لمن سقاها، ومن كان لهم من دين في رهط لم يلط (يُربِ) فإن وجد أهله قضاءً قضوا، وإن لم يجدوا قضاءً فإنه إلى جمادى الأولى من عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه (استحقّه). وما كان لهم في الناس من دَين فليس عليهم إلّا رأسه.

---

(1) أي لا يُحشرون في الغزوات ولا يؤخذ منهم عُشر. قيل: سُئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن شارط ثقيف أن لا جهاد عليهم ولا صدقة؟ فقال: إنه ﷺ لم يعمل بشرط ما حتّم لثقيف وذلك أنه علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا. مكاتيب الرسول ١: ٢٦٥.

وما كان لهم من أسير فاعه ربّه (صاحبه) فإن له بيعه، وما لم يبع فإنّ فيه ست قلائص نصفين: حقاق (جمع حقة ما أكمل ثلاث سنين) وبنات لبون (ما أكمل الثانية من الابل) كرام سمان، ومن كان له بيع اعتد مبيع، فإن له بيعه»[1]

قال الواقدي: فلما كمل الصلح وكتب ذلك الكتاب خالد بن سعيد الأُموي، كلّموا النبي أن يدع لهم اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى، فما برحوا يسألونه سنة سنة حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم، وكانوا يظهرون أنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام فيسلموا من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، فأبى، فسألوه أن يعفيهم من هدمها، فقال: نعم، أنا أبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها، وتوسّعوا فاستعفوا أن يكسروا أصنامهم بأيديهم، فقال: أنا آمر أصحابي أن يكسروها. فسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه! فقالوا: يا محمّد، فسنؤتيكها وإن كانت دناءة![2] أما الصلاة فسنصلي وأما الصيام فسنصوم. وأسلموا وبايعوا وأمرهم رسول الله أن يصوموا ما بقي من الشهر، فكان بلال يأتيهم بفطرهم وسحورهم[3] وكان من قبل يرسل إليهم بالطعام مع خالد بن سعيد بن العاص الأموي، فلا يأكلون منه شيئاً حتى يأكل منه خالد (كذا) حتى أسلموا[4]

وكان خالد بن سعيد هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله حتى كتب كتابهم

(١) الأموال لأبي عبيد: ١٩٠ وانظر مكاتيب الرسول ١: ٢٦٣ ـ ٢٧٢

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٤، ١٨٥ ومغازي الواقدي ٢: ٩٦٨

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٨

(٤) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٧ والسيرة ٤: ١٨٤

لهم الكتاب[1] وهو «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد النبي رسول الله الى المؤمنين: إنّ عضاه وَجّ لا يُعضد[2] مَن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يُجلد وتُنزع ثيابه، فان تعدّى ذلك فانه يؤخذ فيُبلغ به إلى النبي محمّد، وان هذا أمر النبي محمّد رسول الله، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمّد بن عبد الله فلا يتعدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمّد رسول الله»[3] واستعمل رسول الله على حمى وجّ الطائف سعد بن ابي وقاص[4].

فلما أرادوا الخروج قالوا: يا رسول الله، أمّر علينا رجلاً منّا يؤمّنا، فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى فيه رسول الله من حرصه على الاسلام[5]. وروى ابن اسحاق بسنده عن عثمان قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله حين بعثني على ثقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة[6] فاذا صليت لنفسك فانت وذاك، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً. واستأذن الوفد النبي أن ينالوا من نسائهم فرخّص لهم[7].

وفد ثقيف الى الطائف:

ثم خرج الوفد الى الطائف، فلما قربوا قال لهم عبد ياليل: أنا أعلم الناس بثقيف، فاكتموهم القضية... وأخبروهم أن محمّداً سألنا أموراً عظمناها فأبينا

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٥.

(٢) عضاه: أشجار أشواك، وَجّ: من الطائف. يُعضد: يُقطع.

(٣) و (٤) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٧ ومغازي الواقدي ٢: ٩٧٣.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٨.

(٦) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٦.

(٧) مغازي الواقدي ٢: ٩٦٩.

عليه: سألنا تحريم الخمر والزنا، وأن نبطل أموالنا في الربا، وأن نهدم الربّة! فأبينا عليه. ولما دنوا منهم ورأوا ثقيفاً قد خرجت إليهم تغشّوا بثيابهم كمكروبين لم يرجعوا بخير، فلما رآهم أهلهم حزنوا، وقالوا: ما جاء وفدكم بخير!

ودخل الوفد فبدؤوا باللات على عادتهم، ثم رجعوا إلى أهاليهم

فأتى كلّ منهم رجال منهم وسألوهم: ماذا رجعتم به؟ فقالوا: جئناكم من عند رجل فظٍّ غليظ، يأخذ من أمره ما شاء، قد ظهر بالسيف وأدّوخ العرب ودان له الناس، ورُعبت منه بنو الأصفر في حصونهم، والناس فيه من راغب في دينه وخائف من سيفه! فعرض علينا أموراً شديدة أعظمناها فتركناه عليه: حرّم علينا الزنا والخمر والربا، وأن نهدم الربّة! فكرهت ذلك وأعظمته، ورأت أنه لم ينصفنا، فأصلحوا سلاحكم، ورمّوا حصونكم وانصبوا عليه العرّادات والمنجنيقات، وادّخروا طعام سنة أو سنتين فإنه لا يحاصركم أكثر من سنتين، واحفروا خندقاً من وراء حصنكم، وعاجلوا ذلك فإن أمره قد أظلّ لا نأمنه. فخوّفوهم بالحرب والقتال كما أمرهم عبد ياليل

فمكثوا يوماً أو يومين ثم عادوا إليهم وقالوا لهم: ما لنا به من طاقة قد دوّخ كل العرب، فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل وصالحوه، واكتبوا بينكم وبينه كتاباً قبل أن يسير إلينا أو يبعث بجيشه!

وقالوا لهم: فإنا قد قاضيناه وأعطانا ما أحببناه وشرط لنا ما أردنا، ووجدناه أتقى الناس وأبرّ الناس وأوصل الناس وأوفى الناس وأصدق الناس وأرحم الناس! ولما أبينا هدم الربّة تركنا منه وقال: أبعث من يهدمها!

فقال شيخ منهم: فذاك ـ والله ـ مصداق ما بيننا وبينه! إن قدر على هدمها فهو محقّ ونحن مُبطلون، وإن امتنعت...(1)

---

(1) مغازي الواقدي ٢ : ٩٧٠.

المغيرة يُغير على اللات:

مرّ الخبر عن أبي مُليح بن عروة وابن عمه قارب بن الأسود الثقفيّين، وأنهما بعد قتل عُروة بن مسعود لحقا بالمدينة فأسلما وبقيا في جوار المغيرة وأبي سفيان، واليوم حيث أمرهما رسول الله بهدم اللات في الطائف. وكان للّات أموال موقوفة من ذهب وفضة وعطر، وكان عليهما من أبويهما دين، فجاء أبو مُليح إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، إن أبي قُتل وعليه دين مثقال ذهب، فإن رأيت أن تقضيه من حُليّ الربّة فعلت! فقال رسول الله: نعم.

فقال ابن عمه قارب بن الأسود: وعن أبي الأسود بن مسعود، فإنه قد ترك ديناً مثل دين أخيه عروة. فقال رسول الله: إن الأسود مات وهو كافر. فقال قارب: إنما أنا المطلوب بالدّين فهو عليّ، وتصل به قرابة (يعني نفسه) فقال رسول الله: إذاً أفعل. فأمر أبا سفيان والمغيرة بن شعبة أن يقضيا دينهما(1).

وخرجوا وهم بضعة عشر رجلاً بعد الوفد بيومين أو ثلاثة(2) في أواخر شهر رمضان، فلما قربوا من الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدّم أبا سفيان فأبى أبو سفيان وأقام بماله بذي الهدم، وذي هرم بقرب الطائف. وتقدّم المغيرة ومعه بضعة عشر رجلاً فدخلوا الطائف عشاءً، فباتوا، ثم غدوا صباحاً لهدم اللات. وجاء قوم المغيرة بنو معتّب من الأحلاف حاملين سلاحهم يخافون أن يصاب كما أُصيب عروة عمّه. وانكشف رجالهم وخرجت نساؤهم والأبكار والصبيان يبكون على اللات! فأخذ المغيرة المعول وقام على رأس اللات وضربها ضربة [illegible] ثم قال: يا معشر ثقيف! كانت العرب تقول: ما حيّ من أحياء العرب أعقل من ثقيف! وأن

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ٩٧١.

(2) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٧.

اليوم أقول: ما حيٌّ من أحياء العرب أحمق منكم! ويحكم، وما اللات والعزّى وما الربّة؟! حجر مثل هذا الحجر لا يدري مَن عبده ومن لم يعبده! ويحكم أتسمع اللات أو تبصر؟! أو تنفع أو تضر؟!

ثم هدمها، وهدمها من معه، فجعل السادن يقول: سترون إذا انتهى إلى أساسها فإنها تغضب غضباً يخسف بهم!

فولّى المغيرة حفر الأساس، وكانت خزانتها فيه، فحفر نصف قامة حتى بلغ الخزانة فأخذوا ما فيها من كسوة وحلية من ذهب وفضة[1] وحضر أبو سفيان ذلك فسأله المغيرة الأموال له وقال له: إنّ رسول الله قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دَينهما، فقضى عنهما[2].

سنة الوفود:

جاءه ﷺ نصر ربّه بفتح بيته الحرام مكة له في السنة الثامنة، فأقبل الناس المتربّصون والمترصّدون والمتردّدون يدخلون في دينه أفواجاً في السنة التاسعة ولذلك سمّيت «سنة الوفود».

قال اليعقوبي: وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيل زعيم يتقدمهم ثم عدّ ٢٨ قبيلاً[3] وكأنه عدّ الوفود بلا تقييد بعام التسع بل أعم منه، فقد عدّ منهم مُزينة وعميدهم خزاعي بن عبد نهم أتى صنمهم وهو حاجبه، ومعه عشرة رهط من قومه[4] وقيل: بل أربعمئة رجل منهم، وكان وفودهم في شهر رجب سنة خمس

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٧٢

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ١٨٧

(٣) اليعقوبي ٢: ٧٨

(٤) أُسد الغابة ٢: ١١٣ والإصابة برقم ٢٢٥٤

للهجرة [1] وقد مرّ خبر حضورهم بألف رجل في فتح مكة ثم غزوة حنين ثم تبوك.

وذكر اليعقوبي بني سُليم والزعم وقيس بن قُمامة، وبني شيبان وأصاب اسم رئيسهم قبيص في الصحابة. وبنو سليم ذكروا في من حضر فتح مكة، وكتب لهم كتاباً [2] وبنو شيبان ذكروا في من كتب لهم كتاباً بعد حنين أيضاً [3].

وثمانية من قبائلهم كان وفودهم في العاشرة، كما سيأتي.

وانما بقي زهاء نصف العدد (٢٨) لسنة التاسعة، ذُكر تاريخ وفود بعضهم نصاً أو تعريضاً فذكرناهم كذلك، والمناسب أن نذكر هنا ما بقي منهم.

فمنهم: بنو أسد بن خزيمة بزعامة ضرار بن الأزور، قال كحالة: مبدأ تاريخهم في الاسلام قدوم وفدهم الى النبي لسنة التاسعة، في عشرة رهط، تقدم ناطقهم فقال: يا رسول الله إنا نشهد أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك ولم تبعث إلينا بعثاً. وكانوا عند قيام الاسلام بالحجاز في حوالي حمى أجأ وسلمى مشتركين مع بعض أحياء مضر وطيء، وكانوا يعبدون عُطارد [4].

ومنهم بنو أسلم بزعامة بُريدة الأسلمي. وفي مكاتيب الرسول ﷺ كتاب لهم فيه الزكاة، مما يدل على أنه كان في التاسعة، جاء فيه: «لأسلم من خُزاعة، لمن آمن منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وناصح في دين الله، أن لهم النصر على من دهمهم بظلم، وعليهم نصر النبي إذا دعاهم، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم، وأنهم مهاجرون حيث كانوا. وكتب العلاء بن الحضرمي وشهد» [5]

---

(١) أسد الغابة ١: ٢٠٥ بترجمة بلال المزني.

(٢) انظر مكاتيب الرسول ٢: ٤٤٦ ـ ٤٥٤.

(٣) انظر مكاتيب الرسول ١: ١٦٦، ١٦٧.

(٤) معجم القبائل: ٢١ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٤٧.

(٥) الطبقات الكبرى ١: ٢٧٠ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٤٣.

ومنهم: بنو باهلة بزعامة مُطَرِّف بن الكاهن الباهلي[1] ولم نجد لهم ذكراً.

ومنهم: بنو بكر بزعامة عدي بن شراحيل[2] كذلك.

ومنهم: بنو بجيلة، بزعامة قيس بن غربة[3] كذلك أيضاً.

ومرّ خبر وفد ملوك حمير اليمن بإسلامهم.

ومنهم: وفد حضرموت ثم ومنهم بنو مهرة، وسيأتي خبرهم في العاشرة.

ومرّ خبر وفد خثعم بزعامة عُميس بن عمرو بعد غزوهم في شهر صفر من هذه السنة التاسعة، وكتب لهم كتاباً باسم الحارث بن عبد شمس أباح فيه لهم ديارهم وأمّنهم على دمائهم وأموالهم[4] ومنهم من كان في جُرَش اليمن، وغزوهم في العاشرة فوفدوا بعدها، وسيأتي خبرهم إن شاء الله تعالى.

وفد بني عامر:

مرّ في أخبار السنة الرابعة: إرساله ﷺ من أصحابه عشرين أو أربعين أو سبعين رجلاً بكتاب مع حرام بن ملحان إلى بني عامر في نجد، وأن عامر بن الطفيل قتل حراماً حامل الكتاب، ثم حاصروهم فقتلوهم! وكان يقول: والله لقد آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي! أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش!

واليوم وبعد خمس سنين وقد أسلم الناس، قال له قومه: يا عامر، ألا تسلم، فإن الناس قد أسلموا! ثم اجتمعوا ووفدوا إلى النبي ﷺ فلما قدموا عليه قال له عامر بن الطُفيل: يا محمد، خالني (أي: خلّ بي وحدي) قال: لا والله، حتى تؤمن بالله

---

(١) اليعقوبي ٢: ٧٩، ٨٠.

(٢) و(٣) اليعقوبي ٢: ٧٩.

(٤) مكاتيب الرسول ١: ٤١.

وحده! فكرّر القول: يا محمد، خالني، وأخذ ينظر إلى أربد بن قيس أخي لبيد بن ربيعة لأمّه، كأنه ينتظر منه شيئاً أمره به، وأربد لا يفعل شيئاً، ورسول الله يقول: لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له! فقام عامر وولى وقال: أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً! فقال النبي: اللهم اكفني عامر بن الطفيل[1] اللهم أسعي بهما فارسي العرب[2].

ولما خرجوا من عنده ﷺ قال عامر لأربد: والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً فأين ما كنت أمرتك به؟! قال أربد: لا أباً لك! لا تعجل عليّ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟!.

وقال له قومه: يا عامر، أسلم فقد أسلم الناس! فقال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي! أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟!

فخرجوا راجعين إلى بلادهم كما كانوا مشركين. وفي الطريق ظهرت في عنقه غدّة كغدّة الطاعون بالعراق فدخل إلى خباء امرأة من بني سلول وهو يختبرها ويقول: يا بني عامر! أغدّة كغدّة الابل وموتاً في بيت سلولية؟! حتى مات ودفنوه. وانما بقي من رؤسائهم أربد، فلما وصلوا إلى أهلهم أتوهم وقالوا لأربد: ما وراءك يا أربد؟! فقال أربد: دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله! وخرج بعد ذلك بيوم أو يومين على جمل له فأصابته صاعقة فأحرقتهما[3].

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢١٣، ٢١٤.

(٢) أعلام الورى ١: ٢٥١.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢١٥.

وفد طيء وفرسانهم (١)

وحيث دعا ﷺ: «اللهم ائتني بهما فارسي العرب» ندبه الله عن وفد بني عامر بوفد بني طيء، وعن فارسي بني عامر بفارسي طيء: عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل، فلما أسلم غيّر النبي اسمه الى زيد الخير وأقطعه أرضين فيد وكتب له بذلك كتاباً(٢) وعدّ ابن سعد مع الطائيين بني معن وبني معاوية بن جرول الطائيين أيضاً، وروى لهم كتابين منه ﷺ فيهما الزكاة، فهما في التاسعة. اما لبني معن فهو: «إن لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم وغدوة الغنم من ورائها مُبيّتة(٣) ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وفارقوا المشركين وأشهدوا على اسلامهم وأمنوا السبل. وكتب العلاء وشهد»(٤)

و: «لبني معاوية بن جرول الطائيين: لمن أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغانم خمس الله وسهم النبيّ وفارق المشركين، وأشهد على إسلامه انه آمن بأمان الله ورسوله، وان لهم ما أسلموا عليه والغنم مُبيّتة. وكتب الزبير بن العوام ﷺ»

وفد بني عُكل وبني زهير (٥)

ومنهم وفد بني عُكل وهم بنو عوف بن وائل من قريتهم الشيقر والشقراء جوانب جبلي طيّ وسمي بغور طيّ، برعاية خُزيمة بن عاصم العُكلي منهم

---

(١) مرّ خبر وفود عديّ سابقاً.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٢٤.

(٣) أي مع مسافة ما تمشي الغنم من الغداة الى الليل ثم تبيت هناك.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٢٦٩ ومكاتيب الرسول ٢: ٣٤٠.

(٥) اليعقوبي ٢: ٧٩.

حاضنتهم. وفد على النبي ﷺ بإسلام قومه فمسح النبي على وجهه فما زال نضراً، واستعمله ساعياً جابياً للزكاة فيهم بكتاب كتبه له فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله لخزيمة بن عاصم: إني بعثتك ساعياً على قومك، فلا يُظلموا ولا يضاموا»[1].

ومن بني عُكل بنو زُهير، ووافدهم النمر بن التولب بن زهير بن أُقيش، وفد عليه ﷺ ومدحه بشعر أوّله:

إنّا أتيناك وقد طال السفر ... نطعم اللحم إذا عزّ الشجر[2]

وروى ابن سعد عن ابن الشخير قال: كنا في سوق الإبل بالمربد إذ جاء أعرابي ومعه قطعة أديم فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلت: نعم، فقدّم لي الأديم لأقرأه له، فأخذت فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد النبي لبني زهير بن أقيش حيّ من عُكل[3]: سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعد: إن شهدتم أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من المغانم الخمس وسهم النبيّ والصفيّ، فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله»[4].

ورواه ابن الأثير وروى أيضاً: أن الحارث بن زهير بن أقيش العكلي وفد إليه واستكتبه لقومه فكتب له مثل هذا الكتاب[5].

---

(١) أسد الغابة ١: ١١٦ والإصابة ١ برقم ٢٢٦٠ وانظر مكاتيب الرسول ١: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) أسد الغابة ٥: ٣٩ والإصابة ٣ برقم ٨٨٠٤.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ٢٧٩.

(٤) كنز العمال ٢: ٢٧١ عن مصادر كثيرة، وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٣٧، ٣٣٩.

(٥) أسد الغابة ١: ٣٢٨ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٣٦٢.

وفد بني عُليم:

ومنهم بنو عُليم من كنانة كلب بدومة الجندل بزعامة قطن بن حارثة وأخيه أنس(1) أو أسد(2) وكانوا يعبدون وَدّاً ثم دخلوا النصرانية ثم الإسلام. فقدم قطن وأنشأ يقول شعراً:

رأيتك يا خير البرية كلها ... نبتَّ نضاراً في الأرومة من كعب

أغرّ كأن البدر سنة وجهه ... إذا ما بدا للناس في حُلل العصب

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... ودنت اليتامى في السغاب وفي الجدب

وتكلّم بكلام فصيح غريب الألفاظ وسأل النبي الدعاء لقومه بالاستسقاء، فدعا لهم النبي وقال لهم خيراً. واستكتبه فأمر ثابت بن قيس أن يكتب لهم كتاباً جاء فيه: «كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها، ومن ظأره الإسلام من غيرها، مع قطن بن حارثة العُليمي بإقامة الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها، عليهم في [الثانية] الحمولة (المهملة) الراعية البساط (ترعى في بساط الأرض) الظؤار (المرضعة) في كل خمسين، ناقة غير ذات عوار. والحمولة المائرة (التي تحمل الميرة) لاغية (لا زكاة فيها). وفي الشوي (الشياه) الوَرّي (التي لها لية وراءها فهي سمينة) مُسنّة (لها سنتان فأكثر) حامل أو حائل. وفي ما سقى الجدول من العين المعين: العشر من ثمرها مما أخرجت أرضها. وفي العذي (ما يسقيه الماء بعروقه من النخل) شطره (نصفه = نصف عشره)، بقيمة الأمين، فلا يزاد عليهم وظيفة، ولا يُفرّق [بين المال لإخراجه من الزكاة] يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله. فحضر من شهود المسلمين: سعد بن عبادة

---

(1) اليعقوبي ٢ : ٧٩

(2) أسد الغابة ١ : ٦٩ و ٤ : ٢٠٧

وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي. وكتب ثابت بن قيس بن شماس».

وبنو عليم بطن من بني جناب من كلب، وجاءه بنو جناب فكتب لهم:

«هذا كتاب من محمّد النبيّ رسول الله لبني جناب وأحلافهم ومن ظاهرهم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والتمسك بالإيمان، والوفاء بالعهد، وعليهم في [السارحة] الهامنة الراعية في كل خمس شاة غير ذات عوار، والحمولة المائرة (التي تحمل الميرة) لاغية (لا زكاة فيها)، والسقيّ الروّاء (النخل الذي تسقى بماء السماء) والعذيّ من الأرض (النخل الذي يستعذب بعروقه) بقيمة الأمين، وظيفة لا يزاد عليهم. شهد سعد بن عبادة، وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي»[2].

وفد بني نهد من اليمن:

ومنهم بنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصعصع[3] وقيل: طهفة بن زهير أو زهير، ذكره ابن الأثير كذلك في موارد عديدة من «النهاية» ولكنه ضبطه في «أسد الغابة» عن أبي نعيم وابن منده: طهفة. وقال: وفد إليه ﷺ في سنة تسع مع بني نهد بن زيد من اليمن، وهم فيما يبدو كانوا يتكلمون بألفاظ وحشية غريبة لا يعرفها أكثر العرب... فقام وقال:

أتيناك من غوري تهامة بأكوار الميس (خشب صلب يصنع منه أكوار البعير) ترغي بنا العيس (النوق البيض شعره بشقرة) نستحلب الصبير (السحاب الأبيض

---

(1) مكاتيب الرسول ٢: ٤١٧ ـ ٤٢٢ بتصرّف يسير، وفي ٢: ٣٩٢ كتاب آخر لطوائف كلب من أهل دومة الجندل مع حارثة بن قطن وحمل بن قطن قد مرّ فعاد به وسيكتب من بعد.

(2) الطبقات الكبرى ١: ٢٨٥، انظر مكاتيب الرسول ٢: ٤٢٢.

(3) اليعقوبي ٢: ٧٩.

الرقيق، ونستخلب الخبير (نقطع بالمخلب النبات)، ونستخيل الرهام (نتخيل المطر الرقيق) ونستجيل الجهام (نتخيل جولان السحاب) من أرض غائلة النطاء (بعيدة مخيّلة الغول) غليظة الوطاء (خشنة الموطئ)، قد نشف المدهن (نقرة الماء في الجبل)، ويبس الجُعثن (أصل النبات) وسقط الأُملوج (النبات لوائح جديدة)، ومات العُسلوج (الغصن الطري)، وهلك الهدي (ما يُهدى مما يرعى)، ومات الودي (النخل في الوادي).

برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن (ما يعترض من شك)، وما يُحدث الزمن، لنا دعوة السلام وشرائع الإسلام، ما طمى البحر (ماج)، وقام تعار (جبل).

لنا نَعَم همل (مهملة) أغفال ما تبلّ (معقول عنها ما تُروى) ووقير كثير الرسل (قطيع كثيراً ما تُرسل وتُرعى)، قليل الرِّسل (اللبن) أصابتها سُنية (قحط) حمراء مؤزلة (ممتة مُزيلة)، فليس لها علَل ولا نَهَل (شرب أولي ولا ثاني).

فدعا لهم بمثل مقالهم: «اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها (اللبن المحض والممخوض للزبد والممزوج بالماء)، وابعث راعيها في الدثر، وبيانع الثمر، وافجر له الثمد (كثّر الماء القليل)، وبارك له في المال والولد. ثم قال: من أقام الصلاة كان مسلماً، ومن آتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلّا الله كان مخلصاً. لكم يا بني نهد ودائع الشرك (عهوده ومواثيقه) لا تُلطّط في الزكاة (تمنع)، ولا تُلحد في الحياة، ولا تتثاقل في الصلاة».

ثم كتب لهم كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد: السلام على من آمن بالله ورسوله. لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة (متروك لكم في وظيفة الزكاة المسنة أو الفتية أو الشاة المسنّة الهرمة)، ولكم الفارض (المريض) والفريش (الوالدة حديثاً)، وذو العنان الركوب (المركوب

الجيد) والعفو (الذي فيه من الطعام حديثاً) الضَّبيس (الصعب المراس)، لا يُجمع سرحكم، ولا يُعضد طلحكم (لا تُقطع شجركم) ولا يُحبس درّكم، مالم تُضمروا الإماق (النفاق)، وتأكلوا الرباق (تنقضوا الميثاق)، فمن أقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى فعليه الرّبوة» (الزيادة)[1].

ويبدو أنهم من أوائل قبائل اليمن لحوقاً بالإسلام، ولعلّه لعلمهم بما أفاض الله عليه ﷺ من الماء في طريق تبوك استجابة لدعائه بالاستسقاء من ربّ السماء مكرّراً. فاندفعوا لينالوا من ذلك شيئاً ينفعهم، ولم يُعفهم من فريضة الزكاة، ولكنه خفّفها عنهم.

أما سائر أهل اليمن وحضرموت ومُهرة وزبيد ومراد ونجران وهمدان فيبدو أنه امتد بهم الأمر الى العام العاشر للهجرة، كما سيأتي إن شاء الله. وإن كان أبناء فارس في صنعاء وعدن قد سبقوهم بنحو عامين من الزمن كما مرّ خبرهم.

مرض ابن أُبي ووفاته:

مرّ في خبر كعب بن مالك عنه وعن صاحبيه مُرارة بن الربيع وهلال بن أُمية أنهم ظلّوا على مقاطعتهم تلك متوقّعين قبول توبتهم خمسين ليلة[2] بدءاً من وصول الرسول ﷺ الى المدينة ولكن قال الواقدي عنه انه كان في شهر رمضان كما مرّ. ويظهر لي ـ من مقارنة تاريخ بعض الحوادث التالية ـ أن ذلك كان في أواخر شهر رمضان ولعلّه في الخامس والعشرين منه وعليه فلا تنتهي الخمسون ليلة إلّا في منتصف ذي القعدة تقريباً.

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٦٦ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٤٣٧ ـ ٤٤٤.

(٢) التبيان ٥: ١٩٧ وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٥ وابن اسحاق في السيرة ٤: ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣.

وقالوا: مرض عبد اللّه بن أُبي في ليال بقين من شوّال، ومرض عشرين ليلة، وحضره الموت في ذي القعدة (أي مترمناً مع نزول سورة التوبة بتوبة الثلاثة).

وعاده النبي قبل موته، فقال له ابن أُبي: يا رسول اللّه، هو الموت، فإن متُّ فاحضر غُسلي، واعطني قميصك أكفّن فيه! وكان عليه ﷺ قميصان فأعطاه الأعلى، فقال ابن أُبي: بل الذي يلي جلدك! فنزع قميصه الذي يلي جلده فأعطاه. فقال: ثم صلّ عليّ واستغفر لي![1]

وكأنه بهذا أراد أن يبعد عن نفسه صفة النفاق في سورة المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[2] ولم يكن ﷺ منهياً عن الاستغفار لهم يومئذٍ، وإنما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[3]

وذهب القمي في تفسيره إلى أن عبد اللّه بن عبد اللّه بن أُبي لما رأى أباه يجود بنفسه جاء إلى رسول اللّه ـ وكان مؤمناً ـ فقال: يا رسول اللّه، بأبي أنت وأمي، إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا. فقام إليه رسول اللّه حتى دخل عليه وعنده المنافقون، فقال ابنه: يا رسول اللّه، استغفر له، فاستغفر له. فلما مات أبوه جاء ابنه إلى رسول اللّه فقال: يا رسول اللّه، بأبي أنت وأمي، إن رأيت أن تحضر جنازته! فقام إليه رسول اللّه وحضره (وصلّى عليه) وقام على قبره[4] بل روى العياشي في تفسيره عن الباقر عليه السلام: أنه لما توفي عبد اللّه بن أُبي أرسل النبي إلى ابنه

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٥٧

(٢) المنافقون: ٤ والميزان ١٩: ٣٥٥

(٣) المنافقون: ٥ والميزان ١٩: ٣٥٥

(٤) تفسير القمي ١: ٣٠٢

عبد الله قال: إذا فرغت من أمرك فأعلمني(1) أو قال: إذا أردتم أن تخرجوه فأعلموني، فلما حضر أمره أرسلوا إلى النبي فأقبل نحوهم، حتى أخذ بيد ابنه فمضى خلف الجنازة... ثم قال: إن ابنه رجل من المؤمنين وكان يحق علينا أداء حقه(2).

فروى الطوسي في «التبيان» عن قتادة عن ابن عباس عن جابر وابن عمر: أن رسول الله ألبس قميصه لابن أُبي بن سلول وصلى عليه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين(3) بنزول سورة التوبة.

وعنه في «مجمع البيان» ورد عن الزجاج قال: قيل لرسول الله: لم وجّهت إليه بقميصك يكفّن فيه وهو كافر؟

فقال ﷺ: إن قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً، وإني أُؤمّل من الله أن يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير!

فروي أن نحواً من ألف من منافقي الخزرج لما رأوا [illegible] من أُبي بطلب الاستشفاء أو الاستشفاع بثوب رسول الله آمنوا أو أسلموا(4).

ومن غير المعقول القول بنزول سورة التوبة قبل هذا بآياتها ١٢٩ وفي أوائل ثلثها الأخير الآية ٨٤: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وكيف يستقيم ويصح أن يخالف النبي ﷺ صريح نصّ الآية استمالة لقلوب المنافقين ومداهنة لهم؟! وإن كان ذلك سبباً لدعوتهم إلى الإسلام(5).

---

(1) و(2) تفسير العياشي ٢: ١٠١.

(3) التبيان ٥: ٢٦٨ و٢٧١ ومثله في مجمع البيان ٥: ٨٤.

(4) مجمع البيان ٥: ٨٧.

(5) الميزان ١٩: ٣٦٧ وانظر مقال السيد مرتضى مرتضى في مجلة الهادي ع ٢ من السنة ٦ ومقال السيد جعفر مرتضى: التكبير على الميت في كتابه دراسات وبحوث ١: ٢٤٢، ط ١.

نزول سورة التوبة وأغراضها.

معظمها يرجع إلى قتال المشركين، ثم الاحتجاج على المنافقين، فأوّلها آيات تؤذن بالبراءة من عهود المشركين وقتالهم، وأهل الكتاب، ثم آيات في الاستنهاض للقتال وحال المتخلّفين، وولاية الكفار، والزكاة، وغير ذلك.

والآيات تُنبئ عن أن المنافقين كانوا جماعة ذوي عدد في قوله سبحانه: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٦٦) وأنه كان لهم بعض الاتصال والتوافق مع جماعة آخرين منهم في قوله سبحانه: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (٦٧) وأنهم كانوا على ظاهر الإسلام والإيمان حتى اليوم وإنما تفوّهوا يومئذٍ، أي تفوّهوا بكلمة الكفر فيما بينهم وأسرّوا بها في قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٦٦) وأنهم تواطؤوا على أمر دبّروه فيما بينهم فأظهروا عند ذلك كلمة الكفر وهمّوا بأمر عظيم، فحال الله بينهم وبينه فخابت مساعيهم ولم يؤثر كيدهم في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ (٧٤) وأنه ظهر مما همّوا به بعض ما استُدلّ عليه من الآثار والقرائن، فسئلوا عن ذلك، فاعتذروا بأنه كان منهم مزحاً ولعباً في قوله سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ والآيات التالية لهذه الآيات في سياق متصل منسجم، تدل على أن هذه الواقعة إنما كانت فقد وقعت بعد خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ولمّا يرجع إلى المدينة.

فيتلخّص من الآيات أن جماعة ممن خرج مع النبي تواطؤوا على أن يمكروا به ﷺ، وأسرّوا عند ذلك فيما بينهم بكلمات كفروا بها بعد إسلامهم، ثم همّوا أن يفعلوا ما اتفقوا عليه بقتله أو نحوه، فأبطل الله كيدهم وفضحهم وكشف عنهم،

---

(١) الميزان ٩: ١٤٦.

فلما سُئلوا عن ذلك قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فعاتبهم الله بلسان رسوله بأنه استهزاء بالله وآياته ورسوله، وهدّدهم بالعذاب ان لم يتوبوا وأمر نبيّه أن يجاهدهم.

فالآيات ـ كما ترى ـ أوضح انطباقاً على حديث العقبة من سائر أخبار أسباب النزول[1].

كذا جاء في «الميزان» للطباطبائي، وقد مرّ خبر العقبة وكان من آخر أخبار منازل منصرفه ﷺ من تبوك الى المدينة، وعليه فالسورة بما فيها الآيات المشيرة الى مؤامرة العقبة اما أعقبتها ولم تتقدّمها فمتى كان ذلك؟

وهنا قال الطباطبائي: ولمّا يرجع الى المدينة، واستند لذلك الى آيتين من السورة: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: ٨٣ و: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: ٩٥ وكرّر ذلك في الآية الاولى فقال: فيها دلالة على ان هذه الآية وما في سياقها المتصل من الآيات السابقة واللاحقة نزلت ورسول الله في سفره الى تبوك ولما يرجع الى المدينة[2] وقال: ان سياق الآيات ـ ومنها قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾: ٨٤ صريح في أنها نزلت والنبي في سفره الى تبوك ولما يرجع الى المدينة، وذلك في سنة ثمان (كذا) وقد وقع موت عبد الله بن أُبي بالمدينة سنة تسع من الهجرة[3] وعليه فنزول السورة أو هذه الآيات منها هو السابق وموت ابن أُبي هو اللاحق، وعمدة مستنده دلالة تلك الآيات السابقة الثلاث: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: ٨٣ و: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: ٩٤ و: ﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: ٩٥.

---

(١) الميزان ٩: ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) الميزان ٩: ٣٦٠.

(٣) الميزان ٩: ٣٦٧.

وبعد هذه الآيات الثلاث ثلاث آيات أخرى ظاهرة في حكاية حوادث حرب بعد تبوك الأولى: قوله سبحانه: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ ١٠٢ ومردها إلى الأعراب غير المنافقين[1] ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ١٠٦ وأشار في تفسيرها إلى أخبار أسباب النزول بأنها نزلت بشأن الثلاثة الذين خلّفوا ثم تابوا[2] و﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...﴾ ١١٧ و١١٨ وقال: إن السياق فيهما يدل على أنهما مسوقتان لغرض واحد متصلتان كلاماً واحداً.. وذلك يستدعي نزولهما معاً[3] ثم لم يبيّن النسبة والسياق بين هذه الآيات الثلاث الظاهرة في النزول بعد هذه الحوادث وبين تلك الآيات الثلاث التي قال بنزولها بعد العقبة وقبل الوصول إلى المدينة. وواضح أن لازم الأمرين القول بالفصل بين النزولين، ولعله لما نقله عن «مجمع البيان»: بقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله ويتوبون إليه، فقبل الله توبتهم وأنزل فيهم الآية[4] ثم لم يعلّق عليه بشيء.

واختار الطباطبائي اتصال الآيات التي جزم بنزولها بعد العقبة وقبل المدينة إلى آخر الآية ١٠٦، وفصل عنها ما بعدها من آيات الأعراب ٩٧ إلى الآية ١٠٦ ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ والتي احتمل نزولها بشأن الثلاثة المخلّفين كما في أخبار أسباب النزول. ثم تلتها آيات مسجد الضرار من ١٠٧ حتى ١١٠، ثم الآيات من ١١١ حتى ١٢٢ في الإيمان مرتبطتان في التوبة على الثلاثة

---

(١) الميزان ٩: ٣٧٦.

(٢) الميزان ٩: ٣٨١.

(٣) الميزان ٩: ٣٩٩.

(٤) الميزان ٩: ٤٠٨ عن مجمع البيان ٥: ١٠٥ عن التبيان ٥: ١١٧ عن مجاهد وقتادة.

المتخلّفين ١١٧ و١١٨، وعليه فالفصل الحسن بين رحلاتهم وقبول توبتهم من قبل آيات مسجد الضرار أو بعدها.

وقال: لا تكاد تجتمع الروايات المنقولة على كمية شأن ما اختصّ علي عليه‌السلام بتأديته من آيات البراءة من عهود المشركين. فمنها ما يدلّ على ان الآيات كانت تسعاً، واخرى عشراً، واخرى ست عشرة، واخرى ثلاثين، واخرى ثلاثاً وثلاثين، واخرى سبعاً وثلاثين، واخرى أربعين[1] ثم لم يقل متى نزلت هذه؟ فهل نزلت كما بعدها بعد العقبة وقبل المدينة؟ أي قبل آخر شهر رمضان كما مرّ، وتركت حتى منتصف ذي القعدة بعد موت ابن أُبي؟ فظاهر أخبارها عدم الفصل المعتد به بين نزولها وإرسالها مع أبي بكر اولاً ثم مع علي عليه‌السلام ثانياً الى موسم الحج كما سبق.

ولهذا رجّحنا خبر الثعلبي في تفسيره بنزول السورة مرة واحدة[2] يومئذٍ.

اما الآية ٩٤: ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ فقد قال الطوسي في تفسيرها: أخبر الله تعالى ان هؤلاء القوم... اذا عاد النبي والمؤمنون كانوا يجيئون اليهم معتذرين عن تأخرهم[3] فهو يقول: كانوا يجيئون فكأنّه اخبر عن الماضي وليس المضارع.

في الآية ٨٣: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ﴾ ردّك. والرجوع: مصير الشيء الى المكان الذي كان فيه، وبمعنى المصير الى الحالة التي كان عليها[4].

---

(١) الميزان ٩: ١٧٥ وفي التبيان ٥: ٢٢٤ عن أبي الضحى قال: ان أول ما نزل من سورة براءة قوله سبحانه: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ٤١ فالأربعون الأولى نزلت فيما بعد البراءة. وفيه عن مجاهد قال: ان اول ما نزل منها: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾: ٢٥ فما قبلها نزلت بعدها للبراءة ولم يروهما الطبرسي في مجمع البيان.

(٢) مجمع البيان ٥: ٤

(٣) التبيان ٥: ٢٨١

(٤) التبيان ٥: ٢٧٠

والآية إنّما هي إعداد له ﷺ فيما إذا تكرّر الاستئذان للخروج إلى غزوة أخرى. ويعبّر رأي هؤلاء المنافقين المتخلفين فجاؤوا يستأذنونه لا للقعود عنه بل للخروج معه، فعليه أن يقول لهم: إنكم رضيتم بالقعود في المرّة السابقة لغزوة تبوك، فكذلك كونوا في كل غزوة من القاعدين ولا تخرجوا ولا تقاتلوا. وعليه فالمعنى: فإن أعاد الله بك حالتك هذه التي حصلت مع هؤلاء المنافقين المتخلّفين في هذه المرة لهذه الغزوة، مرة أخرى لغزوة أخرى مع طائفة من هؤلاء فقل... وليس يعني رجوعه من تبوك إلى المدينة، وإلّا فرجوعه إلى المدينة وذهابه كلهم وليس إلى طائفة منهم، فما معنى هذا؟ ويبدو أن نأخذ الرجوع بمعنى عودة الحالة وإنّما بمعنى العودة إلى المدينة فما معنى يستأذنونه للخروج؟ فالخروج لماذا؟ فيبدو افتراض رجوع الحالة مرة أخرى.

* * *

ثمّ زعم الطباطبائي أن الروايات المنقولة لا تكاد تجتمع على كلمة فيما اختص علي عليه السلام بتأديته من آيات البراءة عن عهود المشركين، فمنها ما يدلّ على أن الآيات كانت تسعاً، وأخرى عشراً، وأخرى ست عشرة... فدلّ هذا على أن المختار هو الفصل الأول من آيات السورة لتفسيره ست عشرة آية، وقال في توجيه فصلها عمّا يليها: إن اتصالها بما بعدها ليس واضحاً بل هو لا يخلو من تكلّف.

وعلى أي حال، فحيث إن بعث النبي وصيّه ﷺ بآيات البراءة كان من آخر ما حدث من شؤون السورة بعد سائر الحوادث، في أيام موسم الحج، فنحن نؤجل نقل ذلك إلى هناك. وكثير من أخبار أسباب نزول كثير من آي السورة من حوادث الغزوة نقلناه حسب تسلسل الحوادث، وإنما نبقي هنا ما تبقى منها من غير حوادث الغزوة ولعلّها حدثت بعدها وقبل نزول السورة.

---

(١) حزيران ١٩٩٩

العباس يفاخر علياً عليه السلام.

لم أجد فيما بأيدينا شأناً خاصاً للآيتين ١٧ و١٨ : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ وكأنهما تمهد لخلع يد المشركين عن المسجد الحرام، وكذلك تناسبان ما يليهما ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ : ١٩ حتى آخر الآية ٢٢.

مرّ في أخبار فتح مكة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل الى عثمان بن أبي شيبة من بني عبد الدار فأخذ منه مفاتيح الكعبة ثم ردّها إليه وهذا يعده كأنه ضمن من استنفرهم النبي من أهل مكة فجاؤوه ومنهم عمه العباس.

فروى العياشي في تفسيره عن الصادق عن علي عليه السلام قال: كنت أنا والعباس وعثمان بن أبي شيبة في [ذكر] المسجد الحرام، فقال عثمان بن أبي شيبة: إن رسول الله أعطاني الخزانة ـ يعني مفاتيح الكعبة ـ وقال العباس: إن رسول الله أعطاني السقاية ـ وهي زمزم ـ ولم يعطك شيئاً يا علي!؟[1]

ورواه القمي في تفسيره عن الباقر عليه السلام قال: وقال علي عليه السلام: أنا أفضل فإني آمنت قبلكما ثم هاجرت وجاهدت فرضوا برسول الله حكماً، فأنزل الله الآية[2].

---

(١) تفسير العياشي ٢ : ٨٣.

(٢) تفسير القمي ١ : ٢٨٤ وفي خبر آخر في تفسير العياشي قال: فكان علي وحمزة وجعفر الذين آمنوا وجاهدوا. ومن هنا كأنه أخطأ راويه فذكر حمزة في المفاخرة وهو شهيد في أحد في الثالثة للهجرة، وجعفر أيضاً شهيد في مؤتة قبل هذا.

وانظر التبيان ٥ : ١٩٠ ومجمع البيان ٥ : ٢٣ وجامع البيان ١٠ : ٩٤ وشرح الأخبار للقاضي المصري ١ : ٣٢٤ وأسباب النزول للواحدي ١٩٩.

وعالجت الآية ٢٨ فأضافت إلى منع المشركين عن عمارة المسجد الحرام منعهم من الاقتراب منه، ودفعت توهم المسلمين انقطاع المتاجر بمنع المشركين فقالت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وفي الآيتين ٣٦ و ٣٧ قرّر الأشهر الحرم الأربع وحرّم النسيء فيها، ومن الآية ٣٨ يبدأ الحديث عن غزوة تبوك.

وفي الآية ٤٨ ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ إشارة إلى يوم أحد حين رجع عبد الله بن أبي بأصحابه وخذل رسول الله، وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا[2].

وفي الآية التالية ٤٩: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي... ﴾ إشارة إلى ما مرّ من ترغيب النبي ﷺ لأبي وهب الجدّ بن قيس من بني سلمة في الخروج إلى تبوك وجوابه[3].

وفي الآية ٥٨ إشارة إلى ما بدأه ﷺ مع بدايات السنة التاسعة من بعث جباة الصدقات أي الزكوات ونقد بعض المنافقين لكيفية توزيعه لها ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ذكر الطوسي: ثعلبة بن حاطب، كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء[4]. ودفعاً لهذا أو تقليلاً لمثله عيّنت الآية التالية مصارف الصدقات ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

---

(١) التبيان ٥: ٢٠١ وعنه في مجمع البيان ٥: ٣٣.

(٢) التبيان ٥: ٢٣٢ وعنه في مجمع البيان ٥: ٥٥.

(٣) التبيان ٥: ٢٣٣ وعنه في مجمع البيان ٥: ٥٧.

(٤) التبيان ٥: ٢٤٢.

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦٠ فهذه من آيات الاحكام من حيث مصارف الصدقات وليس للتأسيس، حيث قد سبق ذلك بأمره ﷺ منذ المحرّم.

وفي الآية التالية: ٦١ ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾ اشارة الى ما مرّ من خبر نبتل بن الحارث وغيره من منافقي الأنصار[1].

وفي الآية ٦٤: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ اشارة الى ما مرّ من خبر مخشن بن حمير الأشجعي وجماعته في طريقهم الى تبوك[2].

وفي الآية ٧٤: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا... وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ اشارة الى ما مرّ من خبر أصحاب العقبة عن الباقر ﷺ وكتاب الواقدي والزجاج ومجاهد[3].

ومن الحوادث في عهد تبوك ما في الآية التالية ٧٥ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهما من بني عمرو بن عوف من الأوس: ثعلبة بن حاطب ومعتّب بن قشير ـ كما في ابن اسحاق ـ قال ثعلبة والله لئن آتاني الله مالاً لأتصدّقنّ ولأكوننّ من الصالحين، فأصاب اثني عشر ألف درهم دية فلم يتصدق ولم يكن من الصالحين، كما في الواقدي، وعنهما في «التبيان»[4].

---

(1) التبيان ٥: ٢٤٨ عن ابن اسحاق وعنه وغيره في مجمع البيان ٥: ٦٨.

(2) التبيان ٥: ٢٥٠ و٢٥٣ عن ابن اسحاق والطبري وعنه في مجمع البيان ٥: ٧٢ وفيه أقوال عديدة منها أصحاب العقبة.

(3) التبيان ٥: ٢٦٠، ٢٦١ وعنه وغيره في مجمع البيان ٥: ٧٨ و٧٩.

(4) التبيان ٥: ٢٦٢ عن السيرة ٤: ١٩٦ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٦٨ ومنه وعن غيرهما في مجمع البيان ٥: ٨١، ٨٢.

وعالجت الآية ٧٩: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ... ﴾ إلى الصدقات غير المفروضة من المتطوعين بها للجهاد إلى تبوك، وسخرية المنافقين ولمزهم بهم، فروى الطوسي عن قتادة وغيره من المفسرين أن المؤمن المتطوّع صدقة للغزوة هو عبد الرحمن بن عوف حيث جاء بشطر ماله أربعة آلاف دينار، وإن المؤمن الذي لم يجد إلّا جهده حبحاب بن عثمان إذ أتى النبي بصاع من تمر وقال: يا رسول الله إني عملت في النخل بصاعين من تمر فتركت صاعاً لعيالي وأهديت صاعاً لله. وقيل: الأول هو زيد بن أسلم العجلاني، والثاني عُلبة بن زيد الحارثي. فقال عبد الله بن نبتل وأصحابه ومعتّب بن قشير في الأول: إنه عظيم الرياء! وفي الثاني: إن الله لغنيّ عما أتى به![1]

وفي الآية التالية ٨٠ قال الطوسي: كان النبي ﷺ إذا مات ميّت صلى عليه واستغفر له، فأنزل الله عليه هذه الآية تعليماً له في جملة من يصلي عليه ممن هو منافق، وأنّ استغفاره له لا ينفعه قلّ ذلك أو كثر: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ... ﴾ فما روي عنه ﷺ أنه قال: «والله لأزيدنّ على السبعين» خبر واحد لا يُلتفت إليه، لأنّ في ذلك أن النبي يستغفر للكفار، وذلك لا يجوز بالإجماع[2] ثم نهى الله نبيّه أن يصلّي على أحد منهم وأن يستغفر له بقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾[3] ونقل ما مرّ عن قتادة عن ابن عباس وعن جابر وابن عمر: أنه ﷺ صلى على ابن أُبيّ قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين[4] مما يعني أن السورة نزلت بعد موت ابن أبي

---

(١) التبيان ٥: ٢٦٦ واقتصر في مجمع البيان ٥: ٨٤ على ابن عوف وابن زيد الحارثي.

(٢) التبيان ٥: ٢٦٨ وعنه في مجمع البيان ٥: ٨٤

(٣) التبيان ٥: ٢٦٨

(٤) التبيان ٥: ٢٧٦ وعنه في مجمع البيان ٥: ٨٧

والصلاة عليه ودفنه في منتصف ذي القعدة، وبعد أكثر من خمسين يوماً مدّة لتضييق على الثلاثة المتخلفين بعد الرجوع من تبوك في أواخر شهر رمضان على ترجيح توالي الآيات، كما مرّ كل ذلك. و حتماً أن الطوسي هنا ردّد معنى الرجوع في الآية السابقة ٨٣ ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ بين الرجوع المكاني وبين الرجوع الحالي بمعنى تكرار حال استئذانهم مرّة أخرى، ولم يتبعه الطبرسي فقال: أي إن ردّك الله من سفرك هذا في غزوتك هذه[1] مما يلازم القول بالفاصل الزمني نحو شهرين بين الآيتين، مما لا يناسب السياق[2].

وتفرّد الواقدي في «المغازي» بذكر مصداق قوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ﴾: ٨٦، فقال: هو الجد بن قيس كان كثير المال[3]

وفي المشار إليهم في الآية ٩٠: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ قال الطوسي: قيل: هم خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري وقومه من الأعراب[4] الثمانون.

والآيتان: ٩١ و٩٢ ذكرتا المعذورين الواقعيين من المرضى والضعفاء والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون، وفي هؤلاء نقل الطوسي عن ابن عباس: أن عبد الله بن معقل المزني وجماعة معه جاؤوا إلى رسول الله ليحملهم فقال: لا يجد[5] ومنهم من بكى لذلك فخصّتهم الآية التالية فعُرفوا بالبكّائين، فحكى الطوسي عن الواقدي

---

(1) مجمع البيان ٥: ٨٦.

(2) كما قال في الميزان ٩: ٢٥٦ فهنا يحدث بوحدة السياق بين الآيتين ونزولهما قبل الرجوع لهذا فهو لم يصلّ على ابن أُبيّ، وإن الأخبار بذلك مخالفة لدلالة الكتاب فمطروحة.

(3) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٠.

(4) التبيان ٥: ٢٧٨ وفي مجمع البيان ٥: ٩٠ عن ابن عباس.

(5) التبيان ٥: ٢٧٨.

أنهم سبعة من فقراء الأنصار فحمل منهم عبد الله بن مغفل المزني المذكور آنفاً، و[حمل] العباس بن عبد المطلب حمل منهم رجلين، ومن بني النضير ثلاثة فحمل منهم رجلاً يامين بن كعب النضري، وحمل عثمان بن عفان رجلين. وقد مرّ خبرهم سابقاً.

ولا ينكر أن ظاهر الآيتين ٩٤ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ و ٩٥ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ نزولهما مع ما في سياقهما قبل رجوعهم إلى المدينة، إلا أن يقال ـ كما قال الطوسي ـ إن الله أخبر أنهم إذا عاد النبي والمؤمنون كانوا يجيئون إليهم ليعتذروا[2].

وبفاصل هذه الآيات السبع عدد من الآيات في تشريح حالات الأعراب في ثلاث آيات من كافرين ومتربصين ومؤمنين، بمناسبة المعذّرين منهم عن تبوك، إلى ٩٩.

وبفاصل الآية ١٠٠ تعود الآية التالية إلى المنافقين من الأعراب حول المدينة ومن أهل المدينة ـ وكأنهم فرّقوا بين الأعراب المنافقين أنهم من بني غفار، وهؤلاء المرتدين من المدينة من بني تميم: عيينة بن حصن التميمي وقبيله، وفي الآية التالية ١٠٢ ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أيضاً روى الطوسي عن ابن عباس أنها نزلت في قوم من الأعراب[3] وهكذا فسّرها الطباطبائي[4].

ومن المتمرّدين على النفاق من أهل المدينة نقل الطوسي عن أكثر المفسّرين أن أبا لبابة صاحب القصة في غزوة بني قريظة هنا أيضاً كان من جملة المتأخرين عن تبوك[5] ومعه حزام صاحب الأرض لمسجد ضرار وأوس وجدّ بن قيس، فروى

---

(1) التبيان ٥: ٢٨٠ عن الواقدي ٣: ١٠٧١ وعنه وغيره في مجمع البيان ٥: ٩١.

(2) التبيان ٥: ٢٨١.

(3) التبيان ٥: ٢٩٠.

(4) الميزان ٩: ٣٧٦.

(5) التبيان ٥: ٢٩٠.

عن الفرّاء عن زيد بن أسلم وسعيد بن جُبير وقتادة والضحّاك عن ابن عباس: أنّ هؤلاء الذين تابوا وأُطلقوا قالوا للرسول: خذ من أموالنا ما تريد. فقال رسول الله: لا أفعل حتى يؤذن لي فيه. حتى أنزل الله بعد هذه الآية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ ١٠٣[1] وكأنّ هذا الأمر بالصلاة عليهم في موقع الحظر بإزاء النهي السابق: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ ٨٤ ولذا فهو إلى الرخصة والتشريف أقرب منه إلى الوجوب والتكليف.

وحيث عرّجت هذه الآية على المعترفين بذنوبهم والمقدّمين صدقاتهم كفّارة لذنوبهم، عرّجت الآية ١٠٦ على المرجون منهم لأمر الله. فنقل الطوسي عن قتادة ومجاهد أنها بشأن الثلاثة المتخلّفين كما مرّ خبرهم[2].

وفي الآية ١٠٧ ـ ١١٠ بشأن مسجد الضرار. ولا خلاف في أنه أُرسل لتحريقه وهدمه من منزل ذي أوان قبل المدينة. ولم يدّع أحد تقدّمه به، فذلك كان نزول هذه الآيات إنما كان بأمره ﷺ ثم ترتيب السورة. وهذه الآيات بفاصل زمني ممتدّ به أي نحو شهرين منذ ذلك الحين. كتأييد آخر لكثير من نظائر الموارد. وقد مرّ خبره.

وعادت الآيات ١١٣ و ١١٤ على استغفار النبي والمؤمنين لقرباهم وعشائرهم من المشركين ومناسبتها الواضحة التنبيه على النهي السابق وتقويته وتأكيده وتثبيته ودفع ما يوهم خلافه أو رفعه.

وفي الآية ١١٧ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى...﴾ إشارة إلى أنّ فريقاً من المهاجرين والأنصار كاد تزيغ قلوبهم على أثر عسرة سفره إلى غزوة تبوك. ولم تزغ قلوبهم حيث اتّبعوا نبيّهم ولم يتّبعوا أهواء قلوبهم في الاستراحة عن العسرة

(١) التبيان ٥: ٢٩٢ و ٢٩٣ وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٢ و ١٠٣ ولم ينصّه.

(٢) التبيان ٥: ٢٩٦ وعنه في مجمع البيان ٥: ١٠٤.

وقال الطوسي: قيل: لقد همّ كثير منهم بالرجوع من شدة ما لحقهم، بل قيل: لقد كاد يشك جماعة منهم في دينه، ثم تابوا فتاب الله عليهم، وذكر خبر أبي خيثمة الأنصاري وزوجتيه كمصداق لهم ثم قال: فهو ممن زاغ قلبه للمقام ثم تثبّته الله فتاب فتاب الله عليه[1].

وفي الآية ١١٨ أضاف إلى من تاب عليهم من المهاجرين والأنصار ممن كاد يزيغ قلبه، أضاف إليهم الثلاثة الذين خُلّفوا، فإن كانوا هم المرجون سابقاً لأمر الله إما يعذّبهم وإما يتوب عليهم في الآية ١٠٦ فهنا تاب الله عليهم، وعليه فلا بدّ من القول بالفصل نزولاً بين الآيتين، والفصل بالخمسين يوماً أو أقل من ذلك كما مرّ.

وفي الآية ١٢٢ ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾

نقل الطوسي عن الواقدي قال: إن قوماً من خيار المسلمين كانوا قد خرجوا إلى البدو يفقّهون قومهم، فالمنافقون احتجّوا بهم في تأخرهم عن تبوك، فنزلت هذه الآية جواباً لهم، يعني: كيف يكون هؤلاء حجة لأولئك في تأخّرهم في البادية وهم مؤمنون مستجيبون وهؤلاء منافقون مدهنون؟![2]

وكأن الطبرسي لم يرتضه فاستبدل عنه برواية عن مجاهد قال: كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا إلى البوادي يدعون من يجدون من الناس إلى الهدى، فأصابوا من الناس معروفاً وخصوصة، ولكن قيل لهم: ما نراكم إلّا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا [فتزوّدوا من السفر معه] فتحرّجوا من ذلك ورجعوا إليه ﷺ، فأنزل الله هذه الآية[3] جواباً لهم.

---

(١) التبيان ٥: ٣١٥ وعنه في مجمع البيان ٥: ١١٩، ١٢٠.

(٢) التبيان ٥: ٣٢٢ وليس في المغازي.

(٣) مجمع البيان ٥: ١٢٦ والخبران كما ترون في التعليم وليس في التعلّم والتفقّه ←

وكأنّما لآية التاليه ١٢٣ . ﴿ ي أيّه الّذين آمنوا ماتلُوا ﴾ توجبه هذ الحشد لشديد والأكيد لماذا ؟ تقول ﴿ وَلْيَجِدُو فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ وس الغلظة أن يكون الكمّ غليظاً هائلاً

وفي الآيتين التاليتين ١٢٤ و ١٢٥ اشـارة لى مدى تأثير مثل هذه السورة الفاضحة في المؤمنين وفي مرضى القلوب بمرض النفاق، فالمؤمنون يستبشرون ويزدادون ايماناً، وامـا مرضى القلوب فيزدادون رجساً وكفراً حتى لموت !

وفي الآيه لتالية ١٢٦ اشارة الى أن هذه الغزوة الى تبوك كانت فتنة فُتنو وامتحنوا بها فلم يتذكّرو ولم يتوبو ، فهم راسبون في هذا لامتحان

وكأنّما في لآيه لتالية ١٢٧ : شارة لى علامة ذلك عند نزول هذه السورة وأية سورة اخرى ، ان قلوبهم مصروفة عن معناها فهم لا يفقهونها ، فانما يراعون أن لا يراهم أحد من المؤمنين والّا فهم ينصرفون حتى عن سماع السورة .

ولعلت هو نماء لآيه لعاء الروحي ولنفسي لخاص . فكأنّما الآية لتاليه : ١٢٨ : توجبه هذ لخطاب والعتاب الشديد والأكيد على لمنافقين . لماذا ؟ تقول : ن لرسول رؤوف رحيم بالمؤمنين فهو يخاف عليهم منكم ، وأنّما يركم في النفاق وهو يرى لنفاق عنتاً نفسياً فيعزّ عليه ذلك إذ هو حريص على علاجكم ، فعسى أن تؤمنوا أنزلنا على لسانه كل هذ لعتاب عليكم لعلكم تهتدون

ـــ فكأنّ المعنى دعوا هؤلاء مشتغلين بمعهم في التعلم ولا تحتجّوا بهم فتخلّف ، فما كان المؤمنون كلّهم ينفرون للغزو فلينفر من كل فرقة طائفة ليكونوا مع النبي فيتفقّهوا في دينهم منه فاذا رجعوا اليهم يبلّغونهم ذلك ، فمن نفر ما يكون ليتفقّه لا للغزو ، فليتفقّه هؤلاء وليفقّهوا ولك ، ولا تحتجوا بتخلّفهم ولستم مشتغلين بالتعليم والتفقيه

والآية التالية ١٢٩ خاتمة السورة تلتفت بالخطاب إليه فتقول له: فإن تولّى هؤلاء ولم يهتدوا بكل هذا الخطاب والعتاب، فتوكّل على الله وقل لهم: حسبي الله عنكم! لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم.

حديث سدّ الأبواب

في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ الثامنة والعشرين من السورة، مرّ التنويه في الحاشية إلى احتمال أن سدّ الأبواب الشارعة إلى مسجده ﷺ كان تمهيداً لمناسبة، وذلك تمهيداً لتحريم الحرم على المشركين، لئلّا يقول قائلهم: إنّ أبوابهم شارعة إلى مسجدهم وينامون فيه ويُجنبون، ويمنعوننا من دخول المسجد الحرام!

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام قال: كثر من دخل الإسلام من الغرباء بالمدينة، من أهل الحاجة، حتى ضاق بهم المسجد، فأوحى الله إلى نبيّه: أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، ومُر بسدّ أبواب من كان له باب في مسجدك، إلّا باب علي ومسكن فاطمة، ولا يمرّنّ فيه جنب، ولا يرقد فيه غريب. فأمر رسول الله ﷺ بسدّ أبوابهم إلّا باب علي عليه السلام وأقرّ مسكن فاطمة عليها السلام على حاله[1].

---

(١) فروع الكافي ٥: ٣٣٩ ب ٢١ ح ١ وفيه: ثم إن رسول الله أمر أن يُجعل للمساكين سقيفة ـ وهي الصُفّة ـ فعُملت لهم. وعليه تكون الصفة قد أقيمت في التاسعة، بينما يلحق أبو هريرة وقومه من دوس من أزد اليمن ثمانون رجلاً ومعهم من الأشعريين خمسون رجلاً، التحقوا بأواخر فتح خيبر فأسهم لهم النبي في الغنائم ثم سكّنهم الصُفّة، فالظاهر بها أُقيمت في السابعة لا التاسعة، ولذلك فنحن ذكرناها هناك، فراجع.

ومن الطرق السالكة في الاسلام لغرس الايمان والاذعان الى الاذهان تشبيه المشروع فيه بمثله في سابق الأديان. ولهذا قصد الراوندي في نوادره باسناده عن الامام الصادق عليه‌السلام عن أبيه عن آبائه عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه‌السلام: أن ابن مسجداً طاهراً لا يكون فيه الّا هو وموسى، وأخوه هارون وابناه شبّر وشبير. وان الله تعالى أمرني أن ابني مسجدي لا يكون فيه غيري وغير أخي علي وابنيّ الحسن والحسين[1].

وقد مرّ الخبر في مولد الحسنين عليهما‌السلام: انه صلى‌الله‌عليه‌وآله جاء الى بيت فاطمة عليها‌السلام فحملت إليه بالحسن عليه‌السلام فدفعته إليه فأخذه وأذّن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم قال: لقد جاءني جبرائيل فقال لي: يا محمّد، ان ربك يقرئك السلام ويقول لك: إنّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون[2] وفي خروجه لتبوك.

فكأنه صلى‌الله‌عليه‌وآله أراد سدّ الأبواب في المسجد إلّا بابه وباب علي عليه‌السلام تشبيه معنى حديث المنزلة، كما في خبر الصدوق عن الرضا عليه‌السلام في مجلس المأمون العباسي.

وفيه أنه صلى‌الله‌عليه‌وآله لما أخرج الناس من مسجده ما خلا عترته تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟! فقال رسول الله: ما أنا تركته وأخرجتكم ولكنّ الله عزّ وجلّ تركه وأخرجكم[3].

وروى عنه عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: سدّوا الأبواب الشارعة في المسجد إلّا باب

---

(١) نوادر الراوندي: ٨ وعنه في بحار الأنوار ٣٩: ٢٣ وروى مثله ابن المغازلي في مناقبه عن عدي بن ثابت.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ٢: ٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١: ٢٣٢، والأمالي: ٤٢٣، ٤٢٤.

عليّ. وقال: «لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلّا أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من أهلي، فإنّهم منّي»[2].

وروى الخبر في «الأمالي» عن ابن عباس، ولكنّه أعرض عن ذكر اعتراض أبيه على النبي ﷺ واكتفى بقوله: أمر النبي بأبواب المسجد فسُدّت إلّا باب علي. وكذلك فعل ابن عمر وابن أرقم، واكتفى بقوله: فتكلّم الناس في ذلك. ولكنّه روى جوابه ﷺ ضمن خطبة قال: فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، وإنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشيء فاتّبعته»[3].

وروى في «علل الشرائع» عن ابن عباس إشارة إلى اعتراضهم من دون تنويه بأبيه العباس قال: لمّا سدّ رسول الله الأبواب الشارعة إلى المسجد إلّا باب علي ضجّ أصحابه من ذلك وقالوا: يا رسول الله لمَ سددت أبوابنا وتركت باب هذا الغلام (كذا)؟! فقال ﷺ لهم: إنّ الله تبارك وتعالى أمرني بسدّ أبوابكم وترك باب علي، فإنّما أنا متّبع ما يوحى إليّ من ربّي.

وروى فيه بسنده عن أبي رافع قال: إنّ رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: أيّها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً،

---

(1) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٦٧.

(2) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٦. وروى القندوزي عن الترمذي رفعه عن أبي سعيد عنه ﷺ قال لعلي ﷺ: يا علي، لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وقال الترمذي: حديث حسن.

(3) بحار الأنوار ٣٩: ١٩ و٢٠ عن أمالي الصدوق. والخبر الأخير رواه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٣٠ عن مسند أحمد بن حنبل.

وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النساء إلّا هارون وذريّته وإنّ علياً منّي بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه جنب إلّا علي وذريّته.

وفي جوابه ﷺ على اعتراضاتهم روى فيه بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: إنّ النبي ﷺ قام خطيباً فقال: إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم أن سكنت علياً في المسجد وأخرجتهم! والله ما أخرجتهم وأسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه. إنّ الله عزّ وجل أوحى إلى موسى وأخيه ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه، ولا يدخله جنب إلّا هارون وذريّته، وإنّ علياً منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحلّ لأحد أن ينكح فيه النساء إلّا علي وذريّته فمن ساءه فها هنا! وأشار بيده نحو الشام[1].

وانفرد ابن المغازلي في «المناقب» بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: إنّ النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى أبي بكر يقول له: إنّ رسول الله يأمرك أن تخرج من المسجد وتسدّ بابك. ففعل معاذ ذلك فقال أبو بكر: سمعاً وطاعة. وسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى عمر فقال له: إنّ رسول الله يأمرك أن تسدّ بابك الذي في المسجد وتخرج منه. فقال عمر: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، غير أنّي أرغب إلى الله تعالى في خوخة في المسجد. فأبلغ معاذ ذلك إلى النبي فلم يقبل به.

ثم أرسل إلى عثمان... فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله.

---

(1) علل الشرائع ١: ٢٣٧، ٢٣٨، وقريب منه ما رواه ابن المغازلي في المناقب كما عنه في كشف الغمة ١: ٣٣١.

وقال النبي لعلي ﷺ: اسكن أنت طاهراً مطهّراً».

وتبين رجال ذلك على علي ﷺ ووجدوا عليه في أنفسهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام ﷺ خطيباً فقال: إن رجالاً يجدون في أنفسهم...»[1].

---

(١) كشف الغمة ١: ٣٣١ وفيه الخبر كما مرّ عن علل الشرائع. وفي الخبر ذكر اعتراض حمزة والعباس، وفيه ذكر رقية مع عثمان، وهما زوجان.

وقد روى الخبر ابن المغازلي في «المناقب» عن طريق حذيفة بن أسيد، وعن ابن عباس والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد، وعدي بن ثابت، ونافع. ونقلها عنه الإربلي في كشف الغمة ١: ٣٣١ ـ ٣٣٣ وفيه قبله عن مسند أحمد عن عمر بن الخطاب وابنه وزيد بن الأرقم ١: ٣٣٠، ٣٣١.

وفي مناقب آل أبي طالب ٢: ١٨٩ ـ ١٩١ قال: فممّن روى حديث سدّ الأبواب ثلاثون رجلاً من الصحابة منهم: أبو رافع وأبو سعيد الخدري وأبو حازم عن ابن عباس، وأبو الطفيل عن حذيفة بن أسيد الأنصاري، وأمّ سلمة، وزيد بن أرقم وسعد بن أبي وقاص، والعلاء عن ابن عمر، وزيد عن أخيه الباقر ﷺ، وهو ما رواه الخطيب البغدادي عنه عن جابر الأنصاري.

وفيه عن السمعاني في «الفضائل» عن جابر قال: سأل رجل ابن عمر في المسجد عن علي وعثمان فقال: أما علي فابن عم رسول الله وختنه، ثم أشار بيده وقال: وهذا بيته حيث ترون، وأمر الله نبيه أن يبني مسجده ويبني إليه عشرة أبيات: تسعة له ولأزواجه، وعاشرها لعليّ وفاطمة. ثم قال السمعاني: وبقي علي وولده في بيته إلى أيام عبد الملك بن مروان، وعرف هذا الخبر فحسدهم عليه واغتاظ، فأمر بهدم الدار بتظاهر أنه يريد أن يزيده في المسجد. وكان فيها حسن بن الحسن المثنى فقال: لا أخرج ولا أُمكّن من هدمها! فأخرجوه بضرب السياط وهُدمت الدار ٢: ١٩١، ١٩٢.

ومن الجدير بالتذكير أن نزول البراءة كان في شهر شوال وإرسالها مع أبي بكر أولاً ثم علي ﷺ ثانياً كان في ذي القعدة للحج، إذ الحج في تلك السنة كان في ذي القعدة بموضع النسيء، كما سيأتي.

بعث علي عليه‌السلام بآيات البراءة

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: كان في سنّة العرب في الحج أنه: من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له إمساكها، فكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف (وكان) من يوافي مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يردّه، فمن لم يجد عارية اكترى ثياباً، ومن لم يجد عارية ولا كراء ولم يكن له إلّا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً.

ولما فتح رسول الله مكة لم يمنع المشركين من الحج في تلك السنة (الثامنة) فكان المشركون يحجّون مع المسلمين، فتركهم على حجّهم الأول في الجاهلية، وعلى أُمورهم التي كانوا عليها من طوافهم بالبيت عُراة، وتحريمهم الشهور (الحلال بدل) الحرم والقلائد ووقوفهم بالمزدلفة.

وأراد الحج، فكره أن يسمع تلبية العرب لغير الله، والطواف بالبيت عُراة[2].

هذا في حجّهم، وأما في قتالهم:

في الآية ١٩٠ من سورة البقرة ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ روى الطبرسيّ عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قالا: هذه أوّل آية نزلت في القتال، فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله، ويكفّ عمّن كفّ عنه[3] وقال في معنى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ قيل: معناه: لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم[4].

وكان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد هادن بني ضمرة ووادعهم، وكانت بلادهم على طريق مكة من المدينة، وكان بنو الأشجع من بني كنانة قريباً من بلاد بني ضمرة،

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٨١.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ١٦١ ح ٢٠٣ عن ابن عباس.

(٣) و(٤) مجمع البيان ٢: ٥١٠.

وكان عالَمهم الصفاء والحل والمسماح وكان بينهم وبين بني ضمرة حلف في الموادعة والأمان، وأخصبت بلاد بني ضمرة وأجدبت بلاد أشجع، فأرادوا أن يصيروا إلى بلاد بني ضمرة فهابوا رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهم، للموادعة التي كانت بينه وبين بني ضمرة، وخافهم رسول الله أن يصيبوا من أطرافه شيئاً فهمّ بالمسير إليهم.

فبينما هو على ذلك إذ جاءت أشجع وهم سبعمئة ورئيسهم مسعود بن رخيلة فنزلوا شعب سلع، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست، فدعا رسول الله أُسيد بن حُضير فقال له: اذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع؟

فخرج أُسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم فقال: ما أقدمكم؟ فقام إليه رئيسهم مسعود بن رخيلة فسلّم على أُسيد وأصحابه وقال: جئنا لنوادع محمّداً.

فرجع أُسيد إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله: خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم. ثم بعث إليهم بعشرة أحمال تمر فقدّمها أمامه ثم قال: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. ثم أتاهم رسول الله إليهم فقال لهم: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا بحرب قومنا لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبيّ ﷺ منهم ذلك ووادعهم، فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم ونزلت فيهم هذه الآيات من سورة النساء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ

صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[1].

وروى عنه بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كانت سيرة رسول الله ﷺ أن لا يقاتل إلّا من قاتله، ولا يحارب إلّا من حاربه وأراده. وكان قد نزل عليه في ذلك من الله عزّوجل: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ فكان ﷺ لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة البراءة وأمره الله بقتال المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلّا الذين كان قد عاهدهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة إلى مدّة. فلما نزلت الآيات من أول براءة دفعها رسول الله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة، فإذا كان يوم النحر يقرأها على الناس. فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمّد، لا يؤدّي عنك إلّا رجلٌ منك[2].

كما رواه القمي بسنده عن الصادق عليه السلام. ثم روى معاصره العياشي في تفسيره عن أبيه الباقر عليه السلام قال: ما بعث رسول الله أبا بكر ببراءة ... ولكنّه استعمله على الموسم ... وبعدما فصل أبو بكر عن المدينة[3] قال لعلي عليه السلام: إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا وأنت (ثم) بعث بها علياً عليه السلام[4].

---

(١) النساء: ٨٧ ـ ٩٠ والخبر في تفسير القمي ١: ١٤٥ ـ ١٤٧ وذكر مختصره عنه الطبرسي في مجمع البيان ٣: ١٢٥ وفي تفسير العياشي ١: ٢٦٢ عن الصادق عليه السلام أنهم بنو مدلج.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٨١، ٢٨٢ وكان ذلك لأول ذي القعدة، وذلك لأن الحج في تلك السنة كان في ذي القعدة بالنسيء، كما يأتي.

(٣) هنا في الخبر: عن الموسم، بينما قال: فصل أبو بكر مرفوعاً، ولا يصحّ هذا فالمقدّر أن الموسم مصحّف عن المدينة فالأصل كما أثبتناه، وفصل أي انفصل لا عزل.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ومثله في خبر ابن عباس في تفسير فرات: ١٦١ ح ٢٠٣.

وهذا يوافق أخبار الواقديّ بتفصيل جاء فيه: أن رسول الله ﷺ قلّد عشرين بدنة النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جُندب الأسلميّ، واستعمل على الحج أبا بكر وعهد إليه أن يخالف المشركين فلا يقف يوم عرفة بجَمْع ـ أي المزدلفة ـ بل يقف يوم عرفة بعرفة ثم لا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس. وكان مُفرداً بالحج. وخرج معه ثلاثمئة من أهل المدينة من أهل القوة منهم عبد الرحمن بن عوف، ومعه خمسة بدن. وأهلّ أبو بكر من ذي الحُليفة وسار حتى العَرْج[2].

وروى العياشي عن علي عليه السلام قال: لما بعثني النبيّ ﷺ ببراءة قلت له: يا نبيّ الله، إني لست بلسِنٍ ولا بخطيب! فقال: ما بُدٌّ أن أذهب بها أو تذهب بها أنت! فقلت: فإن كان لابدّ فسأذهب أنا. قال: فانطلق، فإنّ الله يثبّت لسانك ويهدي قلبك. ثم وضع يده على فمي وقال لي: انطلق فاقرأها على الناس. وسيتقاضى الناس إليك، فإذا أتاك الخصمان فلا تقضِ لواحد حتى تسمع الآخر، فإنّه أجدر أن تعلم الحق[3].

---

(1) وبنحوه في خبر ابن عباس في تفسير فرات: ١٦١ ح ٢٠٣.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٧ وكذلك المسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٩ والتنبيه والاشراف: ١٨٦ وفيهما: حج بالناس بلا عدد. وذكره الواقدي ثم ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» وذكر البدن الخمسة لأبي بكر، ولكنه قال: فعاد أبو بكر إلى المدينة. ولم يذكر الطبري شيئاً من ذلك! ونقل المجلسي ما في الكامل في بحار الأنوار ٣٥: ٩، ٣٠ ولا يُستبعد حجّ مثل هذا الجمع، فمن المستبعد جداً أن يكون مبعوثاً أبا بكر وحده كما يبدو من سائر الأخبار، أو عليّ عليه السلام بعده كذلك بدون أن يحجّ أحد من المسلمين تلك الحجة بعد فتح مكة!

(3) تفسير العياشي ٢: ٧٥ ح ١.

وروى القمي عنه عليه‌السلام قال: إن رسول الله أمرني أن أبلّغ عن الله:

١ ـ أن لا يطوف بالبيت عريان.

٢ ـ ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام.

٣ ـ وأن أقرأ عليهم: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فأحلّ الله للمشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمنهم، ثم يُقتلون حيث وُجدوا[1].

وروى العياشي عنه عليه‌السلام قال: إنّ رسول الله دعا عليّاً عليه‌السلام فأمره أن يركب ناقته العضباء[2] فيلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة فيقرأها على الناس بمكّة[3] فلحقه بالرّوحاء[4].

وروى الواقدي: أنّ النبيّ كان قد ركب القصواء، وأنّ أبا بكر كان قد سار حتى العرج[5] فكان فيه في السحر إذ سمع رغاء ناقة رسول الله القصواء! فقال: هذه هي القصواء! فنظر فإذا عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام عليها[6].

ورووا عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا معه بالعَرْج إذ ثُوّب (أي أذّن) للصبح، فلما استوى للتكبير سمع رغوة ناقة من خلفه (أي من جهة المدينة)

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٨٢ ومثله عنه عليه‌السلام في مجمع البيان ٥: ٧ عن الحاكم الحسكاني.

(٢) الناقة العضباء: قصيرة اليدين، وكانت مشقوقة الأذن. مجمع البحرين.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٧٣، ٧٤ ح ٤.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٨٢ وفي مسند أحمد: أنه سار بها ثلاثاً كما في كشف الغمة ١: ٣٠٠.

(٥) وفي تفسير فرات الكوفي: ١٥٨ ح ١٧ عن الصادق عليه‌السلام: بالجحفة، وفي: ١٦٠ ح ٢٧ عن ابن عباس: بذي الحُليفة، وكذلك في خبرين عن مسند أحمد في الطرائف وعنه في بحار الأنوار ٣٥: ٣٠٥.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٧.

قال: هذه رغوة ناقة رسول الله الجدعاء... فلعلّه يكون رسول الله فنصلّي معه. فإذا عليّ عليها، فقال أبو بكر: أميرٌ أم رسول؟ قال: لا بل رسول أرسلني رسول الله ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج[1].

وقال المفيد في «الإرشاد»: فلما رآه فزع من لحوقه به، فاستقبله وقال له: يا أبا الحسن فيم جئت؟ أسائر معي أنت؟! أم لغير ذلك؟ فقال علي عليه السلام: إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيّرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه. فقال أبو بكر: بل أرجع إليه. وعاد الى النبي صلى الله عليه وآله.

فلما دخل عليه قال له: يا رسول الله، إنك أهّلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ، فلما توجّهت له رددتني عنه، مالي؟ أنزل فيّ قرآن؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، ولكن الأمين هبط إليّ عن الله جلّ جلاله، بأنّه: لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعلي منّي، فلا يؤدّي عنّي إلّا علي[2].

ومثل ما عند «الارشاد» جاء رجوع أبي بكر الى المدينة في خبر القمي في تفسيره بسنده عن أبي الصباح الكناني عن الصادق عليه السلام مثله تقريباً، وفي خبر فرات الكوفي في تفسيره عن ابن عباس بزيادة: وأنا وعلي من شجرة واحدة والناس من شجر شتى[3].

وكذلك جاء ذلك فيما رواه السيد في «الاقبال» عن كتاب «عمل ذي الحجة» للحسن بن اشناس البزّاز، من نسخة عتيقة بخطه تاريخ ٤٣٧هـ بسنده عن

---

(١) الغدير ٦: ٣٤٤ عن خصائص النسائي: ٩٢ بتحقيق الأميني، وعن مصادر أخرى.

(٢) الارشاد ١: ٦٥، ٦٦، ومناقب الحلبي عن ابن عباس ٢: ٢٦.

(٣) تفسير فرات الكوفي عن ابن عباس: ١٦١ ح ٢٠٣.

لنافر عليه‌السلام وفيه قبل. فلحقه وأخذها منه وقال له: ارجع إلى النبيّ. فقال أبو بكر: هل حدث فيّ شيء؟ فقال علي عليه‌السلام: سيخبرك رسول الله.

فرجع أبو بكر إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال له: يا رسول الله ما كنت ترى أنّي مؤدٍّ عنك هذه الرسالة؟ فقال له النبيّ: أبى الله أن يؤدّيها إلّا علي بن أبي طالب! فأكثر أبو بكر عليه من الكلام فقال له النبيّ: كيف تؤدّيها وأنت صاحبي في الغار؟

إعلان البراءة في الموسم:

قال: فانطلق علي عليه‌السلام حتى قدم مكة، ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جَمْع مزدلفة ثم إلى منى، فذبح وحلق، ثم صعد على الجبل المُشرف المعروف بالشعب فأذّن ثلاث مرات: يا أيها الناس ألا تسمعون، إنّي رسول رسول الله إليكم، ثم قرأ: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ إلى تسع آيات من أوّلها إلى قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ثم لمع بسيفه فكرّرها وأسمع الناس. فقال الناس: من هذا الذي ينادي في الناس؟ فقال من عرفه من الناس: ما كان ليجترئ على هذا غير عشيرة محمّد، وهذا ابن عمّ محمّد علي بن أبي طالب! فقال له بعضهم: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلّا ضرباً بالسيف وطعناً بالرمح[2].

---

(١) الإقبال ٢: ٣٤ و٣٨ وفي ٤١ قال بعض نقلة هذا الحديث: إنّ قول النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في الحديث لأبي بكر لما عذره عن نفوذه إلى الكفار: أنت صاحبي في الغار، معناه: إنك كنت معي في الغار فجزعت ذلك الجزع حتى أني سكّنتك وقلت لك: لا تحزن، وما كان قد دنا شرّ لقاء المشركين، وما كانت لك أسوة بنفسي، فكيف تقوى على لقاء الكفّار بسورة براءة وما أنا معك بل أنت وحدك؟!

(٢) الإقبال ٢: ٣٦

وفي كتابه عن رجال العامة قالوا: إن علياً عليه السلام كان قد قتل يوم الخندق عمرو بن عبد الله، فلما أعلن البراءة لقيه أخوا عمرو: حراش وشعبة، فقال له شعبة: ليس بيننا وبين ابن عمك إلاّ السيف والرمح، وإن شئت بدأنا بك؟ وقال له أخوه حراش: علي، مه! تسيرنا أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك إلاّ من الطعن والضرب[1]. فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك ويقرأ براءة غدوة وعشية[2].

وروى العياشي عن حريز عن الصادق عليه السلام قال: لما كان يوم النحر ـ وهو يوم الحج الأكبر ـ وكان بعد الظهر[3] وفرغ الناس من رمي الجمرة الكبرى قام علي عليه السلام عندها ثم اخترط سيفه وقال: لا يطوفنّ بالبيت عُريان، ولا يحجنّ بالبيت مشرك ولا مشركة، ومن كانت له مدة فهو إلى مدّته، ومن لم تكن له مدة فمدّته أربعة أشهر[4] فقال له رجل: فإن أراد منا أن يلق محمداً في بعض الأمور بعد الأشهر الأربعة فليس له عهد؟! قال علي عليه السلام: بلى، إن الله قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[5] وفي أيام التشريق (١١ و١٢ و١٣)[6] وفي أيام الموسم كلها ينادي: لا يطوفنّ عريان ولا يقربنّ المسجد الحرام بعد عامنا مشرك[7].

---

(١) الاقبال ٢: ٤١.

(٢) الاقبال ٢: ٣٩.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ح٤.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ح٧.

(٥) مناقب آل أبي طالب عن تفسير القشيري ٢: ١٢٧.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ح٥.

(٧) تفسير العياشي ٢: ٧٥ ح٨ وعنه في مجمع البيان ٦: ٧٠٦. وروى فيه الصدوق في علل الشرائع ١: ٢٢٤، ٢٢٥ أربعة أخبار عن سعد بن أبي وقاص، وأنس بن مالك، وابن ـــ

وقال المسعودي: كان المتولّون للنسأة من العرب في الجاهلية من بني الحارث بن كِنانة، وكانوا يُنسئون في كل ثلاث سنين شهراً يسقطونه من السنة ويسمّون الشهر الذي يليه باسمه، ويجعلون اليوم الثامن والتاسع والعاشر من ذلك الشهر: يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر، ثم يديرون ذلك في سائر الشهور.

فكان النحر في آخر حجّة حجّها المشركون في العاشر من ذي القعدة فكانت الأشهر في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ عشرين يوماً من باقي ذي القعدة، وذا الحجة، والمحرم، وصفر، وعشرة أيام من شهر ربيع الأول[1].

ولم يُوحَ إلى رسول الله ﷺ شيء في أمر علي عليه السلام وما كان منه، وأبطأ عليه خبره. وكان علي عليه السلام في رجوعه مقتصداً في سيره، فاغتمّ لذلك النبيّ ﷺ غمّاً شديداً حتى رُئي ذلك في وجهه، وكفّ عن النساء من الهمّ والغمّ.

وقد كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يستقبل القبلة إلى طلوع الشمس يذكر الله عزّ وجلّ، وقد أمر علياً عليه السلام أن يتقدم خلفه فيستقبل الناس بوجهه فيراجعونه في حوائجهم. حتى وجّه علياً عليه السلام إلى الحجّ، فلم يجعل أحداً مكان علي عليه السلام.

---

* عباس وابن عمر. وروى الخبر الواقدي في المغازي ٢: ١٠٧٨ والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٩٠ والتنبيه والاشراف: ١٨٦.

(١) التنبيه والاشراف: ١٨٦ و١٨٧ ومثله الطوسي في التبيان ٥: ٩٦ عن أبي علي الجبائي إلا أنه قال: في العشرين من ذي القعدة. وعنه في مجمع البيان ٥: ٦. وعن الحسن وقتادة ثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وعروة بن الزبير وأنس بن مالك وزيد بن سميع والباقر عليه السلام. وعليه فشهر ذي الحجة من تلك السنة يعني سنة تسع عما سبق في وفود نصارى نجران ومباهلتهم النبيّ ﷺ.

فقال بعضهم لأبي ذر: قد ترى ما برسول الله، وقد نعلم منزلتك منه، فنحن نحب أن نعلم لنا أمره، فسأل أبو ذر النبيّ عن ذلك، فقال: ما نعيت إليّ نفسي، وما وجدت في أمتي إلاّ خيراً، وما بي مرض، ولكن من شدة وجدي لعليّ بن أبي طالب وابطاء الوحي عليّ في أمره. فاستأذنه أبو ذر ليخرج من المدينة في طلبه فأذن له.

فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب ناقة مقبلاً فإذا هو علي عليه السلام، فاستقبله والتزمه وقبّله وقال: بأبي أنت وأمّي، اقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أبشّر رسول الله، فإن رسول الله من أمرك في غم شديد. فنعم له علي عليه السلام. فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبيّ فقال له: البشرى. فقال: وما بشراك يا أبا ذر؟ قال: قدم علي بن أبي طالب. فقال له: لك بذلك الجنة. ثم ركب النبيّ ﷺ وركب معه الناس.

فلما رآه علي عليه السلام أناخ ناقته، ونزل رسول الله، فتلقّاه والتزمه ووضع يده ووضع خدّه على منكب علي. وبكى النبي ﷺ فرحاً بقدومه وبكى معه علي عليه السلام. ثم قال له رسول الله: ما صنعت بأبي أنت وأمي، فإن الوحي أبطأ عليّ في أمرك؟ فأخبره بما صنع، فقال رسول الله: كان الله عزّ وجل أعلم بك منّي حين أمرني بإرسالك[1].

وروى القمي عن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً

---

(١) الاقبال ٢: ٣٨ ـ ٤١.

(٢) الشعراء: ١٠ ـ ١٤.

﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[1] وهذا عليّ قد أنفذته ليسترجع براءة ويقرأها على أهل مكة، وقد قتل منهم خلقاً عظيماً، فما خاف ولا توقّف، ولا تأخذه في الله لومة لائم[2].

وفود الحضرمي من البحرين وعزله.

روى ابن سعد في «الطبقات»: أن رسول الله ﷺ كان قد كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يقدم إليه بعشرين رجلاً من عبد القيس من البحرين.

فاستخلف العلاء المنذر بن ساوى العبدي وقدم على النبي بعشرين رجلاً منهم رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، ولكنّ هذا الوفد شكا إلى النبيّ من العلاء فعزله رسول الله ﷺ وولّى مكانه (على البحرين وهجر) أبان بن سعيد بن العاص وقال له: استوص بعبد القيس خيراً، وأكرم سراتهم[3].

فسأله أبان أن يحالف عبد القيس فأذن له بذلك وقال له: يا رسول الله، اعهد إليّ عهداً في صدقاتهم وجزيتهم وما يتجرون به.

فكتب له صدقات الإبل والبقر والغنم على فرضها وسنّتها كتاباً منشوراً مختوماً، وكتب معه إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، وقال له: فإن أبوا فأعرض عليهم الجزية، من كل حالم مجوسي أو يهودي أو نصراني ديناراً وأن لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم[4].

ولعلّ هذا ونحوه هو الذي حمل أهل نجران النصارى على وفودهم إلى المدينة

---

(١) القصص: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٢٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٤ ق ٢: ٧٧، وعنه في مكاتيب الرسول ٣: ٢٠٢.

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٢: ١٢٠، وعنه في مكاتيب الرسول ٢: ٢٨١.

مباهلة أساقفة نجران[1]:

لاختلاف المواقيت والزمان ما بين السنة الشمسية والقمرية كان العرب في الجاهلية ينسئون الشهور القمرية العربية، فكانوا بذلك يقاربون غيرهم من الأمم في مدة زمان سنتهم الشمسية، كانوا ينسئون في كل ثلاث سنين شهراً يسقطونه من السنة ويلحقون اسمه إلى الشهر الذي يليه ويسمّونه باسم الشهر المحذوف، ويجعلون اليوم الثامن والتاسع والعاشر من ذلك الشهر أيام التروية وعرفة والنحر، فيكون ذلك موجباً دائراً في كل شهور السنة، لم يزالوا على ذلك حتى السنة التاسعة من الهجرة وهي آخر حجة حجّها المشركون، فكان الحج في تلك السنة يوم العاشر من ذي القعدة، وكانت قد نزلت آيات (أربعون) من سورة براءة فبعث بها رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره بقراءتها على الناس بمنى وفيها: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2].

---

(١) الأساقفة جمع الأُسقف، وهو معرّب من اليونانية: ايسكوبس كما في الوثائق السياسية: ٥٨٢ أو هي ايسكوبس، ومعناها الرقيب الناظر كما في دائرة معارف البستاني. وهو بمعنى العالم المتخشّع في مشيته، وهو فوق القسّيس ودون المطران، كما في أقرب الموارد، والقاموس، ولسان العرب، والنهاية.

ونجران اليوم تقع في خريطة المملكة السعودية في حدودها قرب بلاد همدان من اليمن. وفي السيرة النبوية لزيني دحلان: نجران بلدة كبيرة واسعة تشتمل على ثلاث وسبعين قرية، وهي بين عدن وحضرموت قرب صنعاء، فيها بنو الحارث بن كعب، وبنو عبد المدان من بني الحارث بنوا بها بيعة على بناء الكعبة وسمّوها كعبة نجران، وكان أساقفتها معتمّين كما في معرض تاج العروس ومعجم البلدان ٥: ٢٦٨، وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٤٩٨ و٤٩٩ في الهامش.

(٢) التنبيه والإشراف: ١٨٦ والآية ٣٧ من السورة.

ونقل الطوسي عن الجُبّائي قال: كان يوم النحر عشرين من ذي القعدة في تلك السنة وكان سبب ذلك النسيء الذي كان في الجاهلية[1].

وعلى أي حال، فإن علياً عليه السلام قد قام بما بعثه به النبي ﷺ الى مكة لموسم العام التاسع للهجرة ورجع الى المدينة لأوائل شهر ذي الحجة الحرام من ذلك العام.

وفي «مسارّ الشيعة الكرام» قال: في اليوم الرابع والعشرين منه باهل رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة صلى الله عليهم، مع نصارى نجران، وجاء ذكر المباهلة به وبزوجته وولديه في محكم التبيان[2].

وبه قال الشيخ الطوسي[3] ورواه السيد ابن طاووس في «الاقبال» في مرفوعة الى علي بن محمد القمي: أن يوم المباهلة يوم أربع وعشرين من ذي الحجة[4].

وأخصر خبر في ذلك: ما رواه العياشي في تفسيره: أنّه سُئل علي عليه السلام عن بعض فضائله فقال: أتى راهبان من رهبان النصارى[5] من أهل نجران، فتكلّما في أمر عيسى، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾ إلى آخر الآية، فدخل رسول الله ﷺ فأخذ بيدي والحسن والحسين وفاطمة، ثم خرج ودعاهم الى المباهلة، ورفع كفّه الى السماء، وفرّج بين أصابعه فلمّا رآه الراهبان قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبيّاً لنهلكنّ، وإن كان غير نبيّ كفانا قومه، فكفّا[6].

---

(١) التبيان ٥: ١٩٦، وعنه في مجمع البيان ٥: ٦.

(٢) مسارّ الشيعة الكرام: ٥٨، ٥٩ من المجموعة النفيسة.

(٣) مصباح المتهجد: ٧٠٤.

(٤) الاقبال ٢: ٣٥٤.

(٥) لفظ الخبر: أتاه حبران من أحبار النصارى.

(٦) تفسير العياشي ١: ١٧٥، ١٧٦.

وبشيء من التفصيل، روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: إن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله ﷺ كان سيدهم الأيهم[1] والعاقب والسيّد (ودخلوا المسجد) وحضرت صلاتهم (وكانوا يضربون بالنواقيس)، فضربوه واصطفوا لصلاتهم. فقال أصحاب رسول الله: هذا في مسجدك؟! فقال: دعوهم.

فلما فرغوا دنوا من رسول الله ﷺ، فقالوا له: إلى ما تدعو؟ فقال ﷺ: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويُحدث. فقالوا: فمن أبوه؟ فنزل عليه الوحي فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم عليه‌السلام؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب وينكح؟ فسألهم النبيّ ذلك، فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟ فبُهتوا وبقوا ساكتين.

فأنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[2].

فقال رسول الله ﷺ: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً نزلت عليّ، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، ورجعوا إلى منازلهم.

فقال رؤساؤهم: إن باهلنا بقومه باهلناه فإنه ليس نبيّ، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله، فإنه لا يقدم على أهل بيته إلّا وهو صادق.

فلما أصبحوا (صباح اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة)، جاؤوا إلى

---

(١) في المصدر: الأهتم، وأثبتناه من سائر الأخبار.

(٢) آل عمران: ٥٩ ـ ٦٣.

رسول الله ﷺ وإذا معه أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. فسأل النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه علي بن أبي طالب، وهذه بنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين. فتفرّقوا وقالوا لرسول الله: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة. فصالحهم رسول الله على الجزية.

وروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن الأحمر البجلي الكوفي عن الحسن البصري قال: غدا رسول الله ﷺ آخذاً بيد الحسن والحسين، وبين يديه علي ﷺ وتتبعه فاطمة ﷺ. وغدا العاقب والسيّد بابنين لهما. فقال أبو حارثة: من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه زوج ابنته، وهذان ابنا ابنته، وهذه بنته أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.

وتقدّم رسول الله فجثا على ركبتيه، فقال أبو حارثة: جثا ـ والله ـ كما جثا الأنبياء للمباهلة. فلم يتقدم للمباهلة. فقال له السيّد: ادنُ يا أبا حارثة للمباهلة. فقال: إنّي لأرى رجلاً جريئاً للمباهلة فأخاف أن يكون صادقاً، فلا يحول علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم. فقالوا لرسول الله: يا أبا القاسم، إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك.

---

(١) تفسير القمي ١: ١٠٤، والكوفي في تفسيره: ٨٧، روى خبراً عن علي ﷺ في صفحة تقريباً ولكنّه ذكر فيه ابن صوريا وابن الأشرف اليهوديين. والمشهور أن ابن الأشرف قتل قبل هذا بكثير فهو مما يبعد صحته. وفيه نقل خبرين عن الباقر ﷺ في مصاديق الآية فقط. وروى خبراً عن أبي رافع وخبراً عن الشعبي وعن شهر بن حوشب فيه: أنّه كان معهم العاقب وأخوه قيس وعبد المسيح بن أبقى واسم الحارث ومعهم أربعون حبراً.

وروى المفيد في الفصول المختارة: ٣٨ خبراً في مناقشة المأمون للرضا ﷺ في دلالة الآية على أكبر فضيلة لعلي ﷺ.

فصالحهم النبي على ألفي حُلة قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، وكتب لهم بذلك كتاباً[1].

وروى في تفسيره كما في «التبيان» عن الحسن أيضاً وقتادة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا غداً إلى محمد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيء!

فلما كان الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين يمشيان بين يديهما، وفاطمة تمشي خلفهما.

وخرج النصارى يقدمهم أُسقفُهم، فلما رأى النبيّ قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له: هذا ابن عمّه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من علي، وهذه الجارية بنته فاطمة أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.

وتقدّم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه، فقال الأُسقف أبو حارثة: جثا ـ والله ـ كما جثا الأنبياء للمباهلة. ولم يقدم للمباهلة، فقال له السيد: ادنُ يا أبا حارثة للمباهلة، فقال: إنّي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة فأخاف أن يكون صادقاً، ولئن كان صادقاً فلا يحول علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم!

وقال الأُسقف لرسول الله: يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك، ولكن نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به. فصالحهم رسول الله على:

١ ـ ألفي حلة قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد ونقص فعلى حساب ذلك.

٢ ـ وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً، إن كان كيد باليمن، ورسول الله ضامن حتّى يؤدّيها. وكتب لهم بذلك كتاباً[2].

---

(١) إعلام الورى ١ : ٢٥٦ ولم أجده في تفسيره.

(٢) مجمع البيان ٢ : ٧٦٢، وأشار إليه في التبيان ٢ : ٤٨٢.

نزول آل عمران :

وروى عن الربيع بن أنس وابن إسحاق والكلبي أن سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، نزلت في وفد نجران، وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم. وفي الأربعة عشر رجلاً ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم. العاقب عبد المسيح أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، والسيّد الأيهم ثمالهم وصاحب رحلهم، وأبو حارثة بن علقمة إمامهم وحبرهم وصاحب مدراسهم، وكان قد درس كتبهم وشرّف فيهم فكان ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده.

قدموا على رسول الله المدينة في مسجده بعد صلاة العصر. عليهم ثياب الحبرات جُبب وأردية في جمال رجال بني الحارث، وحانت صلاتهم وضربوا ناقوسهم فأخرجوه يضربون به واصطفّوا ليصلوا في مسجد رسول الله. فقالت الصحابة: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟! فقال رسول الله: دعوهم، فصلّوا إلى المشرق أي الشام وفلسطين والقدس[1].

ثم تكلم السيد والعاقب مع رسول الله، فقال لهما رسول الله: أسلما. فقالا: قد أسلمنا قبلك! فقال: كذبتما، يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير! فقالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ فقال لهم النبيّ: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلّا وشبه أباه؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربّنا حيّ لا يموت، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كل شيء ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا!

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٢: ٢٢٥ وحكاه الواحدي في أسباب النزول: ٨٤ عن المفسرين.

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى. قال: فهل يعلم عيسى من ذلك إلّا ما عُلِّم؟ قالوا: لا!

قال: فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، وربّنا لا يأكل ولا يشرب ولا يُحدث. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أنّ عيسى حملته أمّه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذّي كما يُغذّى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويُحدث؟ قالوا: بلى!

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟! فسكتوا. فأنزل الله فيهم سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها[1].

وقال المفيد في «الإرشاد»: قال الأسقف: يا محمد، ما تقول في السيد المسيح؟ قال النبي: هو عبد الله اصطفاه وانتجبه. فقال الأسقف: يا محمد، أتعرف له أباً ولده؟ فقال النبيّ: لم يكن عن نكاح فيكون له والد. فقال الأسقف: فكيف قلت إنّه عبد مخلوق وأنت لم ترَ عبداً مخلوقاً إلّا عن نكاح؟.

فأنزل الله سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2] فتلاها عليهم ودعاهم إلى المباهلة وقال: إنّ الله عزّ اسمه أخبرني أنّ العذاب ينزل عقيب المباهلة على المُبطل وبذلك يتبيّن الحق من الباطل.

---

(1) مجمع البيان ٢: ٦٩٥، ٦٩٦. وأشار إليه في التبيان ٢: ٣٨٨ عن الربيع وابن إسحاق وقتادة، وابن إسحاق في السيرة ٢: ٢٢٢ عن كرز بن علقمة أخي أبي حارثة، وعن محمد بن جعفر بن الزبير، ولم يذكر إقدام الرسول للمباهلة بأهل بيته ﷺ.

(٢) آل عمران: ٥٩ ـ ٦١.

فتشاوروا، واجتمع رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذلك. فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنّه على غير شيء!

فلما كان من الغد جاء النبي آخذاً بيد علي، والحسن والحسين تمشيان بين يديه وفاطمة تمشي خلفه. وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم، فلما رأى الأسقف النبي ومن معه سأل عنهم، فنظر الأسقف إلى السيد والعاقب وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إنه قد جاء بخاصّته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقّه، والله ما جاء بهم وهو يتخوّف الحجة عليهم، فاحذروا مباهلته، والله لولا مكان قيصر لأسلمت له. ولكن صالحوه على ما تتّفق بينكم وبينه، وارجعوا إلى بلادكم وارتئوا لأنفسكم! فتبعوه

فقال الأسقف: يا أبا القاسم، إنّا لا نباهلك ولكنّا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي على ألفي حلة قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً فيه ما صالحهم عليه.

معاهدة نصارى نجران :

وكان الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها، في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق لا يؤخذ منه شيء منهم غير ألفي حلة من حُلل الأواقي(1) ثمن كلّ حُلّة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك. يؤدّون ألفاً منها في صفر، وألفاً منها في رجب، وعليهم أربعون ديناراً مثوى رسولي مما فوق ذلك، وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي عدن،

---

(1) الأواقي: جمع الأوقية، والأوقية وزن يعادل وزن أربعين درهماً.

عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً عارية مضمونة. لهم بذلك جوار الله وذمة رسول الله محمد بن عبد الله، فمن أكل الربا بعد عامهم هذا فذمّتي منه بريئة» وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا.

هذا هو نصّ المفيد في «الإرشاد»[1] بلا إسناد ولا ذكر كاتب ولا إشهاد، وسبقه بذلك اليعقوبي قال: «... فذمّتي منه بريئة، ولا يؤخذ أحد بجناية غيره. شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وكتب عليّ بن أبي طالب»[2].

---

(١) الإرشاد ١: ١٦٧ ـ ١٦٩ وهو المصدر الوحيد لنصّ المعاهدة من أصحابنا.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٣، وقال محمد بن سعد في الطبقات ١: ٢٦٦ وفي ط ١ ق ٢: ٢١ كتب المغيرة (ابن شعبة الثقفي) بلا إشهاد، وتبعه ابن قيم الجوزية في زاد المعاد ٣: ٤١ وفي الخراج لأبي يوسف: ٧٢ وفي ط: ٧٨ كتبه عبد الله بن أبي بكر. وفي الأموال لأبي عبيد: ٢٧٢ نقل الكتاب عن أبي المليح وقال: شهد بذلك عثمان بن عفان، ومعيقيب، وكتب. ثم نقله عن عروة بن الزبير: ٢٧٥ ولم يذكر الكاتب وزاد في الإشهاد: أبا سفيان، والأقرع بن حابس الحنظلي التميمي، ومالك بن عوف النصري، وغيلان بن عمرو.

بينما جاء في المصنّف لابن أبي شيبة ١٤: ٥٥ و٥٥١ والأموال لأبي عبيد ٢٤٣ و٢٧٢ والأموال لابن زنجويه ١: ٢٧٦ و٤٨١ عن سالم بن أبي الجعد، وفي الخراج لأبي يوسف: ٨٠: أن الكتاب كان في أديم أحمر، وكان علي عليه السلام كتب الكتاب بين النبيّ ﷺ وبين أهل نجران، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٢٠ عن سالم، وعن عبد خير قال: لما ولي علي عليه السلام جاءه أهل نجران وأدخل بعضهم يده في كمّه وأخرج كتاباً (في الأديم الأحمر) فوضعه في يد علي عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين، هذا خطّك بيمينك وإملاء رسول الله عليك. قال عبد خير: وكنت قريباً من علي عليه السلام فرأيته لتجري الدموع على خدّه ثم رفع رأسه وقال لهم: يا أهل نجران، إنّ هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله. وانظر مكاتيب الرسول ٣: ١٤٨ ـ ١٨٢ و٢: ٤٨٩ ـ ٥٠٧.

المباهلة بالنساء وأبناء الخلفاء:

وأغرب السيوطي في تفسيره الآية بما أخرجه عن ابن عساكر (م ٥٧١ هـ) عن الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام قال: فجاء ﷺ بأبي بكر وولده! وبعمر وولده! وبعثمان وولده! وبعلي وولده![1] ولحق به الحلبي (م ١٠٤٤ هـ) في سيرته فروى: أنّهم تشاوروا مع بني قريظة(؟!) فلم يحضروا للمباهلة رأساً. فقال عمر للنبي ﷺ: لو كنت لاعنتهم فبيد من كنت تأخذ؟ فقال ﷺ: كنت آخذ بيد علي والحسن والحسين وفاطمة وحفصة وعائشة! ثم زاد: وهذا يدلّ عليه قوله تعالى «ونساءنا ونساءكم» قال: وفي لفظ (؟!): أنّهم واعدوه على الغد فلما أصبح جاء ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي. ثم مال إلى اختيار ما نقله أولاً ورجّحه على هذه الرواية المتواترة الثابتة القطعية[2] هذا وقد انقرض بنو قريظة قبل هذا بكثير فكيف شاوروهم؟!

وابن عساكر الدمشقي متوفّى في (٥٧١ هـ) ومن شعره في علم الحديث:

ولا تأخذه من صُحُفٍ فتُرمى ... من التصحيف بالداء العضال[3]

ولعلّه أخذ ما رواه عن الصادق عن الباقر عليهما السلام من الصحف فأصيب بداء التحريف.

فقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن أبيه الكاظم عليه السلام: أنّ هارون الرشيد سأله: كيف قلتم إنّكم ذرية النبي وهو لم يعقّب ذكراً وأنتم ولد البنت؟! فقلت: ... لي أن ... أزيدك يا أمير المؤمنين! قال: هات. فتلوت عليه آية

---

(1) الدر المنثور ٢: ٣٨ و٣٩.

(2) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ٣: ٢٤٠ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٥٠٦.

(3) هدية الأحباب: ٨٤ بالفارسية.

المباهلة ثم قال: ولم يدّع أحد أنّ النبي عند المباهلة مع النصارى أدخل تحت الكساء إلّا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، فكان تأويل قوله: «أبناءنا» الحسن والحسين، و«نساءنا» فاطمة، و«أنفسنا» علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال المرتضى في «الشافي»: لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه في المباهلة[2].

وقال الطوسي في «التبيان»: «وأنفسنا» أراد به نفسه ونفس علي عليه السلام، لم يحضر غيرهم بلا خلاف[3] وفي «مجمع البيان»: لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة[4] والطبرسي من القرن السادس، فيعلم أنّ دعوى دخول غيرهم كانت متأخّرة.

ولعلّ ابن عمر القرشي تنبّه لذلك فلم يدّع زيادة أحد فيمن قدّمهم للمباهلة منهم، بل عاد فحذف عليّاً عليه السلام رأساً[5].

ولعلّه أعجب من ذلك كله ما أثره السيّد رشيد رضا عن شيخه قال: إنّ الروايات متّفقة على أنّ النبي ﷺ اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة «نساءنا» على فاطمة، وكلمة «أنفسنا» على عليّ فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنّة[6].

---

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ٨٤، ٨٥.

(٢) كما في تلخيص الشافي ٣: ٧.

(٣) التبيان ٢: ٤٨٥.

(٤) مجمع البيان ٢: ٧٦٤.

(٥) البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر القرشي ٥: ٥٤.

(٦) تفسير المنار ٣: ٣٢٢.

وعلّق عليه المحقّق الطباطبائي فقال: وهذا الكلام ـ وأحسب أنّ الناظر فيه يكاد يتّهمنا في نسبته إلى مثله: وإنّه لا يرضى بإيداعه وأمثاله في الزبر العلمية ـ إنّما أوردناه (على وهنه وسقوطه) ليُعلم أنّ النزعة المتعصّبة إلى أين تورد صاحبها من سقوط الفهم ورداءة النظر، فيهدم كلّ ما بنى عليه ويبني كلّ ما هدمه ولا يبالي[1].

متى نزلت آل عمران؟

نحن ـ محرّر هذا الكتاب ـ بدأنا به وقد قرّرنا أن يكون تاريخاً للإسلام والقرآن الكريم نزولاً وأسباباً، وفي ترتيب النزول:

روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن «الإيضاح» لأحمد الزاهد بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن علي عليه السلام عن النبيّ ﷺ أخبره عن أوّل ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ثم «اقرأ» إلى أن قال: وأوّل ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران.

وبإسناده عن الحسن البصري وعكرمة (عن ابن عباس) وما نزل بالمدينة سورة المطفّفين ثم البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران.

وروى الطبرسي فيه عن الحاكم الحسكاني بإسناده عن عطاء الخراساني عن ابن عباس أيضاً قال: وأنزلت بالمدينة: البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران[2].

---

(١) الميزان ٣: ٢٣٥ و٢٣٦، وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٥٠٦، ٥٠٧.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٦١٣ و٦١٢ والخبر الأخير رواه الزركشي في البرهان ١: ١٩٣، ١٩٤، والسيوطي في الإتقان ١: ١٠ و١١ و٢٥ وعن دلائل النبوة للبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس أيضاً واعتمدها الشيخ معرفة في التمهيد ١: ١٠٣ و١٠٦.

وقد ذكرنا المطففين والبقرة، ونزول الأنفال في تقسيم الغنائم، والأنفال عقيب القتال في حرب بدر في أواخر الثانية للهجرة، وظاهر هذا وذاك الأخبار نزول آل عمران بعد الأنفال في الثالثة من الهجرة مثلاً.

بينما مرّ عن «التبيان» و«مجمع البيان» عن الربيع بن أنس وابن إسحاق والكلبي: أنّ سورة آل عمران إلى نيف وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران[1].

ومرّ أيضاً أنّ مباهلة وفد نجران كانت في الرابع أو الخامس والعشرين من ذي الحجة، وفي سنة المباهلة وإن كان العلّامة الأحمدي يقول: لا خلاف بين المؤرخين أن وفودهم كان العام العاشر للهجرة[2] إلّا أنّه مرّ في نصّ المعاهدة أنّه: «لا يؤخذ منهم شيء حتى أبي حنة... يؤدّون ألفاً منها في صفر، وألفاً منها في رجب» وسيأتي أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً عليه السلام إليهم إلى اليمن، ثم يخرج هو ﷺ لحجة الوداع في أواخر السنة العاشرة للهجرة، فيلتحق به علي عليه السلام ومعه الحلل النجرانية فإذا كان هذا في السنة العاشرة وجب أن يكون عهد الصلح قد وقع في ذي الحجة للعام التاسع للهجرة[3] ومعنى هذا أن يكون النيف والثمانون آية من آل عمران قد نزلت في أواخر العام التاسع وليس في غضون السنة الثالثة. اللهم إلّا أن يُعدّ هذا الخبر عن الربيع بن أنس وابن إسحاق والكلبي بنزول النيف والثمانين آية من آل عمران في وفد نجران استثناءً من الأخبار السابقة بنزولها ثالثة أو رابعة السور المدنية.

---

(١) التبيان ٢: ٣٨٨ ومجمع البيان ٢: ٦٩٥ والواحدي في أسباب النزول: ٨٤ عن المفسرين، وابن إسحاق في السيرة ٢: ٢٢٥.

(٢) مكاتيب الرسول ٢: ٤٩٦.

(٣) وانظر وقارن: سيد المرسلين ٢: ٦١٣.

وليس معنى معاهدة نجران أنّها فتحت للإسلام سلماً إلّا بالنسبة إلى النصارى بها، فإنّ أهل نجران كانوا صنفين: نصارى وأُمّيّين، فصالح النصارى (كما مرّ) وأمّا الأُمّيّون منهم فبعث عليهم خالد بن الوليد. نقل ذلك العلّامة الأحمدي وقال: إنّ الذي يحصّل بعد الإمعان والتدقيق: أنّ النبي صالحَ نصاراهم من بني الحارث بن كعب، ثم بعث خالداً على غيرهم[2].

* * *

---

(١) زاد المعاد لابن قيّم الجوزية ٣: ٤٥.

(٢) مكاتيب الرسول ٢: ٤٩٣ هامش ٢، وانظر: ٤٩٩.

أهم حوادث

السنة العاشرة للهجرة



قال المسعودي: في شهر ربيع الأول توفي إبراهيم بن رسول الله ﷺ وإنّما عاش سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام[1].

روى الحسبي في «المناقب» عن تفسير النقاش بإسناده عن ابن عباس قال: كنت عند النبي ﷺ وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من ربّ العالمين، فلما سُرّي عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربّك يقرأ عليك السلام ويقول: لستُ أجمعهما، فافدِ أحدهما بصاحبه.

ثم نظر إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين فبكى وقال: إنّ إبراهيم أُمّه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأُم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي! ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أُوثر حُزني على حزنهما، يا جبرئيل، يقبض إبراهيم فديته للحسين.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٣٨.

فقُبض بعد ثلاث. فكان النبي إذا رأى الحسين مُقبلاً قبّله وضمّه الى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم[1].

وروى البرقي في «المحاسن» بسنده عن الكاظم عليه السلام قال: لما قبض إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جرت في موته ثلاث سنن:

أما واحدة: فإنّ الشمس انكسفت فقال الناس: إنّما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله. فصعد رسول الله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلّوا[2].

قال: ثم نزل من المنبر فصلّى بالناس الكسوف.

فلما سلّم[3] قال: يا علي، قم فجهّز ابني. فقام علي فغسّل إبراهيم وحنّطه وكفّنه، ومضى رسول الله حتى انتهى به الى قبره. فقال الناس: إنّ رسول الله نسي أن يصلي على ابنه لما دخله من الجزع عليه!

فانتصب قائماً ثم قال: إن جبرئيل أتاني وأخبرني بما قلتم، زعمتم أني نسيت أن اُصلّي على ابني لما دخلني من الجزع! ألا وإنّه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا اُصلّي إلّا على من صلّى.

ثم قال: يا علي انزل وألحد ابني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده. فقال الناس: إنّه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله بابنه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٨، ٨٩ ط. بيروت.

(٢) المحاسن ٢: ٢٩ - ٣١ وفي فروع الكافي ٣: ٢٠٨.

(٣) وهو تاريخ تشريع صلاة الآيات وصورتها.

ولكن نهيت أمتي إذا حزن أحدكم الكف عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره»(١).

وروى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن عائشة قالت: لما مات إبراهيم بكى النبي حتى جرت دموعه على لحيته، فقيل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟! فقال ﷺ: ليس هذا بكاء، إنّما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم(٢).

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق ﷺ قال: لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون(٣).

ثم رأى النبي في قبره خللاً فسوّاه بيده ثم قال: إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن. ثم قال له: الحق بسلفك الصالح عثمان بن مظعون(٤). وكان قبره إلى قبر ابن مظعون.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧ والتنبيه والإشراف: ٢٣٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٨٨ ح ٨٥.

(٣) وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧.

وفي تفسير القمي بسنده عن الباقر ﷺ قال: لما هلك إبراهيم ابن رسول الله حزن عليه رسول الله حزناً شديداً، فقالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلّا ابن جريح!

فبعث رسول الله علياً وأمره بقتله، فذهب علي إليه ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي ﷺ باب البستان فأقبل إليه ليفتح الباب فلمّا رأى علياً عرف في وجهه الشر فلم يفتح الباب وأدبر راجعاً، فوثب علي على الحائط ونزل إلى البستان واتّبعه، وولّى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي في أثره فلما دنا منه رمى جريح بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فقال النبي: الحمد لله الذي صرف عنّا السوء أهل البيت. تفسير القمي ٢: ٩٩.

(٤) فروع الكافي ٢: ٢٦٢ و٢٦٣، الحديث ٤٥.

وقد مرّ النصّ على أن نصارى نجران عليهم أن يؤدّوا ألف حُلّة حريرة في شهر صفر، ثمّ ألفاً آخر في شهر رجب، ولم يستثنوا صفر الأول، وهذا يعني بفاصل شهرين عن المعاهدة ولا نجد نصّاً على أمر خالد باستلامها ولكنّا نظنّ ذلك، إذ لم يُذكر غيره لذلك يومئذٍ فيما يلي:

اسلام سائر العرب بنجران:

قال ابن اسحاق: في سنة عشر للهجرة في شهر ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاثاً فإن استجابوا يقبل منهم وإن لم يفعلوا يقاتلهم. وإن أسلموا يقيم فيهم يعلّمهم كتاب الله وسنّة نبيّه ومعالم الإسلام فلما وصل إليهم خالد بعث ركباناً ينادون: أيها الناس، أسلموا تسلموا، فأسلموا.

فكتب خالد الى رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلّا هو أما بعد يا رسول الله صلّى الله عليك، فإنك بعثتني الى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم الى ثلاثة أيام وأدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم وأقمت فيهم وعلّمتهم كتاب الله وسنّة نبيّه ومعالم الإسلام، وإن لم يسلموا أقاتلهم. وإنّي قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله بعثت فيهم ركباناً قالوا: يا بني الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا. وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأعلّمهم معالم الاسلام وسنّة النبيّ، حتى يكتب اليّ رسول الله. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته».

فكتب اليه رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبيّ رسول الله

إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه فبشّرهم وأنذرهم، وأقبل، وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

إسلام بني نُمير:

وروى عمر بن شبّة (م ٢٦٢هـ) في كتابه «تاريخ المدينة المنوّرة» عن أشياخ من بني نمير المحدّثين عن آبائهم: أنّهم وفدوا إلى النبي ﷺ ليسلموا فتسلّموا من خالد بن الوليد، فدنا منه شريح بن الحارث فأسلم وقال: خذ أماناً، قال: لمن؟ لأحد؟ قال: لبني نمير كلّها، قال: إني بعثت خالد بن الوليد إلى أهلكم، وهذه براءتكم، فكتب إليه كتاباً فيه: إذا أتاك كتابي هذا فانصرف إلى أهل العمق من أهل اليمامة، فإن بني نمير قد أتوني فأسلموا وأخذوا لقومهم أماناً.

فانطلق قرة وشريح النميريان حتى قدما على خالد ودفعا إليه كتاب رسول الله على رؤوس الناس، فقال خالد: أما والله حتى تلقوني بالأذان فلا! فأتوا قومهم فأمروهم أن يتلقوا خالداً بالأذان ففعلوا، فانصرف عنهم إلى أهل العمق فوقع بهم فقتلهم حتى سال واديهم دماً.

وانصرف قرة وشريح بن الحارث إلى النبي ﷺ حتى قدما عليه فاستعمل شريحاً على قومه وأمره أن يصدّقهم ويزكّيهم ويعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيّهم[2].

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٣٩، ٢٤٠، ونقله في بحار الأنوار ٢١: ٣٧٠ عن المنتقى.
وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٥١٠ ـ ٥١٥.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٢: ٥٩٦، وعنه في مكاتيب الرسول ٢: ٥١٦ ـ ٥١٩.

وقاتل خالد في البحرين

وروى الصدوق بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ كان قد بعث خالد بن الوليد الى البحرين (وكان قد عهد اليه في دماء المعاهدين من اليهود والنصارى ولم يعهد اليه في المجوس)، فأصاب بها دماء قوم من اليهود والنصارى والمجوس، فكتب الى رسول الله: «إنّي أصبت دماء قوم من اليهود والنصارى فوديتهم ثمانمائة ثمانمائة، وأصبت دماء قوم من المجوس، ولم تكن عهدت إليّ فيهم عهداً».

فكتب اليه رسول الله: «إنّ ديتهم مثل دية اليهود والنصارى، فإنّهم أهل كتاب»(1).

سريّة علي عليه‌السلام الى اليمن:

علمنا ممّا مرّ: كان خالد بن الوليد المخزومي مبعوثاً عنه ﷺ الى البحرين وقاتل فيها جمعاً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس، وانصرف

---

(1) كتاب من لا يحضره الفقيه ٤: ١٢١ والاستبصار ٤: ٢٦٨ والتهذيب ١٠: ١٨٦.

قال ابن اسحاق: ثم قدم هؤلاء الوفد الى رسول الله ومعهم وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين، ثمّ قدموا معه في شهر شوال قيل له: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، ولما وقفوا عنده سلّموا عليه وقالوا: نشهد أنّك رسول الله وأنّه لا إله إلّا الله، الحمد لله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم. ثم قال: بم كنتم تغلبون في الجاهلية من قاتلكم؟ قالوا: كنّا نغلب من قاتلنا ـ يا رسول الله ـ أنّا كنّا نجتمع ولا نتفرّق ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم. ثم أمّر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا الى قومهم في أواخر شهر شوّال أو أوائل شهر ذي القعدة الحرام.

ولا نجد نصّاً على جولة خالد بسريّة نجران في شهر رجب، كما مرّ، ولكن إذا كان رجوعه الى المدينة من نجران بعد شهر رجب ـ كما يأتي ـ فمظنّ ذلك إذ لم يذكر غيره.

يأمره ﷺ عن بني نمير إلى أهل العمق من اليمامة وقاتلهم حتى سال واديهم دماً. وإلى غير النصارى من بني الحارث بن كعب بنجران ولكنّهم أسلموا ووفدوا معه إليه ﷺ بأمره في كتابه إليه: «فبشّرهم وأنذرهم وأقبل، وليقبل معك وفدهم».

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: ما أجمع عليه أهل السير: أنّ النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن (!)، يدعوهم إلى الإسلام، فأقام خالد على القوم ستّة أشهر (من ربيع الآخر إلى آخر رمضان أو أوائل شوّال) فلم يجبه أحد منهم (كذا!)، فساء ذلك رسول الله ﷺ، فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يُقفِل خالداً ومن أراد أحد ممن مع خالد أن يُعقّب معك فاتركه[1] بلا تاريخ. إلّا أنّ الواقدي قيّد ذلك بشهر رمضان من العاشرة للهجرة[2].

ولكن المفيد لم يؤرّخ لذلك. زاد على المقصد السابق أنّه ﷺ كان قد أنفذه إلى اليمن ليخمّس ركازها[3] ويقبض على ما وافق عليه أهل نجران من الحُلل والعين وغير ذلك[4]. هذا وقد أسلفنا قبلها بصفحة في كتاب صلحهم: ألفي حُلّة من حُلل الأواقي يؤدّون ألفاً منها في صفر، وألفاً منها في رجب[5] فهل كان ميعاده لشهر صفر أم شهر رجب؟

اللهم إلّا أن يقال إنّه كان مأموراً بقبض ذلك من خالد، بعد أن قبضها خالد منهم في آخر شهر رجب ثم قبضها منه علي عليه السلام في أواخر شهر رمضان أو أوائل شهر شوّال، كإبداء كراهة النبي ﷺ من كمّه عمل خالد في قتل الناس من أهل الكتاب وغيرهم.

---

(١) الإرشاد ١: ٦١، ٦٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٩.

(٣) الركاز: ما ارتكز في الأرض من الكنز.

(٤) الإرشاد ١: ١٦٧. (٥) الإرشاد ١: ١٦٩.

وروى المفيد في مقاصد إنفاذه عليه السلام في ... أراد رسول الله ﷺ إنفاذه إلى اليمن ليعلّمهم الأحكام، ويعرّفهم الحلال والحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن والإسلام، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، تندبني للقضاء وأنا شابّ ولا علم لي بكل القضاء؟ فقال له: ادنُ منّي. فدنا منه فضرب بيده على صدره وهو يقول: اللهم اهدِ قلبه، وثبّت لسانه[1] وفهّمه القضاء. وقال له: إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقضِ للأوّل حتّى تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء[2].

وقال له: يا علي، لا تقاتلنّ أحداً حتى تدعوه، وايم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي[3] يعني تكون واليه ووارثه إذا لم يكن له وارث مسلم[4] فهو وارث من لا وارث له وكيلاً من قبل النبيّ ﷺ.

وقال له: يا علي، أُوصيك بالدعاء فإنّ معه الإجابة، وبالشكر فإنّ معه المزيد، وإيّاك أن تخفر عهداً أو تعين عليه، وأنهاك عن المكر، فإنّه «لا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله»، وأنهاك عن البغي، فإنّه من بُغي عليه لينصرنّه الله»[5].

ثم أمره أن يعسكر بقُباء، فعسكر بها حتّى يجتمع معه أصحابه ثم عقد له

---

(١) الإرشاد ١: ١٩٤، ١٩٥ وبهامشه مصادر عديدة، وإعلام الورى ١: ٢٥٨ وبهامشه مصادر أُخرى كثيرة.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ٣: ١٣ ح ٣٢٢٨، ط الغفّاري. وفي أسبابه والسهو به أنّه قالها له ذلك عند بعثه إلى اليمن، كما عنه في سيرة المصطفى: ٦٧٩.

(٣) الكافي ٥: ٨ ب ١ ح ١٤ و ٣٦ ب ١٤ ح ٤ والفقيه ٢: ١٧٣ ب ٦٧ ح ٢، والتهذيب ٦: ١٤١ ب ٦٢ ح ٢.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٣٦١.

(٥) أمالي الطوسي: ٥٩٧ ح ١٢٣٩.

رسول الله يومئذٍ لواءً: أخذ عمامة فلفّها مثنيّة مربّعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه وقال: هكذا اللواء! وعمّمه عمامة ثلاثة أكوار، وجعل منها ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، وقال: هكذا العِمّة.

ثم قال له: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم حتى تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا: لا إله إلّا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تصلّوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل لهم: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردّونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت![1]

ثم خرج في ثلاثمئة فارس إلى أرض مذحج أي جمع من زُبيدٍ وغيرهم[2].

إسلام همدان:

وحيث قال النبي لعلي (عليه السلام): إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقّب معك فاتركه. وكان ممن مع خالد البراء بن عازب الأنصاري فتعقّب عن خالد مع علي (عليه السلام).

فروى عنه المفيد قال: بلغ الخبر همدان فجمعوا له، فصلّى بنا علي (عليه السلام) الفجر، ثم تقدّم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلم كل همدان في يوم واحد.

وكتب أمير المؤمنين بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قُرئ كتابه ابتهج واستبشر

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨٢.

وخرّ ساجداً شكراً لله عزّ وجل ثم رفع رأسه فجلس، وقال: السلام على همْدان، السلام على همْدان.

وبعد إسلام همْدان تتابع أهل اليمن على الإسلام(1).

وبنو زُبَيد بأرض مذحج:

قال الواقدي: قالوا: لما انتهى إلى أرض مَذْحِج فرّق أصحابه فلم يلقاهم جَمْعٌ، فرجعوا إليه بغنائم من نَعَم وسبي، فجعل على الغنائم بُريدة بن الحُصَيب.

ثم لقي جمعاً منهم، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فدفع لواءه إلى مسعود بن سنان السُلَمي، فبرز رجل من مَذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود السُلَمي وهما فارسان فتجاولا ساعة حتى قتل الأسود الرجل وأخذ سلبه.

ثم حمل عليهم علي عليه السلام بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتركوا لواءهم قائماً وانهزموا وتفرّقوا، فكفّ عن تعقيبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فسارعوا بالإجابة وتقدّم نفر من رؤسائهم فبايعوه وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه أموالنا فخذ منها حق الله(2).

---

(1) الإرشاد 1: 62 ونحوه في التنبيه والإشراف: 238 وفيه: فأسلم أهل اليمن تتابع بعد إسلام همدان. وإسلام همدان كان على يد علي عليه السلام في شهر رمضان ولعلّه كان في العشر الأخير منه في سنة العاشرة. وقد مرّ سابقاً استبعاد ما أفاده ابن إسحاق من نقل كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن عبد كُلال بوصفه ملك اليمن (4: 255)، وكذلك نقل جواب النبي لكتابه وكتاب أخويه النعمان ونعيم بوصفهم أمراء معافر وذي رُعين وهمدان (4: 235)، محتوياً على إسلام همدان وقتالهم مع المشركين لديهم، مما يُظنّ به أنه أُريد منه أن يكون بديلاً عن هذا الخبر المعتبر عن إسلام همدان مع علي عليه السلام ولا سيّما مع ذكر ذلك دون هذا. وابن الأثير ذكر ذلك في السنة العاشرة. وأشار إليه المجلسي في بحار الأنوار 21: 363.

(2) مغازي الواقدي 2: 1079، 1080.

فلما ظفر علي عليه السلام على عدوّه ودخلوا في الإسلام، جمع ما غنم منهم وأوقفه إلى بريدة بن الحُصَيب، وأقام بين أظهرهم. وكتب إلى رسول الله كتاباً يخبره فيه أنّه لقي جمعاً من زبيد وغيرهم، فدعاهم إلى الإسلام وأعلمهم أنّهم إن أسلموا كفّ عنهم، فأبوا ذلك، فقاتلهم «فرزقني الله الظفر عليهم حتى قُتل من قُتل منهم ثم أجابوا إلى ما كان عُرض عليهم فدخلوا في الإسلام، وأطاعوا بالصدقة. وأتى بشر منهم فعلّمتهم قراءة القرآن» وبعث به إليه مع عبد الله بن عمرو المُزني.

ورجع عبد الله المزني إليه بأمره ﷺ إيّاه أن يوافيه في الموسم[1].

وكان مَن قبله من أمراء العساكر يتنفّلون أصحابهم ويعطونهم من الخمس، فلما يخبرون النبي ﷺ بذلك لا يستردّه منهم، فطلبوا مثل ذلك من علي عليه السلام فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله وهو يوافي الموسم ونلقاه فيصنع فيه ما أراه الله. وجمع عليه السلام ما أصاب من تلك الغنائم فجزّأها خمسة أجزاء، فأقرع عليها وكتب في سهم منها لله، فخرج أوّل السهام سهم الخمس[2].

وروى الواقدي عن أبي سعيد الخدري أنّه كان مع علي عليه السلام باليمن فقال: كان يأخذ الصدقات يأمر من يسعى بذلك عليهم، وكان يأتيهم في أفنيتهم، وكان يعمد فما أُتي به من شاة فيها وفاء له أخذه، ولا يفرّق الماشية ولا يكلّف الناس مشقّة، فيأخذ البعير من الإبل، والبقرة من البقر، والشاة من الغنم، والزبيب من الزبيب، والحبّ من الحبّ، ويقسّمه على فقرائهم من هاهنا وهاهنا، يعرفهم

---

(1) المصدر السابق ٢: ١٠٨١ ـ ١٠٨٢ وفيه: إن كعب الأحبار بعد بلغه قدوم علي عليه السلام إلى اليمن أقبل إليه فوافاه وسمع بعض خطبه فصدّقه، ثم استخبره عن صفة النبيّ فأخبره فتبسّم وقال: يوافق ما عندنا من صفته، ثم سأله عمّا يحلّ ويحرّم فأخبره فقال: هو عندنا كما وصفت، وصدّق به وآمن.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨٠.

ورُوي عن رجاء بن حيوة: أنّه عليه‌السلام قضى في دية النفس على أهل الإبل مئة من الإبل، وعلى أهل البقر مئتي جَذَعة أو مئتي بقرة نصفها تبيع ونصفها مسانّ، وعلى أهل الغنم ألفي شاة (كذا) وعلى أهل الحُلل ألفي ثوب معافريّة[١].

من قضايا علي عليه‌السلام في اليمن:

قال المفيد في «الإرشاد»: لمّا تقرّب به الدار باليمن ونظر فيما ندبه إليه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من القضاء والحكم بين المسلمين، رُفع إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقّها على السواء، فلقرب عهدهما بالإسلام وقلّة معرفتهما بما تضمّنته الشريعة من الأحكام جهلا حَظْرَ وطئها بل ظنّا جواز ذلك، فوطئاها معاً في طهر واحد، فحملت الجارية ووضعت غلاماً، فاختصما فيه إلى علي عليه‌السلام.

فقال عليه‌السلام لهما: لو علمت أنّكما أقدمتما على ما فعلتماه بعد الحجّة عليكما بحظره لبالغت في عقوبتكما! ثم قرع على الغلام باسميهما، فخرجت القُرعة لأحدهما، فألحق الغلام به وألزمه نصف قيمته لشريكه؛ لأنّه عبدٌ له.

ولما بلغ ذلك رسول الله قال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داوود وسبيله في القضاء. يعني القضاء بالإلهام[٢].

ثم رُفع إليه عليه‌السلام وهو باليمن خبر زُبية (حُفرة بمكان عالٍ) حُفرت للأسد فوقع فيها، فغدا الناس ينظرون إليه، فوقف على شفير الزُّبية رجل فزلّت قدمه فتعلّق بآخر وتعلّق الآخر بثالث وتعلّق الثالث بالرابع فوقعوا في الزُّبية فهلكوا جميعاً.

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨٥.

(٢) الإرشاد ١: ١٩٥ والخبر عن الباقر عليه‌السلام في فروع الكافي ٥: ٤٩١ وكتاب من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٤ وتهذيب الأحكام ٦: ٢٣٨.

فقضى عليه‌السلام أن للأول فريسة الأسد وعليه ثلث الدية للثاني، وعلى الثاني ثلثا الدية للثالث، وعلى الثالث الدية كاملة للرابع.

وانتهى الخبر بذلك الى رسول الله ﷺ فقال: لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه[1]

ثم رُفع إليه: خبر جارية حملت جارية على عاتقها في لعب، فقرصت أُخرى الحاملة فقفزت لذلك فوقعت الراكبة فاندقّ عنقها وهلكت، فقضى عليه‌السلام على القارصة بثلث الدية، وعلى القامصة (القافزة) ثلثها، وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة (الراكبة) عبثاً.

وبلغ الخبر بذلك الى النبي ﷺ، فأمضاه وشهد له بالصواب[2]

ووقع حائط فقتل جمعاً فيهم حرّة وبها طفل من حُرّ، ومملوكة وبها طفل من مملوك، فلم يعرف الحر من المملوك

فقرع بينهما وحكم بالحرّية لمن خرج له سهم الحرية، وبالرق لمن خرج له سهم الرق، وحكم في ميراثهما بالحكم في الحرّ ومولاه. فأمضى رسول الله ﷺ هذا القضاء وصوّبه[3]

---

(1) الإرشاد ١: ١٩٦، والخبر عن الصادق عليه‌السلام في فروع الكافي ٧: ٢٨٦ ح ٣ وكتاب من لا يحضره الفقيه ٤: ٨٩ ح ٢٧٨، وتهذيب الأحكام ١٠: ٢٣٩ ح ٩٥١. وفي مغازي الواقدي ٣: ١٠٨٦، وفيه: أن نفراً منهم أتوا مع علي عليه‌السلام الى الحج فجلسوا بين يدي النبي ﷺ فقصّوا عليه خبرهم، فقال: أنا أقضي بينكم إن شاء الله، فقالوا: يا رسول الله إنّ عليّاً قد قضى بيننا، فقال: فيم قضى بينكم؟ فأخبروه بما قضى به، فقال: هو ما قضى به. فقال نفر: هذا قضاء من رسول الله، وقاموا.

(2) الإرشاد ١: ١٩٦، وفي المقنعة: ٧٥٠، وباختلاف في الفقيه ٤: ١٢٥، والتهذيب ١٠: ٢٤١، وأشار الى الحديث ابن الأثير في النهاية ٤: ٤٠ و ١٠٨ و ٢١٤

(3) الإرشاد ١: ١٩٧.

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: أُفلت فرس لرجل من أهل اليمن ومرّ يعدو، فمرّ برجل فنفحه برجله فقتله، فجاء أولياء المقتول إلى الرجل فأخذوه ورفعوه إلى عليّ عليه السلام، فأقام صاحب الفرس البيّنة عند عليّ عليه السلام أنّ فرسه أفلت من داره ونفح الرجل، فأبطل عليّ عليه السلام دم صاحبهم.

فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّ عليّاً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا! فقال رسول الله ﷺ: إنّ عليّاً عليه السلام ليس بظلّام، ولم يُخلق للظلم، إنّ الولاية لعليّ من بعدي، والحكم حكمه، والقول قوله، ولا يردّ ولايته وقوله وحكمه إلّا كافر، ولا يرضى ولايته وقوله وحكمه إلّا مؤمن.

فلمّا سمع اليمانيّون قول رسول الله في عليّ قالوا: يا رسول الله، رضينا بحكم عليّ وقوله. فقال رسول الله: هو توبتكم ممّا قلتم[1].

وفد بني غامد من الأزد:

وحيث كان بعث النبيّ ﷺ عليّاً عليه السلام إلى اليمن للمرّة الثانية في شهر رمضان للعاشرة، ففي الشهر نفسه قدم وفد غامد من الأزد اليمن على رسول الله ﷺ وهم عشرة، فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام، ودفعوا إلى أُبيّ بن كعب فعلّمهم من القرآن، وكتب لهم رسول الله كتاباً فيه شرائع الإسلام، ولم يروا نصّ الكتاب[2].

وقد قسّم الجوهري الأزد إلى ثلاثة أقسام: بنو نصر بن الأزد، ولقب نصر شنوءة فهم أزد شنوءة، ومنهم من سكن السَّراة أطراف اليمن فسمّوا أزد السراة

---

(١) فروع الكافي ٧: ٣٥٢ ب ٤٣ ح ٨، والتهذيب ١٠: ٢٢٨ ب ١٨ ح ٣٣، والراوندي في قصص الأنبياء: ٢٨٦، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٣٦٢ ح ٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١ (القسم الثاني): ٧٦ و ٧٧ و ١: ٣٤٥، ط بيروت، وانظر مكاتيب الرسول ١: ٤ ٣.

والثالث من سكن عُمان شمر بحرين فسمّوا أزد عمان. والأزد من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً وأمدّها فروعاً[1].

وروى المتّقي الهندي في «كنز العمال» عن ابن عساكر بإسناده عن أبي راشد عبد الرحمن بن عُبيد قال: قدمت على النبي في مئة رجل من قومي، فلما دنونا من النبي ﷺ وقفنا، فتقدّمت قومي وأنا أصغرهم فقلت: أنعم صباحاً يا محمد، فقال النبي: ليس هذا سلام المسلمين بعضهم على بعض، إذا لقيت مسلماً فقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم قال لي: ما اسمك ومن أنت؟ قلت: أنا أبو معاوية عبد اللات والعزّى! قال: بل أنت أبو راشد. ثم أجلسني وأكرمني فأسلمت. ثم كتب معه كتاباً الى الأزد، كتبه عمّه العباس بن عبد المطلب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى من يقرأ كتابي هذا، من شهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأقام الصلاة فله أمان الله وأمان رسوله، وكتب هذا الكتاب العباس بن عبد المطلب»

وقدم منهم وفد سنة عشر في بضعة عشر رجلاً رأسهم صُرد بن عبد الله، فأسلم وأسلموا. فأمّره رسول الله على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد المشركين. فسار الى مدينة جُرش وفيها قبائل من اليمن منهم خثعم وغيرهم، فحاصروهم قريباً من شهر فامتنعوا منه، فرجع عنهم متوجهاً الى صنعاء اليمن حتى كان بجبلٍ يقال له كُشَر من جُرش، وخرج أهل جُرش في طلبه، فعطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً.

وبعد ذلك خرج وفد أهل جُرش الى النبي ﷺ فأسلموا[2].

---

(١) راجع المصادر في مكاتيب الرسول ٣: ٢٨٠.

(٢) انظر مكاتيب الرسول ٣: ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١ وابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٣٤.

وفد الرهاويّين من مذحج:

وفي السنة نفسها ومن مذحج اليمن قدم المدينة خمسة عشر رجلاً من الرهاويّين ومعهم هدايا لرسول الله منها فرس تدعى المروح، ونزلوا دار رملة بنت الحارث. فأتاهم رسول الله فتحدّث عندهم طويلاً، وكتب لهم كتاباً عنه رسول الله يُجرى لهم من محاصيل خيبر(١).

وفروة بن مُسيك المرادي

ويُفهم من قول ابن إسحاق في سيرته: أن أول ملوك كندة من بني مراد اليمن إسلاماً هو فروة بن مُسيك المرادي رئيس مراد، إذ قال: قدم ... مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم(٢) ولعلّه لذلك تردّد ابن سعد أنّه كان في سنة تسع أو عشر من الهجرة(٣) بينما جزم ابن حبّان فقال: في سنة (١٠) قدم مراد ورأسهم فروة بن مسيك(٤).

وقال ابن سعد: نزل على سعد بن عبادة يتعلّم القرآن وفرائض الإسلام واستعمله النبي ﷺ على مراد ومذحج وزُبيد(٥).

---

(١) الطبقات الكبرى ١ (القسم الثاني): ٧٦ و١: ٣٤٤، ط. بيروت، وانظر مكاتيب الرسول ١: ٢٩٦.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٢٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ١١١.

(٤) الثقات لابن حبان ٢: ١١٧، وانظر مكاتيب الرسول ١: ٢٥٣، ٢٥٤.

(٥) الطبقات الكبرى ٢: ١١١ وقال: وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ولم يزل عليها حتى توفي النبي، وكأنّه أُريد به معارضة خبر المصير مع علي (ع)، وانظر مكاتيب الرسول ١: ٣٠٣، ٣٠٤. وفروة هو الذي استشهد الحسين (ع) ببعض شعره في بعض خطبه في عاشوراء، كما في مقتل الخوارزمي ٢: ٧، ط. النجف الأشرف.

بعث معاذ الى اليمن:

كان بنو سلمة من الخزرج بالمدينة من السابقين الأولين من المسلمين بها، منهم مُعاذ بن جبل، ولأول مرة نواجه اسمه مع ابن عمه مُعاذ بن عمرو بن الجموح من فتيان بني سلمة ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفر بني سلمة منكّساً على رأسه[1].

وآخر عهدنا به مرّ في الخبر: أنّه ﷺ خلّف أبا موسى الأشعري ومُعاذ بن جبل بمكة يعلّمان الناس القرآن وفقه الدين. ويبدو أنّه انتدب لدعوة النبي مع مسلمي أهل مكة الى حرب تبوك عمّه العباس بن عبد المطلب، كما مرّ، فهو حاضر في أخبار تبوك.

وذكر ابن اسحاق: أنّ رسول الله ﷺ أرسل الى زُرعة ذي يزن في اليمن:

«أمّا بعد فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّه عبده ورسوله. ثم إنّ مالك بن مرّة الرهاوي قد حفظ الغيب وبلّغ الخبر. وقد حدّثني أنّك أول حمير أسلمت وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وآمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسول الله هو ولي غنيّكم وفقيركم.. وإنّي قد أرسلت اليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، فآمرك بهم خيراً فإنهم منظور اليهم. فأوصيكم بهم خيراً: عبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرّة. وإنّ أميرهم مُعاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلّا راضياً. وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلي. وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنّما هي زكاة تُزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل»[2].

---

(1) ابن اسحاق في السيرة ٢: ٩٥.

(2) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٣٦ و٢٣٧.

هذا بعد أن بدأ النصّ بقوله: قدم على رسول الله كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك من ملوك معافر وذي رُعين وهمدان. وحيث كان الخبر المعتبر عندنا إسلام همدان على يدي علي عليه السلام وكان ذلك في شهر رمضان من العاشرة للهجرة كما مرّ، لذلك لم نعتبر هذا الخبر المرسل من ابن إسحاق، مع استبعادات أُخرى في نصّ الرسالة، مع اضطراب وتشويش في النصّ ـ عدّلناه فيما نقلناه ـ ومع خلط وخبط بين نصّين من كتابين إلى أقيال اليمن: إلى عبد كُلال وذي يزن. وسيأتي أنّه بُعث إلى سواهم.

وذكر ابن الأثير[1]: أنّ مُعاذاً كان من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وأسمحهم كفّاً، فاقترض ديناً كثيراً حتى تغيّب عنهم في بيته أيّاماً، فأرسل عليه رسول الله ليبعث به إلى اليمن وقال له: لعلّ الله يجبرك ويؤدّي عنك[2].

وروي عنه قال: لمّا بعثني رسول الله إلى اليمن خرج معي يوصيني يمشي تحت راحلتي وأنا راكب[3] إلى أكثر من ميل ثمّ قال له:

يا مُعاذ، علّمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة، وأنزل الناس منازلهم خيرهم وشرّهم، وأنفذ أمر الله فيهم ولا تحاش في أمره ولا ماله أحداً فإنّه ليس بولايتك ولا مالك، وأدّ إليهم الأمانة في كلّ قليل وكثير. وعليك بالرفق والعفو في غير ترك للحقّ كي لا يقول الجاهل قد تركت من حقّ الله، واعتذر إلى أهل عملك من كلّ أمر خشيت أن يقع إليك منه عيب حتى يعذروك، وأمت أمر الجاهلية إلّا ما سنّه الإسلام، وأظهر أمر الإسلام كلّه صغيره وكبيره.

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٧٧

(٢) تاريخ الخميس ٢: ١٤٢

(٣) كنز العمّال ١٠: ٣٩٢

ولكن أكثر من تلك الصلاة فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين، وذكّر الناس بالله واليوم الآخر، واتبع الموعظة فإنه أقوى لهم على العمل بما يحب الله، ثم بثّ فيهم المعلمين، واعبد الله الذي إليه ترجع، ولا تخف في الله لومة لائم.

وأوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ولين الكلام، وبذل السلام، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، وحسن العمل، وقصر الأمل، وحبّ الآخرة، والجزع من الحساب، ولزوم الإيمان، والفقه في القرآن، وكظم الغيظ، وخفض الجناح.

وإيّاك أن تشتم مسلماً، أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تكذّب صادقاً، أو تصدّق كاذباً، واذكر ربّك عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة، السرّ بالسرّ، والعلانية بالعلانية.

يا معاذ، لولا أنني أرى أن لا نلتقي إلى يوم القيامة لقصرت في الوصية، ولكنّني أرى أن لا نلتقي أبداً، ثم اعلم يا معاذ أن أحبّكم إليّ من يلقاني على مثل الحال التي فارقني عليها[1].

إنّك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[2] وكتب له في عهده:

أن لا طلاق لامرئ فيما لا يملك، ولا عتق فيما لا يملك، ولا نذر في معصية، ولا

---

(١) تحف العقول: ٢٥، ٢٦.

(٢) البداية والنهاية ٥: ١٠٠.

في قطيعة رحم، ولا هيا لا علك. وعلى أن تأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله من المعافر (الثياب) وعلى أن لا تمسّ القرآن إلّا طاهراً، وإنّك إذا أتيت اليمن يسألك نصاراها عن مفتاح الجنة فقل: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له[1].

إنّ طبيعة الأمور بملاحظة خارطة اليمن تقتضي تقدم الإسلام في اليمن بترتيب نجران ثم همدان ثم صنعاء ثم زبيد ثم الجند ثم عدن على منعطف البحر الأحمر نحو بحر عمان.

وفي أكثر أخبار بعث معاذ إنّما جاء ذكر اليمن، وإنّما جاء في بعضها ذكر مخلاف (محافظة) الجند بعد صنعاء إلى عدن، فمرّ معاذ بصنعاء في طريقه إلى الجند، فصعد منبراً فحمد الله، وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه ﷺ ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله

---

(1) كنز العمال ١٠: ٣٩٢ و٣٩٣.

وفي الإفصاح لابن شاذان (م ٢٦٠هـ): ١٠٤، وقالوا: فلا بدّ من النظر واستعمال الرأي فيما لم يأت به الرواية عنه لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل لما وجّهه إلى اليمن قاضياً: بم تقضي يا معاذ؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فما لم يكن في الكتاب؟ قال: فبسنّة رسول الله. قال: فما لم يكن في السنّة؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو. قالوا: فضرب رسول الله على صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يحب. (الطبقات الكبرى ٢: ٥٨٤).

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٤٣٩: الحارث بن عمرو عن رجال له عن معاذ بحديث الاجتهاد، تفرّد به أبو عون محمد بن عبيد الله الثقفي عن الحارث بن عمرو الثقفي ابن أخ المغيرة بن شعبة، وما روى عن الحارث غير أبي عون، فهو مجهول. وقال البخاري: لا يصحّ حديثه. وقال الترمذي: إسناده عندي ليس بمتصل.

وناقشه ابن حزم في المحلّى ١: ٦٢ بقوله: وحديث معاذ: أجتهد رأيي ولا آلو، لا يصح، لأنه لم يروه أحد إلّا الحارث بن عمرو ـ وهو مجهول ـ عن رجال من أهل حمص لم يسمّهم، عن معاذ. وانظر: دروس في فقه الإمامية للشيخ الفضلي ١: ٨٢ ـ ٨٦.

إلى أهل اليمن. ثم انتهى إلى الجند وفيه جبل حوله من كندة السكون والسكاسك، وأشرف معاذ على الجبل وأذّن، فلما سمعوا صوت الأذان أقبلوا إليه سراعاً، فسألوا عنه ولما عرفوه أنه رسول نبي الله قالوا: بم أرسلك؟ فقال: هذا عهد رسول الله بعثني إليكم، فأخرج عهده فقرأه عليهم، وكان في عهده:

«أوصيك يا مُعاذ بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وترك الخيانة، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وتلاوة القرآن، وإياك يا معاذ أن تصدّق كاذباً، أو تكذّب صادقاً، أو تعين ظالماً، أو تقطع رحماً، أو تشمت بمصيبة..»[2]

ومن قضاياه في اليمن ما أرسله الصدوق عن أبي الأسود الدؤلي: أن جمعاً جاؤوا إلى معاذ بن جبل باليمن يسألونه عن ميراث يهودي مات وترك أخاً مسلماً فقال مُعاذ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام يزيد ولا ينقص» فورّث المسلم من أخيه اليهودي[3].

---

(١) يظهر من الخبر سبق الإسلام إلى صنعاء، وذلك لإسلام باذان زعيم أبناء الفرس في اليمن وإسلام أكثرهم معه لتصديقهم بصدقه فيما أخبر به من قتل خسرو پرويز، وإقراره من قبله على حكمه على اليمن.

(٢) انظر مكاتيب الرسول ٢: ٥٩٧، ٥٩٨ عن الوثائق السياسية: ٢١٦ عن أمالي الطوسي ١٢٩ وانظر من مكاتيب الرسول ٢: ٦٠٠ ـ ٦٠٢ حيث ترجم لخمسة ممن كانوا مع معاذ، فلم يكن هو وحده.

(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٤ ب ٧٠، ح ٥٧٢٠ ورواه قبله أبو داود في سننه وابن حنبل في مسنده. وفي أيام مكثه باليمن رووا كتاباً من النبي ﷺ فيه تعزية بابنه رواه الحراني في تحف العقول: ٤٧، وأبو نعيم (م ٤٣٠هـ) في حلية الأولياء ١: ٢٣٢ ـ ٢٤٣ وتكلم في صحة الحديث فقال: هذه الروايات ضعيفة لا تثبت، فإن وفاة ←

إرسال عمرو بن حزم الى اليمن :

مرّ في خبر إرسال خالد بن الوليد المخزومي الى اليمن ، وكتاب النبي ﷺ إليه : « وأقبل وليُقبل معك وفدهم » أنه أقبل ومعه وفد بني الحارث بن كعب

→ أعيه الرحمن بن مُعاذ كان بعد وفاة رسول الله مستنبن وإنّما كتبه بعض الصحابة فتوهّم الراوي نسبتها الى النبي ﷺ ، وتبعه ابن الجوزي (م ٥٩٧ هـ) في الموضوعات ، ونقله عنه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٠ : ٢٢٥ .

وأخرج أبو نعيم : أن معاذاً مكث في اليمن حتى قبض رسول الله ﷺ فقدم الى المدينة ، فقال عمر لأبي بكر : دع لهذا الرجل ما يُعيشه وخذ سائره منه ، فقال ابو بكر : انّما بعثه النبي ليجبره ، فلستُ آخذ منه شيئاً إلّا أن يعطيني هو ! وفي الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ : ٣٥٨ ، وانظر مكاتيب الرسول ٣ : ٥٥٥ .

ولا نرى أثراً لمعاذ في حجة الوداع ، ولا في بعث جيش أسامة ، ولا في مرض ووفاة رسول الله ، ولا في السقيفة ، وأوّل ما نرى أثره بعد السقيفة في أوائل بيعة أبي بكر ، كما في كتاب سليم بن قيس : ٥٧٨ ح ٤ : أنّ أوّل من بايعه المغيرة بن شعبة ثم ... ومعاذ بن جبل ، فهو سادسهم . وفي : ٥٨٧ أنه كان فيمن عليهم السلاح وهم حول أبي بكر حين انتهى بعلي ﷺ الى أبي بكر ليبايعه . وفي : ٥٨٩ و ٦٣١ : أنه كان ممّن صدّق أبا بكر في قوله إنّه سمع رسول الله يقول : إنّا أهل بيت أكرمنا الله عزّ وجل واصطفانا ، واختار لنا الآخرة على الدنيا ، ولم يرضَ لنا بالدنيا ، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة . فصدّقه عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل ، فقال لهم علي ﷺ : لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة . وفي : ٥٩٠ أنهم كتبوا باتفاق منهم في المحرم سنة عشرة من الهجرة ، فهي قبل إرسال معاذ الى اليمن ، فلعلّه كان لإبعاده عنهم أو لتقريبه منهم .

ولعلّ إمهال أبي بكر للأموال معه كما مرّ كان لتأليفه لهم . ومن تاريخ الصحيفة يبدو أنّ سفر معاذ لم يكن بعد رجوع النبي من تبوك كما في ابن هشام ، وعليه فلم تكن سفرته أربعة عشر شهراً كما ذكره المحقق العصري في تحف العقول : ٢٦ وذكره في حاشية بحار الأنوار ٧٧ : ١٢٦ .

والخبر كان عن ابن إسحاق وهو يقول: إن وفدهم رجع إلى قومهم في أواخر شوال أو أوائل ذي القعدة للسنة العاشرة، أي قبل حجة الوداع بقليل.

وبعد أن ولّى وفدهم بعث إليهم عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي من بني النجار، ليفقّههم في الدين، ويعلّمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم.

وكتب له كتاباً أمره فيه بأمره وعهد إليه فيه عهده.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [1] عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم فيه، وينهى الناس أن لا يمس القرآن إنسان إلّا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتدّ عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يُفقّهوا في الدين، ويعلّم الناس معالم الحج وسنّته وفريضته وما أمر الله به، والحج الأكبر هو الحج والحج الأصغر هو العمرة.

وينهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير إلّا أن يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقيه، وينهى الناس أن يحتبي أحد في ثوب واحد يُفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه.

وينهى ـ إذا كان بين الناس هيجٌ ـ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له.

---

(١) سورة المائدة: ١ وهي كما يأتي نزلت مرة واحدة في حجة الوداع بعد هذا، فكيف هنا؟!

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم الى المرافق ويمسحون برؤوسهم ـ كما أمرهم الله ـ وأرجلهم الى الكعبين (١) وأمر بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع، والسجود، والخشوع، ويغلّس بالصبح، ويهجّر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يُقبل الليل لا تؤخّر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل. وأمر بالسعي الى الجمعة إذا نودي اليها، والغُسل عند الرواح اليها.

وأمره أن يأخذ من المغانم (؟) خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة: من العقار: عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب(٢) نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل: شاتان، وفي كل عشرين: أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر: بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر: تبيع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم: سائمة وحدها شاة. فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له.

وأنّه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ عنها، وعلى كل حالم ذكرٍ أو أنثى حرٍّ أو عبدٍ دينار وافٍ، أو عوضه ثياباً، فمن أدّى ذلك فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك

(١) جاء في نصّ ابن إسحاق تقديم أرجلهم الى الكعبين على مسح الرؤوس، وهو خلاف إجماع المسلمين كافة، فكأنّه أريد به وصل الأرجل بغسل الوجوه والأيدي. وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٥٣١، والوضوء في الكتاب والسنة للشيخ نجم الدين العسكري، ووضوء النبي للدكتور الشهرستاني.

(٢) الغرب: الدلو الكبير الواسع.

فإنّه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

---

(١) رواه ابن هشام في سيرته ٤: ٢٤١ ـ ٢٤٣ عن ابن إسحاق بلا إسناد، ولعله من حذف ابن هشام، فقد رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: أخرج لي عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاباً وحدّثني عن أبيه عن جدّه: أنّه كتاب النبي لجدّه عمرو بن حزم لما بعثه إلى اليمن. ورواه عنه البيهقي في سننه ودلائل النبوة ٥: ٤١٣.

وأشار إليه الطوسي في الخلاف ٢: ٧ ونقل عنه في ٢: ٥٩ والمبسوط ٧: ١١٤ و١٢٢ و١٢٤. ولكنّه روى في التهذيب ١٠: ٢٩١ عن الحسين بن سعيد الأهوازي عن فضالة بن أيوب عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن أبي مريم قال: قال لي الصادق عليه السلام: يا أبا مريم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كتب لعمرو بن حزم كتاباً في الصدقات فخذه منه (؟) فأتني به حتى أنظر إليه. فانطلقت إليه (؟) فأخذت منه (؟) الكتاب فأتيته به فعرضته عليه، فإذا فيه أبواب الصدقات والديات ومنها فيه: «في العين خمسون [إبلاً] وفي الجائفة الثلث وفي المنقلة خمس عشرة، وفي الموضحة خمس من الإبل» فهو غير الكتاب السابق.

ويلاحظ: أن ابن إسحاق قال: أوفده صلى الله عليه وآله إلى بني الحارث بن كعب وهم بنجران أعم من نصاراهم وغيرهم، وذكر في عهده إليه الجزية من أهل كتابهم. هذا وقد سبقت جزيتهم في معاهدته معهم عند إبائهم عن المباهلة، فهل تجتمع الجزيتان؟ أو هو تأكيد للسابق؟ أو هي من غيرهم؟! ثم الجزية إنما هي على الرجال (انظر مكاتيب الرسول ٢: ٥١٤) وما معنى أن يأخذ الخمس من المغانم؟!

والمتقدم ذكره في سنن النسائي ٨: ٥٦ و٥٩ عن سعيد بن المسيّب: أن عمر قضى في الأصابع... حتى وجد كتاباً عند آل عمرو بن حزم. ولهذا ادّعى بعضهم بوفاته في خلافة عمر، والأصح وفاته بعد الخمسين، فكيف قيل: عند آل عمرو؟! انظر الاستيعاب ٢: ٥ وأسد الغابة ٤: ٢١٩، والإصابة ٢: ٥٣٢، ومكاتيب الرسول ٢: ٥١٥.

بل روى الطبري ٣: ٣٣٨ أن داره كانت بجنب دار عثمان بن عفّان حين حاصره الناس ففتح لهم باب داره ودخلوا هم فدخلوا على عثمان من دار ابن حزم. وروى عنه ابنه محمد ←

وإذ كان عمرو بن حزم للأضحى في نجران، روى الشافعي كما في مسنده أنّه ﷺ كتب إليه: أن عجّل الأضحى وأخّر الفطر(١) أي عجّل الأضاحي قبل صلاة عيد الأضحى، وأخّر الفطر بعد صلاة عيد الفطر.

ويبدو أنّه رحل إلى نجران بأهله وهي حامل بابنه محمد، وأنّها ولدته قبل نهاية السنة العاشرة، فكتب بذلك إلى النبي ﷺ فكتب إليه رسول الله: سمّه محمداً وكنّه أبا عبد الملك(٢)؟!

← حديث عمار تقتله الفئة الباغية، بعد مقتل عمار. وقتل ابنه محمد في وقعة الحرّة كما في أسد الغابة. وكان ابنه أبو بكر يحدث عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قوله: فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها. وعنه روى عمر بن عبد العزيز لبني أمية لِرَدّ فدك ونقموا عليه ذلك، كما في الشافي ٤: ١٠٣ وتلخيصه ٤: ١٢٧ - ١٢٨ وبهامشه مصادره. وفيه أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان والي عمر بن عبد العزيز على المدينة، ومع هذا اضطرب خبر ظهور الكتاب. ففي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٩٣٣ بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله في الصدقات، فوجد عند آل عمرو بن حزم كتابه إليه في الصدقات فنُسخ له ونسخه محمد بن عبد الرحمن، ونسخه منه عمرو بن مرّة، وعنه نقل أبو عبيد خبره.

وفيه: ٩٣٨ أن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتب به إلى عامل مكة محمد بن هشام، زعموا أنّه الكتاب الذي كتب به رسول الله إلى عمرو بن حزم.

فهل كان التماسه لكتاب النبي ﷺ قبل استعماله لأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فوجده عنده ثم استعمله؟ وهل كان رسالة نسخة الكتاب إلى محمد بن هشام عامل مكة قبل ذلك أو بعده؟ وهل هما كتابان أو كتاب واحد؟ وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٥٤٥ و٥٤٨.

(١) مسند الإمام الشافعي ١: ١٥٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٥٠ وط ٢: ٦٩.

الإعداد لحجّة الوداع

روى الطبرسي في «الاحتجاج» بسنده عن الباقر ﵇ قال: إنّ جبرئيل أتى رسول الله ﷺ وقال له: يا محمد، إنّ الله جلّ اسمه يقرئك السلام ويقول لك: إنّي لم أقبض نبيّاً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلّا بعد إكمال ديني وتأكيد حجّتي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان ممّا يحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة بعدك، فإنّي لم أُخلِ أرضي من حجة ولن أُخليها أبداً، فإنّ الله جلّ ثناؤه يأمرك أن تبلّغ قومك الحج وتحجّ ويحجّ معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب، فتعلّمهم من معالم حجّهم مثل ما علّمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك على مثل الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرائع[1].

وروى الكليني بسنده عن الصادق ﵇ قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين لم يحج، ثم[2] كتب إلى من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام أنّ رسول الله يريد الحج، يؤذنهم بذلك، ليحجّ من أطاق الحجّ، فأقبل الناس[3].

وأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأنّ رسول الله يحجّ عامه هذا[4]:

ألا أنّ رسول الله يُريد الحج وأن يعلّمكم من ذلك مثل الذي علّمكم من شرائع دينكم، ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه من غيره[5].

---

(١) الاحتجاج ١: ٦٨.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق ٢١: ٣٩٦، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤.

(٤) فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٥) الاحتجاج ١: ٦٨.

فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب واجتمعوا لحج رسول الله[1].

واستعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري أو سباع بن عُرفطة الغفاري[2].

وخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة[3] وبلغ من حجّ مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون[4].

وساق الهدي أربعاً أو ستاً وستين[5] ومئة بدنة[6] وعليها ناجية بن جُندب الأسلمي الخُزاعي[7].

فلما نزل (عند) الشجرة (بذي الحُليفة أول منزل بعد المدينة إلى مكة) وهو يقدمهم، أمر الناس بنتف الإبط وحلق العانة والغسل والتجرّد في إزار ورداء أو إزار وعمامة يضعها على عاتقه لمن لم يكن له رداء[8].

وكان أبو بكر التيمي قد تزوّج بأسماء بنت عُميس الخثعمية أرملة جعفر بن أبي طالب بعد شهادته في مؤتة، فكانت قد حملت منه بابنه محمد، وحجّت مع

---

(1) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(2) ابن هشام في السيرة ٤: ٢٤٨.

(3) المصدر الأسبق ٢١: ٣٩٠ و٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣ و٢٣٤ و٢١: ٢٨٩ عن السرائر عن ابن محبوب.

(4) الاحتجاج ١: ٦٨.

(5) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٩، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(6) المصدر السابق ٢١: ٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤.

(7) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٩، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(8) المصدر السابق ٢١: ٣٩٦ عن السابق ١: ٢٣٤.

زوجها أبي بكر وهي حامل مقرب، فلما انتهوا إلى ذي الحليفة ولدته، فأرسلت إلى رسول الله: كيف أصنع؟ فقال لها: اغتسلي واستثفري[1] وأحرمي[2].

فاستثفرت وتنطقت بمنطقة وأحرمت[3] وأهلّت بالحج[4].

وإنما انتهى النبيّ إلى ذي الحليفة عند الظهر، ولكنّه بات فيه الليلة المقبلة، ليجتمع إليه أصحابه والهدي، فلما اجتمع إليه نساؤه جميعاً في الهوادج، وانتهى إليه اجتماع أصحابه والهدي[5] وزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلّى فيه الظهر[6] ركعتين[7] ثم عزم بالحج مفرداً[8]. ثم خرج فدعا بالهدي فأشعره في الجانب الأيمن، وقلّده نعلين قبل أن يحرم، أشعر هو بنفسه بدنة وقلّدها وهو متوجه إلى القبلة، ثم أمر ناجية بن جُندب الذي كان قد استعمله على بدنه أن يشعرها وكان معه فتيان من أسلم، وسأله: يا رسول الله، أرأيت ما عطب منها كيف أصنع به؟

---

(1) أي تحتشي قطناً ثم تشد عليه بخرقة تمنع خروج الدم بتدفق.

(2) صحيح مسلم 4: 36، وروى مختصره بحير الطوسي في أماليه ح 895، ونقله المجلسي عن المنتقى في بحار الأنوار 21: 402.

(3) بحار الأنوار 21: 379، عن فروع الكافي 1: 277.

(4) المصدر السابق 21: 379، عن فروع الكافي 1: 289.

(5) مغازي الواقدي 2: 1089 و1090 وفي إعلام الورى: أنه أقام تلك الليلة لمحض أسماء بنت عُميس الخثعمية.

(6) بحار الأنوار 21: 390 عن فروع الكافي 1: 233 و4: 245، ولم يصلّ الجمعة لسفر.

(7) مغازي الواقدي 2: 1089، وفيه: وكان يصلي بين المدينة ومكة ركعتين آمناً لا يخاف 1091.

(8) بحار الأنوار 21: 390، عن فروع الكافي 1: 233، كذا، والمعروف في أحاديثنا وفقهنا أنّه حجّ قارناً كما في الروضة البهية 1: 174، ط. القاهرة.

قال: تُنحر، وتُلقى قلائدها في دمها وتضرب به صفحتها اليمنى، ولا تأكل أنت منها ولا أحد من رُفقتك[1]. وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول فصفّ له سماطان فلبّى بالحج مُفرداً[2] قال: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك[3] وكان ثوباه يمانيّين من الكُرسف[4] وإنّما كان الناس ينظرون ما يؤمرون فيتّبعونه، أو يصنع شيئاً فيصنعونه[5] فأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة ولا يدرون ما حج التمتّع[6] هذا وقد خرج معه كثير منهم بغير سياق هَدْي[7].

وأصبح رسول الله يوم الأحد في منزل مَلَل ثم راح حتى تعشّى بشرف السيّالة، فصلّى بها المغرب والعشاء وتعشّى، ومشى فتجاوز السيّالة إلى عِرق الظبية دون الرّوحاء فصلّى الصبح بها ومشى حتى نزل بالروحاء، وحضر رجل من بني نهد قد صاد حمار وحشٍ فعقره فأهداه له ﷺ فقال: صيد البرّ لكم حلال إلّا ما صِدتم أو صيد لكم.

ثم راح رسول الله من الرّوحاء فتجاوز حتى أتى المنصرف فصلّى المغرب والعشاء وتعشّى به، ومشى حتى انتهى إلى الأثاية قبل الجحفة فصلّى بها الصبح.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٠ و١٠٩١، عن أُمّ سلمة وابن عباس وناجية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٢١: ٣٩٦، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤.

(٤) المصدر السابق ٢١: ٤٠١، عن فروع الكافي ١: ٢٥٩ وفي مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٠: أنّه أحرم في ثوبين صُحاريّين إزار ورداء.

(٥) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٦) المصدر السابق ٢١: ٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤.

(٧) الإرشاد: ١٧٣.

وبها أضلّ غلام أبي بكر بعيره الذي عليه زاد أبي بكر فعسّه عسّه، فقدم البعير عن حطامه به، وقام الغلام فظنّ أن بعيره لزم الطريق فلزم الغلام الطريق وأحد ينشد، فلا يسمع له بذكر. ومشوا حتى أصبح النبي يوم الثلاثاء بالعرج فنزل ﷺ بأبيات بها وجلس بفناء منزله، فجاء أبو بكر فجلس إلى جنبه فجاءت عائشة فجلست إلى جانبه الآخر، وجاءت أسماء فجلست إلى جنب أبي بكر حتى قبيل الزوال إذ جاء غلام أبي بكر متسربلاً، فسأله أبو بكر أين بعيرك؟ قال: ضلّ منّي! فقام إليه أبو بكر يضربه ويقول بعير واحد يضلّ منك! ورسول الله يبتسم ويقول: ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع؟

وكان زاد النبي ﷺ مع بعير أبي بكر. فانتشر الخبر بأنّ ناقة رسول الله قد ضلّت، وبلغ الخبر إلى بني أسلم فحملوا جفنة من حَيْس (تمر وسمن ودقيق) فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله، فأكل رسول الله وأهله وأبو بكر وكل من كان مع رسول الله حتى شبعوا.

وكان صفوان بن المُعطّل على ساقة الناس (أي مؤخّرتهم) يرفع ما سقط ويهدي من ضلّ منهم، فما لبثوا حتى طلع صفوان بن المعطّل بالبعير وأناخه على باب منزل رسول الله وقال لأبي بكر: انظر هل تفقد شيئاً من متاعك؟ فنظر فقال: إلّا قعباً وكان القعب مع الغلام.

وجاء سعد بن عُبادة ومعه ابنه قيس بناقة عليها زاد حتى وجد رسول الله واقفاً عند باب منزله وقد أتى الله بناقته التي عليها زاده فقال سعد: يا رسول الله، قد بلغنا أن راملتك ضلّت، فهذه زاملة مكانها فقال رسول الله: قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما، بارك الله عليكما: أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة؟ فقال سعد: يا رسول الله، المنّة لله ولرسوله، والله يا رسول الله للّذي تأخذ من أموالنا أحبّ إلينا من الذي تدع فقال ﷺ: صدقتم يا أبا ثابت أبشر فقد أفلحت!

ويوم الأربعاء نزل رسول الله السُّقيا، ثم أصبح رسول الله بالأبواء، فصلّى في مكان المسجد بوادي الأبواء على يسار المتوجه إلى مكة. ثم راح النبي حتى انتهى إلى قلعات اليمن (مرتفعاته) وكان هناك شجرة سمرة جلس النبي تحتها، وصلّى في مكان المسجد الذي في مهبط الوادي من ثنية أراك إلى الجحفة، وفي يوم الجمعة نزل الجحفة وصلّى بها في مكان المسجد الذي دون موضع خم. ويوم السبت كان في قُديد فصلّى في مكان مسجد المشلّل. ثم صلّى في مكان المسجد الذي بأسفل لفتْ.

وفي لفت مرّ النبي ﷺ بامرأة في هودجها ومعها ولد صغير فأخذت بعضده وسألته: يا رسول الله، أهذا حجٌّ؟ قال: نعم، ولك أجر.

وفي يوم الأحد كان في عُسفان، ثم راح حتى انتهى إلى كُراع الغميم وكان معه مُشاة فصفّوا له صفوفاً في الغميم وشكوا إليه من شدة المشي عليهم[1]، وأنّه قد أجهدهم وشكوا إليه الاعياء، فقال ﷺ: اللهم أعطهم أجرهم وقوّهم. ثمّ قال لهم: لو استعنتم بالنَّسَلان[2] لخفّت أجسامكم وقطعتم الطريق. ففعلوا فخفّت أجسامهم[3].

وروى ابن إسحاق بسنده عن عائشة قالت: لما كُنّا بسَرِف، حِضتُ ذلك اليوم فكنت أبكي، فدخل عليّ النبيّ وأنا أبكي فقال: ما لك يا عائشة؟ لعلك نفست (حِضت)، قلت: نعم، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر! فقال: لا تقولي ذلك، وإنّك تقضين كل ما يقضي الحاجّ إلّا أنّك لا تطوفين بالبيت[4].

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٢ـ١٠٩٧.

(٢) النسلان: سرعة الجريان بخُطى متقاربة، انظر مجمع البحرين ٥: ٤٨٣.

(٣) المحاسن للبرقي (م ٢٧٤ هـ) ٢: ١٢٨ عن الصادق عليه السلام.

(٤) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٤٨.

وصول الرسول الى مكة وعمرته:

وكان ﷺ يوم الاثنين في مرّ الظهران فلم يبرح منها حتى غربت الشمس فرحل إلى الثنيتين كُدى وكداء، فصلى المغرب والعشاء وتعشى وبات بينها[1] وكان ذلك في آخر اليوم الرابع من ذي الحجة[2] فلما أصبح اغتسل ودخل مكة نهاراً[3] وذلك من العقبة في أعلاها (كُدى إلى الأبطح) فلما انتهى إلى باب المسجد ـ باب بني شيبة ـ استقبل الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم[4]، ثم دخل ناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجنه (عصا قصيرة معوجة الرأس)، وقبّل المحجن[5] ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلّى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام[6] قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد[7] ثم دخل زمزم (كذا) فشرب منه ثم استقبل الكعبة وقال: اللهم إني

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣، وكذلك فيه ٢١: ٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤ وفيه ٢١: ٣٨٩، عن السرائر عن ابن محبوب.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٦ عن فروع الكافي ١: ٢٣٤ ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧ وقال: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبرّاً.

(٥) مصدر سابق ٢١: ٤٠٢ عن فروع الكافي ١: ٢٨٣، ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨ وقال: باسم الله والله أكبر.

(٦) مصدر سابق ٢١: ٣٩٠ عن فروع الكافي ١: ٢٢٢ و٢١: ٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤ و٢١: ٣٦٧، عن فروع الكافي ١: ٢٢٤.

(٧) مصدر سابق ٢١: ٤٠٤، عما في صحيح مسلم ٤: ٣٦ عن الصادق عن آبائه عليهم السلام، وفي مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨ ثم عاد الى الركن فاستلمه.

أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء وسقم. ثم رجع الى الحجر الأسود ليستلمه ووقف لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر، ثم استلمه وخرج الى الصفا ووقف لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ حتى صعد على الصفا فقام عليه[1] واستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره وقال: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلّا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. قال مثل هذا ثلاث مرّات، ودعا بين ذلك، ثم نزل الى بطن الوادي ومشى حتى صعد الى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا[2].

وفي «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبّي كلما علا أكمة أو هبط وادياً أو لقي راكباً، وفي آخر الليل، وفي أدبار الصلوات[3].

وكان الذي يرحّل لرسول الله معمّر بن عبد الله العدوي، فقال له رسول الله ذات ليلة: يا معمّر، إن الرحل مسترخٍ بنيّه، فقال معمّر: بأبي أنت وأمّي لقد شددته كما كنت أشدّه، ولكن بعض من يحسدني على مكاني منك أراد أن تستبدل بي! فقال: ما كنت لأفعل ذلك[4].

حجّ علي عليه السلام من اليمن:

وكان صلى الله عليه وآله قد كتب علياً عليه السلام بالتوجّه الى الحجّ من اليمن، ولم يذكر له نوع الحج الذي قد عزم عليه، فخرج أمير المؤمنين بمن معه من العسكر الذي صحبه الى

---

(١) المصدر السابق ٢١: ٣٩٦، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤ و ٢٨٤، ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨.
(٢) المصدر السابق ٢١: ٤٠٤، عن صحيح مسلم ٤: ٣٦، ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٩.
(٣) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٦، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤.
(٤) المصدر السابق ٢١: ٤٠٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٥.

اليمن، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً، ومعه الخُمس(1). ولما سمع بالمقدم عقد نيّته بنيّة النبي وقال: اللهم إهلالاً كإهلال نبيّك.

فلما قارب رسول الله ﷺ مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن، (وقد كان بالعنق قرب الطائف خلّف على أصحابه أبا رافع القبطي(2)) وتقدمهم للقاء النبي ﷺ، فأدركه وقد أشرف على مكة فسلّم وأخبره كيف صنع وأنه سارع للقائه قبل الجيش.

فسُرّ رسول الله بذلك وابتهج بلقائه وكان محرماً فسأله: بمَ أهللت يا علي؟

فقال عليه السلام: يا رسول الله إنك لم تكتب إليّ بإهلالك ولا عرفته، فعقدت نيّتي بنيّتك وقلت: اللهم إهلالاً كإهلال نبيّك، وسُقت معي من البُدن أربعاً وثلاثين بدنة.

فقال رسول الله: الله أكبر، فقد سُقت أنا ستاً وستين، وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي، فأقم على إحرامك وعُد إلى جيشك، فعجّل بهم إليّ حتى نجتمع بمكة إن شاء الله.

فودّعه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلى جيشه، فوجدهم (عند السدرة داخلين مكة(3)) قد لبسوا الحُلل التي كانت معهم، فقال للذي استخلفه عليهم (أبي رافع): ويلك ما دعاك إلى أن تعطيهم الحُلل قبل أن ندفعها إلى النبي ولم أكن أذنت لك في ذلك؟ فقال الرجل: سألوني أن يتجمّلوا بها ويُحرموا فيها ثم يردّوها عليّ. فانتزعها أمير المؤمنين عليه السلام من القوم وشدّها في الأعدال(4).

---

(1) قال الواقدي: إنها كانت خُمس الغنائم، وقال المفيد: كانت جزية نصارى نجران.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨٠.

(3) المصدر السابق ٢: ١٠٨١.

(4) الأعدال: جمع عدل، أحد جانبي حمل الحيوان. الإرشاد ١: ١٧٢، ١٧٣. ورواه ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٥٠ إلا أنه قال: فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم.

خطبته في آخر عمرته:

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام: أنّه صلى الله عليه وآله لما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل ـ وأومأ بيده إلى خلفه ـ يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحلّ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنّي سُقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحلّ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾.

فقال رجل من القوم: أنخرج حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعني من غسل الجنابة) فقال له رسول الله: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً! فقال سراقة بن مالك الكناني: يا رسول الله، علّمنا ديننا كأنّا خلقنا اليوم، فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا؟ أم لما يستقبل؟ فقال له رسول الله: بل هو للأبد إلى يوم القيامة. وشبّك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة[1].

ثم أمر مناديه فنادى: من لم يَسُقْ منكم هدْياً فليُحلّ وليجعلها عمرة، ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه. فأطاع بعض الناس في ذلك وخالف بعض، فأنكر رسول الله على من خالف في ذلك وقال: لولا أني سقت الهدْي لأحللت وجعلتها عمرة، فمن لم يَسُقْ هدْياً فليُحلّ. فرجع قوم وأقام آخرون على الخلاف، وقال بعضهم: إنّ رسول الله أشعث أغبر ونلبس الثياب ونقرب النساء ونَدّهِن؟!

---

(1) بحار الأنوار ٢١: ٣٩١، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣، ٢٣٤ وفيه ٢١: ٣٩٥، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤، وفيه ٢١: ٤٠٢ ... عن صحيح مسلم ٤: ٣٦ عن الصادق عن الباقر عن جابر، ولفظه: فمن كان منكم ليس معه هدْي فليُحلّ وليجعلها عمرة. ونقله المجلسي عن منتقى الكازروني.

وقال آخرون: أما تستحيون أن تخرجوا ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله على إحرامه؟!

وكان فيمن أقام على الخلاف للنبي ﷺ عمر بن الخطاب، فاستدعاه رسول الله وقال له: مالي أراك يا عمر محرماً أسقت هدياً؟ قال: لم أسق! قال: فلِمَ لا تحلّ وقد أمرت من لم يسق الهدي بالإحلال؟ فقال: يا رسول الله، والله لا أحللت وأنت محرم، فقال له النبي: إنك لن تؤمن بها حتى تموت[1].

وروى ابن إسحاق بسنده عن عائشة قالت: أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلّا من ساق الهدي، فحلّ كل من لا هدي معه وحل نساؤه. وروى بسنده عن حفصة بنت عمر قالت: وأمر رسول الله نساءه أن يحللن بعمرة، فقلن له: يا رسول الله فما يمنعك أن تحلّ معنا؟! فقال: إني أهديت ولبّدت[2] فلا أحلّ حتى أنحر هديي[3].

ثمّ لم ينزل النبي ﷺ مكة، فقالت له أُم هانئ بنت أبي طالب: يا رسول الله، ألا تنزل في بيوت مكة؟ فأبى[4] وخرج منها إلى الأبطح بين مكة ومنى فنزل بها هو وأصحابه، حتى يوم التروية[5] أي بقية يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة[6].

---

(١) الإرشاد ١: ١٧٣، ١٧٤.

(٢) كان الحجاج إذاك يطيلون مكثهم في حرمهم يلبّدون شعور رؤوسهم بشيء من الصمغ أو الخطمي (طين طيب الرائحة) عن الغبار والشعث والقمل.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٤٨ و٢٤٩، ورواه الواقدي في المغازي ٢: ١٠٩٢، وفيه قال: لما قدم مكة صلى بهم رسول الله ركعتين ثم قال: يا أهل مكة أتمّوا صلاتكم فإنّا قوم سَفْر أي مسافرون.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٠.

(٥) المصدر الأسبق ٢١: ٣٩٢، عن فروع الكافي ١: ٢٢٣.

(٦) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٠.

وقدم علي عليه السلام من اليمن فطاف وسعى ولم يقصّر، ولقي بالنبي ﷺ ورآه كذلك لم يقصّر. ثم دخل على فاطمة وهي لم تسُق هدْياً فأحلّت كما أمر رسول الله، فوجد عليها ثياباً مصبوغة ووجد ريحاً طيّباً، فقال لها: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت: بهذا أمرنا رسول الله ﷺ.

فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله مستفتياً فقال: يا رسول الله، إني وجدت فاطمة قد أحلّت وعليها ثياب مصبوغة؟! فقال له رسول الله: أنا أمرت الناس بذلك، وأنت قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي[1].

وروى ابن إسحاق ورد أن جيش علي عليه السلام أظهر الشكوى منه لما صنع بهم فروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول: أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في سبيل الله من أن يُشكى[2].

ورواه الواقدي عن أبي سعيد الخدري وكان معه في تلك الغزوة قال: إنهم لما قدموا على رسول الله شكوه إليه، فدعا عليّاً فقال له: ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى تَقدم علينا وترى رأيك فيه، وقد كان الأمراء يفعلون من الخمس من أرادوا، فرأيت أن أحمله إليك لترى رأيك فيه. قال: فسكت النبي[3].

(١) المصدر الأسبق ٢١: ٣٩١، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣ وفيه ٢١: ٣٦٦ عن الشافي ١: ٢٣٤، وفيه ٢١: ٣٨٣ عن أمالي الطوسي مختصراً وفيه ٢١: ٤٠٤ عن المنتقى. وهو في صحيح مسلم ٤: ٣٦، عن الصادق عن الباقر عن جابر. وابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٤٩، عن عبد الله بن نجيح وهو في مغازي الواقدي ٣: ١٠٨٧.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٥٠.

(٣) مغازي الواقدي ٣: ١٠٨١ هكذا مختصراً.

وزاد المفيد: ثمّ أمر منادياً فنادى في الناس: ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنه خشن في ذات الله عزّ وجلّ غير مداهن في دينه[1].

ويبدو أنّ النبي ﷺ قد كسا الكعبة ثلاث حبرات من برود وكانت الكعبة على عهده ثمانية عشر ذراعاً[2] ي غو من ستّة أمتار، فأصبح ذلك سنّة من بعده.

ومكث النبي في بطحاء مكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهو يوم التروية[3].

وخرج لمناسك الحج

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما كان زوال الشمس من يوم التروية أمر رسول الله الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحج ثم خرج النبيّ وأصحابه مهلّين بالحج ملبّين حتى أتى منى فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر[4] ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، ثمّ أمر أن تضرب له قبة من شعر بنمرة من موقف عرفات، ثمّ سار رسول الله[5] ولم يأخذ بين المأزمين بل أخذ طريق ضبّ إلى عرفات[6].

---

(١) الارشاد ١: ١٧٣

(٢) مغازي الواقدي ٣: ١١

(٣) المصدر السابق

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٢ عن فروع الكافي ... ٢٢٣ ومغازي الواقدي ٢: ١١٠١ وقال ونزل بموضع دار الامارة اليوم

(٥) المصدر السابق ٢١: ٤٠٥ عن المنتقى وهو في صحيح مسلم ٤: ٣٦ عن الصادق عن أبيه عن جابر، وفي مغازي الواقدي ٢: ١١٠١

(٦) المصدر السابق ٢١: ٣٩٥ عن فروع الكافي ١: ٢٣٤

وكانت قريش تُفيض من طريق المزدلفة ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فكانوا يرجون أن يكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون. وقال الله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله﴾[1]

وفي خبر جابر الأنصاري: أن قريشاً كانت تقف عند المشعر الحرام ولا تجوزه، فلم تكن تشك في ذلك منه ﷺ، فأجاز رسول الله حتى أتى عرفة[2] فلما رأت قريش أن قبّة رسول الله مضت كأنّه دخل في أنفسهم شيء من ذلك.

وانتهى النبيّ ﷺ إلى نمرة حيال شجر الأراك من بطن عُرنة من عرفة[3] فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلمّا زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحلت له[4] فخرج وقد اغتسل[5] فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة! ثمّ التفت إلى علي عليه السلام فقال: ويغفر لعلي خاصة، ثم قال: ادن مني يا علي. فدنا منه فأخذ بيده وقال: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أطاعك وتولّاك من بعدي، وإنّ الشقي كل الشقي حقّ الشقي من عصاك ونصب لك عداوة بعدي[6] ثم ركب وسار حتى وقف حيث المسجد اليوم[7] في بطن الوادي، فخطب الناس[8] فقال:

---

(1) البقرة: 199، ولفظ الخبر: فأنزل الله، وعليه فالنزول في العشرة وهي لتصحب في أوائل ما بعد الهجرة. والخبر من المصدر الأسبق.

(2) عن المصدر الأسبق، ومغازي الواقدي 2: 1102.

(3) المصدر الأول في هذا العنوان.

(4) المصدر الثاني من هذا العنوان، ومغازي الواقدي 2: 1101.

(5) المصدر الأول في هذا العنوان. (6) أمالي المفيد: 161.

(7) بحار الأنوار 21: 392 عن فروع الكافي 1: 233.

(8) المصدر السابق 21: 405 عن صحيح مسلم 4: 36 عن الصادق عن الباقر ←

«الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثّكم على العمل بطاعته، واستفتح الله بالذي هو خير.

أيها الناس! اسمعوا منّي ما أبيّن لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا

أيها الناس! إنّ دماءكم وأعراضكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها الى من ائتمنه عليها

وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطّلب

وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أول دم أبدأ به[1] دم ابن ربيعة بن الحارث (بن عبد المطلب) كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل[2]

وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية[3]

والعمد قود[4] وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر، وفيه مئة بعير، فمن ازداد فهو من الجاهلية

← عن جابر، وعليه فالخطبة الأولى كانت في عرفات

(١) تحف العقول: ٢٩

(٢) المصدر الأسبق

(٣) المآثر: المفاخر. والسدانة: خدمة البيت. والسقاية: سقاية زمزم للحجّاج

(٤) القود: القصاص

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي بأن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[1] وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض و﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ...﴾[2]: ثلاثة متوالية وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ورجب بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وأن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبرّح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً.

أيها الناس ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ـ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد ـ فلا ترجعنّ كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[4]. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

---

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) الباب ٣٦ والأخير من الجزء ٢١ من بحار الأنوار في حجة الوداع وما جرى فيها من ٣٧٨ إلى ٤١٣ روى فيه المجلسي الخطبة في خبرين الأول عن الخصال للصدوق ←

أيها الناس! إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] وليس لعربي على عجمي فضل إلّا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إنّ الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارث (كذا) وصية في أكثر من الثلث.

والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادّعى إلى غير أبيه وتولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والسلام عليكم ورحمة الله»[2]

فلما كان آخر الخطبة وسكت رسول الله من كلامه وفرغ من ذلك أذّن بلال، فلما فرغ بلال من أذانه أناخ راحلته وأقام بلال[3] فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر ولم يصلّ بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة (كذا) بين يديه واستقبل القبلة، فلم يزل

← عن عبد الله بن عمر ٣٨٠ والثاني عن المتقي ٢: ٤٠٢، وهو خبر صحيح مسلم ٤: ٣٦، عن الصادق عن الباقر عن جابر الأنصاري. وليس فيها سوى كتاب الله فحسب وكذلك في مغازي الواقدي ٣: ١١٠٣ ورواها ابن إسحاق مرسلاً في السيرة ٤: ٢٥٠ وفيها: كتاب الله وسنّة نبيّه. انظر رسالة حديث الثقلين للشيخ قوام الدين الوشنوي القمي المنشور من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة ط ١٣٧٤ هـ، وط ١٤١٦ هـ، نشر مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية طهران.

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) تحف العقول: ٢٩ - ٣٠، ونحوه في تاريخ اليعقوبي ٢: ١١١ بصفته من حديث الثقلين.

(٣) مغازي الواقدي ٣: ١١٠٢.

واقفاً، حمل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها، فنحاها، ففعلوا مثل ذلك فقال: ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف ولكن هذا كله. وأومأ بيده إلى الموقف فتفرّق الناس[1].

وقال: إنّ أفضل دعائي ودعاء من كان قبلي من الأنبياء: «لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير» ووقف رسول اللّه على راحلته وهو مادّ يديه يدعو ويمسح براحتيه على وجهه، حتى غربت الشمس[2].

وكان أهل الجاهلية ينصرفون من عرفة وقد بقي من الشمس على رؤوس الجبال كهيئة العمائم على رؤوس الرجال، فظن قريش أن رسول اللّه يفعل كذلك، ولكنّه أخّر ذلك حتى غربت الشمس[3].

ثم لم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً، فأردف أسامة خلفه ودفع رسول اللّه وقد شنق زمام القصواء حتى أنّ رأسها ليصيب مورك رحله. ويقول للناس وهو يشير بيده: أيها الناس! السكينة السكينة[4] أو: أيها الناس على رسلكم وعليكم بالسكينة وليكف قويّكم عن ضعيفكم. وكانت قريش توقد ناراً على جبل قزح، فكانوا قد أوقدوها، فسار النبي من يسار الطريق بين المأزمين وهو شعب الإذخر ثم سلك النار حتى نزل قريباً منها[5] وفي المأزمين

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٥ عن المنتقى، وانما في صحيح مسلم ٤: ٣٦ عن الصادق عن الباقر عن جابر.

(٢) المصدر السابق ٢١: ٣٩٢، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٤.

(٤) المصدر الأسبق.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٥.

زل قبال هناك، لأنّه أول موضع عُبد فيه الصنم في العرب بالأحجار، ومنه أُخذ الحجر الذي نُحت منه هُبل[1].

وفي المشعر الحرام

فروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ثمّ أفاض وأمر الناس بالدعة، حتى انتهى إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام، فصلّى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين. وعجّل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس[2].

وعجّل النساء من المزدلفة إلى منى ليلاً، وأمر من كان منهنّ عليهنّ هدي أن ترمي ولا تبرح حتى تذبح، ومن لم يكن منهنّ عليها هدي أن ترمي فتمضي إلى مكة. وأرسل معهنّ أُسامة بن زيد[3].

وروى الواقدي: ما كان السحر أذن من استأذنه من أهل الضعف من النساء والذرية، وروى عن عائشة: أنّ سودة بنت زمعة زوج النبي كانت امرأة ثقيلة بطيئة، فاستأذنته في التقدّم من المزدلفة قبل زحمة الناس، فأذن لها. وتقدّمت معها أم عمران، وبعث معهنّ رسول الله ابن عباس فرموا مع الفجر أو قبله، وجعل النبي يحمل حصى العقبة من المزدلفة[4].

ثمّ اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فحين تبيّن له الصبح صلّاها

---

(1) بحار الأنوار ٢١ : ٣٩٨، عن علل الشرائع: ١٥٤.

(2) المصدر السابق ٢١ : ٣٩٣، عن فروع الكافي ١: ٢٣٣.

(3) المصدر السابق ٢١ : ٣٩٤، عن فروع الكافي ١: ٢٩٥ و٢٩٦.

(4) مغازي الواقدي ٢ : ١١٠٦، ١١٠٧.

بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام (أي جبل قزح)[1] فاستقبل القبلة فكبّر وهلّل ووحّد ودعا، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدّاً فأفاض والشمس لم تطلع[2].

وأردف خلفه الفضل بن عباس، وكان أبيض وسيماً حسن الشعر فاستقبل رسول الله أعرابيّ معه ظعينة من أجمل النساء، ووقف الأعرابيّ النبيّ يسأله. وجعل الفضل ينظر إلى صاحبة الأعرابي، فمدّ رسول الله يده على وجه الفضل يستره من النظر، فنظر الفضل من الجانب الآخر حتى فرغ الأعرابي من حاجته. فالتفت رسول الله إلى الفضل وأخذ بمنكبه ثم قال له: أما علمت أنها الأيام المعدودات والمعلومات، لا يكفّ رجل فيهنّ بصره ولا يكفّ لسانه ويده إلا كتب الله مثل حج قابل[3].

وانتهى الى منى:

وانتهى النبيّ إلى بطن وادي محسّر فحرّك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبّر مع كلّ حصاة منها[4] على ناقته صهباء من دون أن تُضرب بين يديه أو تُعجل

---

(١) المصدر السابق، عن أبي جعفر.

(٢) كما في بحار الأنوار ٢١: ٤٠٦ عن المنتقى مما في صحيح مسلم ٤: ٣٦ عن الباقر عن جابر، ولعلّ المقصود مزدلفة لا الحرم وليس تجاوزه حدود المشعر إلى منى.

(٣) بحار الأنوار ٩٩: ٢٥٩ عن فقه الرضا ونحوه في ٢١: ٤٠٦ عن المنتقى مما في صحيح مسلم عن الباقر عن جابر.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٦، عن المنتقى مما في صحيح مسلم ٤: ٣٦، عن الصادق عن الباقر عن جابر.

بين يدي الأمراء من ضرب الناس وطردهم، ولا تسمع "إليك إليك".
وكان يلبّي حتى رمى الجمرة[1]

ثم انصرف إلى المنحر، فكان ناجية بن جندب يقدّم البدن بدنة بدنة واحدة قد شدّ ذراعها وتمشي على ثلاث قوائم. فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً عليه السلام فنحر ما بقي (أربعة وثلاثين بدنة) ثم أمر أن يؤخذ من كل بدنة بضعة، فجُعلت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ولم يعطيا الجزّار من جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وإنّما تصدّق بها[2]

والذي حلق رأس النبي ﷺ في حجته معمر بن عبد الله العدوي، وقد كان يحلقه فقالت له قريش: أي معمر! أُذن رسول الله في يدك وفي يدك الموسى! فقال معمر: والله إنّي لأعدّه من الله فضلاً عليّ عظيماً[3].

فلما حلق رسول الله رأسه أخذ من شاربه وعارضيه، وقلّم أظفاره، ثم أمر بها وبشعره أن تُدفنا. وقيل: إنّه فرّق شعره في الناس. وقيل: إنّ خالد بن الوليد حين حلق النبي رأسه قال له: يا رسول الله ناصيتك لا تؤثر بها عليّ أحداً فداك أبي وأمي! فدفعها إليه فأخذ ناصيته ووضعها على عينيه! فكان يجعلها في مقدم قلنسوته.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٧، ١١٠٨.

(٢) المصدر الأسبق إلى هنا عن المعصوم، ومغازي الواقدي ٢: ١١٠٨ عن ابن عباس.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٣ عن فروع الكافي ٤: ٢٣٤ ومغازي الواقدي ٢: ١١٠٨، عن علي عليه السلام.

(٤) المصدر السابق ٢١: ٤٠٠، عن فروع الكافي ١: ٢٣٥ وكان عبد الله بن زيد كما في تاريخ المدينة المنورة لابن شبه: أنّه حلق رأسه في ثوبه بالجعرانة فأعطاه إياه، فقال له محمد: وإنّ شعره عندنا مخضوب بالحنّاء والكتم. تاريخ المدينة المنوّرة ٢: ٦١٧.

وحلق قوم مع رسول الله وأبى آخرون فقصّروا، فقال رسول الله: اللهم ارحم المحلّقين. قيل: والمقصّرين، يكرّر ذلك ثلاث مرات حتى قال في الرابعة: والمقصّرين.

ثم لبس رسول الله قميصه وتطيّب، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي ينادي في الناس: أيها الناس، إنّ رسول الله قال: إنّها أيام أكل وشرب وذكر الله. فانتهى المسلمون عن صيامهم[1].

وأتاه طوائف من المسلمين فقالوا: يا رسول الله ذبحنا قبل أن نرمي، وحلقنا قبل أن نذبح، ولم يبق شيء مما ينبغي أن يقدّموه إلّا أخّروه، ولا شيء مما ينبغي أن يؤخّروه إلّا قدّموه، فكان رسول الله يقول لهم: لا حرج، لا حرج![2].

ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلّى الظهر بمكة، ثم أتى على زمزم فرأى بني عبد المطلب يسقون الناس فقال لهم: انزعوا لي يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت، فناولوه دلواً فشرب منه[3] ورجع إلى منى وأقام بها حتى كان اليوم الثالث آخر أيام التشريق فأخذ يرمي الجمار حين الزوال قبل صلاتها، يقف عند الأولى أكثر من الثانية ولا يقف عند الثالثة،

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ١١٠٨، ١١٠٩.

(2) بحار الأنوار ٢١: ٣٨ عن فروع الكافي ١: ٣٠٣ عن الصادق عليه السلام. ورواه الواقدي في المغازي ٢: ١١٠٩ عن جابر الأنصاري قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر؟ فقال: انحر ولا حرج. قال: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي؟ فقال: ارم ولا حرج. قالوا: فما سئل يومئذٍ عن شيء قدّم أو أُخّر إلّا قال: افعلوه ولا حرج.

(3) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٦ عن المنتقى عن صحيح مسلم ٤: ٣٦ وفي مغازي الواقدي ٢: ١١١٠.

(4) المصدر السابق ٢١: ٣٩٣، عن فروع الكافي ١: ٣٢٤.

ويرميها من أعلاها. وأمر أصحابه يوم العيد أن يقيموا بالنهار معه، وأفاض نساءه مساء يوم النحر ليلاً، وكنّ يرمين بالليل جميعاً، وكذلك رخّص للرعاة أن يرموا بالليل ويخرجوا فيبيتوا بغير منى[1].

خطبته بمنى:

روى الواقدي بطريقين عن عمرو بن اليثربي وعن عبد الله بن العباس: أنّه ﷺ خطب بمنى بعد الزوال من اليوم الحادي عشر، بعد العيد، على ناقته القصواء[2].

وقال القمي في تفسيره: كان من قوله ﷺ بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه عنّي فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ـ ثم قال ـ: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟ فقال الناس: هذا اليوم. قال: فأي شهر؟ قال الناس: هذا. قال: وأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا. فقال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلّغت أيها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلّا بالتقوى. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

---

(1) مغازي الواقدي ٢: ١١١٠.

(2) مغازي الواقدي ٢: ١١١٠، ١١١١.

ثم قال: ألا وكلّ ربا كان في الجاهلية فهو موضوع، وأوّل ربا موضوع هو ربا العباس بن عبد المطّلب. ألا وإنّ كل دم في الجاهلية فهو موضوع، وأوّل دم موضوع هو دم ربيعة. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه ولكنّه راضٍ بما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنه إذا أُطيع فقد عُبد.

ألا أيها الناس، إنّ المسلم أخو المسلم حقاً، لا يحلّ لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله إلّا ما أعطاه بطيبة نفسٍ منه.

وإنّي أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله. ألا هل بلّغت أيها الناس؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس، احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافهموه تنعشوا. ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا.

ثم قال: ألا وإنّي قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك! ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإنّه سيرد عليّ الحوض منكم رجال فيُدفعون عنّي فأقول: ربّ أُصيحابي فيقال: يا محمد، إنّهم أحدثوا بعدك وغيّروا سنّتك! فأقول: سحقاً سحقاً!»[1]

---

(1) تفسير القمي ١: ١٧١، ٧٢، وبهامشه عن صحيح البخاري ٢: ١٤٥ ـ ١٤٩ و٣: ٧٩ و٤: ٨٧ باب الحوض: إنّ أُناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي! فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم ←

ورواه الصدوق في «الخصال» بسنده عن عبد الله بن عمر أنّه ركب راحلته العضباء (كذا) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، كل دم في الجاهلية فهو هدرٌ، وأول دمٍ هدرٍ هو دم الحارث بن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني ليث (من بني سعد) فقتلته هذيل. وكل ربا في الجاهلية فهو موضوع، وأول رباً ربا العباس بن عبد المطّلب.

أيها الناس، إنّ الزمان استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض و﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1]: رجب مُضر[2] ـ الذي بين جمادى وشعبان ـ وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[3] و﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[4] كانوا يحرّمون المحرّم عاماً ويستحلون صفر، ويحرّمون صفر ويستحلون المحرّم عاماً آخر.

أيها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في بلادكم آخر الأبد، ورضي منكم بمحقّرات الأعمال.

← وهي لفظ صحيح مسلم ٢: ٢٤٩ ـ ٢٥٢ أقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. وقال النووي في ذيل هذه الأحاديث: قال القاضي عياض: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان، فهي متواترة النقل رواه خلائق من الصحابة.

(١) التوبة: ٣٦

(٢) وإنّما أضافه إلى مضر لأنّ ربيعة كانت تحرّم رمضان وتسمّيه رجباً!

(٣) التوبة: ٣٦

(٤) التوبة: ٣٧

أيها الناس، من كانت عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

أيها الناس، إنّ النساء عندكم عوانٍ[1] لا يملكن لأنفسهنّ نفعاً ولا ضرّاً، أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فلكم عليهنّ حق ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم ولا يعصينكم في معروف، فإذا فعلن ذلك فلهنّ رزقهن وكسوتهن بالمعروف، ولا تضربوهن.

أيها الناس، إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله عزّ وجل، فاعتصموا به[2].

ورواها الواقدي بسنده عن ابن عباس وعمرو بن اليثربي وقال: فقلت: يا رسول الله، أرأيت إن لقيتُ غنَمَ ابن عمّي أجتزر منها شاة؟! فقال: إن لقيتها وأنت تحمل شفرة وزناداً في خبت الجميش (وهو بلد بني ضمرة منزل الراوي عمرو بن يثربي) فلا تهجها، ثم انصرف إلى منزله.

وعن ابن عباس قال: ونهى رسول الله أن يبيت أحد بسوى منى في ليالي منى[3].

خطبته في مسجد الخيف:

قال القمي في تفسيره: فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله:

---

(١) عوانٍ هنا: جمع عانية من العناء بمعنى التعب والمشقة.

(٢) الخصال ٢: ٤٨٦. ورواها ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ولكنّه قال: إنها كانت في عرفات، والذي كان يصرخ بها للناس ربيعة بن أمية بن خلف. ويلاحظ عليهما (السيرة والخصال) أنّهما لم يذكرا حديث الثقلين ولعلّها للتالي، وراجع للتكملة الشاملة على متنها في خطبة عرفات.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ١١١٢ ـ ١١١٣.

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[1] فقال رسول الله ﷺ: نُعيت إليّ نفسي. ثم نادى: الصلاة جامعة في مسجد الخيف.

فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، والمؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيها الناس، إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعيّ هاتين» وجمع بين سبّابتيه «ولا أقول كهاتين» وجمع بين سبّابته والوسطى «فتفضل هذه على هذه»[2].

ثم أقام هو ﷺ في منى حتى رمى الجمار، ونفر إلى الأبطح فأقام بها[3]. ولما نسكوا مناسكهم، لم يكن ينقطع الدم عن أسماء بنت عميس من نفاسها بمحمد بن أبي بكر، وقد أتى لها ثمانية عشر يوماً، فأمرها رسول الله أن تطوف بالبيت وتصلّي

---

(1) تفسير القمي ١: ١٧٣ و ٢: ٤٤٦، ٤٤٧ بلا إسناد، وجاء في صدر خبر الخصال بإسناده عن ابن عمر: أنّها هي السورة الثانية بعد المئة نزولاً قبل النور والحج وعشرة أُخرى، وتسمّى بعد البراءة. وقد مرّ المختار عن مجمع البيان وغيره أنّها نزلت بالمدينة. وفيها بشارة من الله لنبيّه بالنصر والفتح قبل وقوعه.

(2) المصدر السابق بلا إسناد، وأسنده النعماني في الغيبة: ٢٧، ٢٨ بأربعة طرق عن الأئمة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، والكليني في الكافي ١: ٤٠٣ عن الصادق ﷺ، وكذلك الصدوق في الخصال ١: ١٤٩ والمفيد في أماليه ٢: ١٨٦، ١٨٧ بطريق آخر.

(3) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٣ عن فروع الكافي ١ : ٢٢٤

فعلت ذلك[1]. وكذلك حجّت عائشة بعد حيضها من دون أن تعتمر، ولكنّها لم تكتف بذلك بل قالت له: يا رسول الله، أترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً، وأرجع بحجة؟!

فبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر الى التنعيم فأهلّت بعمرة، فطافت بالبيت وصلّت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، ثم سعت بين الصفا والمروة ثم قصّرت، وأتت النبي ﷺ فارتحل من يومه، وخرج من ذي طوى من أسفل مكة[2].

فكان إذا علا مرتفعاً من الأرض رفع صوته بالتكبير ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون، ساجدون عابدون، لربّنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. اللهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. اللهمّ بلّغنا بلاغاً صالحاً، يبلغ إلى خير مغفرة ورضوان»[3].

متى وكيف نزلت سورة المائدة؟

«لم يختلف أهل العلم أنّها آخر سورة مفصّلة نزلت على رسول الله ﷺ في أواخر حياته»[4].

---

(1) بحار الأنوار ٢١: ٣٧٩، عن فروع الكافي ١: ٢٨٩.

(2) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٣، عن فروع الكافي ١: ٢٣٤ وفي البداية والنهاية ٥: ٢٠٧ أنّه ﷺ بات في المحصّب، وعند السحر أمرهم بالرحيل فدخل مكة وطاف طواف الوداع، ثم اتّجه الى المدينة.

(3) مغازي الواقدي ٣: ١١١٤ ثم لم يذكر أي خبر عن رجوعه الى المدينة، فلا الغدير، ولا حتى الخطبة في منزل الجحفة قرب الغدير في الثنيين. والذي ذكر الخطبة في غمر: الحلبية ٢: ٥٧٩.

(4) الميزان ٥: ١٥٧.

وروى العياشي في تفسيره عن علي عليه السلام قال: كان من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ سورة المائدة، لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء، وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّى بطنها حتى رأيت سُرّتها تكاد تمس الأرض، وأُغمي على رسول الله حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجُمحي[1]، ثم رفع ذلك عن رسول الله فقرأ علينا سورة المائدة[2].

وروى فيه عن الباقر عن علي عليهما السلام قال: نزلت المائدة قبل أن يقبض النبي ﷺ بثلاثة أشهر[3].

وهذا الخبر من جانب يقتضي أن يكون وفاته ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ومن جانب آخر يقتضي نزول سورة المائدة أو أوائلها في الثاني عشر من شهر ذي الحجّة الحرام بمنى، فهل كان كذلك؟

وإذا كان كذلك فمن الطبيعي المتوقّع أن تكون السورة أو أكثرها أو كثير من آياتها حول الحج والعمرة، وآياتها مئة وعشرون، لا تناسب مناسك الحج والعمرة منها سوى ثماني آيات، آيتان في أوّلها ثم من الرابعة والتسعين إلى المئة فقط!

(١) لم نجده في أعلام الرجال والتاريخ إلّا هنا فقط.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٨٨ ح ٢.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٨٨ ح ١، وفيه: بشهرين أو ثلاثة، ولكن الترديد من الإمام المعصوم بعيد جداً، والأقرب أنه من الراوي زرارة بن أعين، ولا يستقيم الشهران والثلاثة، فتقتضي من جانب أن يكون نزول السورة أو أوائلها في منى في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، ومن جانب آخر أن يكون يوم وفاة النبي ﷺ كما عليه عامة المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول. هذا إذا كان التحديد دقيقاً وليس تقريبياً. وسيأتي البحث عنه.

وروى الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٢٢٣ عن العياشي ـ وليس في تفسيره ـ عن الصادق عليه السلام قال: نزلت المائدة كَمَلاً ومعها سبعون ألف ملك!

وقد نظر الطباطبائي الى زمان نزول السورة من زاوية أُخرى هي أنّها: نزلت على رسول الله في أواخر أيام حياته، وقال: فالمناسب لذلك تأكيد الوصية بحفظ المواثيق المأخوذة لله تعالى على عباده، والتثبّت فيها، فما يعطيه التدبّر في عامة آياتها، وفي الأحكام والقصص والمواعظ فيها: أنّ الغرض الجامع في السورة هو الدعوة الى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقّة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأنّ عادته تعالى جرت بالرحمة والتخفيف والتسهيل لمن اتقى وآمن ثم اتّقى وأحسن، وبالتشديد على من بغى واعتدى وطغى بالخروج عن ربقة العهد بالطاعة، وتعدّى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين، فهي لهذا تشتمل على نبأ ابني آدم في قربانهما المتقي والطاغي، والاشارة الى كثير من مظالم بني اسرائيل ونقضهم المواثيق المأخوذة منهم، وسؤالهم المسيح المائدة ثم عدم الوفاء بنقضها، وعلى كثير من الآيات التي منّ الله بها على عباده من تحليل الطاهر وتشريع ما يطهّر بلا عسر ولا حرج، ومن إكمال الدين وإتمام النعمة[1].

الآيات الثلاثة الأُول:

مرّ أن الآية الأُولى و لذلك تناسب مناسك الحج فيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

---

(١) الميزان ٥ : ١٥٧ بتصرف.

وقد وعد الله الحق في الآية الفاتحة أن يتلو عليهم ما يستثنيه من حلّ بهيمة الأنعام، وفى بهذا في الآية الثالثة إذ قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ... فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

والمحرّمات الأربعة المذكورة في صدر هذه الآية ذُكرت هنا مكرّرةً للمرة الرابعة: الأولى في الآية (١٤٥) من الأنعام الخامسة والخمسين نزولاً، والآية (١١٥) من النحل السبعين نزولاً والآية (١٧٣) من البقرة السابعة والثمانين نزولاً، وتم تلاحق في ذيلها ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فالآية لا تشتمل من المحرّمات على جديد، إلّا قوله هنا: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ فهي وإن ذكرت لأول مرة هنا في هذه الآية لكنّها هي جميعاً مصاديق الميتة.

فأين إكمال الدين ويأس الكفّار منه؟

وإذا تأمّلنا صدر الآية ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ ...﴾ ثم ذيلها: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ ... فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وجدناها كلاماً تاماً غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه على شيء مما جاء في وسط الآية: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

وينتج من ذلك أنّ هذا كلام معترض موضوع في وسط تلك الآية، غير متوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها، سواء قلنا: إنّ الآية نازلة في وسط الآية

فتخلّلت بينهما من أوّل ما نزلت، وعلمنا أنّها موضوعة في موضعها الذي هي فيه عند التأليف من غير أن تصاحبها نزولاً، أو قلنا إنّ النبي ﷺ هو الذي أمر كتّاب الوحي بوضع الآية في هذا الموضع مع انفصال الآيتين واختلافهما نزولاً، كما روى ذلك السيوطي في «الدر المنثور» عن الشعبي قال: نزل على النبي هذه الآية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهو بعرفة، وكان إذا أعجبته آيات جعلهنّ في صدر السورة[1].

وقد عرفنا أنّ يوم عرفة كان يوم السبت بحسب الحساب السابق، ليس يوم الخميس ولا الجمعة كما عليه الجمهور رواية عن عمر بن الخطاب جواباً لليهودي[2].

خبر نزول آية الولاية في مكة:

نقل ابن طاووس عن كتاب «النشر والطي» عن حذيفة بن اليمان قال: كنّا مع النبي ﷺ، وقد وافى علي ؑ من اليمن الى مكة، ثم توجّه علي ؑ يوماً يصلّي الى الكعبة، فلما ركع أتاه سائل فتصدّق عليه بخاتمه، فكبّر رسول الله وقرأ علينا

---

(1) الميزان ٥: ١٦٣ ـ ١٦٨ بتصرّف وتلخيص، والخبر عن الدر المنثور ٢: ٢٥٨، ٢٥٩. وانظر كلاماً للطباطبائي فيما يأتي.

(2) انظر البحث في ذلك في كتاب الغدير ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٨ وعمدته يحمل ما نُقل في تفسير الكوفي عن الباقر ؑ قال: نزل جبرئيل ؑ على النبي ﷺ يوم الجمعة بعرفات بقوله سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ كما في تفسير فرات الكوفي: ٤٩٧ ح ٦٥٢. وكذلك ما رواه العياشي في تفسيره عن الصادق ؑ قال: نزل رسول الله يوم الجمعة في عرفات فأتاه جبرئيل بقوله سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ كما في تفسير العياشي ١: ٢٩٣.

ما أنزل الله تعالى في ذلك من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ثم قال: قوموا نطلب هذه الصفة التي وصف الله. فلما دخل رسول الله المسجد استقبله سائل فسأله النبي: من أين جئت؟ قال: من عند هذا المصلّي تصدّق عليّ بهذه الحلقة وهو راكع، فكبّر رسول الله ﷺ ومضى نحو علي عليه السلام فقال له: يا علي ما أحدثت اليوم من خير؟ فأخبره خبره، فكبّر للمرّة الثالثة[2].

وقال الحلبي: روي أنّه لما نزل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أُمر النبي أن ينادي بولاية علي عليه السلام فضاق بذلك ذرعاً[3].

وروى البحراني في «البرهان» عن زيد بن أرقم قال: إنّ رسول الله ﷺ دعا قوماً أنا فيهم فقال لنا: إنّ الروح الأمين جبرئيل عليه السلام نزل عليه بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فاستشارنا في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول له، فلما رجعت ونزلنا الجحفة وضربنا أخبيتنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا رسول الله ينادي:

أيها الناس، أنا رسول الله فأجيبوا داعي الله، فأتيناه مسرعين وذلك في شدة الحرّ، ثم قال: يا أيها الناس، إنّه نزل عليّ عشيّة عرفة أمر ضقتُ به ذرعاً مخافة تكذيب أهل الإفك، حتى جاءني في هذا الموضع وعيد من ربّي إن لم أفعل، وذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ..﴾[4].

---

(١) العمدة: ٥٥٠.

(٢) الإقبال ٢: ٢٤٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣. ولعلّه مما رواه العياشي في تفسيره عن عمار بن ياسر أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ قرأها علينا ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ١: ٣٢٧.

(٤) عنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٥١، ١٥٢، وعن العياشي ولم نجده فيه.

وروى الطبرسي في «الاحتجاج» بسنده عن الطوسي عن الباقر عليه السلام قال: لما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله بالموقف أتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال له: يا محمد، إنّ الله عزّ وجل يقرئك السلام ويقول لك: إنه قد دنا أجلك ومُدّتك، وأنا مستقدمك على ما لابدّ منه ولا محيص عنه، فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك، واعمد الى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت (كذا!) وجميع ما عندك من آيات الأنبياء فسلّمه الى وصيّك وخليفتك من بعدك، حجتي البالغة على خلقي: علي بن أبي طالب، فأقمه للناس علماً، وجدّد عهده وميثاقه وبيعته، وذكّرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم وعهدي الذي عهدت اليهم من ولاية وليي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة: علي بن أبي طالب، فإني لم أقبض نبياً من الأنبياء إلّا من بعد إكمال ديني وحجّتي وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وديني وتمام نعمتي على خلقي باتّباع وليّي وطاعته وذلك أني لا أترك أرضي بغير وليّ ولا قيّم، ليكون حجة لي على خلقي، فأقم ـ يا محمد ـ علياً علماً، وخذ عليهم البيعة، وجدّد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه، فإني قابضك إليّ ومستقدمك عليّ.

قال الباقر عليه السلام: فخشي رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه، وأهل النفاق والشقاق أن يتفرّقوا ويرجعوا الى الجاهلية، لما عرف من عداوات وما تنطوي عليه أنفسهم من العداوة والبغضاء لعلي عليه السلام. فسأل جبرئيل أن يسأل ربّه له العصمة من الناس، وأخّر ذلك وانتظر أن يأتيه جبرئيل عن الله جلّ اسمه بالعصمة من الناس، الى أن بلغ مسجد الخيف.

فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً علماً للناس يهتدون به من دون أن يأتيه بالعصمة من الله جلّ جلاله بالذي أراد

حتى بلغ موضع كُراع الغميم فأتاه جبرئيل بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم

بأنه بالعصمة، فرحل، فلما بلغ غدير خم أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والعصمة من الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: كانت ولاية علي عليه السلام قد نزلت بمنى، وامتنع رسول الله ﷺ من القيام بها، لمكان الناس. ورجع من مكة وقد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكة[2]، فلما انتهى إلى الجحفة نزل جبرئيل عليه السلام فقال:

---

(1) الاحتجاج ١: ٦٩ - ٧٠ وعليه يحمل ما في كشف اليقين عن كتاب ابن أبي الشيخ البغدادي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله أنزل على نبيّه بكُراع الغميم ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في علي. كذا بدون ذكر العصمة. بحار الأنوار ٣٧: ١٢٧ وبه يصحّح ما رواه القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام: أنّه نزل في كُراع الغميم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

(2) هذا بعد أن قال: تبعه من أهل المدينة خمسة آلاف، فكان له عشرة آلاف شاهد. ووافقه الحلبي في المناقب ٣: ٣٥ وأغرب فيه عن الباقر عليه السلام قال: قال النبي يوم غدير خم بين ألف وثلاثمئة رجل، وفي خبر آخر للعياشي عن الصادق عليه السلام قال: لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجل كما في تفسيره ١: ٣٢٩ ح ١٤٣ ووجدته كذلك في خبر جامع الأخبار كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٥ ح ٤٤ بزيادة: أن هؤلاء كانوا مع النبي، ومعه خمسة آلاف رجل من المدينة، فإذا أُضيف إليه الخمسة الآلاف رجل الذين شيّعوه من أهل مكة كما في الخبر السابق كانوا اثنين وعشرين ألفاً. بينما جاء في خبر الاحتجاج ١: ٦٩ عن الباقر عليه السلام قال: بلغ من حجّ مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري. ونقل المجلسي عن ابن الجوزي قال: وكان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مئة وعشرون ألفاً. بحار الأنوار ٣٧: ١٥٠.

﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .. ﴾ أي مما كرهت بمنى.

وبسنده ما رواه قبله عن أبيه الباقر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ بإعلان أمر علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس ومكث ثلاثاً حتى أتى الجحفة، فلما نزل المهيعة من الجحفة يوم الغدير نادى: الصلاة جامعة[1].

وفي «جامع الأخبار» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع، جاءه جبرئيل في الطريق وقرأ عليه هذه الآية: ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ فقال رسول الله: يا جبرئيل إن الناس حديثو عهد بالإسلام، فأخشى أن يضطربوا ولا يطيعوا. فعرج جبرئيل.

ونزل عليه السلام في اليوم الثاني ورسول الله نازل بالغدير (كذا) فقال له: يا محمد ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ﴾ فقال له: يا جبرئيل، أخشى من أصحابي أن يخالفوني. فعرج جبرئيل.

ونزل عليه في اليوم الثالث ورسول الله بالغدير وقال له: ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .. ﴾ فلما سمع رسول الله هذه المقالة قال للناس: والله ما أبرح هذا المكان حتى أُبلّغ رسالة ربي[2].

وهنا كلام آخر للعلامة الطباطبائي فات فيه عن أن ها هنا أمراً يجب التنبه له، وهو أن التدبّر في الآيتين الكريمتين لثالثة: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾

---

(1) تفسير العياشي ١: ٣٣٢ ح ١٥٤ و ١٥٣.

(2) جامع الأخبار: ١٠ ـ ١٣، وعنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٥، ١٦٦ ح ٤٤.

والسابعة والستين: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ والأحاديث فيها من طرق الفريقين، وأخبار الغدير المتواترة، ودراسة أوضاع المجتمع الإسلامي الداخلية في أواخر عهد رسول الله، والبحث العميق فيها، يفيد القطع بأن أمر الولاية كان نازلاً قبل يوم الغدير بأيام، وكان النبي يتّقي الناس في إظهاره، يخاف أن لا يتلقوه بالقبول، أو يسيئوا القصد إليه فيختلّ أمر الدعوة، فكان لا يزال يؤخّر تبليغه الناس من يوم إلى غد حتى نزلت الآية (٦٧) فأظهره.

وعلى هذا، فمن الجائز أن يكون الله قد أنزل معظم السورة وفيها أمر الولاية يوم عرفة (أو عشيّتها)، وتلاها النبي ﷺ ولكن أخّر بيان الولاية إلى الغدير فلا يبعد أن يكون ما اشتمل عليه بعض الأخبار من نزولها يوم الغدير إنّما لتلاوته ﷺ الآية بعد تبليغ أمر الولاية لبيان شأن نزولها، فقيل: إنها نزلت يومئذٍ وعليه فلا تنافي بين الفريقين من الأخبار[1].

الموضع والنداء والمنبر:

مرّ في «الاحتجاج» عن الباقر عليه السلام قال: لما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال[2] أتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر

---

(١) الميزان ٥: ١٩٦، ١٩٧ بتصرّف يسير.

(٢) جاء في معجم البلدان ٢: ٣٨٩ خم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة. وعيّن الفاصل في ٤: ١٨٨ غدير خم: بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان. وقال في الجحفة ٢: ١١١: بينها وبين غدير خم ميلان، وهي على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وبينها وبين المدينة ست مراحل. وشرح الشيخ الدكتور الفضلي ذلك فقال: أُريد بالمرحلة المسير، وبالطريق الطريق السلطاني، إلا أنه حدث تفاوت بعدم ذكره أحياناً. والمسافة كما في خريطة وزارة المواصلات السعودية للطرق البرية في المملكة ـ من مكة إلى ←

والعصمة من الناس فقال : يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ فأمره أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان ليقيم عليّاً علماً للناس ويبلّغهم ما أنزل الله في عليّ عليه السلام، وأخبره أنّ الله عزّ وجلّ قد عصمه من الناس.

وكان أوائلهم قربت من الجحفة، فأمر رسول الله منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة ويردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر منهم، وأمره جبرئيل فتنحّى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، وكان في الموضع سلمات[1] فأمر رسول الله أن تُقمّ ما تحتهنّ، وأن تُنصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فقام رسول الله فوق تلك الأحجار، وكان علي عليه السلام منه أوّل ما صعد رسول الله دون مقامه بدرجة، ثم ضرب بيده إلى عضده فبسط علي يده نحو وجه رسول الله فشال عليّاً حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله[2].

ومرّ في خبر «البرهان» عن زيد بن أرقم قوله : إذ سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ينادي : أيها الناس، أنا رسول الله أجيبوا داعي الله. فأتيناه مسرعين، وكان في شدّة الحرّ، فإذا هو واضع بعض ثوبه على رأسه وبعضه على قدمه من الحرّ، وأمر بقمّ ما تحت الدوح، فقمّ ما كان ثمة من الشوك والحجارة، فلما فرغوا من القمّ أمر رسول الله أن يؤتى بأحلاس دوابّنا وأقتاب إبلنا وحقائبنا، فوضعنا بعضها على بعض ثم ألقينا عليها ثوباً، ثم صعد عليها رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

قطار رابغ بحراً ١٨٠كم، ومنه إلى الجحفة (٩كم) = (١٨٩كم) مجلة الميقات ع ٦ : ٣٨٧ فالغدير في الشمال الغربي من مكة بينه وبينها (١٨٥ كم) تقريباً.

(١) السلم : شجر العضا مجمع البحرين.

(٢) الاحتجاج ١ : ٧٠ و٧١ و٧٦.

(٣) البرهان ٢ : ١٤٥، وعنه في بحار الأنوار ٣٧ : ١٥٢.

ولئن خلا هذان الخبران عن التصريح بأن ذلك كان بعد صلاة الظهر فقد صرحت بذلك أحاديث كثيرة.

فقد نقل السيد ابن طاووس عن كتاب «النشر والطي» من حديث حذيفة بن اليمان قال: انتهى إلينا رسول الله فنادى الصلاة جامعة! ثم دعا أبا ذر وعمار والمقداد وسلمان فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل شجرتين فيقموا ما تحتها، فكسحوه، وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله، وأمر بثوب فطرح عليه، ثم صعد النبي المنبر ينظر يمنة ويسرة وينتظر اجتماع الناس إليه حتى اجتمعوا، ثم ضرب بيده إلى عضد علي عليه السلام فرفعه على درجة دون مقامه متيامناً عن وجه رسول الله[1].

وزاد في «بشارة المصطفى» عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم: كنّا يوم غدير خم مع رسول الله ونحن نرفع أغصان الشجر عن رأسه[2].

وزاد ابن حنبل عن زيد بن أرقم قال: فأمر بالصلاة فصلّاها فخطب، وظُلّل لرسول الله من الشمس بثوب على شجرة[3].

ورواه ابن المغازلي في «المناقب» عنه قال: أمر بالدوحات فقمّ ما تحتهن من شوك، ثم نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله في يوم شديد الحرّ، وإنّ منّا لمن يضع رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ! فصلّى بنا الظهر ثم انصرف إلينا بوجهه الكريم[4].

---

(١) الإقبال ٢: ٢٤٠، ٢٤١. ونص نداء الصلاة وكنس ما بين شجرتين الحلبي في مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٥ عن البراء بن عازب والمجلسي عن المناقب لابن الجوزي عن مرّة أيضاً في بحار الأنوار ٣٧: ١٤٩.

(٢) بشارة المصطفى: ١٦٦ كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٨ و٢٢٣.

(٣) العمدة لابن بطريق الحلّي: ٩٢ عن مسند أحمد ٤: ٢٨١.

(٤) عنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٨٤. وفي هذا الفصل أكثر من عشرة أخبار في أنّ ←

عدد الجمع:

أخرج ابن شهرآشوب في «المناقب» مرسلاً عن الباقر عليه السلام قال: قال النبي ﷺ يوم غدير خم بين ألف وثلاثمئة رجل[1]. بينما مرّ عن «الاحتجاج» عنه عليه السلام قال: معي من حجّ مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتّبعوا العجل والسامريّ[2].

ولكنّ هذا الخبر جمع في العدد الأعراب وأهل الأطراف إلى أهل المدينة

ـــ الخطبة كانت بعد صلاة الظهر في: ١١٩ و ١٢١ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٩ و ١٥٤ و ١٥٩ و ١٩١ و ١٩٨ و ٢٠٤ والإرشاد ١: ١٧٦ ثم رقب الشمس فأذّن مؤذنه لصلاة الظهر فصلّى بهم الظهر وإنّما كانت صلاة الظهر؛ لأنّه كان يوم الخميس كما في خبر مسلم عن أبي سعيد الخدري، كما في كتاب سليم ٢: ٨٢٨، ورواه الحسني في مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٢، وابن بطريق في المستدرك، وابن طاووس في الطرائف في مناقب الطوائف: ٢١٩ وعنهما في بحار الأنوار ٣٧: ١٧٩.

وفي بعض الأخبار أنّ يوم الغدير كان في يوم النيروز أي أوّل يوم من دخول الشمس في برج الحمل، ويؤيّد هذا ما عنه المتقوي في [illegible] عن الخوارزمي المنجّم: أنّ وفاة الرسول ﷺ كان والشمس في برج الجوزاء وهو الشهر الثالث من الربيع، وعليه فحرارة يوم الغدير لم تكن حرارة الصيف وإنّما حرارة الظهيرة في هجير الحجاز، وهذا مما يقرّب أن يصلّي بهم الظهر عند الزوال وإلّا فإنّه كان يبرد بالصلاة في أسفاره أي يجمع الظهر مع العصر جمع تأخير تخفيفاً للحرارة كما مرّ في غزوة تبوك.

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥، و[illegible] هو الخبر عن تفسير فرات الكوفي عن أبي ذر الغفاري: ٥١٦ ح ٦٧٤.

(٢) الاحتجاج ١: ٦٩.

ولم يميّزهم، وجاء ذكرهم في خبرين عن الصادق عليه السلام:

قال في أحدهما: إنّ رسول الله خرج من المدينة حاجّاً ومعه [منهم] خمسة آلاف، ورجع من مكة وقد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكة، فكان مع علي عليه السلام عشرة آلاف شاهد[1].

وفي ثانيهما قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من مكة في حجة الوداع شيّعه خمسة آلاف رجل من المدينة، وشيّعه من مكة اثنا عشر ألف رجل من اليمن[2].

كذا جاء في هذا الخبر، ولم يذكر في أي خبر آخر ما يقارب هذا العدد في من حجّ من اليمن لا مع علي عليه السلام ولا بدونه، ثم إنّ من على يمين مكة وجنوبها بعكس المدينة على شمالها فشايعتهم النبي ﷺ إلى الجحفة وغدير خم غريب جداً، ولم يذكر من النبي أمر بذلك[3].

هنّئوني وسلّموا على علي بالولاية

ونقل الحلبي عن أبي سعيد الخدري قال: ثم قال النبي ﷺ: يا قوم هنّئوني، هنّئوني إنّ الله خصّني بالنبوة وخصّ أهل بيتي بالإمامة[4].

---

(1) تفسير العياشي ١: ٣٣٢ ح ١٥٢.

(2) جامع الأخبار: ١٠ ـ ١٣، وعنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٥ ح ٤٢.

(3) ونقل المجلسي في بحار الأنوار ٣٧: ١٥٠ عن كتاب المناقب لابن الجوزي قال: كان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مئة وعشرون ألفاً، فلعلّ ما جاء في أخبارهم عليهم السلام من العشرة إلى العشرين ألفاً هم من أهل مكة والمدينة ممن عُرفوا من الصحابة.

(4) مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٥، ٤٦.

وروى الحميري في «قرب الاسناد» بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: ثم أمر الناس أن يبايعوا عليّاً عليه‌السلام، فبايعه الناس[1].

وروى القمي في تفسيره عن الصادق عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لهم: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين[2].

وروى الصدوق في «الأمالي» بسنده عن ابن عباس: أنّه أمر أصحابه فسلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين رجلاً رجلاً[3].

وفي خبر «جامع الأخبار»: فجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين وهنّؤوه بالولاية، وأول من قال له كان عمر بن الخطاب قال له: يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[4].

وفي خبر «الاحتجاج» بسنده عن الباقر عليه‌السلام قال: قال: معاشر الناس، إنّكم أكثر من أن تصافقوني بكفّ واحدة في وقت واحد، وقد أمرني الله عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت من إمرة المؤمنين لعلي ولمن جاء بعده من الأئمة منّي ومنه، على ما أعلمتكم أنّ ذريّتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم: إنّا سامعون مطيعون راضون ومنقادون لما بلّغت عن ربّنا وربّك في أمر علي وأمر ولده من

---

(١) كما في بحار الأنوار ٣٧: ١١٩ ح ٧ وعن تفسير العياشي ٣٧: ١٣٨.

(٢) كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٢٠.

(٣) كما في بحار الأنوار ٣٧: ١١١ وفي المناقب عن النطنزي عن الكلبي ٣: ٢٩.

(٤) جامع الأخبار: ١٠، وعنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٦ ونقله المعلّق من خبر أبي سعيد الخدري، وعن شرف المصطفى عن البراء بن عازب، وعن التمهيد للباقلاني ولكنّه تأوّله وبمعناه عن السمعاني. وفي بحار الأنوار ٣٧: ١٠٨ عن أمالي الصدوق عن أبي هريرة والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ٣: ٤٣٣ وفصّل نقله الأميني في الغدير ١: ٢٧٢ ـ ٢٨٢ عن ستين مصدراً.

صلبه من الأئمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نُبعث، لا نغيّر ولا نبدّل ولا نشكّ ولا نرتاب، ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق. ونطيع الله ونطيعك وعليّاً أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريّتك من صلبه بعد الحسن والحسين، الذين قد عرّفتكم مكانهما منّي ومحلّهما عندي ومنزلتهما من ربّي، فقد أدّيت ذلك إليكم، وإنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وإنّهما الإمامان بعد أبيهما علي، وأنا أبوهما قبله. فقولوا: أعطينا الله بذلك وإيّاك وعليّاً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا، لا نبتغي بذلك بدلاً، ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً، نحن نؤدّي ذلك عنك الداني والقاصي من أولادنا وأهالينا، أشهدنا الله وكفى بالله شهيداً، وأنت علينا به شهيد، وكلّ من أطاع ممن ظهر واستتر، وملائكة الله وجنوده وعبيده، والله أكبر من كلّ شهيد.

معاشر الناس ما تقولون؟ فإنّ الله يعلم كلّ صوت وخافية كلّ نفس ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ومن بايع فإنّما يبايع الله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

معاشر الناس فاتّقوا الله وبايعوا عليّاً أمير المؤمنين.

معاشر الناس، قولوا الذي قلت لكم، وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين.

معاشر الناس، سابقوا إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين أُولئك هم الفائزون في جنّات النعيم.

معاشر الناس، قولوا ما يرضي الله عنكم من القول.

قال الباقر عليه السلام: فناداه القوم: سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا، ثمّ تداكّوا على علي عليه السلام وصافقوه بأيديهم، فكان أوّل من صافق الأوّل والثاني والثالث... ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس عن آخرهم

عن طبقاتهم ومنازلهم، وصلوا مصافقة والبيعة ثلاثة أيام (كذا)، وكلّما بايع قوم يقول رسول الله: الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين[1].

ونقل المجلسي هذه الخطبة ثم قال: أقول: روى جميع هذه الخطبة الشيخ علي بن المطهر الحلي في (العدد القوية) بإسناده إلى زيد بن أرقم، وروى أكثرها البياضي النباطي في «الصراط المستقيم» عن (كتاب الولاية) للطبري المؤرّخ عن زيد بن أرقم[2].

---

(1) الاحتجاج ١: ٨٢ ـ ٨٤ ورواها عنه الشهيد الفتال النيشابوري مرسلاً في روضة الواعظين: ١٠٩ ـ ١٢١، وتستغرق الخطبة في هذا الحجم ثلاث عشرة صفحة من الكتاب ٦٨ ـ ٨٤، بينما جاء في تفسير فرات الكوفي بسنده عن الصادق عليه السلام عن ابن عباس قال: قام رسول الله خطيباً فأوجز في خطبته: ٥٠٥ ح ٦٦٣ وهو الأولى والأقرب والأنسب.

(2) بحار الأنوار ٣٧: ٢١٨ والخطبة طولها في ١٣١ صفحة من كتاب الاحتجاج كما مرّ في الحاشية السابقة. وقد نقل السيد ابن طاووس ثلاث صفحات منها في الإقبال ٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٧ عن كتاب النشر والطي الذي حمله مؤلفه إلى الملك شاه مازندران رستم بن علي لما دخل الري، رواه عن رجاله عن حذيفة بن اليمان، وذكر منه فصل هذا ٢: ٢٣٩. ومحمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير كتاب صنّفه وسمّاه «كتاب الردّ على الحرقوصية» (أتباع حرقوص بن زهير المعروف بذي الثديه رأس خوارج النهروان) وروى فيه حديث يوم الغدير وما نصّ النبيّ على عليّ عليه السلام بالولاية والمقام الكبير، روى ذلك من خمس وسبعين طريقاً، ذكره في الطرائف في مذاهب الطوائف: ٣٣، وقد روى الحديث في ذلك محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه «كتاب الولاية» وكذلك قال العلامة في مذهب آل أبي طالب ٣: ٣٤ ونقل في «إحقاق الحق» ٢: ٤٨٦ و ٤٨٧ عن أبي المعالي الجويني كان يقول: شاهدت في يد صحّاف في بغداد مجلداً مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق من كنت مولاه فعليّ ←

وقال المفيد في «الإرشاد»: فصلّى الظهر... ثم أمر عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة بإزاء خيمته ﷺ، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّئوه بالمقام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك.

ثم أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين أن يدخلن عليه فيسلّمن عليه بإمرة المؤمنين، ففعلن[1].

آية الإكمال، وشعر حسّان

إنّ أقدم كتاب فيما بأيدينا ممّا يشير إلى رواية نزول آية الإكمال في هذا المجلس هو كتاب سُليم بن قيس الهلالي العامري (م ق ٨٠ هـ) عن أبي سعيد الخدري قال في حديثه عن النبيّ ﷺ في يوم غدير خم: فلم ننزل حتى نزلت الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي وبولاية عليّ من بعدي[2].

= مولاه، وتتلوه المجلّدة السبعة والعشرون. وذكر ابن كثير الشامي في ذكره لابن جرير الطبري: أنّه رأى مجلّدين ضخمين جمع فيهما أحاديث غدير خم ـ كما في بحار الأنوار ٣٧: ٢٣٥، ٢٣٦. وملك مازندران المذكور رستم بن علي، لعلّه ابن علي بن شهريار بن قارن، حكم ٥١١ ـ ٥٣٤ هـ وأهدى إليه الطبرسي «إعلام الورى» كما في مقدمته: ٢٩ ط. النجف الأشرف.

(1) الإرشاد ١: ١٧٦. ولم أعثر على مصدر معتبر لخبر التهنئة، وعمدة ما بين أيدينا فيه.

(2) كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٢٨، وفي الطرائف من مذاهب الطوائف لابن طاووس: ٣٥ مثله إلّا أنّ فيه: فلم نتفرّق حتى نزلت الآية. وكذلك في المستدرك لابن بطريق الحلّي، كما عنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٧٩. ورواه الصدوق في الأمالي: ٢١٤، عن ابن عباس عن أبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد قالوا: والله ما برحنا العرصة حتى نزلت الآية مكرّرها ←

فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله، ائذن لي لأقول في عليّ أبياتاً. فقال ﷺ: قل، على بركة الله. فقال حسّان: يا مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله:

ألم تعلموا أنّ النبي محمداً ... لدى دَوح خُمٍّ حين قام منادياً

وقد جاءه جبريل من عند ربّه ... بأنّك معصوم فلا تك وانياً

وبلّغهمُ ما أنزل الله ربّهم ... وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغياً

عليك، فما بلّغتهم عن إلههم ... رسالته، إن كنت تخشى الأعاديا

فقام به إذ ذاك رافع كفّه ... يمُنى يديه معلن الصوت عاليا

فقال لهم: من كنت مولاه منكم ... وكان لقولي حافظاً ليس ناسياً

فمولاه من بعدي عليٌّ، وربّي ... به لكمُ دون البريّة راضياً

رسول الله ثلاثاً. ثم قال كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٣٧. ورواه العياشي في تفسيره ١: ٢٩٢ و٢٩٣ ح ٢٠ و٢٢ عن زرارة عن الباقر عليه‌السلام وفيه ح ٢١ عن الصادق عليه‌السلام: أنّ جبرئيل عليه‌السلام أتى رسول الله بها في عرفات يوم الجمعة! ورواه الكوفي في تفسيره عن الباقر عليه‌السلام: ١١٩ ح ١٢٤ و١٢٥ وعن الصادق عليه‌السلام: ١١٧ ح ١٢١ و١٢٢ و١٢٣ وعن ابن عباس: ١١٩ ح ١٢٦ و١٢٧ وفيهما: بمكة في يوم عرفة يوم جمعة! وقد مرّ بحسابه أنّ يوم عرفة لم يكن يوم جمعة وإنّما يوم الخميس. فلو كان نزولها هناك كانت تلاوته لها يوم الغدير تفسيراً له. والسيوطي في الإتقان ١: ١٩ وإن نقل عن الصحيح عن عمر: أنّها نزلت عام حجة الوداع عشية عرفة يوم الجمعة، لكنّه روى عن محمد بن كعب قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة، وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة: أنّها نزلت يوم غدير خم. وكذلك في الدر المنثور ٢: ٢٥٩، كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٨٩ و٢٤٨. وانظر البحث في الآية عن ستة عشر مصدراً في الغدير ١: ٢٢٣ ـ ٢٣٨ وفي كتاب آيات الغدير: ٢٦٤ ـ ٢٦٨.

فيا ربِّ مَن والى علياً فوالِهِ ... وكن للذي عادى علياً معاديا

ويا ربِّ فانصر ناصريه لنصرهم ... إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا

ويا ربِّ فاخذل خاذليه وكن لهم ... إذا وقفوا يوم الحساب مكافيا[1]

فروى الكليني في «روضة الكافي» عن الباقر عليه السلام قال: قال صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لا يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا[2] و قال: يا حسّان لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[3]

وسأل سائل:

مرّ في خبر «الاحتجاج» عن الباقر عليه السلام قال: وتداكّوا على رسول الله وعلى علي عليهما السلام وصافقوا بأيديهم، وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً[4]

وجاء مثله عن الصادق عليه السلام في «جامع الأخبار» قال: فلما كان بعد ثلاثة، وجلس النبي صلى الله عليه وآله مجلسه، أتاه رجل من بني مخزوم يُسمّى عمر بن عُتبة فقال: يا محمد (كذا) أسألك عن ثلاث مسائل. فقال: سل عمّا بدا لك. فقال: أخبرني عن شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، أمنك أم من ربّك؟

---

(١) سليم بن قيس ٢: ٨٢٨، ٨٢٩، وزاد عليه الأميني في الغدير ٢: ٣٤ ـ ٣٩ أكثر من عشرين مصدراً من العامة وأكثر من عشرة مصادر من غيرهم، ثمّ لم يذكروها في ديوانه.

(٢) روضة الكافي: ٨٩ ح ٧٥ وعن الصادق عليه السلام في جامع الأخبار: ١١، كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٦.

(٣) الإرشاد ١: ١٧٧ وقال: مما شرط في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق. ومثله في الفصول المختارة: ٢٩١ وجاء في جامع الأخبار: ١٠، كما في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٦.

(٤) الاحتجاج ١: ٨٤.

قال النبي: الوحي من الله، والسفير جبرئيل، والمؤذن أنا، وما أذّنت إلّا من أمر ربّي.

قال الرجل: فأخبرني عن الصلاة والزكاة والحج والجهاد، أمنك أم من ربّك؟ فقال النبي مثل ما قال.

فقال الرجل: فأخبرني عن هذا ـ وأشار الى علي عليه‌السلام ـ وقولك فيه: من كنت مولاه... أمنك أم من ربّك؟ فقال النبي مثل ما قال.

فرفع المخزومي رأسه الى السماء وقال: اللهم إن كان محمد صادقاً فيما يقول فأرسل عليّ شواظاً من نار، وولّى، فوالله ما سار غير بعيد حتى أظلّته سحابة سوداء، فأرعدت وأبرقت وأصعقت فأصابته صاعقة فأحرقته النار، فهبط جبرئيل وهو يقول: اقرأ يا محمد ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1].

وكفروا بعد إسلامهم:

روى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه‌السلام قال: لما قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في غدير خم ما قال وانصرفوا الى أخبيتهم، مرّ المقداد (بن الأسود الكندي) بجماعة منهم فسمعهم يقولون: والله إن كنّا أصحاب كسرى وقيصر لكنّا في الخزّ والوشي

---

(1) جامع الأخبار: 11 كما عنه في بحار الأنوار ٣٧: ١٦٧. وروى نحوه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره: ٥٠٥ ح ٦٦٣، عن الصادق عليه‌السلام عن ابن عباس واسم الرجل الحارث بن النعمان الفهري. ولكن فيه أن ذلك كان بمكة بعد الغدير. وروى قبله مثله عن ابن عباس بلا تشكيك فيه واسم الرجل عمرو بن الحارث الفهري. وروى قبله مثله عن أبي هريرة أن في أعرابي غير مسمّى. وهي مع قدمتها تقول: اقرأ يا محمد. وليس نزول سأل سائل وله مرّ بها مكيّة. وانظر الغدير ١: ٢٣٩ - ٢٤٧، عن ثلاثين مصدراً. والمناقشة فيه وأجوبتها الى ٢٦٦، وانظر كتاب آيات الغدير: ٢٧٠ فما بعدها.

والديباج والساجات، وإنّما معه (محمد) في الأخشبين، يأكل الخشن ويلبس الخشن، حتى إذا دنا موته وقست أيامه وحضر أجله ولّاها عليًّا من بعده، أما والله ليعلمن!

فمضى المقداد حتى أخبر النبي ﷺ، فجاؤوا حتى جثوا بين يديه وقالوا: يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق، والذي أكرمك بالنبوة، ما قلنا ما بلغك، لا والذي اصطفاك على البشر. فقال النبي ﷺ: يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم، وهمّوا بك يا محمد ليلة العقبة بما لم ينالوا، وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله.

وروى مثله عن جابر بن الأرقم عن أخيه زيد بن الأرقم قال: كان إلى جانب خبائي خباء لثلاثة نفر من قريش، وأنا معي حذيفة بن اليمان، فسمعنا أحدهم يقول: والله إنّ محمدًا لأحمق إن كان يرى أنّ الأمر يستقيم لعلي من بعده. وقال الآخر: ألم تعلم أنّه كاد أن يصرع عند امرأة ابن أبي كبشة؟! وقال الثالث: ادعوه مجنونًا أو أحمق، فوالله ما يكون ما يقول أبدًا!

فرفع حذيفة جانب الخباء ومدّ رأسه إليهم وقال لهم: فعلتموها ورسول الله بين أظهركم ووحي الله ينزل عليكم، والله لأخبرنّه بمقالتكم! فقالوا له: يا أبا عبد الله وإنّك لهاهنا وقد سمعت ما قلنا؟! اكتم علينا فإنّ لكلّ جوار أمانة؟ فقال حذيفة: ما هذا من مجالس الأمانة ولا من جوارها، وما نصحت الله ورسوله إن أنا طويت عنه هذا الحديث! فقالوا له: يا أبا عبد الله فاصنع ما شئت، فوالله لنحلفنّ أنّا لم نقل، وأنّك قد كذبت علينا، أفتراه يصدّقك ويكذّبنا ونحن ثلاثة؟! فقال لهم: أما أنا فلا أبالي إذا أدّيت النصيحة لله ولرسوله، وقولوا أنتم ما شئتم.

ثمّ مضى إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فبعث رسول الله إليهم فأتوه فقال لهم: ماذا قلتم؟ قالوا: والله ما قلنا شيئًا، فإن كنت قد بُلّغت

عمّا شئنا فكذبوا عليّاً، فهبط جبرئيل بقوله سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[1]

وهمّوا بما لم ينالوا:

قال القمي في تفسيره: اجتمع أربعة عشر نفراً من أصحابه ﷺ وتآمروا على قتله، وقعدوا له في عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء[2] سبعة عن يمينها وسبعة عن يسارها لينفّروا ناقة رسول الله ﷺ.

فلما جنّ الليل تقدّم رسول الله العسكر في تلك الليلة، فأقبل ينعس على ناقته فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: إن فلاناً وفلاناً قد قعدوا لك! فلما دنا رسول الله منهم ناداهم بأسمائهم. فلما سمعوا نداء رسول الله فرّوا ودخلوا في غمار الناس.

فلما نزل رسول الله من العقبة، جاؤوا إلى رسول الله فحلفوا أنّهم لم يهمّوا بشيء من رسول الله، فأنزل الله (كذا): ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا...﴾[3]

وروى السيد ابن طاووس في «اليقين» بإسناده عن حذيفة بن اليمان: أن جمعاً من الطلقاء من قريش والمنافقين من الأنصار أقبل بعضهم على بعض، ودار

---

(1) تفسير العياشي ٢: ٩٨ و ٩٩، ١٠٠، والآية من سورة التوبة: ٧٤، النازلة بعد حرب تبوك في أواخر السنة التاسعة وقبل حجة الوداع، فهبوط جبرئيل بالآية إنما هو للتذكير بالآية لا إنزالها لأول مرة، ولعلّ الصحيح أو الأصحّ ما مرّ في الخبر السابق.

(2) انظر الخريطة (٢٠ أ) في أطلس تاريخ الإسلام بالفارسية. وفي القاموس: هرشى كسكرى

(3) تفسير القمي ١: ١٧٥ ومثله في الإقبال ٢: ٢٤٩ عن كتاب النشر والطي. ولعلّ الإنزال بمعنى إنزال جبرئيل للتذكير بالآية السابقة نزولاً قبل الحج، ولعلّ الأصحّ بل الصحيح ما مرّ عن تفسير العياشي: فقال النبي: أي تلا الآية في المناسبة.

الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي فاتّفقوا على أن ينفروا بالنبي ناقته على عقبة هرشى ـ وقد صنعوا مثل ذلك في غزوة تبوك فصرف الله الشر عن نبيّه ـ وكانوا أربعة عشر رجلاً.

وسار رسول الله ﷺ من الغدير باقي يومه وليلته حتى إذا دنوا من العقبة تقدّمه القوم فتواروا في ثنية العقبة، وقد حملوا معهم دباباً وطرحوا فيها الحصى.

قال حذيفة: ودعاني رسول الله ودعا عمار بن ياسر وأمره أن يسوق ناقته وأنا أقودها، حتى إذا صرنا في رأس العقبة وكانت ليلة مظلمة ثار القوم من ورائنا ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذعرت وكادت أن تنفر برسول الله، فصاح بها النبي: أن اسكني وليس عليك بأس. وتقدّم القوم إلى الناقة ليدفعوها، فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسيافنا فزالوا عنّا وأيسوا مما ظنّوا ودبّروا.

فقلت: يا رسول الله، ألا تبعث عليهم رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟! فقال: إنّ الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس إنّه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه، ثم أقبل عليهم فقتلهم! ولكن يا حذيفة دعهم فإن الله لهم بالمرصاد، وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرّهم إلى عذاب غليظ.

وكان عدد القوم أربعة عشر رجلاً: تسعة من قريش منهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وخمسة من سائر الناس: أبو موسى الأشعري وأبو هريرة الدوسي وأبو طلحة الأنصاري وأوس بن الحدثان النصري والمغيرة بن شعبة الثقفي، ثم تعاقد معهم عليه سالم مولى أبي حذيفة عبدٌ لامرأة من الأنصار شديد البغض والعداوة لعلي عليه السلام وقد عُرف منه ذلك.

قال ابن اليمان: ثم انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ ثم انتظر أصحابه حتى انحدروا من العقبة واجتمعوا، فرأيتهم بين الناس،

صلّوا خلف رسول الله. ثم ارتحل رسول الله ﷺ بالناس من منزل العقبة، فلما نزل المنزل الآخر، وأراد المسير أتوه، فقال لهم: عمّ كنتم تتناجون في يومكم هذا؟ فقالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا! فنظر النبي إليهم مليّاً ثم قال لهم: ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]

سائر آيات المائدة:

مرّ في الآية الثالثة من المائدة أنّ الله حرّم الميتة. فيبدو أنّ ممن حجّ مع النبي ﷺ عدي بن حاتم الطائي وزيد بن مهلهل الطائي وكان في غزوهما رجلان من آل ذريح وآل جوبرية لهم سبعة أكلب تصيد بها حُمر الوحش والبقر والظباء والضبّ، فمنها ما يُدرك ذكاته ومنها ما يموت، وقد حرّم الله الميتة! (وكان قد حرّمها قبل ذلك كما مرّ) فأتيا رسول الله وسألاه: ماذا يحلّ لنا منها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]

وقد مرّ الخبر أنّ عدي بن حاتم كان نصرانياً فأسلم، وطبيعي أنّ ذلك م

(1) اليقين لابن طاووس مسنداً، والعلامة الحلّي في كشف اليقين: ١٣٧ بطريق آخر، والديلمي في إرشاد القلوب بلا إسناد ٢: ٣٣٠ ـ ٣٣٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٨: ٩٧ ـ ١٠٢ وليس فيه إلّا تلاوة هذه الآية من البقرة: ١٤٠ وليس آية التوبة فضلاً عن القول بنزولها هنا، وهذا هو الأولى.

(2) مجمع البيان ٣: ٢٤٨ عن أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهيرة، وأسباب النزول للواحدي: ١٥٦ ـ ١٥٧ عن سعيد بن جبير، والدر المنثور عن الشعبي كما في الميزان ٥: ٢١٠.

يكن حصراً عليه دون قومه من طيء بل كان كثير منهم مثله نصارى، وطبعي لم يسلم كلهم معه بل بقي العديد منهم كذلك. فبعد ما شاهد عديّ بن حاتم وزيد بن المهلهل ذلك «لتشديد تام في معاشرتهم ومخالطتهم ومناكحتهم وولايتهم كان من الطبيعي أن لا تسكن نفوسهم من اضطراب لذلك» وبالتأمل في ذلك يظهر وجه مناسبة الآية للاحقة بالسابقة. ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

فبعد بيان حلّية مواكلتهم ومحصناتهم أي عفيفاتهم المعقودة، حذّرهم أن لا يسترسلوا في ذلك بما يؤدي إلى الكفر بالايمان فهذا يحبط العمل ويورث الخسران[2].

وآية الوضوء:

كما انّ محرّمات من اللحوم في الآية الثالثة من السورة كانت تكريراً للمرة الثالثة تأكيداً، كذلك حكم الطهارات الثلاث: الوضوء وغسل الجنابة والتيمم وبدلها في الآية السادسة هنا تأكيد للآية المشابهة السابقة في سورة النساء (٤٣)، إلّا أنّها أجملت الاشارة إلى الوضوء وهنا فصّلت فقالت ﴿... فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...﴾ وكان النبي ﷺ يخفّف أحياناً في مسح رجليه بمسح خفّيه،

---

(١) الميزان ٥: ٢٠٣.

(٢) وانظر الميزان ٥: ٢٠٨.

حين نزلت هذه الآية في المائدة «ترك المسح على الخُفّين»[1] ولعلّ في مناسبة الآية كونهم على سفر وكثيراً ما لا يجدون ماءً.

اثنا عشر نقيباً:

وفي الآية (١٢) يذكّر الله المسلمين بنقباء بني إسرائيل الاثني عشر إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ ونقل الطبرسي عن أبي مسلم المفسّر قال: بُعثوا أنبياء ليعلّموا الأسباط الاثني عشر التوراة ويقيموا لهم الدين ويأمروهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به. وقال أبو القاسم البلخي: يجوز أن يكونوا رُسلاً ويجوز أن يكونوا قادة. وقال قتادة البصري: شهداء على أقوامهم من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر[2].

وكأنّ التذكير بهم تمهيد لإعلان ميثاق الولاية في يوم الغدير، وهي مناسبة النزول. ثم تستمر الآيات خطاباً وعتاباً على أهل الكتابين اليهود والنصارى إلى الآية العشرين.

يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً:

ومن (٢٠) إلى (٢٥) في التذكير بأمر موسى لقومه أن يدخلوا الأرض المقدسة ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكأنّ الآيات للتذكير بأن صحبة قوم موسى النبيّ أُولي العزم له لم يورثهم عزماً فقد بلاهم الله فلم يجد لهم عزماً

(١) تفسير العياشي ١: ٣٠٢ ح ٦٣، عن الصادق عن علي عليه السلام.

(٢) مجمع البيان ٣: ٢٦٥، وانظر الميزان ٥: ٢٤٠.

حتى قال موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ وقد سمع المسلمون من نبيّهم أنّ عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى، وهو اليوم يأمرهم أن يدخلوا في ولايته، فمن الممكن للتاريخ أن يتكرّر ويقولوا كما قال قوم موسى له: ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً ﴾ وكأن هذا هو مناسبة التذكير بذلك هنا.

نبأ ابني آدم:

وفي الآية (٢٧) قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ إلى آخر الآية (٣١) من دون إشارة إلى باعث تقديمهما القربان المنتهي إلى قتل قابيل هابيل.

وهنا روى العيّاشي في تفسيره عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جُعلت فداك إنّهم يزعمون أنّ قابيل إنّما قتل هابيل لأنّهما تغايرا على أختهما؟ فقال لي الصادق عليه السلام: يا سليمان، تقول هذا؟! أما تستحي أن تروي هذا على نبيّ الله آدم؟! فقلت: جعلت فداك ففيم قتل قابيل هابيل؟ فقال لي: يا سليمان، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل. فبلغ ذلك قابيل وكان أكبر من هابيل فغضب وقال: أنا أكبر منه فأنا أولى بكرامة الوصية! فأمرهما بوحي الله إليه أن يقرّبا قرباناً، ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله[1].

فكأنّ الآيات تريد التذكير بعاقبة الحسد على أمر الله بالوصية الإلهية من الأنبياء والمرسلين إلى أوصيائهم من بعدهم، وتلك هي مناسبة نزولها هنا في موقعة الغدير.

---

(١) تفسير العيّاشي ١: ٣١٢ ح ٨٣.

حدّ المحارب والمفسد:

وفي الآيتين (٣٣ و٣٤) جاء حدّ المحارب والمفسد وتوبتهما، فلا ذكر خبر عن شأن نزولهما هنا في رجوعهم من حجة الوداع.

روى العياشي في تفسيره عن أبي صالح عن الصادق عليه السلام قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم من بني ضبّة، فقال لهم رسول الله: أقيموا عندي فإذا برئتم بعثتكم في سرية. فقالوا: أخرجنا من المدينة. فبعث بهم الى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها.

وكان في الإبل ثلاثة نفر يحرسونها، فلما برئوا واشتدّوا قتلوا الثلاثة وساقوا الإبل الى واد قريب من أرض اليمن. وبلغ ذلك الى رسول الله ﷺ فبعث عليهم عليًّا عليه السلام فأخذهم فجاء بهم الى رسول الله ونزلت فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ . فاختار رسول الله أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[1].

وفي الخبر ذكر إبل الصدقة، وقد مرّ أنّ أخذ الصدقات كان في التاسعة للهجرة، والآيتان من المائدة النازلة بعد حجة الوداع، فيقتضي أنّ ذلك كان بعد رجوعهم الى المدينة في أواخر العاشرة للهجرة، وأنّ هذه الآيات نزلت بعد فترة فاصلة.

حدّ السارق والسارقة:

وفي الآية (٣٨) جاء حدّ السرقة. وقد روى السيوطي في «الدر المنثور»

---

(١) تفسير العياشي ١: ٣١٤ ح ٩٠ وعنه الكليني في فروع الكافي ٧: ٢٤٥ ح ١ عن الأحمر السعدي. والطوسي في التبيان ٣: ٥٠٥ عن سعيد بن جبير والسدّي وقتادة عن أنس وعنه في مجمع البيان ٣: ٢٩١، وقد مرّ خبرهم في سرية بني ضبّة ٢: ٥٩٦ ـ ٥٩٨.

عن عبد الله بن عمر: أنّ امرأة سرقت، فأمر رسول الله بقطع يدها اليمنى فقطعت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فقال ﷺ: أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمّك. فنزلت: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وعليه فحدّ السرقة لم يكن إلّا في أواخر العشر للهجرة في المدينة بعد رجوعهم من حجة الوداع، اللهم إلّا أن يكون من قبل ذلك بسنّته ﷺ. وعليه فالآية هنا ليست من باب الأحكام التشريعية وإنّما نزلت تأكيداً لذلك وتأييداً لجواب النبي ﷺ بشأن توبتها.

وفي الآية (٤١): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال القمي في تفسيره في سبب نزولها: إنّها نزلت في شكوى بني قريظة من بني النضير في ديات قتلاهم، وفيه ذكر عبد الله بن أُبي[2] وأشار إليه الطوسي في «التبيان» ناسباً له إلى الإمام الباقر عليه السلام[3] ثم روى عنه عليه السلام أيضاً: أنّها نزلت في زنا امرأة منهم من أهل خيبر وتبديلهم حدّ الرجم إلى الجلد وفيه ذكر عبد الله بن صوريا[4] وسبق منه ذكر

---

(١) الميزان ٥: ٣٢٦، عن الدر المنثور. والواحدي في أسباب النزول: ١٥١ نقل عن الكلبي أنّها نزلت في طعمة بن أبيرق، وقد مرّ خبره في الآية الرابعة بعد المائة من سورة النساء.

(٢) تفسير القمي ١: ١٦٨.

(٣) التبيان ٣: ٥٢٣.

(٤) التبيان ٣: ٥٢٥، وعنه في مجمع البيان ٣: ٢٩٩.

مختصر خبره في سورة البقرة[1] وذلك أولى، فإن نزول المائدة كان بعد أخبار قريظة والنضير وخيبر جميعاً.

أهل الكتاب والمنافقون والمرتدّون:

وتستمر الآيات من الأربعين الى الخمسين في سياق واحد يلوح منه أنّها تذكّر بجمع من أهل الكتاب اليهود حكّموا رسول الله ﷺ في بعض أحكام التوراة، وهم يرجون أن يحكم لهم بما يشتهون أو بما يميلون اليه تخفيفاً بما حكمت به التوراة، وقال بعضهم لبعض: إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه واُوتيتم حكم التوراة الشديد فاحذروه، وأنّه ﷺ ردّهم الى حكم توراتهم، فتولوا عنه. وأنّه كان هناك طائفة من المنافقين يميلون لمثله يريدون أن يحتكموا فيحكم بينهم بالهوى ورعاية الأقوياء، وهو حكم الجاهلية[2].

ثم الآيات الأربع بعدها الى (٥٤) تنهى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، وتذكّر بمسارعة مرضى القلوب منهم في الدخول الى اليهود خوفاً من الدوائر، هذا وهم يقسمون بالله أنّهم مع المؤمنين. وهنا الآية (٥٤) تنبئ بارتداد بعض الذين آمنوا عن دينهم وتقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قال الطبرسي: واختلف في من وُصف بهذه الأوصاف منهم. وروي أنّه ﷺ

---

(١) التبيان ٣: ٣٦٣، وعنه في مجمع البيان ٦: ٣٢٥.

(٢) انظر الميزان ٥: ٣٢٨ و٣٢٩.

سُئل عن هذه الآية، فضرب يده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه، ثم قال: لو كان الدين معلّقاً بالثُّريّا لتناوله رجال من أبناء فارس[1].

وفي تفسير العياشي عن بعض أصحاب الصادق عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية فقال عليه السلام: هم الموالي[2].

وأفاد المفيد في «الجمل» عن عمار بن ياسر أنّه قال يوم الجمل: والله ما نزل تأويل هذه الآية إلّا اليوم[3] هذا، ورفعه الطوسي إلى علي عليه السلام وعمار وابن عباس وحذيفة والباقر والصادق عليهما السلام[4] بلا رواية، خلافاً لرواية العياشي. وتفيد الآية أوصاف من يجب عليهم أن يتولّوه وتجعل ذلك علامة عليه، فهي أيضاً ترتبط بموضوع الولاية، وهي مناسبة النزول.

آيتا الولاية والتبليغ وما بينهما:

وهنا في الآية (٥٥) كأنّه آن الأوان ليشير القرآن إلى ذلك الوليّ بتلك الأوصاف مضيفاً صفة خاصّة تخصّه وتعيّنه، قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

وقد مرّ إيراد ما أفاد إعطاء علي عليه السلام خاتمه زكاة أي صدقة مطلقة للسائل وهو راكع في صلاته في المسجد الحرام بمكة ونزول الآية ضمن آي السورة قبيل الغدير تمهيداً له.

---

(١) مجمع البيان ٥: ٢٢١.

(٢) تفسير العياشي ١: ٣٢٧ ح ١٣٦.

(٣) الجمل: ٣٦٦.

(٤) التبيان ٣: ٥٥٥.

نعم مرّ في الآيتين (٣٣ و٣٤) في حدّ المحارب والمفسدين في إبن الصدقة أنّ ذلك يقضي وقوعه في المدينة، فإن صحّ كان ذلك مما يدعم عدم اتّحاد سياق الآيات في السورة[1].

والآيات العشر التالية من (٥٧) الى (٦٦) ذات سياق واحد يُقصد به بيان وظيفة المؤمنين في علاقتهم مع غيرهم من أهل الكتاب اليهود والنصارى، فنهاهم عن اتّخاذ المستهزئين بالله وآياته من أهل الكتاب والكفّار أولياء، وتعد أموراً من مساوئ صفاتهم ونقضهم مواثيقهم مع ربّهم وعهودهم، وما يلحق بذلك مما يناسب غرض سورة المائدة من الترغيب في حفظ العقود والعهود، والترهيب عن نقضها ومن الاحتمال الراجح أن يكون بعض أجزائها أسباب مستقلّة نزولاً، وقد رووا بالفعل لها أسباباً، إلّا أنّها لا تلائم موقع المكاني والزماني لنزول المائدة بعد حجة الوداع.

أما الآية (٦٧) فهي المعروفة بآية التبليغ: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ فقد سبق القول المفصّل عنها وأخبارها في حديث الغدير، وبناءً على ذلك لا سبق ريب في أنّ الآية لا تشترك الآيات السابقة واللاحقة لها في سياقها، ولا تتصل بها في سردها، وإنّما هي آية مفردة عنها[2].

والآيات بعدها الى (٨٦) تعود جارية على سياق الآيات السابقة من أوائل السورة الى هنا، فإنّها يجمعها أنّها كلام في أهل الكتاب خطاباً وغيباً[3].

---

(١) وانظر الميزان ٦: ٦ـ١٠.

(٢) وانظر الميزان ٦: ٢٧ و٤٢ـ٤٨.

(٣) انظر الميزان ٦: ٦٤.

لا تحرّموا ما أحلّ الله لكم

الآيات الثلاث من (٨٧) إلى (٨٩) من آيات أحكام الأيمان اللاغية والمعقودة وكفّاراتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام بالليل أبداً، وأما بلال فإنه حلف أن لا يُفطر بالنهار أبداً، وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبداً. فدخلت امرأة عثمان على عائشة، فقالت لها عائشة: مالي أراكِ معطّلة؟! فقالت: ولمن أتزيّن؟! فوالله ما قاربني زوجي منذ كذا، فإنه قد ترهّب ولبس المسوح وزهد في الدنيا.

فلما دخل رسول الله ﷺ أخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى: الصلاة جامعة.

فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطيّبات؟! ألا إنّي أنام الليل، وأنكح، وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي». فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك؟

فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

---

(١) تفسير القمي ١: ١٧٩، ١٨٠، وروى صدره الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٣٦٤ مرسلاً، والطوسي في التبيان ٤: ٨ إلّا أنّه نقله عن ابراهيم وأبي مالك وأبي قلابة وعكرمة وقتادة والسدّي والضحاك عن ابن عباس وزاد فيهم ابن مسعود وابن عمر، وأنّ ابن مظعون استأذنه ﷺ للاختصاء والسياحة والترهّب وجميع ذكره عن السدي.

وروى صدره الطبرسي في «مجمع البيان» ونقلها الطباطبائي في «الميزان» واكتفى في التعليق عليه بقوله: في انطباق الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾ على أيمانهم خفاء[1].

هذا، ولا يخفى أن عثمان بن مظعون أول مهاجر مات بعد الهجرة بسنتين، وهو أول من دفن بالبقيع وتبعته رقية ابنة رسول الله فدفنها اليه وقال لها: الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون[2] أي كان ذلك قبل المائدة بثمان سنين! فكيف التوفيق؟!

وروى السيوطي في «الدر المنثور» عن الطبري وغيره: أن عبد الله بن رواحة كان عند النبي ﷺ ودخل ضيف له على أهله، فلما رجع اليهم وجدهم ينتظرونه يطعموهم فقال لأهله: حبستم ضيفي من أجلي؟! هو حرام علي! فقالت امرأته: هو علي حرام! فقال الضيف: هو علي حرام! فلما رأى ذلك وضع الطعام وقال: كلوا باسم الله. ثم أخبر النبي بذلك، فقال له: قد أصبت. فأنزل الله الآية

ونقله عنه الطباطبائي واحتمله سبباً آخر لنزول الآية[3] ولا يرى تنافياً بين نزول المائدة في العاشرة وشهادة ابن رواحة في الثامنة في غزوة مؤتة.

والآيات الثلاثة بناء على هذين السببين في النزول كالمتخللة بين الآيات المتعرضة لقصص المسيح والمسيحيين[4] بينما في رواية أخرى للطوسي في «التبيان» عن إبراهيم وأبي مالك وقتادة ومجاهد عن ابن عباس: أن ما اقتضى هذا ذكر

---

(1) الميزان ٦: ١١٢.

(2) قاموس الرجال ٧: ٧١ و١٧٠ عن فروع الكافي ٣: ٢٤١ وراجع هذا الكتاب ٢: ٣٢١.

(3) الميزان ٦: ١١٥ عن الدر المنثور، وذكر مختصر الخبر الطوسي في التبيان ٤: ٦، وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٣٦٧.

(4) الميزان ٦: ١٠٦.

النهي عن تحريم الطيّبات هو حال الرهبان الذين كانوا يحرّمون على أنفسهم المطاعم الطيّبة والمشارب اللذيذة والنساء، ويسيحون في الأرض ويحبسون أنفسهم في الصوامع، وقد همّ قوم من الصحابة أن يماثلوهم، فنهاهم الله عن ذلك.

وروى الواحدي في «أسباب النزول» بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أيضاً قال: إنّ رجلاً أتى النبيّ وقال: إنّي إذا أكلت اللحم انتشرت إلى النساء، فحرّمتُ عليّ اللحم! فنزلت[2].

وهذان مما لا يتنافى مع موقع نزول المائدة بعد حجة الوداع، وكذا سائر آياته وينسجمان معه.

تأكيد تحريم الخمر:

تقدّم تحريم إثم الخمر بالآية (219) من سورة البقرة في الجزء الثاني في حوادث السنة الثانية: 185، ثم تشديد تحريمها بعد أُحد بل بعد غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول للسنة الرابعة 2: 427، ولعلّها كانت مناسبة نزول سورة النساء وفيها الآية (43) ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ وكان فيه خبر سكب قِرَب الفضيخ من البسر والتمر، ولكن القمي نقله في تفسيره للآيات (90 ـ 93) من سورة المائدة.

وقال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: أُنزل في الخمر ثلاث آيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[3]. فكان المسلمون بين شارب وتارك، إلى أن شربها رجل فدخل في صلاته فهجر،

---

(1) انظر التبيان 4: 7.

(2) أسباب النزول للواحدي: 166، ونحوه في الميزان 6: 114، 115 عن الدر المنثور.

(3) البقرة: 219.

ونزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى..﴾ فشربها من شربها من المسلمين حتى شربها عمر فأخذ لحي بعير فشجّ رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر:

وكائنْ بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والشرب الكرام

وكائنْ بالقليب قليب بدر ... من الشيزى المكلّل بالسنام

أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام؟!

أيعجز أن يرد الموت عنّي ... وينشرني إذا بُليت عظامي؟!

ألا من مبلغ الرحمن عنّي ... بأنّي تارك شهر الصيام!

فقل لله: يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي!

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجرّ رداءه وكان في يده شيء فرفعها ليضربه فقال عمر: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فأنزل الله الآيات إلى قوله سبحانه ﴿إنّما يريدُ الشيطانُ أن يوقعَ بينكمُ العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسرِ ويصدّكم عن ذكرِ اللهِ وعنِ الصلاةِ فهل أنتم منتهون﴾؟! فقال عمر: انتهينا انتهينا!

ورواه السيوطي في «الدر المنثور» بسنده عن سعيد بن جبير وفيه: فقال عمر: يا ضيعة لك اليوم! أقُرنت بالميسر! وقال: اقرنت بالميسر والأنصاب والأزلام؟! بعداً لك وسحقاً! وتركها الناس(1).

---

(1) الدر المنثور ٢: ٣١٥ و٣١٧، ٢١٨ وهي رواية سعيد بن جبير عن علي ﵇ كما في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٢: ٣٠٧ و٤: ١٤٢ وروى معناه القرطبي في تفسيره جامع أحكام القرآن ٥: ٢٠٠ والآلوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني ٧: ١٧، عن عطاء بن رباح الخراساني عن ابن عباس، والأبشيهي في المستطرف ٢: ٤٩٩ والزمخشري في ربيع الأبرار كما عنه في الغدير ٦: ٢٥١

وثنّاه بخبر آخر أسنده إلى سعد بن أبي وقاص قال: إنّ رجلاً من الأنصار صنع طعاماً ودعانا، فأتاه ناس ـ وكان ذلك قبل أن يحرّم الخمر ـ فأكلوا وشربوا من الخمر حتى انتشوا. فتفاخروا، فقالت الأنصار: الأنصار خير، وقالت قريش: قريش خير، فأهوى رجل بلحيي جزور على أنفي ففزره، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فنزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (1).

يظهر من الخبر أنّ سعداً كأنّه أحسّ بسعادة الحظّ لحظر الخمر على أثر فزر أنفه بلحيي جزور بيد رجل من الأنصار انتصاراً لهم على المهاجرين من قريش ومنهم سعد، ويقول: ذلك قبل أن يحرّم الخمر، فنزلت الآية من سورة المائدة، النازلة بعد حجة الوداع في العاشرة من الهجرة، فهل كان كذلك؟

وقد أخرج الخطيب عن عائشة قالت: لما نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر، فنهى رسول الله عن ذلك (2) وتعني الآية (219): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ...﴾

---

(1) الدر المنثور 2: 315 و317، 318، واختصر خبره الطوسي في التبيان 4: 18، ورواه الطبرسي في مجمع البيان عن ابن عباس مختصراً، وفي أسباب النزول للواحدي: 168، عن صحيح مسلم، وفيه: المهاجرون بدل الأنصار.

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه 8: 358 وعنه السيوطي في الدر المنثور 1: 252، وبه قال الحسن البصري كما عنه في مجمع البيان 2: 558، والجصاص في أحكام القرآن 1: 38.

وبمعناه خبر الكليني في «الكافي» عن علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام[1].

وروى الشوكاني في تفسيره عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: حُرّمت الخمر بعد أُحد[2].

وأخرج ابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة» بسنده عنه أيضاً أنّ ذلك كان بعد غزوة بني النضير في السنة الرابعة[3] وقال ابن هشام: في شهر ربيع الأول[4].

وعقّبه: فخبر سعد غير مسعد الحظ بالقبول، وأولى منه الخبر السابق. وإنّ في الآيات إشعاراً أو دلالة على أنّ رهطاً من المسلمين ما تركوا شرب الخمر بعد نزول آية البقرة حتى نزلت هذه الآيات من المائدة. وإنّ ما ابتلي به رهط منهم من شربهما بين نزول آية البقرة وآية المائدة إنّما كان كالدأبة السابقة والعادة السيئة[5] ولم تنزل آية المائدة إلّا تشديداً عليهم، لتساهلهم في الانتهاء بهذا النهي الإلهي[6].

وعن الباقر عليه السلام قال: ليس أحد أرفق من الله تعالى، فمن رفقه تبارك وتعالى أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حمل عليهم جملة لهلكوا.

وعنه عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قط إلّا وفي علم الله أنّه إذا أكمل دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم يزل الخمر حراماً، وإنّما يُنقلون من خصلة ثم خصلة، ولو حمل ذلك عليهم جملةً لقطع بهم دون الدين[7].

---

(1) فروع الكافي ٢: ٢١٣.

(2) تفسير الشوكاني ٢: ٧١.

(3) تاريخ المدينة المنورة ١: ٦٩.

(4) ابن هشام في السيرة ٣: ٢٠٠.

(5) الميزان ٦: ١٣٣.

(6) الميزان ٦: ١٣٥.

(7) الكافي ٦: ٣٩٥ ح ١ و٢ و٣، والتهذيب ٩: ١٠٢ ح ١٦٩ و١٨٠، و[illegible] ←

وفي الآية الأخيرة ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

وقال القمي في تفسيره للآية: فلما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما قال المهاجرون والأنصار للنبيّ: يا رسول الله، قُتل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد سمّاه الله رجساً وجعله من عمل الشيطان وقلت فيه ما قلت، أفيضرّ أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟! فأنزل الله الآية[1].

والآيات بعدها من (٩٤) إلى (٩٩) عادت إلى بيان أحكام صيد البرّ والبحر حال الإحرام، مما يناسب نزول السورة في حجة الوداع.

ثم الآية المئة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنّ الله حرّم شرب الخمر، وقال النبي فيها: إنّ الله لعن عاصرها وبائعها وآكل ثمنها، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله إني اقتنيت من بيع الخمر مالاً، فهل ينفعني إن عملت فيه بطاعة الله؟ قال له النبي ﷺ: إن الله لا يقبل إلّا الطيّب، فإن أنفقته في صدقة أو حجّ أو جهاد لم يعدل عند الله جناح بعوضة! فأنزل الله تصديقاً له الآية: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾[2].

---

* الطباطبائي أورد هذين الخبرين وقال: إنّ الشارع تدرّج في تحريم الخمر ولكن لا لمصلحة السياسة الدينية في إجراء الأحكام الشرعية. الميزان ٦: ١١٧.

(١) تفسير القمي ١: ١٨١، ١٨٢ ورواه الطوسي عن ابن عباس ٤: ٢٠ وعنه في مجمع البيان ونحوه في أسباب النزول للواحدي: ١٧٠ عن البخاري عن البراء بن عازب.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٧١.

لا تسألوا عمّا يسوؤكم:

وفي الآية التالية لها وحدها بعد المائة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ روى القمي في تفسيره للآية بسنده عن الباقر عليه السلام: أن ابنة لصفيّة بنت عبد المطّلب ماتت، فذهبت إلى النبي ﷺ مدهولة وكان قد بدا قرطُها، فقال لها (عمر): غطّي قُرطك فإن قرابتك من رسول الله لا تنفعك شيئاً! فقالت له: وهل رأيت لي قُرطاً يابن اللخناء[1]؟! ثم دخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك وبكت.

فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، لو قد قمت المقام المحمود لشفّعت في أحوجهم، لا يسألني اليوم أحد: مَن أبوه؟ إلا أخبرته!

فقام إليه رجل فقال: مَن أبي؟ فقال: أبوك غير الذي تُدعى به، هو فلان.

فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال له: أبوك الذي تُدعى به.

ثم قال رسول الله: ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟!

فقام إليه (عمر) فقال له: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، اعفُ عنّي عفا الله عنك. فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ**...﴾[2].

ونقل الطوسي في «التبيان» عن الحسن البصري والسدّي وقتادة وطاووس عن أبي هريرة وابن عباس وأنس: أنّ رجلاً كان يُطعن في نسبه يدعى عبد الله سأل رسول الله: يا رسول الله مَن أبي؟ فقال له: حذافة، ونزلت الآية[3].

---

(١) اللخناء: المنتنة، أو التي لم تُختن. مجمع البحرين ٦: ٣٨٠.

(٢) تفسير القمي ١: ١٨٨.

(٣) التبيان ٤: ٣٦.

ولكن الطبرسي في «مجمع البيان» نقله عن الزهري عن قتادة عن أنس قال:

كان رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حُذافة[1]، ويُطعن في نسبه، فقام إلى رسول الله وقال له: يا نبي الله مَن أبي؟ فقال: أبوك حُذافة بن قيس.

فقام إليه رجل آخر وقال: يا رسول الله مَن أبي؟ فقال: في النار!

فقام عمر بن الخطاب وقبّل رجل رسول الله (كذا) وقال: يا رسول الله، إنّا حديثو عهد بجاهلية وشرك، فاعف عنّا عفا الله عنك، فسكن غضبه.

أما عن ابن عباس فقد نقل أنّه قال: كان بعضهم يسأله من أبي؟ ويقول الآخر: أين أبي؟ ويسأله من ضلّت ناقته عنها، متحاماً أو استهزاءً، فأنزلت الآية.

وعن أبي أُمامة الباهلي عن علي عليه السلام: أنّه صلى الله عليه وآله قال في خطبته: إنّ الله كتب عليكم الحج، فقام إليه عُكّاشة بن محصن أو سُراقة بن مالك فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، فأعاده مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله: ويحك وما يؤمّنك أن أقول: نعم، ووالله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم! فاتركوني ما تركتكم، فإنّه هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإن أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه[2].

والطباطبائي في «الميزان» نقل خبر عبد الله بن حذافة السهمي عن «الدر المنثور» ثم علّق عليه يقول: الروايات على اختلاف متونها مروية بعدة طرق، ولكنّها غير قابلة للانطباق على الآية[3] إذ الآية تدل على أنّ المسؤول عنها أشياء من

---

(1) وكان من المهاجرين إلى الحبشة، وهو رسول رسول الله إلى الملك خسرو برويز الساساني، ولكنّه هو الذي حثّ خالداً على قتل بني جذيمة بعد فتح مكة.

(2) مجمع البيان ٣: ٣٨٦.

(3) الميزان ٦: ١٥٥.

الأحكام الشرعية كخصوصيات متعلّقات الأحكام، مما يُنتج الإصرار في مداقّة فيها التشديد ونزول التحريج كلما أمعن في السؤال، كما في قصة بقرة بني إسرائيل[1].

وعليه فأوفق أخبار أسباب النزول انطباقاً على الآية خبر علي عليه السلام عن خطبة النبي ﷺ في الحج وسؤال سُراقة أو عُكّاشة، والغريب أنّ الطبرسي لم يذكره.

الجزية من أهل الكتاب دون الأعراب

وفي الآية (١٠٥): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ روى الواحدي عن الكلبي عن ابن عباس قال: إنّ رسول الله ﷺ كان قد كتب إلى المنذر بن ساوى على أهل هجر يدعوهم إلى الإسلام، وكان قد كتب إليه: أمّا العرب فلا تقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف، وأمّا أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية.

فلما قرأ المنذر عليهم إنذار رسول الله أسلم العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية. فقال منافقو العرب: عجباً من محمد يزعم أنّ الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلّا من أهل الكتاب، ونراه قبل من مشركي أهل هجر ما لم يقبله من مشركي العرب! فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أنتم[2].

---

(١) مجمع البيان ٦: ١٥٣، إذ يرجع مفاد الآية في قوله: لا تسألوا عن أشياء عفا الله وسكت عنها، وإن تسألوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم وإن تبد لكم تسؤكم. وانظر مجمع البيان ٦: ١٥٤.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٧٢.

وشهادة أهل الكتاب في السفر:

وفي الآيتين التاليتين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ روى الواحدي في «أسباب النزول» عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان تميم الداري وعدي بن زيد (التاجران النصرانيان) يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجل (مسلم) من بني سهم (للتجارة إلى الشام)، فمرض بأرض ليس بها أحد من المسلمين فأوصى إليهما بتركته، وكان فيها جام من فضة مخوص بالذهب، فلما رجعا إلى أهله في مكة دفعا تركته إليهم كتما الجام، وقد سألهما أولياء السهمي فأنكرا، ثم أُتي بهما إلى النبي ﷺ، فاستحلفهما بالله ما كتما ولا اطّلعا، وخلّى سبيلهما.

ثم وجد الجام عند قوم من أهل مكة فسألوهم عنه فقالوا: ابتعناه من تميم الداري وعدي بن زيد، فقام أولياء السهمي وحلف رجلان منهم بالله أن هذا الجام جام صاحبنا وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، وأخذوا الجام، ونزلت الآيات [1].

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٧٢، ١٧٣. هذا وقد قال القمي في تفسيره للآيات: إنّها نزلت في ابن بندي وابن عدي ظ، وابن أبي مارية النصرانيين وخرج معهما تميم الداري المسلم... فلما مرّوا بالمدينة حضره الموت... فقدم النصرانيان المدينة على ورثة الميت. تفسير القمي ١: ١٨٩. وهو كما ترى مضطرب المتن جداً. ورواه الكليني في الكافي عنه عن رجاله رفعه... وحذف: فلما مرّوا بالمدينة. ولكنّه نقل: فخرج... وقدما ←

تقصداً وتصويباً لحكمه ﷺ. وظاهر الخبر أن كل ذلك كان بمكة في حجة الوداع.

والآيات التالية بما فيها من قصة مائدة المسيح كلها مرتبطة بغرض السورة الذي افتتحت به وهو الدعوة الى الوفاء بالعهد، والشكر للنعمة، والتحذير عن نقض العهود وكفران النعم الإلهية[1].

والآيات بعدها أيضاً تنطبق على الغرض الذي لأجله السورة وهو بيان الحق لله على عباده أن يفوا بالعهد الذي عهدوه، وأن لا ينقضوا الميثاق، فليس لهم أن يسترسلوا كيف أرادوا فليس لهم هذا الحق من ربهم أن يرتعوا حيث شاؤوا[2].

وحسن ختام كلامه سبحانه بالآية (١٢٠) من السورة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهذا آخر عهدنا بنزول وحي القرآن الكريم.

= المدينة كما عنه في الميزان ٦: ٢١٣ وهو مع ذلك لم يسلم من اضطراب فيه أيضاً.

وقال الطوسي في التبيان ٤: ٤٢: ذكر أبو جعفر عليه السلام أن سبب نزول هذه الآية (كذا) ما قال أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان تميم الداري وأخوه عدي نصرانيين وكان متجرهما الى مكة، فلما هاجر رسول الله الى المدينة قدم ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام فخرج معهم... فهل كان ذلك بعد الهجرة؟ وكان مولاه عمرو بن العاص عاصياً يومئذٍ على الإسلام؟! بل في الخبر: دفع بالمال الى ورثته. ثم من هم ورثة المولى؟ ثم قال ٤: ٤٧: فحلف عبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهمي... فكيف هذا؟! ومتى كان؟ ونقله الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٣٩٥ بتحرير وتحوير ومنه: أن ثلاثتهم خرجوا من المدينة، فلا ذكر لمكة. ولكنه لم يتخلص من ذكر ورثة المولى بعمرو بن العاص. ثم ذكره أحد الشاهدين ٢٠٤، ولهذا الأمر الخارج من الاضطراب رجحت ما ذكرته عن الواحدي.

(١) الميزان ٦: ٢١٩.

(٢) الميزان ٦: ٢٤١.

رجوع الرسول الى المدينة

قال الواقدي: كان رسول الله إذا خرج إلى الحج أو كذا، سلك على (مسجد) الشجرة، وإذ رجع من مكة دخل المدينة من المُعرَّس، ولم يزل المُعرَّس وأناخ بالأبطح ليلاً نهى أصحابه أن يطرقوا نساءهم ليلاً، فطرق منهم رجلان فوجدا ما كرهاه، وأما هو فكان عنه عتمة الليل وقال لنسائه: هذه الحجة، ثم ظهور الحُصر[1]

ولم يؤرّخ ليوم عودته إلى المدينة، إلّا أنّ ابن اسحاق قال: فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة[2] وقد مرّ أن خروجه من المدينة للحج كان لأربع بقين من ذي القعدة، ودخوله الى مكة كان لأربع من ذي الحجة، فيكون مدة سفره للحج ثمانية أيام، فكذلك العودة، ويظهر مما مرّ أن خروجه من مكة كان في الرابع عشر من ذي الحجة، والأربعة أيام أي في الثامن عشر من ذي الحجة كان في موضع غدير خم قرب الجُحفة على بعد (١٨٥كم) من مكة، ويكون قد قطع سائر المسافة في أربعة أو خمسة أيام فيكون وصوله المدينة للاسبوع الأخير من ذي الحجة، وإن أقام بخم كما مرّ في خبر ـ ثلاثة أيام، فيكون وصوله للخامس والعشرين من ذي الحجة

الإسلام وبنو حنيفة

مرّ في أخبار كتب النبيّ الأولى كتابه إلى أميرى بني حنيفة في اليمامة

---

(١) وعرّف الحموي المُعرّس بذي الحليفة وهو موضع مسجد الشجرة، فيكون الموضعان واحداً، فالخبر فيه ابهام.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١١١٥ وتمام الخبر: فاضطجعت ابنة عمه زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، وأما سائر نسائه فكنّ يحججن (خلافاً لنهيه).

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٥٢.

هَوذة بن علي وثُمامة بن أثال الحنفيين، وأنّهما لم يستجيبا له، واشترط هَوذة أن يجعل له بعض الأمر ليتّبعه، فقال ﷺ: لا، ولا كرامة له، باد وباد ملكه، فلما رجع من فتح مكّة أخبره جبرئيل باستجابة دعائه بهلاكه. وقال في ثمامة: اللهم أمكنّي من ثمامة. فأمكنه الله منه بالأسر حتى أسلم ودعا من تبعه بذلك. قبل فتح مكة في منتصف الثامنة للهجرة.

وكان من تأليفه ﷺ الأمراء الى الإسلام أنّهم إن أسلموا سلموا وسلم لهم ما هم عليه من الإمرة. وإذ لم يكن إسلام ثمامة كذلك لم نذكر في المصادر لأوّل عاملاً له على اليمامة[1].

ولعلّه لذلك لم يُسلم بنو حنيفة على يديه بل وفدوا عليه ﷺ الى المدينة، ومعهم مُسيلمة بن حبيب وتخلّف الرحل في رحالهم، فلما وفدوا عليه وأسلموا وأمر لهم بما كان يأمر به للوفود من العطاء، قالوا له: وقد خلّفنا في رحالنا وركابنا صاحباً لنا يحفظها علينا. فقال لهم: أما إنّه ليس بشرّكم مكاناً، وأمر له بمثل ما أمر لهم من العطاء.

فلما رجعوا وأخبروه بذلك وجاؤوه بعطائه، كأنّه طمع فيما طمع من قبل هَوذة بن علي أن يجعل له بعض الأمر أو بعضه ليتّبعه. فأتى رسول الله في جمع منهم يسترونه بالثياب ورسول الله جالس في أصحابه معه جريدة من سعف النخل في رأسه بعض الخوص، فلما سأله ذلك قال له رسول الله: لو سألتني هذا العسيب (= الجريدة) ما أعطيتكه!

ولكنّه مع ذلك لما رجع مع الوفد الى اليمامة قال لهم: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: أما إنّه ليس بشرّكم مكاناً؟! ما ذاك إلّا لما كان يعلم أنّي قد أُشركت معه في الأمر! ثم وضع عنهم الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا، وقال في

---

(١) اللهم إلّا ما في المنتقى للكازروني، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٤١٣.

مضاهاة القرآن: «لقد أنعم الله على الحُبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاق وحشى» فتابعوه[1].

فكتب الى النبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله الى محمدٍ رسول الله سلام عليك، أما بعد، فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقُريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون» وبعث بالكتاب مع رسولين فلما قُرئ كتابه على رسول الله قال لهما: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال! فقال لهما: أما والله لولا أنّ الرُسل لا تُقتل لضربت أعناقكما.

ثم كتب الى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين» وذلك في آخر سنة عشر[2].

وروى الطوسي في «التبيان» عن الحسن البصري: أنّ مُسيلمة أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أنّي رسول الله؟ فقال: نعم. ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فقال له: أتشهد أنّي رسول الله؟ فسكت. فأعادها عليه مرّتين فقال الرجل: إنّي أصمّ، فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله فقال: أما المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له! وأما الآخر فقد قبل رخصة الله فلا تبعة عليه[3].

أو قال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له[4].

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٤٧.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٣١ والكشاف ٢: ٤٣٠ والقرطبي ١٠: ١٨٠ والجلالين: ٢٧٦.

(٤) الطبري ٣: ١٨٧.

وعليه فهو آخر شهيد من الصحابة على عهده ﷺ قتل بيقينه وصدقه مؤثراً[1] فضيلة الشهادة في سبيل الحق على الأخذ برخصة التقيّة، كما كان ياسر وسميّة أبوا عمّار أول شهيدين على الصدق واليقين، مؤثرين فضيلة الشهادة في سبيل الحق على الأخذ برخصة التقيّة.

ولم يُبق مسيلمة للمسلمين مجالاً لأنّه بهذا يكون قد بدأ بالقتال مع المسلمين، فبعث رسول الله فرات بن حيّان العجلي إلى ثمامة بن أُثال في قتال مُسيلمة[2]، فأتته أمداد من بني تميم[3] حتى خاف أن يغلبه ثمامة على الحَجر[4].

ثم عظمت الفتنة:

وكان قد رحل من بني حنيفة الرجّال بن عُنفوة الحنفي إلى المدينة مسلماً مهاجراً متعلّماً للقرآن متفقّهاً في الدين، وقرأ القرآن وتفقّه في الدين، فبعثه النبي ﷺ اليوم معلّماً لأهل اليمامة وليشدّ من أمر المسلمين وليشغب على مُسيلمة، ولكنّه مال إلى مُسيلمة حتى شهد له أنّه سمع محمداً ﷺ يقول: إنّه قد أُشرك معه، فصدّقوه واستجابوا له.

فكان الرجّال بن عنفوة لا يقول شيئاً إلّا تابعه مُسيلمة وينتهي إلى أمره[5]، وأصبح ثُمامة ملدداً مع المسلمين من بني حنيفة من بني سُحيم ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة حتى لحق بالعلاء بن الحضرمي بالبحرين[6].

---

(١) الطبري ٣: ١٨٧.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٠٥، وأسد الغابة ٤: ١٧٩، وانظر مكاتيب الرسول ١: ٣٩.

(٣) الطبري ٣: ٢٦٩ عن سيف.

(٤) الطبري ٣: ٢٧٢ عن سيف.

(٥) الطبري ٣: ٢٨٢، ٢٨٣.

(٦) الطبري ٣: ٣٠٤ و٣٠٥.

هذه أخبار فتنة مسيلمة في بني حنيفة باليمامة، على عهده ﷺ. ونسطر الآن في فتن اليمن.

أخبار اليمن بعد الحج:

مرّ في أخبار اليمن: أن حاكمها الساساني باذان أو باذام قد أسلم وأسلم معه أكثر أبناء الفرس في اليمن، وكتب بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، فأقرّه على عمله على اليمن فجمع له عمل اليمن كلّها وأمّره على جميع مخاليفها (محافظها)، ثم لم يعزله عنها ولا عن شيء منها، ولا أشرك معه فيها شريكاً باقي أيام حياته حتى مات.

وبعد ما حجّ ﷺ حجّة الوداع ورجع إلى المدينة مات باذان، فلذلك فرّق عملها بين ابنه شهر بن باذان على صنعاء، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزمع وزبيد، والطاهر بن أبي هالة على عكّ والأشعريّين، وعامر بن شهر الهمداني على همدان، وأبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري على مأرب، وعمرو بن حزم على نجران، ويعلى بن أميّة على الجند، وعلى السكون والسكاسك من بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعكّاشة بن ثور الغوثي (1).

* * *

---

(1) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٧ - ٢٢٨، وانظر مكاتيب الرسول ٢: ٤٩٩ وذكر لكل منهم عدّة مصادر أوردها الطبري عن سيف بن عمر التميمي في خبرين نظر سند أحدهما عن فرص بن عبادة الليثي والآخر عن عبيد بن صخر السلمي الأنصاري وكان مع يعلى إلى الجند في اليمن كما في الطبري ٣: ٢٢٩ وكأنّ الراوي بدر معدّ من ثمّة يومئذٍ وكان يسمّى من قبل إذ ذكر عمرو بن حزم ومعاذ بن جبل، وقد مرّ خبرهما من قبل.



أهم حوادث

السنة الحادية عشرة للهجرة

تنبؤ الأسود العنسي :

واسمه عَبْهلة بن كعب العنسي المذحجي، والسواد غلب عليه اسم الأسود، ولذلك كان يختمر بخمرة ويعتمّ عليها أبداً فلذا سُمّي أيضاً ذا الخمار، أو ذا الحمار لأنّه كان له حمار علّمه يقول له: ابرك، فيبرك، ويقول له: اسجد لربّك، فيسجد! وسمّى نفسه: رحمان اليمن[1].

خرج بعد حجة الوداع أي بعد خروج علي عليه السلام من اليمن إلى الحج، وبعد وفاة باذان الحاكم الفارسيّ على اليمن وكان كاهناً مشعوذاً يريهم الأعاجيب ويسبي قلب من سمعه! ولد في كهف خُبّان ونشأ بها وفيها داره، وواعده أهل نجران، وكاتبه قومه من مذحج، فكانت أول ردّة عن الإسلام في اليمن على عهد رسول الله ﷺ مع الأسود ذي الخمار في عامة مذحج بعد حجة الوداع[2].

---

(1) فتوح البلدان: ١١٣ ـ ١١٥.

(2) الطبري ٣: ١٨٥ عن سيف بن عمر التميمي.

وكان النبي ﷺ قد بعث بعد باذان الى الجند من اليمن ـ كما مرّ ـ يعلى بن أُمية ومعه عُبيد بن صخر السُلمي الأنصاري، فروي عنه قال: بينا نحن بالجند قد أقمناهم على ما ينبغي وكتبنا بيننا وبينهم الكتب، إذ جاءنا كتاب من الأسود من كهف خُبّان:

«أيّها المتورّدون علينا! أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفّروا ما جمعتم فنحن أولى به! وأنتم على ما أنتم عليه»

ثمّ توجّه الى نجران بعامة مذحج بعد عشرة أيام من وثوبه فأخذها

وكان النبي ﷺ قد بعث بعد باذان الى نجران خالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن حزم كما مرّ فأخرجوهما منها ونزلوا الأسود منزلهما. ووثب على الاسلام جمع من مذحج فالتحقوا بفروة بن مُسيك المرادي في مُراد بالأحسية (أمريه) فكتب فروة بذلك الى النبي ﷺ فكان أول خبر بلغه عنه[2].

وبعد عشرة أيام من ذلك (أي عشرين يوماً من وثوبه) توجّه الى صنعاء حتى بلغ الى بساتين شَعوب بظاهر صنعاء. وهرب مُعاذ من جبل الى السكون في حضرموت. ومع الأسود في يوم صنعاء سبعمئة فارس سوى الركبان. وخرج اليه شهر بن باذان بمن معه من أبناء الفرس المسلمين، فقتل شهرٌ وهزم الأبناء وغلب على صنعاء بعد خمسة أيام أي بعد خمس وعشرين ليلة من وثوبه.

وفرّ أبو موسى الأشعري من مأرب الى المفازة والمهوّر من حضرموت وانحاز سائر أُمراء اليمن الى الطاهر بن أبي هالة التميمي في وسط بلاد عكّ بحيال

---

(١) الطبري ٣: ٢٢٩، عن سيف بن عمر التميمي عن عُبيد بن صخر السُلمي الأنصاري. ولعلّ ذلك كان في أواخر ذي الحجة من العاشرة أو أوائل المحرم من الحادية عشرة، إذ كان وثوبه في أواخر حجة الوداع.

(٢) الطبري ٣: ١٨٥ عن سيف بن عمر التميمي عن فيروز الديلمي.

صنعاء. وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى عدن إلى البحرين إلى الطائف؛ فطابقت عليه اليمن ما عدا عك. فحاز عثر والشرجة والحرده وعلاقه وعدن والجند وصنعاء إلى عليب وحتى الأحسية. عامله المرتدون بالارتداد والمسلمون بالتقيّة ومنهم الأبناء فأسند أمرهم إلى داذويه الاصطخري وفيروز الديلمي. وكانت ابنة عمه آزاد امرأة شهر بن باذان، فتزوّجها الأسود.

قال الراوي السُّلمي الأنصاري الذي كان مع يعلى بن أُميّة بالجَنَد: إنّهم لحقوا بحضرموت، إذ جاءتهم كتب النبيّ ﷺ يأمرهم فيها أن يبعثوا الرجال لمحاولته غيلة أو قتالاً، وأن يبلّغوا كلّ من يرجون عنده شيئاً من ذلك عنه ﷺ.

وقدم وَبْر بن يوحَنّس الأزدي بكتابه ﷺ على فيروز الديلمي يأمره فيه بالعمل على قتل الأسود إمّا غيلة أو مصادمة، وأن يبلّغوا ذلك عنه من يرون عنده ديناً ونجدة. فكاتبوا الناس ودعوهم[1].

قيس بن المكشوح المرادي:

وهنا يأتي ذكر قيس المرادي ابن عبد يغوث المكشوح، وأوّل ما نرى ذكره في السيرة: أنّ عمرو بن معدیکرب الزُّبيدي كان صاحبه فقال له يوماً: يا قيس قد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش قد خرج بالحجاز يقول: إنّه نبيّ، يقال له محمد، وأنت سيّد قومك، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان غير ذلك علمت علمه، وإن كان نبيّاً كما يقول فإنّه لن يخفى علينا. فأبى عليه قيس وسفّه رأيه. وقدم عمرو عليه فأسلم. فلما بلغ قيساً أوعده وتشدّد عليه[2].

---

(١) الطبري ٣: ٢٢٩ ـ ٢٣١، عن سيف بن عمر التميمي.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٢٠.

هذا كلّ ما رواه ابن إسحاق وعنه ابن هشام في السيرة، والطبري في تاريخه، ثم لم يذكر عنه إسلاماً حتى روى عن فيروز الديلمي: أنّه وثب متراماً مع الأسود العنسي ـ على فروة بن مسيك المرادي فأجلاه ونزل منزله. ولم ينوّخه العنسي إلى صنعاء، أسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث، فكان قوّاده يومئذٍ هم ويزيد بن الأفكل الأزدي ويزيد بن الحصين الحارثي ويزيد بن محرّم. فلما أثخن في الأرض واستغلظ أمره وثبت ملكه استخفّ بداذويه الاصطخري وفيروز الديلمي وقيس بن المكشوح المرادي وتغيّر له[1].

فلما بلغ كتاب النبيّ ﷺ إلى فيروز الديلمي، رأى أنّ الأسود العنسي قد تغيّر لقيس حتى أمسى يخاف على دمه، فلقوه عن النبي ﷺ ودعوه فأجابهم إلى ذلك.

وكتب النبيّ ﷺ إلى ذي ظُلم وذي الكلاع وذي مُران وعامر بن شهر ابن باذان، فهتجوا لذلك واعترضوا على العنسي وكاتبوا فيروز الديلمي وبذلوا له النصر، وكاتبهم وأمرهم أن لا يحرّكوا شيئاً حتى يبرموا الأمر.

وكتب النبي ﷺ إلى ساكني نجران من العرب وغيرهم من أبناء الفرس، فانضمّ بعضهم إلى بعض وتنحّوا عن غيرهم بناحية. وكاتبت فيروز الناس ودعاهم وارتاب العنسي من الناس وفيروز وهم منه في ارتياب وعلى خطر عظيم[2].

فيروز وابنة عمّه آزاد:

ودخل فيروز الديلمي على ابنة عمّه آزاد أرملة شهر بن باذان التي تملّكها الأسود، فقال لها: يا ابنة عمّ، إنّ عند الرجل قتل زوجك وأسرع القتل في قومك، وهان من بقي منهم وفضح نساءهم، فهل عندك من ممالأة عليه؟! فقالت: على أي

---

(١) الطبري ٣: ١٨٥، عن سيف التميمي.

(٢) الطبري ٣: ٢٣٠ ـ ٢٣١، عن سيف التميمي.

أمر؟ قال فيروز: على إخراجه أو قتله. قال فيروز: أو قتله. فقالت: نعم والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حُرمة، فإذا عزمتم فأعلموني أُخبركم بمأتى هذا الأمر.

ثم أجمع ملأهم أن يعود إلى المرأة فيخبرها بعزمهم لتخبرهم برأيها، فعاد إليها لذلك فقالت: هو متحرّز متحرّس، وليس من القصر شيء إلّا والحرس محيطون به غير هذا البيت فإنّ ظهره إلى مكان كذا في الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه فإنّكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

وخرج فيروز من عندها بعد عمه ورآه الأسود فوجأ رأسه وقال له: ما أدخلك عليّ؟! فصاحت آزاد: ابن عمي جاءني زائراً، فوهبه لها.

فلما أمسوا واطؤوا أشياعهم وعجّلوا فلم يُراسلوا الحميريين والهمدانيين، ونقبوا خارج البيت حتى دخلوه فوجدوا جفنة وتحتها سراج، وهم قيس وداذويه والاصطخري وجُشيش [= كشنس] وفيروز الديلميون، وفيروز أشدّهم وأنجدهم، فقدّموه فخرج من ذلك البيت إلى بيت الأسود، فلما دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً وهو جالس والمرأة جالسة تنظر، فوضع فيروز ركبته في ظهر الأسود وأخذ برأسه فدقّ عنقه، ثم أخبر أصحابه قيساً وداذويه وجشيش فقاموا معه ليحتزّوا رأسه فصاح فألجمه فيروز بثوب وأمرّ الشفرة على حلقه، فخار خوار الثور، فسمعه الحرس حول المقصورة فابتدروا الباب وسألوا: ما الخبر؟ فقالت آزاد: النبيّ يُوحى إليه! حتى خمد.

وكانوا قد اجتمعوا من قبل على شعار بينهم وبين أشياعهم، فلما طلع الفجر نادى داذويه بالشعار، فتجمع الحرس وأحاطوا بهم، فنادى جُشيش بالأذان فقال: أشهد أنّ محمداً رسول الله وأنّ عبهلة كذّاب! وألقوا رأسه إليهم، ونادوا بأهل صنعاء، من كان عنده منهم أحد فتعلّقوا به، ومن دخل عليه أحد فتعلّقوا

به، فانتهب الفرس ما انتهبوا ومضوا خارجين ما بين صنعاء ونجران، وأسر أهل الدور والطرق منهم سبعين فارساً، وهم احتفظوا معهم سبعمئة من الصبيان والعيال فتراسلوا أن يتبادلوا ما في أيديهم.

وأعزّ الله الإسلام وأهله، وخلصت صنعاء والجند، وتراجع أصحاب النبي ﷺ، فاصطلحوا على مُعاذ بن جبل يصلي بهم، وكتبوا الى رسول الله بالخبر.

وأتى النبي الخبر من السماء بقتل الأسود ليلة قُتل فقال ﷺ في صبيحتها لأصحابه: قُتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: ومَن هو؟ قال: فيروز، فاز فيروز. إنّ الله قد قتل الأسود الكذّاب العنسي، قتله بيد رجل من إخوانكم من قوم أسلموا وصدّقوا[2].

ونقل ابن حجر عن أبي عبيدة في مناقب الفرس: أنّ الفرس لما قتلوا الأسود العنسي بعثوا برأسه مع نفر منهم: زُرعة بن عُرَيب، وعبد الله بن الديلمي وغيرهما، فأنذر النبي بقدومهم وأوصى بهم وبيّن في نفر منهم خيراً[3].

وفي تاريخ مقتله: روى الطبري عن الضحّاك بن فيروز الديلمي قال: كان العنسي مستسراً بأمره حتى خرج، وكان ما بين خروجه في كهف خبّان الى مقتله في صنعاء نحو من أربعة أشهر[4].

---

(1) الطبري ٣: ٢٣٢ ـ ٢٣٦، عن سيف التميمي.

(2) الطبري ٣: ٢٣٩، عن سيف التميمي، وفي هذا الخبر أنّ رهط القوم ثلاثون غلاماً من أبناء الفرس، وهذا أولى وأقرب. ونقله المرحوم المجلسي بمختصر خبر الأسود العنسي عن المنتقى للكازروني في بحار الأنوار ٢١: ٤١١، ٤١٢.

(3) الإصابة ١: ٥٧٨ ح ٢٩٧٣ وانظر مكاتيب الرسول ٣: ٢٣٢، ولكنّهم وصلوا المدينة بعد وفاته ﷺ، فلا يصحّ كتابه لهم. وانظر وقارن، عبد الله بن سبأ ٢: ١٣٤ ـ ١٤١.

(4) الطبري ٣: ٢٤٠.

وفي أُخرى: كان من أوّل أمره إلى آخره ثلاثة أشهر[1].

وفي سابقته: روى عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: لمّا قضى رسول الله حجّة التمام ورجع إلى المدينة تحلّل به السير، فطارت الأخبار بتحلّل السير بالنبي وأنّه قد اشتكى (من المرض)، فجاء الخبر عن مسيلمة باليمامة والأسود باليمن[2].

وعليه فقد يستبعد ما نقله الطبري عن الواقدي: أنّ في النصف من المحرّم من السنة الحادية عشرة قدم زرارة بن عمرو النخعي بوفد النخع من همدان اليمن على رسول الله ﷺ[3] مقرّين بالإسلام وقد بايعوا من قبل مُعاذ بن جبل، وهم مئتا رجل[4] ثم لم يذكروا أنّه ﷺ طلب منهم جهاد المرتدّين في اليمن.

اللهم إلّا أن يقال بأنّهم من همدان التي أسلمت على يد علي ﷺ فكانوا حديثي عهد بالإسلام.

فتنة طليحة في بني أسد

روى الطبري عن ابن عامر الأسدي قال: جاء إلينا الخبر عن وجع النبي ﷺ ثم سمعنا أنّ مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأنّ الأسود قد غلب على اليمن، فلم نلبث إلّا قليلاً حتى ادّعى طليحة بن خويلد الفقعسي الأسدي النبوّة وتبعه العوام واستكثف أمره وعسكر في سَمِيراء.

---

(١) الطبري ٣: ٢٣٩

(٢) الطبري ٣: ١٤٧ و ١٨٤ ونحوه في ١٨٦

(٣) الطبري ٣: ٢٤٠

(٤) المنتقى للكازروني وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٤٠٩

فكان أوّل من كتب إلى النبي بخبر طليحة، عامل الرسول على بني مالك: سنان بن أبي سنان.

وبعث طليحة إليه ﷺ ابن أخيه حبال يخبره بخبره وأنّ الذي يأتيه ملك سمّاه: ذا النون. فقال له النبي: قتلك الله[1].

واجتمع على طُليحة عوامّ أسد وطيّئ وغطفان وأشجع وفزارة[2] إلّا بعض خواصّهم. فاجتمعت بنو أسد في سَميراء، وغطفان وفزارة في جنوب المدينة، وطيّئ في أرضهم، وبنو ثعلبة وعبس ومُرّة في الأبرق من الربذة، وافترقت منهم فرقة سارت إلى ذي القَصّة من بني أسد ومن انضمّ إليهم من بني الدُّئل وليث ومُدلج وعليهم حبال أخو طُليحة[3] وذو القَصّة على بريد (= ٢٢كم) من المدينة تجاه نجد.

وتحوّل طُليحة من سَميراء فنزل في بُزاخة[4]. فوجّه النبي ﷺ ضرار بن الأزور إلى عُمّاله على بني أسد، وأمرهم بالقيام على كلّ من ارتدّ منهم. فلمّا نزل طُليحة والمرتدّون في سَميراء نزل المسلمون في واردات. وما زال المسلمون في نماء والمشركون والمرتدّون في نقصان حتى أتى الخبر بوفاة النبي ﷺ فأمسى المسلمون في نقصان وارفضّ الناس إلى طليحة واستطار أمره، حتى ارفضّ المسلمون![5]

وسمّي أُسامة لتلقاء الشام:

لم يشغل رسول الله ﷺ ما كان عليه من الألم والمرض والوجع عن أمر الله

(١) الطبري ٣: ١٨٦، ١٨٧، عن سيف.

(٢) الطبري ٣: ٢٤٢ و ٢٤٤، عن سيف.

(٣) الطبري ٣: ٢٤٤، عن سيف.

(٤) الطبري ٣: ٢٤٨ و ٢٥٤ عن سيف.

(٥) الطبري ٣: ٢٥٧ عن سيف. وانظر التردد في ذلك في كتاب عبد الله بن سبأ ٢: ٢٦ - ٥٦.

عزّ وجل والذبّ عن دينه أمام المرتدّين عنه على عهده في اليمن واليمامة وغيرهم ولكنّه إنّما حاربهم بالرُسل والمراسلات، فبعث وَبْر بن يُحنّس رسولاً إلى فيروز الديلمي ومساعد جُشيش الديلمي ودادويه الاصطخري من الأبناء في صنعاء وكتب إليهم أن يستنجدوا برجال سمّاهم من بني تميم وقيس، وأرسل من أولئك أن ينجدوهم [1] وفعل مثل ذلك بشأن مسيلمة وطُليحة، ولم يجهّز لهم جيشاً إلّا أنّه سمّى أُسامة لبلقاء الشام

جاء خبره في «مغازي موسى بن عقبة» عن الزهري قال: قدم رسول الله المدينة من حجة الوداع فعاش بها في المحرم واشتكى في صفر. وكان رسول الله قد أمّر أُسامة بن زيد على جيش عامّتهم المهاجرون، وفيهم عمر بن الخطاب [2]، أمره رسول الله أن يغير على مؤتة حيث أُصيب زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. وكان أُسامة بن زيد قد تجهّز للغزو وخرج في ثقله إلى الجُرْف [3] ثم أقام تلك الأيام لشكوى رسول الله حتى كانت ليلة الاثنين من شهر ربيع الأوّل (؟) فأقلع الوعك عن رسول الله وأصبح مفيقاً، فغدا إلى صلاة الصبح متوكئاً على الفضل بن عباس .. وحضر رسول الله إلى الجذع، واجتمع إليه المسلمون يسلّمون عليه ويدعون له بالعافية

ودعا رسول الله أُسامة بن زيد فقال له: اغدُ على بركة الله والنصر والعافية، ثم أغِر حيث أمرتك أن تغير. فقال أُسامة - يا رسول الله، قد أصبحتَ مفيقاً،

---

(١) الطبري ٣: ١٨٧ عن سيف

(٢) ولم يذكر أبا بكر، ولكن المعتزلي قال: ذكر موسى بن عقبة أنّ أبا بكر لم يكن في جيش أُسامة. شرح النهج ١٧: ١٨٣.

(٣) الجُرْف: موضع على ثلاثة أميال (= ٦ كم) من المدينة نحو الشام. معجم البلدان ٢: ١٢٨

وأرجو أن يكون الله عزّ وجل قد عافاك، فأذن لي فمكثت حتى يشفيك الله، فإني إن خرجت وأنت على هذه الحال خرجتُ وفي نفسي منك قرحة، وأكره أن أسأل عنك الناس. فسكت عنه رسول الله (كذا)[1]

وابن اسحاق فرّق خبره على ثلاث فرق من القول، فقال أوّلاً ـ بعد حجة الوداع ـ وبغير رواية: ثم قفل رسول الله فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرّم وصفر، وضرب على الناس ـ من المهاجرين الأولين ـ بعثاً إلى الشام، أمّر عليهم مولاه أُسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين[2].

وقال ثانياً قبل شكوى النبي ﷺ كذلك بغير رواية: وبعث (كذا) رسول الله أُسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأوعب معه المهاجرين الأولين، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين.

فبينا الناس على ذلك إذ ابتدأ رسول الله بشكواه الذي قبضه الله فيه في أواخر صفر أو أوائل شهر ربيع الأول[3] هكذا أرّخ الخبر ابن اسحاق هذه المرّة.

وفي الثالثة روى عن عروة بن الزبير وغيره: أنّ رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة بن زيد وهو في وجعه، وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامة: إنّه أمّر غلاماً حدثاً على جلّة المهاجرين والأنصار (كذا لأول مرة في سياق قول ابن اسحاق بزيادة الأنصار مع المهاجرين الأولين).

---

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي ٧: ١٩٨ ـ ٢٠١.

(٢) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٥٣.

(٣) ابن اسحاق في السيرة ٤: ٢٩١ ونقله عنه الطبري ٣: ١٨٤ ولكنّه عنونه ثم ضرب في المحرم! وعنه في الكامل!

فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنّه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها » ثم نزل ﷺ.

فخرج أسامة وخرج معه جيشه حتى نزلوا الجُرْف على فرسخ من المدينة فضرب عسكره هناك وتتام إليه الناس ، واستمرّ برسول الله وجعه وثقل ، فقام أُسامة والناس لينظروا كيف يكون.

ثم روى عن أُسامة قال : لما ثقل رسول الله رجعت ورجع الناس معي إلى المدينة، فدخلت عليه وقد أُصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فعرفت أنّه يدعو لي[1].

وقال الواقدي : أمر رسول الله الناس (كذا) بالتهيّؤ لغزو الروم، وأمرهم بالاسراع في غزوهم ، فتفرّق المسلمون (!) من عند رسول الله وهم مجدّون في الجهاد ، ثم لم يخص المهاجرين ولم يصرح بالأنصار مع عموم الكلام بل أولى عنايته بذكر تفاصيل الأخبار ولا سيّما في تواريخها، فبدأ الخبر بقوله : لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شهر صفر سنة إحدى عشرة ... فلما أصبح رسول الله من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر، دعا أُسامة بن زيد فقال له : يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك على هذا الجيش ، فأغر صباحاً على أهل أُبنى وحرّق عليهم، وأسرع السير تسبق الخبر، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخُذ معك الأدلاّء وقدّم العيون أمامك والطلائع

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٢٩٩، ٣٠٠ و ٣٠١ .

قال الواقدي: فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدئ برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فصُدع وحُمّ. فلما أصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد رسول الله بيده لواءً لأسامة وقال له: اغزُ باسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة. فإن لقوكم قد أجلبوا وصيّحوا فعليكم بالصمت والسكينة ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] وقولوا: اللهم نحن عبادك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنّما تغلبهم أنت. واعلموا أنّ الجنة تحت البارقة. ثم قال لأُسامة: امضِ على اسم الله فعسكر بالجرف.

فأخذ أُسامة اللواء، ودفعه إلى بُريدة بن الحصيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أُسامة.

وأخبر الواقدي: أنّ الجرف في عهده كان يعرف بسقاية سليمان. وجعل الناس (كذا) يجدّون بالخروج، فمن فرغ من حاجته خرج وبقي من لم يفض حاجته بعرع فيخرج. ثم حضّ على المهاجرين الأولين فقال: ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلّا انتدب (؟) في تلك الغزوة. فذكر منهم أربعة: عمر بن الخطاب، وأبا عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد العدوي. ثم رجلين من الأنصار: سلمة بن أسلم، وقتادة بن النعمان.

ثم ذكر اعتراضهم على ذلك فقال: فقال رجال من المهاجرين أشدّهم في ذلك عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! وكثرت القالة في ذلك! وجاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله فأخبره بذلك وذلك يوم السبت لعشر من ربيع الأول.

---

(١) الأنفال: ٤٦

فخرج وعليه قطيفة وقد عصّب رأسه بعصابة حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس! ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة بن زيد؟! والله لئن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، فاستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم! ثم نزل فدخل بيته.

وجاء المسلمون يودّعون رسول الله ليخرجوا مع أسامة فيهم عمر بن الخطاب، ورسول الله يقول لهم: أنفذوا بعث أسامة!

ودخلت عليه أم أيمن (أم أسامة) فقالت: أي رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل (للشفاء) فإن أسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه. فقال رسول الله: أنفذوا بعث أسامة!

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد هناك مع أسامة، فلما أصبح يوم الأحد نزل إلى المدينة فدخل على رسول الله وهو يبكي، ورسول الله ثقيل مغمور بالمرض وعنده عمّه العباس، وحوله نساؤه، وهو لا يتكلّم. فطأطأ عليه أسامة فقبّله فرفع رسول الله يده إلى السماء ثمّ يقلب كفّه على أسامة كأنّه يدعو له، فرجع أسامة إلى معسكره فبات فيه ليلة الاثنين، ثم غدا من معسكره يوم الاثنين إلى رسول الله مرّة أخرى، فجاءه أسامة وهو مفيق مُريح، فودّعه أسامة وهو يقول له: اغد على بركة الله! وركب أسامة إلى معسكره، وصاح بأصحابه باللحوق بالعسكر، فانتهى إلى معسكره ونزل وأمر الناس بالرحيل من الجُرف، فبينا هو كذلك إذ أتاه رسول أمه أم أيمن تخبره أنّ رسول الله في حال الموت، فرجع أسامة إلى المدينة ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح.

أما أبو بكر فإنّه كان قد دخل عليه لما كان مفيقاً فقال له: يا رسول الله إنّك

أصبحت مفيقاً بحمد الله، واليوم يوم ابنة خارجة (زوجته) فأذن لي! فأذن له فذهب إلى السُّنح في عوالي المدينة[1].

فلما مع أنّ الواقدي كان متوقّد الذهن والذكاء متهيأ لجمع التفاصيل عن الأخبار والأحاديث والروايات، لكنّه لم ينتبه للتركيز على من اشتمل عليه هذا الجيش المؤكّد عليه من رسول الله هذا التأكيد الشديد. فجاء في نصّه السابق لفظ الناس ست مرّات، والمسلمين ثلاث مرات، والمهاجرين الأولين كذلك، وعطف عليهم الأنصار مرة واحدة بعبارة: في رجال من المهاجرين والأنصار عدّة، ذكر من الأنصار رجلين كما مرّ، وقد مرّ أنّ ابن عقبة وابن إسحاق ووافقه ابن هشام ركّزوا على المهاجرين الأوّلين وإنّما زاد ابن إسحاق الأنصار مرة في رواية عروة.

ويقصر قول الواقدي عن النصّ بشمول الأنصار عدا عدّة منهم لم يذكر سوى اثنين منهم. بينما اليعقوبي قال باختصار: عقد ﷺ لأُسامة بن زيد بن حارثة على جلّة المهاجرين والأنصار، وكان في الجيش أبو بكر وعمر، وتكلّم قوم فقالوا: حدث السن ابن تسع عشرة سنة! فقال ﷺ: لئن طعنتم عليه فقبله طعنتم

---

(1) فلما توفي رسول الله عند زوال الشمس في ذلك اليوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وبلغ ذلك الذين بالجرف خرج بريدة بن الحصيب بلواء أُسامة معقوداً وأتى به إلى باب رسول الله فغرزه عنده، ورجع معه من كان معه بالجرف. مغازي الواقدي ٣: ١١١٧ ـ ١١٢٠. فالواقدي يرى أبا بكر مستأذناً، بينما رواه ابن عقبة عن الزهري: أن أبا بكر دخل فقال لعائشة: قد أصبح رسول الله مفيقاً، وأرجو أن يكون الله قد شفاه، ثم ركب فلحق بأهله بالسُّنح بحبيبة بنت خارجة الخزرجي، كما في دلائل النبوة ٧: ٢٠١ من دون استئذان. وكذلك ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٠٢ عن الزهري عن أنس بن مالك، مختصراً منه وبلا استئذان أيضاً، وإن كان روى الاستئذان بعده! عن غير الزهري ٤: ٣٠٣، ٣٠٤ مناقضاً لما مرّ.

على أبيه وإن كانا لخليقين للإمارة. فكان أسامة مقيماً بالجرف إذ شكى رسول الله قبل أن ينفذ الجيش، فقال مراراً: أنفذوا جيش أسامة. واعتلّ أربعة عشر يوماً إلى ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول[1] فهو يرى أن البدء بذلك كان في النصف من صفر تقريباً، خلافاً للواقدي في ذلك، موافقاً له في مدة التخلف أسبوعين قبل الوفاة.

والطبري مع ذكره لخبر ابن إسحاق: أنّه ﷺ ابتدأ شكواه في ليال بقين من صفر، وتأييده له عن الواقدي: بُدئ وجعه لليلتين بقيتا من صفر، وذكره لخبر عن سيف بن عمر عن عروة: أنه اشتكى وجعه في عقب المحرّم، مما يجتمع مع ما مرّ. ذكر خبراً آخر عن سيف أيضاً عن ابن الجذع أو الضرغ[2] الأنصاري، قال: بعد تأمير أسامة، ثم اشتكى في المحرم. وكأنّه أهمل القول السابق المتأيّد واعتمد هذا الخبر الأخير المفرد في عنوانه فقال: ثم ضرب في المحرم بعثاً إلى الشام وأمّر عليهم مولاه أسامة فتبعه ابن الأثير.

هذا، وقد روى لاحقاً عن الكلبي عن أبي مخنف عن فقهاء الحجاز: أنّه ﷺ وجع لأيام بقين من آخر شهر صفر، في بيت زينب بنت جحش[3].

وروى خبراً عن سيف عن ابن عباس: أنّ الناس (كذا) أنشؤوا في العسكر ولكنّه لم يستتم الأمر وذلك لأنّه ثقل رسول الله فتمهّل الناس ينظر أوّلهم آخرهم حتى توفي ﷺ[4].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٣

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٤٧ و ١٨٤ و ١٨٥

(٣) الطبري ٣: ١٨٧

(٤) الطبري ٣: ١٨٦

أما الخبر في الإرشاد:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: أنّه عليه وآله السلام لما تحقّق من دنوّ أجله جعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتهم بالتمسك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الخلاف والارتداد.

فكان فيما ذكره من ذلك عليه وآله السلام ما جاءت به الرواة على اتفاق واجتماع من قوله: «أيها الناس إني فرطكم، وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، سألت ربّي ذلك فأعطانيه. ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس، لا ألفينّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا وإنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع. فعقد له الإمرة على من ذكرناه وجدّ في إخراجهم، وأمر أسامة بالخروج من المدينة إلى الجُرف، وحثّ الناس على الخروج إليه

والمسير معه، وحذّرهم من الإبطاء والتلوّم عنه. فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها[1].

قال: وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة «رضي الله عنها» فأقام به يوماً أو يومين، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت أزواج النبي في ذلك، فأذنّ له. فانتقل ﷺ إلى البيت الذي أسكنه عائشة واستمر به المرض أياماً وثقل ﷺ[2].

ثم ذكر خبر الصلاة ثم قال: فلما سلّم انصرف إلى منزله فاستدعى جماعة من حضر المسجد من المسلمين وفيهم أبو بكر وعمر فقال لهم: ألم آمر أن تنفذوا جيش أسامة؟! فلم تأخّرتم عن أمري؟! فقال أبو بكر: إنّني كنت خرجت ثم عدت لأحدث أو أجدّد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله، لم أخرج، لأنّني لم أحب أن أسأل عنك الركب! فقال النبي ﷺ: فانفذوا جيش أسامة، فانفذوا جيش أسامة. ثلاثاً[3].

---

(1) الإرشاد ١: ١٧٩ ـ ١٨١.

(2) الإرشاد ٢: ١٨٢، وقد روى الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن فقهاء الحجاز أنّه كان في بيت زينب بنت جحش ٣: ١٨٧، وروى ابن إسحاق عن الزهري عن عائشة أنه ﷺ كان في بيت ميمونة فاستأذنهنّ أن يكون في بيتي فأذنّ له (السيرة ٤: ٢٩٢) فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصباً رأسه تخطّ قدماه حتى دخل بيتي. فالذي سمع هذا من عائشة رواه لابن عباس فقال له: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: هو علي بن أبي طالب (فعن هشام الكلبي عن ابن عباس إلى هـ ٤: ٢٩٨) ورواه الطبري عن ابن إسحاق فأكمل عن ابن عباس قال: ولكنّها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع، ٣: ١٨٨، ١٨٩.

(3) الإرشاد ٢: ١٨٣ ـ ١٨٤ واشتهر لعن من تخلّف عنه، ولم يرد من طرقنا إلّا في ـــ

هكذا، خلافاً لما مرّ عن ابن عقبة والواقدي من خروج عمر إلى المعسكر وخروج صاحبه أبي بكر إلى امرأته أو زوجته في عوالي المدينة، وموافقاً لليعقوبي في خروجهما في الجيش، واشتماله على المهاجرين والأنصار، بل زاد المفيد جمهور الأمّة[١].

زيارة البقيع والخطبة العامة:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: أنّه ﷺ أقبل على علي عليه السلام وقال له: إنّ جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرّة، وقد عرضه عليّ العام مرّتين، ولا أراه إلّا لحضور أجلي[٢]! يا علي، إنّي خيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة، فاخترت لقاء ربّي والجنة[٣]. لما عراه مرضه وأحسّ به. قال لمن سمعه: إنّي

← خبر ضعيف ضمن محاورة الغروري للإمام الصادق عليه السلام في بحار الأنوار ٢٧: ٣٢٤.

وروى نحو من قدماء المعتزلة أحمد بن عبد العزيز الجوهري البغدادي (م ٣٢٣ هـ) في كتابه السقيفة، وعنه المعتزلي الشافعي البغدادي (م ٦٦٥ هـ) في شرح نهج البلاغة ٦: ٥٢ ثم الشهرستاني في الملل والنحل بحاشيته الفصل ١: ٢٠.

(١) الإرشاد ٢: ١٨٠ مما هو مستبعد جداً. وانظر بحثهم عن جيش أسامة في بحار الأنوار ٣١: ١٤ - ٢٤، ط. تحقيق حضرة الشيخ والد

(٢) هذا ما تفرّد بنقله المفيد هنا لأول مرة من دون سائر مصادر أخبارنا عامة، وثمّ نقله عنه في إعلام الورى ١: ٢٦٤، وقصص الأنبياء للراوندي: ٣٥٧، والحسني في مناقب آل أبي طالب ١: ٢٩١.

(٣) كذا، وعنه في بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٦ وفي ٢١: ٤٠٩ عن المنتقى للكازروني خبر خروجه ﷺ إلى البقيع مع أبي مويهبة، وهو عن ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٩٢، ورواه الصدوق في الأمالي: ٢٢٦ ح ١١ عن الصادق عن أبيه عن جدّه، ولكن في يوم وفاة ←

فقد أُمرت بالاستغفار لأهل البقيع. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وانطلق حتى وقف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها. ثم عاد إلى منزله عليه وآله السلام[1]

وبعد ثلاثة أيام خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على علي عليه السلام وعلى الفضل بن العباس، حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال: «معاشر الناس، قد حان مني خفوق[2] من بين أظهركم، فمن كانت له عندي عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به.

معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شرّاً إلّا العمل.

أيها الناس، لا يدّعي مدّعٍ ولا يتمنّ متمنٍّ، والذي بعثني بالحق لا ينجي إلّا عمل مع رحمة! ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلّغت؟»

ثم نزل فصلّى بهم صلاة خفيفة، ثم دخل إلى بيت أُم سلمة رضي الله عنها[3]

→ في بيته لا بالبقيع في أول مرضه. وفي الخبر بعد التخيير وترجيح جبرئيل للآخرة يقول الرسول لملك الموت: امض لما أُمرت به! ولم يؤمر في الخبر إلّا بتخييره، ففي لفظ الخبر اضطراب. ورواه المفيد في الأمالي: ٥٢ ح ١٥، بسنده عن الباقر عليه السلام: أنّ الذي خيّره هو جبرئيل عند وفاته فقال: لا، بل الرفيق الأعلى، كما مثله في السيرة ٤: ٣٠١، عن عائشة.

(١) الإرشاد ١: ١٨١. وروى نحوه ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله أنّها كانت معه فقط في جوف الليل ٤: ٢٩١ – ٢٩٢ وكان ابن العاص لم يشأ أن يذكر بها علياً عليه السلام. ونقل نحوه ابن إسحاق في الخطبة في المسجد بعد الصلاة ٤: ٣٠٤.

(٢) خفوق: حركة وقرب ارتحال، يريد الإنذار بموته. مجمع البحرين ٥: ٤٩.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٢.

صلاة أبي بكر عن النبي ﷺ :

أفاد المفيد في «الإرشاد» أنّه ﷺ كان في بيت أُم سلمة «رضي الله عنها» يوماً أو يومين، فسألت عائشة أزواج النبي عليه وآله السلام أن ينقلنه إلى بيتها لتتولّى تعليله، فأذنّ لها، فجاءت إلى أُم سلمة تسألها أن تنقله إلى بيتها، فأذنت لها، فانتقل ﷺ إلى البيت الذي أسكنه عائشة، واستمرّ به المرض أياماً وثقل عليه السلام.

وكان بلال يؤذن ثم يأتي إلى النبي فيؤذنه بذلك، فأذّن يوماً للفجر ثم جاءه وهو مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأُوذن رسول الله ﷺ بندائه فقال: يصلّي بالناس بعضهم فإنّي مشغول بنفسي. فقالت عائشة: مروا أبا بكر[1] وقالت حفصة: مروا عمر!

وكان رسول الله قد أمرهما بالخروج إلى أُسامة، ولم يكن عنده علم أنّهما قد تخلّفا، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره، ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك هذه ورسول الله حيّ. فقال رسول الله لهما: اكففن فإنّكنّ صُوَيحبات يوسف.

ثم دعا عليّاً والفضل بن العباس (وتوضّأ) واعتمد عليهما ورجلاه تخطّان

(1) الإرشاد ١: ١٨٢ ونقل المعتزلي عن شيخه يوسف اللمغاني: أنّ النبي لم يكن قال: ليصلّ بهم أحدهم، ولم يُعيّن، وكانت صلاة الصبح، فكان علي عليه السلام يقول لعائشة: إنّها هي التي أمرت بلالاً أن يأمر أباها أن يصلّي بالناس. وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ويقول: إنّه ﷺ لم يقل: إنكنّ لصويحبات يوسف، إلّا إنكاراً لهذه الحال وغضباً منها، لأنّها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنّه ﷺ استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب. شرح النهج ٩: ١٩٧.

الأرض من الضعف، فلما خرج من بيته إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فحضره وأومأ بيده إليه أن تأخّر، فتأخّر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ مقامه ولم يبنِ على مضى من فعال أبي بكر بل ابتدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام[1].

حديث الدواة والكتف:

وأفاد المفيد في «الإرشاد» أنّه ﷺ لما سلّم من صلاته انصرف إلى منزله ثم أُغمي عليه من الأسف والتعب لدى لحظه، فارتفع النحيب من ابنته والنساء من أزواجه والمسلمات ومن حضر من أهل بيته والمسلمين، فأفاق عليه وآله السلام ونظر اليهم ثم قال: ايتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً!

فقام بعض من حضر يلتمس دواةً وكتفاً، وأُغمي على النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب لمن قام: ارجع فإنه يهجر[2]. فرجع، وقال بعضهم

---

(1) الإرشاد ١: ١٨٢، ١٨٣. وانظر كلامه في ذلك في الفصول المختارة: ١٢٤ ـ ١٢٨ وكلام السيّد المرتضى في الشافي ٤: ١٥٨ ـ ١٦١، وتلخيصه ٣: ٢٨ ـ ٣٢ والمسترشد: ١١٨ ـ ١٢٦ ط. المحمودي، وروى الطبري بسنده عن عائشة أنّ أبا بكر صلى بصلاته ﷺ ٣: ٩٧.

(2) الإرشاد ١: ١٨٤ ونقله قبله الهلالي العامري في كتابه ٢: ٧٩٤، والنيسابوري في الإيضاح: ٢٥٩، والطبري ٣: ١٩٢، ١٩٣، بثلاثة طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلا ذكر عمر. وروى المجلسي الحديث والخبر في بحار الأنوار ٣: ٧ ـ ٧٣ بخمس طرق عن البخاري وطريقين عن الجمع بين الصحيحين وثلاثة طرق عن صحيح مسلم منها عن مسند جابر بن عبد الله الأنصاري، وسائرها عن ابن عباس.

ونقل المعتزلي في شرح النهج عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر البغدادي الخراساني (٢٠٤ ـ ٢٨٠ هـ) عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في خلافته فقال لي: كيف خلّفت ابن عمّك عظيمكم أهل البيت؟ قلت: خلّفته يمتح بدلوه الماء من بئر ـــ

إنا لله وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله!

وأفاق ﷺ فقال له بعضهم: ألا نأتيك يا رسول الله بكتف ودواة؟ فقال: أبعد الذي قلتم؟! لا، ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً. ثم أعرض بوجهه عنهم فنهضوا! وبقي أهل بيته خاصة وفيهم علي بن أبي طالب والعباس والفضل ابنه، فقال له العباس: يا رسول الله، إن يكن هذا الأمر فينا مستقرّاً بعدك فبشّرنا، وإن كنت تعلم أنّا نُغلب عليه فأوص بنا! فقال له: أنتم المستضعفون من بعدي! وأصمت[1]. فنهض القوم وفيهم علي عليه السلام وخرجوا من عنده.

= على تحمّلات فلان وهو يقرأ، فقال: يا عبد الله هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه فقال: صدق! فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم! ١٢: ٢٠، ٢١.

وفيه عنه قال: خرجت معه إلى الشام فقال لي: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمّك سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه واجداً، فيم تظنّ موجدته؟! أظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة؟! قلت: هو ذاك، إنّه يزعم أنّ رسول الله أراد الأمر له. فقال: يا ابن عباس وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذ لم يرد الله تعالى ذلك؟! إنّ رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله! أو كلّما أراد رسول الله كان؟! إنّ رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي فأمسك. ١٢: ٧٨، ٧٩.

(١) روى المفيد في أماليه: ٢١٢ م ٢٤ ح ٢، بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه ﷺ ـــ

وصيّة النبيّ إلى عليّ عليه السلام:

قال: فلما خرجوا من عنده قال ﷺ: اردّوا عليّ أخي عليّ بن أبي طالب، وعمّي. فأنفذوا من دعاهما، فحضرا.

فالتفت ﷺ إلى عمّه وقال له: يا عباس يا عمّ رسول الله، تقبل وصيّتي، وتُنجز عِدَتي، وتقضي عنّي ديني؟ فقال العباس: يا رسول الله، عمّك شيخ كبير وذو عيال كثير، وأنت تباري الريح سخاءً وكرماً، وعليك وعدٌ لا ينهض به عمّك!

فأقبل على عليّ عليه السلام وقال له: يا أخي، تقبل وصيّتي، وتنجز عدتي، وتقضي عنّي ديني، وتقوم بأمر أهلي من بعدي؟ قال عليّ عليه السلام: نعم، يا رسول الله. فدعا بسيفه ودرعه وجميع لامته وعصابة كان يشدّها على بطنه إذا خرج إلى الحرب، فجيء بها إليه فدفعها إليه، ونزع خاتمه من يده وقال له: خذ هذا فضعه في يدك، ووضعه فيه، وقال له: امض على اسم الله إلى منزلك[1].

= كان رأسه في حجر أمّ الفضل (كذا) فقالت له: نعيت إلينا نفسك وأخبرتنا أنّك ميّت، فإن يكن الأمر لنا فبشّرنا، وإن يكن في غيرنا فأوصِ بنا. فقال لها النبي ﷺ: أنتم المقهورون المستضعفون بعدي. فلعلّ هذا هو أصل الخبر.

وروى الطوسي في الأمالي: ١٠٦ م ٤ ح ١٦١ بسنده عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة حضرته وقلت له: يا رسول الله فداك أبي وأمي قد دنا أجلك فما تأمرني؟ فقال: يا ابن عباس، خالف من خالف عليّاً ولا تكوننّ لهم ظهيراً ولا وليّاً. فقلت: يا رسول الله لِمَ لا تأمر الناس بترك مخالفته؟ فبكى وقال: يا ابن عباس، قد سبق فيهم علم ربّي، والذي بعثني بالحق نبيّاً لا يخرج أحد ممن خالفه من الدنيا وأنكر حقّه حتى يغيّر الله ما به من نعمه.

يا ابن عباس، احذر أن يدخلك شكٌّ، فإن الشكّ في عليّ كفر بالله.

(1) الإرشاد ١: ١٨٥، وروى الصدوق في علل الشرائع ١: ١٩٨ ب ١٣١ ح ١ عن =

وروى الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: لمّا مرض رسول الله ﷺ وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر فقال له: فداك أبي وأُمي يا رسول الله، مَن يغسّلك منّا إذا كان ذلك منك؟ قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنّه لا يَهِمّ بعضو من أعضائي إلّا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فداك أبي وأُمي يا رسول الله، مَن يصلّي عليك منّا إذا كان ذلك منك؟ فقال لعلي عليه‌السلام: يابن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي، فاغسلني وأنقِ غسلي وكفّني في طِمْرَيَّ هذين، أو في بياض مصر وبُرد يمان، ولا تغالِ في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، فأوّل من يصلّي عليَّ الجبّار جلّ جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يُحصي عددهم إلّا الله عزّ وجلّ، ثم الحافّون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، ثم جلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون، يومئون إيماءً ويسلّمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة ولا رنّة[1].

← الباقر عليه‌السلام ح ٢ و٣، عن [illegible] والطوسي في الأمالي ح ١٢٤٤، عن علي عليه‌السلام.

(1) أمالي الصدوق: ٥٠٥ ح ٦ م ٩٢ وقريب منه في كشف الغمة ١: ١٧ عن كتاب الثعلبي عن ابن مسعود، وأنّ المحاور للنبي أبو بكر، بينما روى الطبري ٣: ١٩١، ١٩٢ خبراً نحوه عن ابن مسعود بمحاورته هو.

وخبر الصدوق عن ابن عباس بمحاورة عمّار بن ياسر يستغرق أربع صفحات من ٥٠٥ إلى ٥٠٩، وبعد خبر عمّار يعرج على ذكر خطبة له ﷺ على منبره في مسجده جاء فيه: ناشدتكم الله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلّا قام فليقتصّ منه (كذا) فقام إليه رجل يقال له سوادة بن قيس... إلى آخر الخبر. بينما لا يوجد في المراجع صحابي بهذا الاسم، ولعلّه لهذا غيّره السيد الأمين العاملي في المجالس السنية ٥: ٢٥ إلى سواد بن قيس. وذكره المحقّق التستري في قاموس الرجال ٥: ٣٢٨ ولم يذكر له الخبر ←

والأنصار تبكي:

وروى المفيد في أماليه بسنده عن ابن عباس: أنّ رجال الأنصار ونساءهم اجتمعوا في مسجد النبي ﷺ يبكون لحاله، فدخل العباس وابنه الفضل وعلي عليه السلام عليه ﷺ فقالوا له: يا رسول الله، هذه الأنصار في المسجد تبكي عليك رجالها ونساؤها يخافون أن تموت. فقال: أعطوني أيديكم، فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر[1] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فما تنكرون من موت نبيكم؟ ألم أُنعَ إليكم وتُنعَ إليكم أنفسكم؟ لو خُلّد أحد قبلي لخُلّدتُ فيكم.

ألا إنّي لاحق بربي، وقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم تقرؤونه صباحاً ومساءً... وقد خلّفت فيكم عترتي أهل بيتي فأنا أُوصيكم بهم، ثم أُوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم

→ بل نص عن ابن منده وأبي نُعيم: أنّه هو الذي باع النبي فرساً ثم أنكره فشهد له ذو الشهادتين. وذكر بعده سواد بن عمرو وذكر عنه: أنّه لقيه النبي وبيده جريدة فطعن بها في بطنه فخدشه، فقال: يا رسول الله أقدني، فهناك حسر النبي له عن بطنه وأعطاه الجريدة، فألقاها وقبّل بطنه. كما في أسد الغابة ٢: ٣٧٤ وذكر بعده سواد بن غزيّة الأنصاري، وذكر أنّه شهد بدراً، فروى الطبري: أنّ النبي كان بيده قدح يعدّل بهم به، وكان سواد متقدماً فطعنه بالقدح في بطنه ليستوي فقال: أقدني، فهناك كشف النبي له عن بطنه وأعطاه القدح، فألقاه وقبّل بطنه، فدعا له النبي بخير. الطبري ٢: ٤٤٦، وأُسد الغابة ٢: ٣٧٥. فما في خبر سوادة بن قيس خلط وخبط وسهو ولَبْس.

(١) وروى نحوه الطبرسي في الاحتجاج ١: ٨٩، وفيه: فاستند إلى جذع من أُسطوان المسجد وخطب فقال...

بلاءهم عند الله عزّ وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسّعوا في الديار ويشاطروا الثمار ويؤثروا وبهم خصاصة؟!

فمن ولي منكم أمراً يضرّ فيه أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسن الأنصار وليتجاوز عن مسيئهم» وكان هذا آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عزّ وجل[1].

وقال للمجتمعين حوله: أيها الناس، إنّه لا نبي بعدي، ولا سنّة بعد سنّتي. فمن ادّعى ذلك فدعواه وبدعته في النار، ومن ادّعى ذلك فاقتلوه ومن اتّبعه فإنهم في النار.

أيها الناس، أحيوا القصاص، وأحيوا الحق، ولا تفرّقوا، وأسلموا وسلّموا تسلموا[2].

ادعوا إليّ أخي وصاحبي:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا لضرورة، وقام في بعض شؤونه.

ومن غد ذلك اليوم أفاق رسول الله إفاقة فرأى أزواجه من حوله وافتقد علياً عليه السلام، فقال لهم: ادعوا لي أخي وصاحبي. فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر. فدُعي أبو بكر فدخل عليه وقعد عند رأسه. وكان النبي قد عاوده الضعف فأصمت، فلما فتح عينه ونظر إلى أبي بكر أعرض بوجهه عنه. فقال أبو بكر: لو كانت له إليّ حاجة لأفضى بها إليّ، وقام فخرج.

فلما خرج أبو بكر من عنده أعاد رسول الله القول ثانية: ادعوا لي أخي

---

(١) أمالي المفيد: ٤٥ ـ ٤٧ م ٦ ح ٦.

(٢) أمالي المفيد: ٥٣ م ٦ ح ١٥، عن الباقر عليه السلام.

وصاحبي. فقالت حفصة: ادعوا له عمر، فدُعي عمر، فلما حضر ورآه النبي أعرض عنه، فانصرف.

فلما خرج عمر من عنده أعاد القول ثالثة: ادعوا لي أخي وصاحبي [1].

فقالت أُم سلمة «رضي اللّه عنها»: ادعوا له علياً إنّه لا يريد غيره، فدُعي علي عليه السلام.

فلما دنا علي عليه السلام منه أومأ إليه، فأكبّ عليه فناجاه رسول الله طويلاً، ثم تركه فجلس ناحية، وأغفى رسول اللّه.

فقيل لعلي عليه السلام: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال: علّمني ألف باب، يفتح لي كل باب ألف باب [2]، ووصّاني بما أنا قائم به إن شاء اللّه.

ثم ثقل رسول اللّه ﷺ عليه وقال لعلي عليه السلام: يا علي، ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر اللّه عزّ وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجّهني إلى القبلة، وتولّ أمري [3]، فإذا أنا متّ فاغسلني واستر عورتي فإنّه لا يراها أحد إلّا أُكمه [4] وصلّ عليّ أوّل الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن باللّه تعالى [5] وادفنّي في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورشّ عليه من الماء [6].

فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره، وأُغمي على النبيّ فأكبّت عليه ابنته فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول

---

(١) الإرشاد ١: ١٨٦، ونحوه في الطبري ٣: ١٩٦، مزيداً مضافاً محرّفاً.

(٢) نحوه في أمالي الصدوق: ٥٠٨، ٥٠٩ م ٩٢ ح ٦، عن ابن عباس.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٥، ١٨٦.

(٤) الإرشاد ١: ١٨١، ١٨٢، وخبراً في أمالي الطوسي: ٦٦٠ م ٣٥ ح ٣٦٥، عن الصادق عليه السلام.

(٥) الإرشاد ١: ١٨٦.

(٦) أصول الكافي ١: ٤٥٠ ح ٣٦، عن الباقر عليه السلام.

«وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامل»[1]

فمسح رسول الله عينيه وقال لها: صدقت يا بُنيّة، هذا قول عمّك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[2] فبكت، فأومأ إليها بالدنوّ منه، فدنت، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها.

فقيل لها: ما الذي أسرّ إليك رسول الله فسرّى عنك ما كان عليك من القلق والحزن من وفاته؟ فقالت: إنّه خبّرني أنّي أول أهل بيته لحوقاً به، وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتى أدركه، فسرّى ذلك عنّي[3]!

فروى الصدوق في «الأمالي» عن ابن عباس: ثم قال ﷺ: إليّ يا علي إليّ يا علي إليّ يا علي، فما زال يُدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه عند رأسه، ثم أُغمي عليه.

فقام الحسنان يبكيان ويصرخان وأقبلا حتى وقعا على رسول الله، فأراد علي أن ينحّيهما عنه فأفاق وقال له: يا علي، دعني أشمّهما ويشمّاني، وأتزوّد منهما ويتزوّدا منّي، أما إنهما سيُظلمان بعدي ويُقتلان ظلماً. ثم قال ثلاثاً: لعنة الله على من يظلمهما[4].

وروى نحوه الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الحسين عن أبيه علي عليه السلام: أنّه قال لبلال: يا بلال، ائتني بولديّ الحسن والحسين، فانطلق فجاء بهما (كذا)،

---

(1) الشمال لعباث

(2) آل عمران: ١٤٤

(3) الارشاد ١: ١٨٧، والخبر في أمالي الطوسي ح ٣٦٩، وفي البخاري ٦: ١٢، ومسلم ٤: ١٩٠٤، والترمذي ٥: ٣٦١، والدولابي في الذرية الطاهرة: ١٤٠ فما بعدها.

(4) أمالي الصدوق: ٥٠٨، ٥٠٦ م ٩٢ ذيل ح ٦

وليس جاء بك وبأخيك، أو جاء بي وبأخي، ولا جاء بأبي وعمّي! فأسندهما إلى صدره وجعل يشمّهما، فظننتُ أنّهما قد غمّاه فذهبت لآخذهما عنه فقال لي: دعهما يا أخي يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدا منّي وأتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدي زلزالاً وأمراً عُضالاً، فلعن الله من يخيفهما، اللهم إنّي أستودعكهما وصالح المؤمنين[1].

وكانت يد علي عليه السلام تحت حنكه ﷺ، ففاضت نفسه، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم غمّضه ووجّهه إلى القبلة، ومدّ عليه إزاره، ثم قام لأمره[2].

---

(1) أمالي الطوسي: ٦٠٠ ـ ٦٠٢ م ٢٧ ح ١٢٤٤، عن زيد بن علي والباقر عن أبيه عن جدّه عن علي عليهم السلام. وعن علي عليه السلام أيضاً في كشف الغمة ١: ١٧ عن كتاب أبي إسحاق الثعلبي: ثم دعا النبي الحسن والحسين عليهما السلام فقبّلهما وشمّهما وترشّفهما وعيناه تهملان.

(2) الإرشاد ١: ١٨٧، وفي نهج البلاغة خ ١٩٧، عن لسانه عليه السلام. وروى ابن إسحاق عن ابن الزبير عن عائشة: أنّه قبض في حجري بين سَحري ونحري فلقد اضطرب وجهي ٤: ٣٠٥ وذلك مناقضة لقول علي عليه السلام.

ومما روى ابن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال:

لما توفي رسول الله قام عمر بن الخطاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله قد توفي، وإنّ رسول الله والله ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله قد مات!

وحين بلغ الخبر أبا بكر أقبل حتى نزل على باب المسجد وعمر يكلّم الناس، فلم يلتفت له، ودخل بيت عائشة ورسول الله مسجّى في ناحية البيت، وعليه بُرد حبرة، فكشف عن وجهه وقبّله ثم ردّ البرد عليه ثم خرج وعمر بعد يكلّم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت. فأبى إلّا أن يتكلم، فأقبل أبو بكر على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنّه من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي ←

فروى العياشي في تفسيره عن الباقر: أنّ علياً لما غمّض رسول الله قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» يا لها من مصيبة خصّت الأقربين وعمّت المؤمنين، لم يُصابوا بمثلها قط، ولا عاينوا مثلها[1].

فبينا هم كذلك إذ أتاهم آتٍ من الله تعالى يسمعون كلامه ولا يرونه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاءً من كل مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2].

إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم، وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من

---

* لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فدهش عمر، وكأنّه لم يعلم بنزول الآية. ابن اسحاق في السيرة ٤: ٣٠٥، ٣٠٦، ثم روى عن أنس بن مالك: أنّ عمر قال بعدها: أيها الناس، إنّي كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله، ولكنّي كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا إلى الآخر. ابن اسحاق في السيرة ٤: ٣١١ ثم روى عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر قال له: إن كان الذي حملني على ذلك إلّا أنّي كنت أقرأ الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فكنت أظنّ أنّ رسول الله سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فهو الذي حملني على ما قلت. ٤: ٣١٢ وذكر مختصر الخبر اليعقوبي ٢: ١١٤.

(١) تفسير العياشي ١: ٢٠٩ ح ١٦٦.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

نور، وعصمكم من الزلل وآمنكم من الفتن، فتعزّوا بعزاء الله، فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّ وجلّ الذين بهم تمّت النعمة واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولّاكم فاز ومن ظلم حقّكم زهق، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير.

فاصبروا لعواقب الأمور، فإنّها إلى الله تصير. قد قبلكم الله من نبيّه وديعة واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله وقد أكمل لكم الدين وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل، أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، واستودعكم الله، والسلام عليكم»[1].

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن علي عليه السلام قال: «ضُرب بي من وفاة رسول الله ﷺ ما لم أكن أظنّ الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به! فرأيت الناس من أهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام والقول والاستماع، وسائر الناس من غير بني عبد المطلب بين معزٍّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باكٍ لبكائهم وجازع لجزعهم.

(1) أصول الكافي ١: ٤٤٥ ح ١٩، وروى قريباً منه العياشي في تفسيره ١: ٢٠٩ ح ١٦٦، ثم خبرين آخرين عن الصادق عليه السلام ح ١٦٧ و١٦٨، وعنه عليه السلام اليعقوبي في تاريخه ٢: ١١٤ وروى مثله الصدوق في أماليه: ٢٢٧ ذيل ح ١١، عن السجاد عن عمه عليه السلام أنّ المعزّي كان الخضر عليه السلام وكذلك في كنز العمال ٧: ٢٥٠ ح ١٨٧٨٥.

فحملت نفسي على الصبر عند وفاته، بلزوم الصمت، والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه[1].

غسله والصلاة عليه ودفنه

وأفاد المفيد في «الإرشاد» أنّ عليّاً عليه السلام لما أراد غسل رسول الله ﷺ استدعى الفضل بن العباس فعصّب على عينيه ـ حسب وصيّة النبي ـ وأمره أن يناوله الماء لغسله، ثم شقّ قميصه من جيبه حتى سُرّته، وتولّى غَسله وتحنيطه وتكفينه[2].

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله أُحرم في ثوبين: عبري (من اليمن) وظفاري (صحاري عُماني) وكفّن فيهما[3].

وفي آخر عنه عليه السلام: في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحاريّين وثوب حِبَرة[4].

وروى المفيد بسنده عن ابن عباس قال: لما فرغ علي عليه السلام من غسله (وكفنه) كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وطبت ميّتاً، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوّة والأنباء، خصّصت حتى

(1) الخصال ١: ٣٧٠ ـ ٣٧٦، عن الباقر وعن محمد بن الحنفية، وفي الاختصاص: ١٦٤.

(2) الإرشاد ١: ١٧٨ وروى ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣١٢، عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ الذين وَلوا غسله عليه السلام إنّما هم أهله وأخوه: الفضل وقثم وعلي بن أبي طالب وأسامة وشُقران مولياه. وكان علي قد أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلكه من وراء القميص، وأسامة وشقران يصبّان الماء، والعباس وابناه الفضل وقثم يقلّبونه مع علي عليه السلام.

(3) فروع الكافي ٤: ٣٣٩ ح ٢، والفقيه ٢: ٢٣٠ ح ٩٥٩٤ وعنهما في الوسائل ٣: ٦ ب ٥ ح ١.

(4) فروع الكافي ١: ٣٣٠ ح ٦ و٣: ١٤٣ ح ٢، والتهذيب ١: ٢٩٦ ح ٨٥٠، وابن إسحاق في السيرة ٤: ٣١٢ وعنه عن أبيه عن جدّه السجاد عليه السلام، وعن الزهري عن السجاد عليه السلام. وفي اليعقوبي ٢: ١١٤.

صرت مسلّياً عمّن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون، بأبي أنت وأمّي، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همّك. ثم أكبّ عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه(١).

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام قال: أتى العباس أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا علي، إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يؤمّهم رجل منهم فيصلّوا على النبيّ، ويدفنوه في بقيع المصلّى، فخرج أمير المؤمنين إلى الناس فقال لهم: يا أيها الناس، إنّ رسول الله إمامنا حيّاً وميتاً، وقد قال: إنّي أُدفن في البقعة التي أُقبض فيها(٢).

وروى عن الباقر عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله يقول في صحته وسلامته: إنّما نزلت هذه الآية عليّ في الصلاة عليّ بعد قبض الله لي: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣).

ثم أمر الناس أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فيصلّون عليه ثم يخرجون، ثم أُدخل عليه عشرة فداروا حوله ووقف أمير المؤمنين في وسطهم فقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ فيقرؤون كما قرأ، حتى صلّى عليه أهل المدينة وأهل العوالي(٤).

---

(١) أمالي المفيد: ١٠٣ م ١٢ ح ٦ ورواه الرضي في نهج البلاغة خ ٢٣٥، وروى ابن إسحاق الجملة الأولى ٤: ٣٠٣، وابن حنبل في مسنده ح ٢٢٨ وأنساب الأشراف ١: ٥٧١، وأمالي محمد بن حبيب (م ٢٤٥ هـ) وأمالي إبراهيم النحوي (م ٣١١ هـ) كما في المعجم المفهرس لنهج البلاغة: ١٣١٣.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٥١ ح ٣٧. ونقله ابن إسحاق عن قول أبي بكر ٤: ٣١٤.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

(٤) أصول الكافي ١: ٤٥٠ و٤٥١ ح ٣٥ و٣٨، وروى ابن إسحاق عن ابن عباس: دخل الناس أرسالاً: الرجال ثم النساء ثم الصبيان ٤: ٣١٤.

وروى الحلبي عن الباقر عليه السلام أنّهم صلّوا عليه عشرة عشرة يوم الاثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح ويوم الثلاثاء حتى صلّى عليه الأقرباء والخواص، وأنّ عليّاً عليه السلام أنفذ بريدة الأسلمي إلى أهل السقيفة فلم يحضروا(1).

وقال المفيد: وفاتت أكثر الناس الصلاة على رسول الله لتشاجرهم في أمر الخلافة! وكان عادة أهل مكة أن يضرحوا للدفن (في وسط القبر)، وكان الذي يحفر لهم في المدينة أبو عبيدة بن الجرّاح، وكان أهل المدينة يلحدون (في جانب القبر) والذي يحفر لهم أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال العباس: اللهم خر لنبيك، وأرسل رجلين إلى أبي عبيدة وإلى أبي طلحة فأيهما وُجد، فوُجد أبو طلحة زيد بن سهل فجيء به وقيل له: احتفر لرسول الله، فحفر له لحداً.

وكان الأنصار حول البيت فنادوا عليّاً عليه السلام: يا علي، إنّا نذكّرك الله وحقّنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخل منّا رجلاً يكون لنا به حظّ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله(2).

فقال علي عليه السلام: ليدخل أوس بن خَوْليّ، وكان خزرجياً بدرياً فاضلاً. فلما دخل قال له علي عليه السلام: انزل القبر، فنزل، فحمل عليّ النبيّ ودلّاه في الحفرة على يدي أوس الخزرجي، فلما وضعه على الأرض قال له: اخرج فخرج(3).

(1) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٩٧.

(2) الإرشاد ١: ١٨٨. وروى ابن إسحاق عن ابن عباس: أنّ أوساً هو الذي قال ذلك حين الغسل فأُدخل وحضر الغسل ٤: ٣١٢ ثم ذكر هذا الخبر حين الدفن، فهل تكرّر ذلك مرّتين؟ هذا وهو يكرّر: أنّ دفنه كان في وسط الليل، وأُخرى في جوف ليلة الأربعاء ٤: ٣١٤، فهل كان التماس أوس واستجابته وإدخاله في جوف الليل؟ بعيد جداً.

(3) الإرشاد ١: ١٨٨، ١٨٩. وقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٠٣، عن ابن حزم قال: إنّ المغيرة بن شعبة ألقى خاتمه في قبر النبي صلى الله عليه وآله لينزل فيه فقال له علي: إنّما ←

قال: ثم نزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله ووضع خدّه على الأرض موجّهاً الى القبلة عن يمينه، ثم وضع اللبن على اللحد، ثم خرج وهال عليه التراب(1).

وروى الكليني: أنّ عليّاً عليه السلام جعل اللبن على قبره(2) وفي آخر: أنّه حصّبه حصباء حمراء(3) فلعلّها كانت في الوسط واللبن حولها.

وفي ارتفاعه روى الحميري: أنّه رفعه من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورشّ عليه الماء(4) وفي اليعقوبي: ربّع قبره ولم يسنّم(5).

فبينما هو يسوّي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده إذ جاءه رجل فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر وإنّ الطلقاء بدروا بالعقد فرقاً من إدراككم الأمر ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم، فوضع علي عليه السلام مسحاته في الأرض ويده

← ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فقال: نزل في قبر النبي، والذي نفسي بيده لا تحدّث عنه أبداً.
وفي كنز العمال قال: لا يتحدّث الناس أنّه تركته ... أنّ خاتمي في قبر النبي وكان رأى موقعه فنزل وتناوله ودفعه إليه 7: 258 ح 18812 وروى ابن إسحاق في السيرة 4: 315 أنّ نفراً من أهل العراق دخلوا على علي في ... وأخته أم هانئ في حج في زمان عثمان فقالوا: يا أبا حسن، جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه، قال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنّه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: أجل، جئنا نسألك عن ذلك، فقال: كذب.

(1) الإرشاد 1: 188
(2) فروع الكافي 3: 197 ح 3
(3) فروع الكافي 3: 201 ح 2 و 4: 548، وتهذيب الأحكام 6: 461
(4) قرب الإسناد: 136 ح 555
(5) تاريخ اليعقوبي 2: 114

عنها وهو يقول: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

تاريخ يوم الوفاة:

وكان ذلك في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة[2].

وروى ابن الخشاب البغدادي (م ٥٦٧ هـ) وابن أبي الثلج البغدادي (م ٣٢٥ هـ) بسنده عن نصر بن علي الجهضمي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: مضى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة... وقبض ﷺ في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل[3].

---

(١) الإرشاد ١: ١٨٩ والآية في سورة العنكبوت: ١ ـ ٤. ولعلّ تأكيد ابن إسحاق وروايته على أنّ ذلك كان في جوف الليل ووسطه يشبه الإرجاع لابتعاده عمّا روي عنه من خبر السقيفة.

(٢) الإرشاد ١: ١٨١ وعنه في إعلام الورى للطبرسي، وقصص الأنبياء للراوندي، ومناقب آل أبي طالب للسروي، وكشف الغمة للإربلي، ولم نعثر على مصدر له قبل الإرشاد، وإنما اشتهر منه.

(٣) المجموعة النفيسة: ٤، وبعنوان تاريخ أهل البيت عليهم السلام بتحقيق المحقّق السيّد الحسيني الجلالي: ٦٨ وجاء كذلك في رواية ابن الخشاب: ١٦١ وفي أُصول الكافي ١: ٤٣٩: قبض ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل. ورواه الشيخ الطوسي في أماليه: ٢٦٦، ح ٤٩١ بسنده عن ابن إسحاق عن ابن حزم، وهو ما رواه ابن إسحاق في السيرة ٤: ٣٠٢. لكن عن غير ابن حزم. وتبع الطوسي، إرشاد شيخه المفيد في غير أماليه: من تهذيبه ٦: ٢ ومصباحه: ٧٣٢. وفي تاريخ اليعقوبي عن الخوارزمي المنجّم أنّ وفاته ﷺ كانت والشمس في الجوزاء، وهو الشهر الثالث من فصل الربيع.

وعن ابن الخشاب رواه الأربلي عن الباقر عليه السلام موقوفاً عليه[1].

وهو ما رواه الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن فقهاء الحجاز قالوا: قبض رسول الله نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأوّل[2].

وعلّق الاربلّي على هذا الاختلاف فقال: إنّ اختلافهم في يوم ولادته صلى الله عليه وآله سهل، إذ لم يكونوا عارفين به وبما يكون منه، وكانوا أُمّيّين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم. فأمّا اختلافهم في موته فعجيب.. بل اختلافهم في موته أعجب، إذ يوم موته يجب أن يكون معيّناً معلوماً[3].

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.

تم المجلد الثالث من موسوعة التاريخ الإسلامي، وبه تمّ السيرة النبوية على صاحبها ألف صلاة وتحية، وسوف يتلوه المجلد الرابع في حوادث ما بعده وتاريخ حياة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

* * *

---

(١) كشف الغمة ١: ١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٠.

(٣) كشف الغمة ١: ١٥.



الفهارس الفنّية

دليل الفهرس



فهرس الآيات الكريمة

النور (٢٤)

الشعراء (٢٦)

القصص (٢٨)

فهرس الأحاديث الشريفة

النبي ﷺ

الإمام علي ﷺ

الإمام الباقر عليه السلام

الإمام الصادق عليه السلام

عن أحدهما ﷺ

جبرئيل ﷺ

في الخبر

فهرس أسماء المعصومين ﷺ

فهرس الأعلام

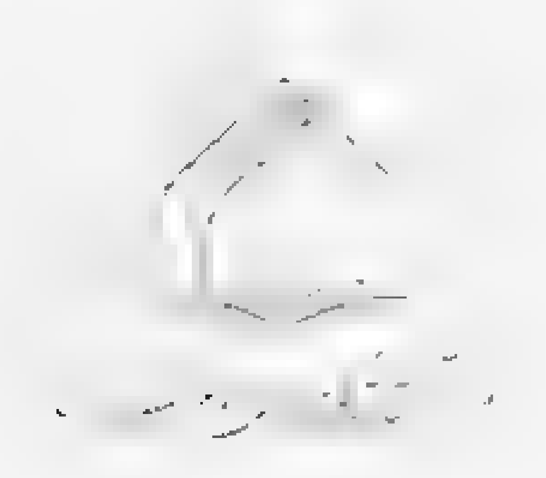
فهرس الأشعار

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الغزوات والوقائع والأيام

فهرس الجماعات والقبائل



فهرس مصادر الكتاب

القرآن الكريم

نهج البلاغة

أبو هريرة شيخ المضيرة .... أبو رية

الاتقان .... جلال الدين السيوطي

الاحتجاج . . . . أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

أحكام القرآن .. . . أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالجصاص

أخبار مكة . . . . الأزرقي

الاختصاص . . . . أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

الارشاد .. أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

أسباب النزول . . . . ابو الحسن علي بن أحمد الواحدي

الاستبصار . . . . شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي

الاستيعاب .... ابو محمد يوسف بن عبد الله بن عبد البر

أسد الغابة . . .. ابو الحسن علي بن أبي مكرم المعروف بابن الأثير

الإصابة . . . شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني

الأصنام للكلبي .. . . أبو منذر هشام بن محمد بن السائب

اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين . ... محمد بن طولون الدمشقي الحنفي

إعلام الورى . . .. امين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي

الأغاني . . . . علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني

إقبال الأعمال .... رضي الدين علي بن موسى بن طاووس
أمالي الصدوق .... محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق
أمالي الطوسي .... شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
أمالي المرتضى .... علم الهدى السيد المرتضى
إمتاع الاسماع .... تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
أنساب الأشراف .... احمد بن يحيى البلاذري
الايضاح .... الفضل بن شاذان
بحار الأنوار .... العلامة محمد باقر المجلسي
البداية والنهاية .... الحافظ أبو الفداء ابن كثير الشامي
بصائر الدرجات .... أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار
تأريخ ابن كثير .... عماد الدين اسماعيل بن عمر الدمشقي
تأريخ الخميس .... حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري
تأريخ دمشق .... علي بن الحسين المعروف بابن عساكر
تأريخ الطبري .... أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
تأريخ مختصر الدول .... أبو الفرج غريغوريوس
تأريخ المدينة المنوّرة .... أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري
تأريخ اليعقوبي .... أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي
تحف العقول .... ابن شعبة الحرّاني
تحقيق النصرة .... زيد الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر العثماني المراغي
تذكرة الأئمة (تذكرة الخواص) .... يوسف بن عبد الله المعروف بابن الجوزي
تفسير ابن كثير .... ابو الفداء اسماعيل بن كثير
تفسير البرهان .... السيد هاشم البحراني
تفسير التبيان .... شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي

جامع الرواة ... محمد بن علي الأردبيلي
الجعفريات ... اسماعيل بن موسى بن جعفر ﷺ برواية محمد بن محمد الاشعث
جلاء العيون ... العلّامة محمد باقر المجلسي
الجمل ... الشيخ المفيد
جوامع الجامع ... الشيخ ابو علي الفضل الطبرسي
حدائق الرياض ... محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد
الحسين والسنّة ... العلّامة السيد عبد العزيز الطباطبائي
حليه الأولياء ... ابو نعيم الاصفهاني
حياة الصحابة ... محمد يوسف الكاندهلوي
الخرائج والجرائح ... قطب الدين الراوندي
الخصال ... محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق
دراسات وبحوث ... السيد جعفر مرتضى العاملي
الدر الثمين ...
الدرجات الرفيعة ... السيد علي خان المدني الشيرازي
الدروس ... الشيخ أبو عبد الله محمد بن مكي الشهيد الأوّل
دروس في فقه الامامية ... الشيخ الفضلي
دعائم الاسلام ... القاضي النعمان بن محمد المصري
دعوات الراوندي ... السيد فضل الله بن علي الحسيني الراوندي
دلائل الصدق ... الشيخ محمد حسن المظفّر
دلائل النبوة ... أحمد بن الحسين بن علي البيهقي
ذخائر العقبى ... محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري
الذرية الطاهرة ... محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الدولابي الحنفي
ربيع الأبرار ... محمود بن عمر الزمخشري

شرح نهج البلاغة — عبد الحميد بن محمد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد
شواهد النبوة .... نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي
صبح الأعشى .... شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي
صحيح البخاري .... محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري
صحيح مسلم .... مسلم بن الحجاج القشيري
الطبقات الكبرى .... محمد بن سعد الزهري
الطرائف .... أبو القاسم علي بن طاووس الحسني
الطراز المنقوش — أبو المعالي علاء الدين بن محمد بن عبد الباقي البخاري المكي
عبد الله بن سبأ .... السيد مرتضى العسكري
علل الشرائع .... أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي
العمدة .... ابن بطريق الحلّي
عوالي اللآلي .... ابن أبي جمهور الاحسائي
عيون اخبار الرضا عليه السلام .... أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي
الغدير .... العلّامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني
فتح الباري .... أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
فتوح البلدان .... ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي
فروع الكافي .... أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
الفصول المختارة .... الشيخ المفيد
الفصول المهمّة .... علي بن محمد بن الصباغ المالكي
الفضائل .... أحمد بن حنبل
قاموس الرجال .... الشيخ محمد تقي التستري
القاموس المحيط .... أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
قرب الاسناد .... أبو عباس عبد الله بن جعفر الحميري

قصص الأنبياء .... قطب الدين الراوندي

كامل الزيارات .... أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي

الكامل في التأريخ .... علي بن أبي المكرم المعروف بابن الأثير

كتاب الأموال .... أبو عبيد السكوني

كتاب سليم بن قيس .... سليم بن قيس

كشف الغمة .... أبو الحسن على بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي

كفاية الطالب .... أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي

كمال الدين .... الشيخ الصدوق

كنز العمال .... علاء الدين علي المتقي الهندي

كنز الفوائد .... محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي

لسان العرب .... محمد بن مكرم ابن منظور

ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام .... الحسين بن الحكم الكوفي

المبسوط .... الشيخ الطوسي

المجالس السنية .... السيد الامين العاملي

مجلة الميقات .... منظّمة الحج والزيارة ـ طهران

مجمع البحرين .... فخر الدين الطريحي

مجمع الزوائد .... علي بن أبي بكر الهيثمي

مجموعة الوثائق السياسية .... حميد الله المستوفي

المحاسن .... البرقي

المحلّى .... ابن حزم

مراصد الاطلاع .... عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي

مروج الذهب .... علي بن الحسين المسعودي

مسار الشيعة .... محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيخ المفيد

المستدرك للحاكم .... محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
مستدرك الوسائل .... المحدث الكبير ميرزا حسين الطبرسي النوري
المسترشد في الامامة .... الطبري الامامي
المستطرف .... محمد بن أحمد الأبشيهي الشافعي
مسند أحمد .... أحمد بن حنبل
مسند الامام الشافعي .... محمد بن ادريس الشافعي
مسند عائشة .... السجستاني
مصباح المتهجد .... شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
المصنّف .... عبد الرزاق همام الحميري
مطالب السؤول .... كمال الدين محمد بن طلحة البيهقي الشافعي
معالم المدينة المنورة ....
معاني الأخبار .... محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
معجم البلدان .... أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي
المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية .... الشيخ حمد الجاسر
معجم القبائل .... عمر كحّالة
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية .... عاتق بن غيث البلادي
المغازي .... أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي
مقاتل الطالبيين .... أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
المقنعة .... الشيخ المفيد
مكاتيب الرسول ﷺ .... المحقق العلامة الشيخ علي الأحمدي الميانجي
مكارم الاخلاق .... أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي
الملهوف على قتلى الطفوف .... رضي الدين علي بن طاووس
مناقب آل أبي طالب .... محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني

فهرس الكتاب

أهم حوادث السنة السابعة للهجرة

أهم حوادث السنة الثامنة للهجرة

أهم حوادث السنة التاسعة للهجرة

أهم حوادث السنة العاشرة للهجرة

أهم حوادث السنة الحادية عشرة للهجرة